

هـ لـ ذـ اـ حـ بـ دـ بـ

مـ حـ مـ دـ رـ سـ وـ لـ اـ لـ لـ هـ صـ لـ لـ اـ لـ لـ هـ عـ لـ لـ يـ هـ وـ سـ لـ مـ

يـ اـ مـ حـ بـ

تأـ لـ يـ فـ

أـ بـوـ بـ كـ جـ اـ بـ رـ اـ جـ زـ اـ ئـ يـ



جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف  
الطبعة الثانية

١٤٠٩ - ١٩٨٩ م



للنشر والتوزيع والطباعة

الادارة - كيلو ثلاثة - طريق مكة - هاتف ٦٨٧٣٠٧٧  
ص.ب. ٤١٤٦ جدة - الرمز البريدي ٢٨٤٩١  
برقية - مشكانتا - تلكس SJ ٦٠١٢٠٩  
المكتبة - شارع البندرية - هاتف ٦٤٤٣٥١٨ - ٦٤٢٦٦١٠  
المكتبة - كيلو ثلاثة - طريق مكة - هاتف ٦٨٧٢٨٠٠

# هذا الحبيب

« محمد رسول الله ﷺ »

# يا مُحِبٌ

رسالة العلم والإيمان والحب الصادق

للحبيب محمد ﷺ

يقدمها للعالم الإسلامي والإنساني  
معاً ، إذ لا غنى لكل منها عنها لما  
حوته من علم صحيح ومعرفة بسيرة  
خاتم الأنبياء وافية شافية تهدي إلى  
الحق وإلى طريق مستقيم يفضى  
بسالككه إلى كمال وسعادة الدارين :

أبو بكر جابر الجزائري  
الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

المدينة النبوية في ١٤٠٨/١٤ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين . وصَلَّةُ الله  
وسلامه ورحماته وبركاته على صفوته عباده . وخيرته من خلقه محمد عبده  
ورسوله ، وعلى أهل بيته الطاهرين ، وصحابته أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان  
إلى يوم الدين .

أما بعد فهذه رسالة في سيرة الحبيب محمد ﷺ رغب في جمعها وتأليفها  
بعض إخوة الإسلام لتكون تكميلاً « لمنهاج المسلم » الذي اشتمل على أصول  
الدين وفروعه إلا ما كان من السيرة العطرة للحبيب محمد ﷺ وتحقيقاً لرغبتهم  
وضعت هذا الكتاب معنوياً بهذا العنوان :

## هذا الحبيب محمد ﷺ يا محبٌ

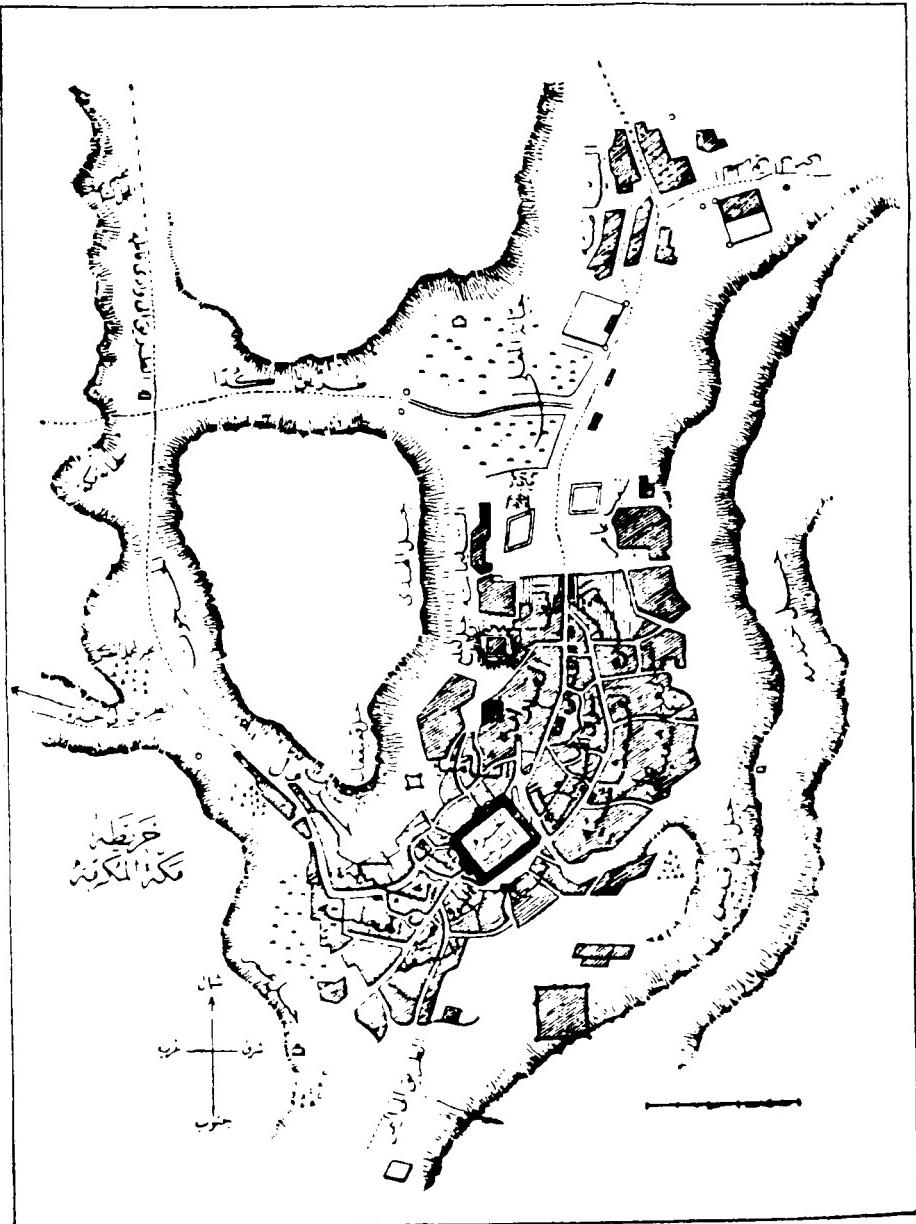
فكان حقاً - الكتاب - رسالة العلم والإيمان والحب الصادق للحبيب  
محمد ﷺ .

ونظراً لكثره ما جمع وألف في هذا الفن - السيرة - فإني تجنبت للتكرار  
والإطالة والاختصار سلكت ب توفيق الله مسلكاً في جمعه وتأليفه ما جعله بفضل  
الله تعالى أمثل ما كتب في هذا الفن سهولةً ووضوحاً وشمولاً مع حسن  
التبسيب ، وجمال التفصيل ، وزانه ما امتاز به من ترصيع كل مقطوعة منه

بذكر نتائجها وعبر قد لا تخلو منها في غالبيها . فكان بحمد الله تعالى كتاب  
البيت المسلم الذي يُشيع بين أفراده حب الحبيب المصطفى ، وبينه بيان حُسْنِ  
الأُسوة مَعَالِمُ الْهُدَى ، في دروب الحياة كلها الدينية منها كالاجتماعية  
والسياسية . وهلذا فإني أدعو أهل كل بيت مسلم أن يجتمعوا على قراءته  
فيقتطعوا نصف ساعة من يومهم أو ليتهم يقرأون فيها صفحة أو صفحتين  
حسب طول المقطوعة من الكتاب وقصرها ، ويقفون على ما فيها من النتائج  
والعبر يقوّون بذلك إيمانهم . وينمّون معارفهم ويهذبون أخلاقهم . وأعظم من  
ذلك اكتسابهم حبّ نبِيِّهم وحبّ أهل بيته الطاهرين . وصحابته الغرّ المياみين .

وأخيراً فاللهم اجعل عملى في هذا الكتاب صالحًا واجعله لوجهك خالصاً ،  
وارزقنى به ، ومن يقرأه مؤمناً محظياً حبّ نبِيِّك وشفاعته في النجاة من النار ،  
واللحاق بمنازل الأبرار مع الرفيق الأعلى ياذا الجلال والإكرام .

سبحان ربِّك ربَّ العزة عما يصفون  
سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين



هذه مكة

هذا البلد الأمين

هذا الوادي الذي قال إبراهيم فيه : ﴿رَبَّنَا إِلَى أَسْكَنْتُ  
مِنْ ذُرَيْتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّم﴾ .

## أرض النبّوة

بجبال فاران ، بالوادى الأمين ، بالأرض المباركة حيث بُني فيها أول بيت للناس ، كلّ الناس بمكّة المكرمة دائرة الجد ، ومهبط الوحي .  
بالبلد الأمين حيث كان مولد سيد جميع العالمين .  
بديار الحجاز مقلل الإيمان<sup>(١)</sup> في آخر الزمان .

بها — مكّة — طابت معانها ، وجّلت عن الحصر معانها ، بعث نبّي آخر الزمان ، الذى سنحدث عنه — إن شاء الله — الأحبّاء ببيان أيّما بيان .  
ولنسحبس الآن القلم ساعة ، لنعود إلى الحديث عن أرض النبّوة بعد ساعة .

## الدّوحة الكريمة

من ديار الكفر والطغيان ، من أرض الشرك والظلم للإنسان خرج مهاجرًا إبراهيم مع ابن أخيه هاران لوط عليه وعلى إبراهيم وآلـه السلام .

وانخذ إبراهيم الأرض المباركة مهاجرًا أرض الشام التى باركها الله للأئم ، وحل إبراهيم يوما بديار مصر وهو يحمل رسالة التوحيد فكان أن أكرم الله سارة<sup>(٢)</sup> زوج إبراهيم بعطيه هي نعم الهدية إنها هاجر المصرية أم إسماعيل وحدة العدنانيين أجمعين .

ووهبت سارة الكريمة جاريها إبراهيم فتسرّاها فأنجبت إسماعيل . ويسوق

(١) ثبت هذا المعنى بالحديث .

(٢) تقرأ هذه القصة فى صحيح البخارى . «كتاب الأنبياء» .

الله أقداراً إلى أقدارٍ . فتضيق بسارة الدار حيث آلمها أن تلد جاريتها غلاماً زكيّاً ، وتحرمه هي !!

وبإذن من الله يخرج إبراهيم بجاريته أم ولده مستخفياً مستحيياً فتعفى هاجر آثار أقدامها مبالغة في إخفاء أمرها .

ولنخرج القلم الآن من الحبس : لتابع الحديث عن أرض الأنns والقدس .

إنه بالواد الأمين ، المحاط بجبال فاران من أرض طيبة مباركة ، وتحت دوحة عظيمة ، وضع إبراهيم هاجر وطفلها تاركاً لهما جراثباً فيه طعام ، وسقاءً فيه ماء وقفل راجعاً . ونظرت إليه هاجر والدهشة تأخذها ، والحيرة تنتابها ، ثم تقول : إلى من تكلنا يا إبراهيم ؟ وأردفت تساؤلها قائلة : آللله أمرك بهذا يا إبراهيم ؟ فأجابها السيد الرحيم قائلاً : نعم . فرددت عليه وهي قريرة العين إذاً فاذهب فإن الله لا يضيعنا . وذهب إبراهيم عائداً إلى أرض الشام .

ولما بعد حيث لا تراه هاجر استقبل مكان البيت قبل بنائه وقال : ﴿رَبَّنَا إِلَيْنَا أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرْرَتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعُلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْقُفْهُمْ مِنَ السَّمَاءِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ .

وقفة قصيرة :

فهيّا بنا معشر الأحياء نجلس مع هاجر نؤانسها في وحشتها ، ونستجلّى العبرة من موقفها :

هاجر امرأة مؤمنة كسائر المؤمنات تهاجر من بلدها ، وتخرج من دارها حتى لا تؤذى ولية نعمتها ، تلك المؤمنة الأولى سارة بنت هaran عم إبراهيم الزوج الكريم . علمت هاجر ما أصاب سارة من العيّرة فأثرت غربتها عن أذية سيدتها . فياله من موقف تقفه هذه المصرية الزكية فهلا تأسى بها الضرات !!

---

(١) تأسى : أى اقتدى والضرات جمع ضرة : المرأة تكون مع أخرى تحت رجل واحد والضرة مشقة =

وهلّا عرف هذا أحباً نا أحبهم الله فيؤثر أحدهم بالنفع أخيه ويتحمل الأذى  
في سبيل رضاه !

هذه عبرة ، وأخرى : ترك هاجر بوادٍ قفر موحش لا أنيس به من قريب  
ولا من بعيد ، وتبصر مخاوفها ولا تكتم ما انتابها من غم وهم . فتقول  
لإبراهيم : إلى من تكلنا ؟ وما إن تسمع حوار إبراهيم : نعم الله أمرني بهذا  
حتى تتجلّي حقيقة إيمانها في مستوى لن يرق إليه غيرها من نساء العالمين ،  
إذ تقول : اذهب فإنه لا يضيعنا .

هذا هو الإيمان الذي نطلبها أيها الأحباء . وهذا هو التوكّل الشمرة الشهية  
لعقيدة الإيمان الحية .

إن إيماناً لا يثمر توكلًا كهذا إيمانًّا ناقص قصير ، وقليل يسير .  
فلننشد أيها الأحباب إيماناً كاملاً يثمر لنا الخشية والحبّة معًا وتوكلًا كهذا !!!  
ولترك هاجر تبيت ليلتها بالواد الأمين لنعود إليها بعد حين تستقصى أخبارها  
ونتعرف على أحوالها ؛ لأنها رحم لنا ، ومنبت عزٍ ومجده كانا لنا ، إنها أمُّ  
إسماعيل أحد آباء سيد المرسلين محمد الحبيب عليه أفضل الصلوة وأزكى  
التسليم .

تقول الأخبار الصادقة : إن هاجر قد نَفِدَ ماءً سقايتها وعطشت وعطشت  
إسماعيل طفليها ، فدارت تطلب الماء وحارست ، وكبدتها كاد يرفض<sup>(١)</sup> وهي  
ترى طفليها يتلوى من شدة العطش . ونظرت فإذا أقرب مكان عالٍ إليها هو  
جبل الصفا فأتته ورقفته ونظرت يميناً وشمالاً فلم تر ماءً ولا أحداً ونظرت  
أمامها فإذا أقرب مكان عالٍ إليها جبل المروة فهبطت ذاهبةً إليه .

---

= من الضرر ، لأن كل واحدة منهما تتضرر بالأخرى .

(١) ارفض الكبد تفتت من العطش أو الحزن أو كاد .

فانتهت إلى بطن الوادي فأسرعت وختبت<sup>(١)</sup> فيه حتى اجتازته ، وواصلت سعها حتى انتهت إلى جبل المروة فرقته ، ونظرت يميناً وشمالاً فلم تر شيئاً فهبطت عائدة إلى الصفا حتى اكتمل سعيها بين الصفا والمروة وهي تطلب الماء لولدها ولها سبع مرات .

وعندتها وهي على أحد الجبلين تسمع صوتاً غريباً فتقول في هفوة : أسمعت أسمعت فهل من غياث ؟!

وترمى ببصرها نحو ولدتها فإذا برجل قائم على رأس الطفل تحت الدوحة<sup>(٢)</sup> وما إن دنت منه حتى قال بعقبه هكذا يرفس الأرض ، وإذا بعين ماءٍ تفور وكم كانت فرحة هاجر بسقيا إسماعيل ! وأخذت ترمُّها بالتراب والحجارة تمنع سيلانها على وجه الأرض خشية أن تنصب ، ولو تركتها فلم تحطها بما أحاطتها به من تراب وحجارة لكان عيناً معيناً كما أخبر بذلك حفيدها السيد الجليل محمد إمام المرسلين وسيد جميع العالمين ، عليه أفضل الصلاة وأزكي وأبرك التحية والتسليم .

### ثمرة القصة :

إن هذه القصة التي قصصناها ثمرة من أغلى الشمار وأشهارها إلى النفوس المؤمنة الطاهرة الزكية إنها ثمرة التوكل على الله بتفويض الأمر إليه ، والاعتماد عليه . أتذكر أيها الحب لما قالت هاجر لإبراهيم : إلى من تتركنا آنما أمرك بهذا ؟ فقال لها : نعم . فقالت إذا فاذهب فإنه لا يضيقنا ! إنها توكلت على الله ربنا وربها وأحسنت الظن به تعالى . فهذه العين الثرة ( زمزم ) كانت ثمرة توكلها على ربها وحسن ظنها به عز وجل .

(١) وختبت : أسرعت .

(٢) الدوحة : الشجرة العظيمة ذات النظل الوارف .

## بداية أمر مكة :

لما أكرم الله تعالى هاجر أم إسماعيل بماء زمزم مرت رفقة من قبيلة جرهم<sup>(١)</sup> قريباً من وادى مكة فبعثوا من يرتاد لهم ماء ينزلون عليه فرأى رائدهم طائراً يحوم فعلم أن هناك ماء فأقى المكان وإذا فيه هاجر ولدتها إسماعيل وهما إلى جنب ماء زمزم فعاد الرائد فأخبر رفقة فأتوا الماء واستأذنا هاجر في النزول معها فأذنت لهم ، واشترطت أن لا يكون لهم حق في الماء فقبلوا الشرط ونزلوا ، فكانت هذه بداية عمارة مكة في العهد الإبراهيمي السعيد .

عبرة :

أين الذين يتمشدون بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية أين هم ؟ إنهم في الحضيض الأسفل إزاء هذه الواقعة التاريخية الثابتة بالوحى الإلهي : امرأة غريبة الدار تملك بشر ماء في صحراء تستأذنها في النزول إليها رفقة كاملة برجاتها ونسائها تستأذنها في النزول إلى جوارها فتشترط عليهم في النزول بجوارها وهى تحب الأنس : أن لا يكون لهم حق في الماء فيقبلون الشرط ويرضونه وينزلون !!

هذه خلة فاضلة كريمة من خلال العرب في الجاهلية فكيف بهم في الإسلام لو لا الصرفة التي صرّفوها يمكّر الثالوث الأسود : الجنوس واليهود والنصارى .

## عمارة مكة

و عمرت مكة بهاجر أم إسماعيل أولاً ثم بنزول الرفقة الجرهمية<sup>(١)</sup> ثانياً . وكبر إسماعيل ، وأصبح أهلاً لأن يسعى ويعمل ولو براغي الماشية وصيد الطباء والطيور . وجاء إبراهيم يتعهد تركته إسماعيل ابنه وهاجر أم ولده عليهم

---

(١) جرهم قبيلة بيمانية قحطانية وقططان من ذرية سام بن نوح عليه السلام .

جَيْعَالِ السَّلَامَ ، وَأُوْحَى إِلَيْهِ الرَّبُّ تَعَالَى مِنَّا — وَرَؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ — أَنْ  
أَذْبَعَ إِسْمَاعِيلَ قَرْبَانَا لَنَا . وَاسْتَشَارَ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ فِي ذَلِكَ قَائِلاً : ﴿إِنِّي أَرَى  
فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَعُكَ فَأَكْظُرُ مَاذَا تَرَى﴾ فَأَجَابَ إِسْمَاعِيلَ قَائِلاً : ﴿أَفْعُلُ  
مَا تُؤْمِنُ سَتَحْدِنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ .

وَأَرَادَ إِبْرَاهِيمَ تَنْفِيذَ أَمْرِ رَبِّهِ فَخَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَلَدَهُ إِلَى مِنْيَ لِيَذْبَحَهُ قَرْبَانَا لِرَبِّهِ  
حِيثُ أَمْرَهُ ، وَلَمَّا تَلَهُ لِلْجِنِّينَ وَالْمَدِيَّةِ بِيَدِهِ وَقَبْلَ الإِجْهَازِ عَلَيْهِ نَادَاهُ رَبُّهُ : ﴿أَنْ  
يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا﴾ ، وَفَدَاهُ بِذِبْحِ عَظِيمٍ أَى بِكَبِشِ أَمْلَحٍ كَبِيرٍ ،  
فَتَرَكَ الْوَلَدَ وَذِبَحَ الْكَبِشَ ، وَفَازَ بِالرَّضَا الْوَلَدُ وَالْوَالِدُ .

**عبرة :**

إِنْ فِي صَبْرِ هَاجِرٍ عَلَى ذِبْحِ وَلَدِهَا وَصَبْرِ إِسْمَاعِيلَ عَلَى ذِبْحِ نَفْسِهِ لَآيَةٌ دَالَّةٌ  
عَلَى طَيْبِ الْأَمْ وَوَلَدِهَا فَلَذَا اخْتَيَرَا لَأَنْ يَكُونَا جَدِينَ لِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ الْحَبِيبِ  
مُحَمَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . إِنْ طَيْبَةَ الْأَصْوَلِ تَنْتَقِلُ إِلَى الْفَرْوَعِ ، وَقَدْ تَرَهُ الْفَرْوَعُ عَلَى  
أَصْوَلِهَا .

وَجَاءَ الْخَلِيلُ مَرَّةً أُخْرَى يَعْهُدُ تَرْكَتَهُ<sup>(۱)</sup> ، وَكَانَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ  
كَبَرَ وَبَلَغَ وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً جَرْهِيمِيَّةً مِنَ الرَّفِيقَةِ الَّتِي جَاءَوْهُمْ مِنْ مَكَّةَ ، وَمِنْ لَحْقِهِمْ  
مِنْ قَوْمِهِمْ . فَدَخَلَ إِبْرَاهِيمُ وَسَلَّمَ عَلَى امْرَأَةِ ابْنِهِ ، وَكَانَتْ هَاجِرٌ قَدْ تَوَفَّتْ  
فَقَالَ أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ؟ قَالَتْ : ذَهَبَ يَصِيدُ ، وَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا مَعَ زَوْجِهَا فَلَمْ  
تَذَكَّرْ خَيْرًا ، فَقَالَ لَهَا إِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَأَقْرَئِهِ السَّلَامَ وَقُولِي لَهُ يَعْيِّرُ عَتْبَةَ بَابِهِ .  
وَجَاءَ إِسْمَاعِيلَ مِنَ الصِّيدِ وَأَخْبَرَهُ بِالْخَبْرِ فَقَالَ : ذَاكَ أَيْنِي وَقَدْ أُمْرَنِي بِطَلاقِكَ ،  
فَالْتَّحَقَ بِأَهْلِكَ .

وَمَضِيَ زَمْنٌ يَطْوُلُ أَوْ يَقْصُرُ وَبَدَا<sup>(۲)</sup> لِإِبْرَاهِيمَ أَنْ يَعْهُدُ تَرْكَتَهُ فَجَاءَ مَكَّةَ

(۱) التَّرْكَةُ : مَا تَرَكَهُ الْإِسْلَامُ وَخَلَفَهُ وَرَاءَهُ ، وَمِنْ هَذَا تَرَكَهُ الْمَبْتُ .

(۲) بَدَا أَيْ ظَهَرَ لَهُ .

ودخل حِجْر إِسْمَاعِيل فَسَلَّمَ وَقَالَ : أَيْنَ إِسْمَاعِيل ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهِمْ فَذَكَرَتْ  
خَيْرًا ، فَقَالَ لَهَا : إِذَا جَاءَ زُوْجُكَ فَأَفْرِئِيهِ السَّلَامَ وَقَوْلِي لَهُ : ثَبَّتْ عَتَبَةَ<sup>(١)</sup>  
بِابِكَ .

وَعَادَ إِبْرَاهِيمَ إِلَى الشَّامَ ، وَمَضَتِ الْأَيَّامُ وَقَدْ تَطَوَّلَ أَوْ تَقْصَرَ وَبَدَا لِإِبْرَاهِيمَ  
أَنْ يَطْلُعَ عَلَى تَرْكَتِهِ فَجَاءَ مَكَّةَ فَوَافَقَ إِسْمَاعِيلَ مِنْ وَرَاءِ زَمْزَمَ يُصْلِحُ نَبَلًا لَهُ  
تَحْتَ دُوْحَةً عَظِيمَةً قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَ كَمَا يَصْنَعُ الْوَالَدُ  
بِالْوَلَدِ ، وَالْوَلَدُ بِالْوَالَدِ . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا إِسْمَاعِيلَ إِنَّ اللَّهَ أَمْرَنِي بِأَمْرٍ قَالَ إِسْمَاعِيلُ  
فَاصْنَعْ مَا أَمْرَكَ رَبَّكَ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَثَعَيْنِي ؟ قَالَ : وَأَعِينِكَ ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ  
أَمْرَنِي أَنْ أَبْنِي هَاهُنَا بَيْتًا ، وَأَشَارَ إِلَى أَكْمَةَ مَرْتَفَعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا .

#### نتائج وعبر :

من نتائج هذه المقطوعة من السيرة وعبرها ما يلى :

(١) تعهد الوالد أهل ولده بزيارتهم والتعرف على أحوالهم من الوقت إلى  
الوقت .

(٢) قوة الفراسة والعمل بها ، فإن إبراهيم عليه السلام تفرس في امرأة ابنه  
أنها غير صالحة له ، لما سمعه منها من شكاة ، وإن إسماعيل عمل برأي والده  
وطلق امرأته .

(٣) مشروعية استعمال الكنایات في الخطابات فقد كتى إبراهيم عن المرأة  
بعثبة الدار .

(٤) مشروعية معانقة الولد للوالد وعكسها ، ويقاس عليهم غيرهما .

(٥) مشروعية استشارة الوالد ولدَهُ وطلب العون منه على أمره .

(١) كنایة عن امرأته .

(٦) قَدَمَ الْبَيْتُ الْعَتِيقَ ، وَإِنَّهُ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ يَتَّيِّدَ وُضُعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي يَكْرَهُ مُبَارَكًا وَهَذِهِ لِلْعَالَمِينَ﴾ .

## بناء إبراهيم عليه السلام للبيت العتيق

ولما وافق إسماعيل على إعانة والده على بناء البيت شرع إبراهيم في البناء ، وقد هداه رَبُّه تعالى إلى مكانه الذي كان به رفعه<sup>(١)</sup> عام الطوفان ، أو هدمه بفعل السيول الجارفة ، وعدم وجود من يقوم ببنائه ، فأخذ إبراهيم يبني وإسماعيل يتناوله الحجارة وهما يقولان ما أخبر تعالى به عنهما في قوله : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبُّنَا يَقْبِلُ مِنْهَا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* رَبُّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا وَثَبْتْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ .

ولما ارتفع البناء جاء إسماعيل بحجر كبير مرتفع فصار إبراهيم يعلو فوقه ويواصل رفع البناء حتى فرغ ، وبقى الحجر تحت جدار البيت وقد ارتسست عليه قَدَمَا إبراهيم وهو صُلْبٌ ليس بمرطب لتكون آية للعالمين .

ولما جاء الإسلام — ومرحباً به — شرع الله تعالى الصلاة خلفه ؛ إذ قال تعالى من سورة البقرة : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مَصَلَّى﴾ .

ولما فرغ إبراهيم من بناء البيت أمره الله تبارك وتعالى أن يؤذن في الناس بالحج . كما قال : ﴿وَأَدْنُونَ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ .

(١) ذكر أهل العلم قولين في البيت منهم من قال : إن الله تعالى رفعه قبل الطوفان ومنهم من قال : لم يرفعه وإنما انهدم بفعل الطوفان كغيره من سائر المباني والله أعلم بأى القولين أصح .

فطلع إبراهيم عليه السلام على جبل ألى قُبَيْس وهو من أقرب الجبال إليه ، ونادى باسم الله تعالى قائلاً : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ بْنَى لَكُمْ بَيْتًا فَحُجُّوْهُ ، والتفت بنداءه يميناً وشمالاً كَمَا يَلْتَفِتُ الْمُؤْذِنُ الْيَوْمَ فِي أَذَانِهِ لِالصَّلَاةِ ، فَأَسْمَعَ اللَّهُ تَعَالَى نَدَاءَهُ كُلَّ نَسْمَةٍ خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَمَنْ لَبِثَ حِجَّةً ، وَمَنْ لَمْ ثُلِّمْ لَمْ تَحْجُّ أَبْدًا . وَمَعْنَى لَبِثَ : قَالَتْ : لَبِثَكَ اللَّهُمَّ لَبِثَكَ أَىًّا أَجَبْتَ طَلْبَكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةً .

### نتائج هذه المقطوعة من الحديث :

لهذه المقطوعة من سيرة الحبيب العطرة نتائج نجملها فيما يلى :

- (١) تقرير بناء إبراهيم للبيت العتيق شرفه الله وكرمه .
- (٢) بيان تعاون إبراهيم مع ولده إسماعيل على بناء البيت .
- (٣) بناء البيت كان على أساس وقواعد قدية كان عليها قبل حداثة الطوفان وفي هذا ترجيح للقول بأنّ البيت كان من عهد آدم عليه السلام .
- (٤) ارتسام قَدَمَيْ إبراهيم على صخرة المقام آية خالدة من آيات الله تعالى التي كان يعطيها الأنبياء عليهم السلام .
- (٥) تقرير القول بأنّ الأرواح مخلوقة قبل خلق أجسامها ، وأنّ الملك الموكِل بالأرحام ينفحها في المضعة بإذن الله تعالى فتسري فيها فتحيا .

### بداية أمر الحبيب

محمد ﷺ

إنه أثناء قيام إبراهيم وَوَلَدِهِ إسماعيل ببناء البيت العتيق كَانَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يتقاولان ما أُخْبِرَ به تعالى عنهمما في قوله : ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَنْهَا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَيُرِيكُهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ إذ الضمير في قوله ﴿فِيهِم﴾ عائد على ذرّية إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام . فكان هذا مبدأً أمر الحبيب محمد ﷺ .

وقد قرر هذه الحقيقة بنفسه ﷺ : إذ سئل عن مبدأ أمره فقال : « أنا دعوة أبي إبراهيم<sup>(١)</sup> وبشارة أخي عيسى عليهما السلام ». .

### إسماعيل وذرّته

لقد عاش إسماعيل بجوار البيت العتيق وفي مكة أصهاره من قبيلة جرهم اليهانية القحطانية ، وقد نبأ فيهم ، وأرسل إليهم وإلى كافة من بالمحجاذ من العمالق . وأنجب إسماعيل أولاداً بلغوا اثنى عشر ولدًا منهم نابت وهو أكبرهم وهو حلقة السلسلة الذهبية الحمدية ، فنابت من أولاد إسماعيل الاثنى عشر هو الذي اختير لأن يكون من آباء دعوة إبراهيم وإسماعيل ﴿ رَبَّنَا وَآبَعْثُ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ . واختفت حلقات السلسلة الذهبية فيما بين نابت وعدنان لظروف غامضة غير معروفة . وكان عدد الآباء ما بين نابت بن إسماعيل وعدنان يقدر بستة آباء ، والجميع عاشوا بالحرم المكي ولم يخرجوا منه . ومع هذا لم تضبط أسماء هؤلاء الآباء الستة وصاحب النسب الزكي الشريف حبيب الأحياء وسيد الأنبياء محمد ﷺ انتهى بذلك تسلبه جازماً بما ذكر إلى عدنان ، ثم سكت وقال : كذب<sup>(٢)</sup> النسابون . قال تعالى : ﴿ وَقُرْفُوْنَا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ فلهذا كان الانتهاء إلى حيث انتهى النبي ﷺ بنسبه أولى .

نتائج هذه المقطوعة :

لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج هي كالتالي :

- (١) النسب الشريف بين إسماعيل وعدنان مجهول ولا يصح الجزم بما ذكر النسابون حيث بلغوا بالنسب الشريف إلى آدم عليه السلام .
- (٢) صحة النسب الزكي من عدنان إلى عبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ بالصحة لا يخالفها شك قط .

(١) صح هذا الخبر بروايات سليمة صحيحة .

(٢) علم عليه السيوطي في جامعه بالصحة .

(٣) توهين أقوال النسايين وعدم الجزم بما يقولون .

## سلسلة الطهر

### النسب الشريف

بين يدى الحديث عن سلسلة الطهر الذهبية أقدم كلمة عن العرب موجزة لما لهم من شرف الأصل ، وطيب المختد فأقول : إن العرب بأقسامهم الثلاثة : العرب البائدة ، والعربية ، والمستعربة يعودون إلى أصل واحد هو سام بن نوح عليه السلام . أمّا الذي ينسب إليه العرب ويعرفون به فهو يعرب بن يشجب ابن قحطان بن عابر بن شانع بن أرفحشذ بن سام بن نوح الرسول عليه السلام .

#### العرب البائدة :

إن العرب الذين بادروا أى هلكوا هم طسم وجليس<sup>(١)</sup> ، وعاد وثمود هكذا يقول النسايون والمئرخون . فاما طسم وجidis فقد اقتلوا أى قاتل بعضهم بعضا حتى هلكوا جميعا ، وأما عاد وثمود فقد أصرروا على الشرك والتکذيب لرسولهم هود وصالح عليهم السلام حتى أهلكتهم الله تعالى ، وقد جاءت أخبارهم في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ الْحَاقَةُ مَا الْحَاقَةُ \* وَمَا أَذْرَاكُمْ مَا الْحَاقَةُ \* كَذَبْتُ ثَمُودَ وَعَادَ بِالْقَارِعَةِ \* فَأَمَّا ثَمُودٌ فَأَهْلَكُوا بِالْطَّاغِيَةِ \* وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلَكُوا بِرِيعِ صَرْصَرِ عَاتِيَةِ ﴾ .

#### العرب العاربة :

إن العرب العاربة هم الأصلاء في نسبهم إلى يعرب بن يشجب بن قحطان ، ولذا يقال لهم القحطانيون وبنو عمهم هم العمالقة<sup>(٢)</sup> الذين يسكنون الحجاز

(١) ثمود أحو جديس .

(٢) الطاغية هي الصيحة التي أخذتهم وقيل فيها طاغية لأنها تجاوزت الحد في صوتها .

(٣) العمالقة هم أولاد عملاق ، وبنو أميم هم أولاد أميم ، وعملاق وأميم هما أولاد لاذ بن سام بن نوح .

والشام ودخلوا مصر وتفرقوا في البلاد المجاورة للجزيرة العربية ، وبنو أميم أيضاً وقد لازموا الجزيرة ولم يخروا منها . أما القحطانيون وهم أولاد يعرب بن يشجب بن قحطان فقد لازموا الديار اليمانية زمناً ، ثم تفرقت قبائلهم<sup>(١)</sup> في الجزيرة والشام<sup>(٢)</sup> ومن قبائلهم الذين<sup>(٣)</sup> سكنا الحجاز قبيلة جرهم التي سكنت مكة بإذن هاجر أم إسماعيل عليه السلام .

### العرب المستعربة :

إن العرب المستعربة هم أولاد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام وقيل لهم العرب المستعربة ، لأن إبراهيم عليه السلام لم يكن من أولاد يعرب وإنما كان من أولاد عابر بن شايل بن أرفشخذ بن سام بن نوح ، ولذا كانت لغته غير العربية وهي السريانية لغة الكلدانين من سكان بابل العراق كما تكلم بلغة الكلعانيين بالشام أيضاً عند هجرته إلى الشام ، ولم يتكلم بالعربية .

وأما إسماعيل عليه السلام فإنه بحكم نشأته بين أفراد قبيلة جرهم اليمانية القحطانية التي سكنت مكة بإذن والدته هاجر كما تقدم تعلم العربية ونفس أهلها فيها أى تفوق عليهم فيها بياناً وأدبًا وبلاهة ، كما تعلمتها أولاده منه ومن أهمهم السيدة بنت مضاض الجرهمية ومن أحوالهم المجاورين لهم بمكة أيضاً ؛ فلهذا قيل لهم العرب المستعربة نظراً إلى أن جدهم غير عربي وهو إبراهيم ، وإن ولده إسماعيل استعرب هو وبنوه حيث تعلموا لغة العرب وتتكلموا بها وفازوا فيها ، ومن هنا قيل في القبائل العدنانية<sup>(٤)</sup> عامة العرب المستعربة .

(١) من أشهر قبائلهم حمير وكهلان .

(٢) من سكن الشام ختم وجذام وأولاد حصنة ملوك الشام .

(٣) وكذا طبيء إذ سكنا شمال الحجاز ، وسكن الأوس والخرج المدينة النبوة حيث تزلا جدهم ثعلبة بن عمرو الأردي مهاجراً من اليمن بعد خراب سد مأرب بفعل سيل العرم الذي ذكره الله تعالى في سورة سباء .

(٤) نسبة إلى عدنان أحد أبناء ذرية إسماعيل عليه السلام .

## عودة سريعة إلى النسب الشريف

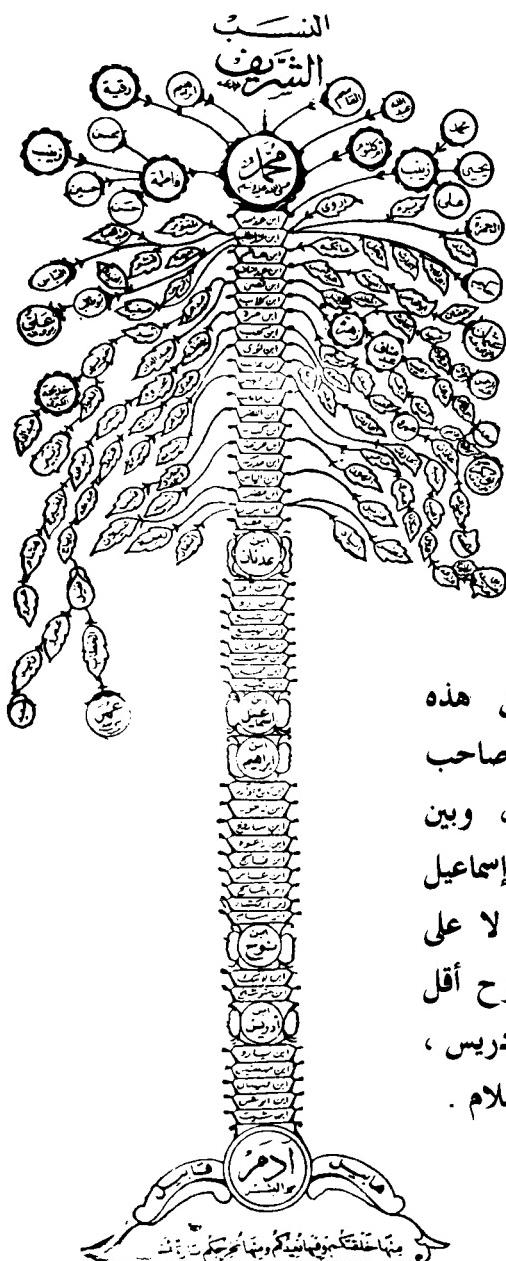
سبق أن ذكرنا أن النسب الشريف ما بين إسماعيل وعدنان فيه غموض وخفاء حتى إن صاحب النسب الشريف عليه السلام قال : لا ترفوئي فوق عدنان . ولذا فكل ما يحسن أن يقال هو أن أولاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وهم اثنا عشر ولدًا عاشوا مع أخواهم من جرهم ، ونبيهم رسول الله إليهم أجمعين هو إسماعيل عليه السلام . وكان من بين أولئك الإخوة نابت وقينار ، والإجماع على أن عدنان هو ابن أحددهما لا محالة ثم إن عدنان أنجب من البنين عَكْأَا وَمَعَدَا ، أما عك فقد نزح إلى اليمن وعاش بها مع أصحابه الأشعيين . وأما معد فقد بقي بِسْكَة وأنجب من البنين نزاراً ، وقضاعة ، وفُضْقاً ، وإياداً ، أمّا قُصْص فقد هلك بنوه إلا قليلاً منهم وكان منهم النعمان ابن المنذر . وأما إياد فقد أنجب قبيلة والسبة إليها إيادي ومنهم قيس بن ساعدة الإيادي . وأما قضاعة فقد نزحت إلى حمير باليمن وأقامت بها . وأما نزار فقد عاش بالحرم كأخيه إياد وأنجب مضرًا وربيعة وأنمارًا . وأنجب مضر إلياس وعيلان ، وأنجب إلياس مدركة<sup>(١)</sup> وطابخة وقمعة ، وأنجب مدركة خزيمة ، وهذيلاً ، وأنجب خزيمة كنانة وأسدًا ، وأسدَة والهُوْن . وأنجب كنانة ملكان والنضر ومالكًا وعبد مناة . وأنجب النضر وهو أبو قيس حيث كافأه قبائلها تعود إليه أنجب مالكًا وخلداً وأنجب مالك بن النضر فهرًا<sup>(٢)</sup> . وأنجب فهر غالباً ومحارباً والحارث وأسدًا . وأنجب غالب بن فهر لؤيًّا وتيماً وقيساً ، وأنجب لؤي بن غالب كعباً وعامراً وسامة وعواً . وأنجب كعب بن لؤي مُرة وعدياً

(١) اسم مدركة عامر واسم طابخة عمرو واسم قمعة عمير والأسماء المذكورة ألقاب لهم لقبوا بها الحادثة معروفة .

(٢) اسمه قريش أو لقب له وهو أب قريش الأول .

وَهَصِيْصًا . وَأَنْجَبَ مَرْأَةُ بْنِ كَعْبٍ كَلَابًا وَتِيمًا وَيَقْظَةً . وَأَنْجَبَ كَلَابُ بْنُ  
مَرْأَةِ قَصِيًّا وَزُهْرَةً ، وَأَنْجَبَ قَصِيًّا بْنَ كَلَابٍ عَبْدَ مَنَافِ ، وَعَبْدَ الدَّارِ ،  
وَعَبْدَ الْعُزْرَى وَعَبْدَ قَصِيًّا . وَأَنْجَبَ عَبْدَ مَنَافَ بْنَ قَصِيٍّ هَاشِمًا وَعَبْدَ شَمْسٍ  
وَالْمَطْلَبِ وَنُوفَّلَ . وَأَنْجَبَ هَاشِمًا بْنَ عَبْدَ مَنَافَ عَبْدَ الْمَطْلَبَ ، وَأَسْدًا وَأَبَا صَيْفَى  
وَنَضْلَةً . وَأَنْجَبَ عَبْدَ الْمَطْلَبَ عَبَّاسًا وَحَمْزَةً وَعَبْدَ اللَّهِ وَأَبَا طَالِبٍ وَالزَّبِيرَ  
وَالْحَارِثَ وَحَجْلَا وَالْمَقِومَ وَضَرَارًا وَأَبَا لَهْبَ .

شجرة النسب الشريف



تبية المقطوع بصحته من هذه  
الشجرة المباركة هو ما بين صاحب  
النسب الشريف محمد عليه السلام ، وبين  
عدنان . وما بين عدنان إلى إسماعيل  
وإبراهيم مقطوع بصحته لكن لا على  
التعيين . وما بين إبراهيم إلى نوح أقل  
صحة ، وهكذا ما بين نوح وإدريس ،  
وما بين إدريس وأدم عليه السلام .

# قبل الفجر المحمدى

## حالة العرب السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية ، والدينية

لقد اجتمعت كلمة المؤرخين عامة على أن العالم الإنساني قاطبة ، والعالم العربي بصورة خاصة كان يعيش في دياجير ظلام الظلم والجهل ، وظلمات الطغيان والاستبداد ، تتنازعه الإمبراطوريات الفارسية شرقا ، والرومانية غربا . ويؤكد هذه الحقيقة قول الحبيب محمد عليه السلام : « إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى سُكَّانِ الْعَالَمِ فَمِنْهُمْ عَرَبٌ وَمِنْهُمْ جَاهِنْمُ إِلَّا بَقَاءِيَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ »<sup>(١)</sup> . فالأحوال متربدة ساقطة هابطة في العالم الإنساني بأسره ، لا سيما في العالم العربي حيث الفساد في كل جوانب الحياة السياسية منها كالاقتصادية ، والاجتماعية كالدينية الكل سواء .

وهذه نظرة خاطفة نلقها على ديار العرب ، وكلمة عابرة نقولها على تلك الأوضاع المتدهورة المتهالكة ، ليُعرف مدى الحاجة إلى فجر النبوة المحمدية لتبييد تلك الظلم المتراءكة ، وإبعاد تلك الويلات الملزمة للحياة الخاصة والعامة في ربوع ديار العروبة قاطبة ؛ إذ لا فرق بين يمنها وشامها ، ولا بين

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجنة ضمن خطبة له عليه السلام .

(٢) يعني من اليهود والمصارى ، ومعنى مقتهم : أشد بغضه لهم إذ المقت شدة البغض .

حجازها ونجدتها . ولتعظمَ عند ذى الوعى العاقل مِنْهُ أئُنوار الفجر الحمى  
التي ستغمر الجزيرة والكون من ورائها هداية ونوراً .  
ولنبأ بالحالة السياسية في بلاد العرب .

## الحالة السياسية في بلاد العرب

إن مُجمل القول في الحالة السياسية في بلاد العرب هو أن بلاد العرب  
وهي شبه جزيرة لوقوعها بين ثلاثة أبحار ؛ الأحمر غرباً ، والمهدى جنوباً ،  
والخليج شرقاً من المناطق السياسية ذات الأثر على الحياة الاجتماعية . ففى اليمن  
حيث ملوك حمير من التابعة وغيرهم . والجبرة شرقاً إلى العراق حيث  
المناذرة ، والشمال حيث الغساسنة . أما الوسط وهو نجد والحجاز وتهامة فإنه  
دائرة المجد ، وموضع طلوع الفجر ، فأرض حماها مولاها من سطوة الجبارية ،  
وسياسة المتاجرة ، فلم تصل إليها يد الأحباش الأقباش ، ولا يد الفوارس  
الأنجاس ، ولا يد الروم ولا الرومان الأنكاس ، لأنها مشرق الأنوار ، ومكمِّن  
الأسرار ، وعما قريب يطلع نجمُها ويعلو كعبها ، وتسود الدنيا وما فيها .

فالبلاد اليانة تداولتها ملوك حمير من التابعة وغيرهم كما حكمها في فترات  
ملوك الأحباش مباشرة أحياناً ، وبواسطة أبنائها أحياناً أخرى ، وقد عظم ملك  
اليمنيين أحياناً حتى غزوا الشرق ووصلت طلائع جنودهم إلى بلاد فارس  
متجاوزة أرض العراق إلى أعمق الشرق . وأخر ملوكهم ذو نواس وهو  
صاحب الأخدود وكان يهودي العقيدة ، فكان آخر ملوك حمير ببلاد اليمن .  
كما أن آخر ملوك التابعة باليمن كان أبو كرب تبان بن أسعد الذي غزا المدينة  
ودخل مكة وكسا الكعبة المشرفة وعاد إلى اليمن ، وهلك بها .

وأما المناذرة بالجبرة فإن ملوكهم وأخرهم النعمان بن المنذر كانوا تابعين  
في الغالب للملوك الإيران . وكذلك الحال بالنسبة إلى الغساسنة بأرض الشام فإنهم

تابعون في الغالب ملوك الروم . مع العلم بأن ملوك الحيرة كملوك الشام أصلهم ينّيون نزحوا من اليمن بعد خراب سد مأرب ، بواسطة سيل العرم ، والأوس والخزرج بالمدينة النبوية وطبيع بجبل طيء شمالا الكل من مهاجري اليمن بعد خراب سدهم الذي كان مصدر غناهم وثروتهم ، إذ أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم عقوبة لهم بعد ما ظلموا . قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَّاً ﴾<sup>(١)</sup> فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَتَّانٌ عَنْ يَمِينٍ وَشَمَالٍ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴾ فَأَغْرَضُوا ﴿ أَىٰ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ ﴿ .

وأما العدنانيون وهم سكان مكة وما حولها من ديار تهامة والمحاجز فمجمل القول في الحالة السياسية عندهم : أن قبيلة جرهم التي استوطنت مكة مع هاجر أم إسماعيل وعاشت زمناً في ظل حكم إسماعيل وأحفاده إلى أن استولت على الحكم بمكة وانتزعته من يد أبناء إسماعيل عليه السلام وبقي الحكم في جرهم إلى أن جارت وظلمت واستحلت المحرّم في مكة فسلط الله تعالى عليها - كما هي سنته تعالى في الظالمين المعرضين عن طاعة الله وطاعة رسوله - بني بكر من كنائس ، وغبشان خزانة<sup>(٢)</sup> فأجلوه عن مكة وهم يبكون فالتحقوا باليمن ديارهم الأولى والأبيات التالية ترسم صورة صادقة لجرهم بمكة وحزنها عند جلائها عنها :

وقائلةٌ والدمُ سُكْبٌ مبادرٌ  
وقد شرقت بالدموع منها المحاجرُ  
كأن لم يكن بين الحجاجون إلى الصفا  
أئيسٌ ولم يسمُر بمكة سامرٌ  
فقلت لها والقلبُ متى كائناً  
يُلجلجهُ بين الجناحين طائرٌ  
بلى ، نحن كُنَّا أهلها فازالنا  
صروف الليلي والجدود العوارُ

(١) اسم أحد قبيلة سباً وكان يسمى عبد شمس فلما سبي وكان أول من سبي قالوا فيه سباً .

(٢) خزانة قبيلة يمانية قحطانية وسميت خزانة لأنها توزعت أى تأثرت بمكة وأقامت بها ، وذلك عند هجرة أهل اليمن بعد خراب سد مأرب .

نطوف بذاك البيت والخير ظاهر  
بعزٌ فما يحظى لدينا المكاثر  
فليس لحى غيرنا ثم فاخر

وكنا ولاة البيت من بعد نابت  
ونحن ولينا البيت من بعد نابت  
ملكتنا فعززنا فأعظم بملكتنا

إلى أن قال :

بذلك عفتنا السنون الغوابر  
بها حرم أمن وفها المشاعر  
يظل به أمنا وفيه العصافر  
إذا خرجت منه فليست تغادر

وصرنا أحاديثا وكنا بغبطه  
فسحت دموع العين تبكي يلده  
وتبكى ليبيت ليس يؤذى حمامه  
وفي وحش لا ثرام أنسية

ولادة قصي بن كلاب :

وبعد مرور زمن طويل ومكة يحكمها بنو بكر وغبشان<sup>(1)</sup> خزاعة أى من يوم انتزعوا الحكم من يد جرهم تغلبت غبشان خزاعة على بنى بكر واستقلوا بالولاية وتداولوها زمانا ، وكأن آخر من ولها منهم حليل بن حبشيّة بن سلول الخزاعي ، فخطب ابنته حبيبي قصي بن كلاب فروجه إياها فولدت له عبد الدار ، وعبد مناف وعبد العزى ، وعبدًا وكبروا وكثر ماهم وعظم شرفهم ، ومات حليل فرأى قصي أنه وبنيه أولى بولاية الكعبة فكلم رجالا من قريش وبني كنانة طالبا نصرتهم فأعانوه على إخراج خزاعة وبني بكر فأخرجوهم واستتب الأمر لقصي وبنيه بعد قتال شديد بينهم وبين خزاعة وبني بكر انتهى بصلاح وتحكيم عمرو بن عوف الكنافى ، كانت نهايته ولادة قصي على مكة والكعبة فجمع قصي قومه من قريش من منازلهم إلى مكة وملكته فكان أول أمير من قريش في مكة المكرمة ، وكانت له الحجابة والسقاية والرفادة ، والندوة واللواء ، وبهذا حاز شرف مكة كله .

(1) أبو غبشان يقال له سليم وهو من خزاعة .

وَجَمَعَ قُصْيَ قبائل قريش في مكة والحرم ، وبذلك سُمِّي مُجَمِّعا ، وفيه  
يقول الشاعر :

قصي لعمري كان يُدعى مُجَمِّعا      به جمع الله القبائل من فهر  
حقائق وعبر :

من استعرضنا للحالة السياسية في بلاد العرب نستخلص الحقائق التالية :

(١) إن البلاد اليهانية اعتبرتها حكومات متعددة أعظمها حكومات التابعة  
من قبيلة حمير .

(٢) إن كلا من الأحباش والفوارس قد استعمروا اليمن بواسطة اليمنيين الذين  
يستنجدونهم في ظروف معينة .

(٣) شرق الجزيرة من الحيرة إلى العراق لم يكن في الحقيقة إلا ولايات  
تابعة للحكم الفارسي طيلة الدهر حتى جاء الإسلام ، وأن ملوك المناذرة لم  
يكونوا مستقلين في الغالب ، وإنما هم تابعون سياسياً للحكم الفارسي الم gioسي .

(٤) شمال الجزيرة كشرقها لم يكن فيه في الغالب حكم عربي خالص ،  
 وإنما كان تابعاً لحكم الروم والساسنة فيه كلمناذرة في الشرق سواء بسواء .

(٥) وسط الجزيرة حيث الحرم وماجاوره من ديار العرب العدنانيين كان  
مستقلاً لم يحكمه الروم ولا فارس ولا الأحباش كرام الله تعالى لحرمه وسكانه  
وجيرانه وهي عبرة لمن اعتبر . وحتى عهد الاستعمار الغربي الذي حكم العالم  
الإسلامي فإنه لم يحكم هذه الديار الطاهرة كرام الله لحرمه وحرم حبيبه محمد  
عليه السلام وسكانها وجيرانهما .

وفي هذه المقطوعة من العبر ما يلى :

(١) إن الظلم لا يدوم<sup>(١)</sup> وإن طال زمانه سنة الله ولن تجد لسنة الله  
تبديلأ .

---

(١) إشارة إلى ظلم جرهم وجلاتها ، وظلم خزانة وغيثانها وجلاتها .

(٢) حماية الله لبلده وحرمه بإهلاك وإبعاد كل من يظلم فيما ويستبيح  
الحرم فيما .

(٣) من فضائل قريش الرفادة والسكنية<sup>(١)</sup> ؛ إذ الرفادة هي جمع المال من  
أفراد القبائل القرشية سنويًا وإنفاقه في إطعام الحجاج كل عام والسكنية كذلك  
وهي إحضار الماء محلّي أحياناً بالزبيب وسقى الحجاج أيام حجّهم من كل  
عام .

## الحالة الاقتصادية في بلاد العرب

إن بلاد العرب بأقسامها الآنفة الذكر لم يكن فيها اقتصاد ذو قيمة تذكر  
بواحد صحراوية ، إلا ما كان من بلاد اليمن فقد كانت بلادًا خصبة في الجملة  
ولا سيما أيام سد مأرب حيث ازدهرت الزراعة والفلاحة عامة بصورة تدعو  
إلى العجب ، وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم إذ قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ  
لِسَائِلًا فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةً حَتَّانٍ عَنْ يَمِينٍ وَشَمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقٍ رَبُّكُمْ وَاشْكُرُوا  
لَهُ بِلْدَةً طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ فلم يشكروا وأعرضوا عن طاعة الله ورسوله ،  
فسلبهم الله تعالى ما أعطاهم فخرّب سدهم ، وأجدت أرضهم ، ورحل عنها  
أكثرها فالتحق بعضهم بالعراق وبعضهم يثرب ومنهم الأوس والخزرج  
وآخرون بالشمال والشام . ومع هذا فقد وجدت في اليمن صناعات فاخرة  
في وقتها كصناعة الكتان والسلاح من سيف وحراب ودروع وغيرها .

هذا بالنسبة إلى أهل اليمن ، أما القبائل العدنانية فكان جلها يعيش في  
الصحراء ينتفع الكلأ والعشب لماشيتها ، ويعيش على ألبانها ولحومها إلا ما كان

(١) كانت قبائل قصى تتقاسم هذه المكارم لكل قبيلة لهم منها وقد كانت السقاية لآل العباس ، والحجاجية  
لبني عبد الدار .

من قبائل قريش القاطنين بالحرم ، فإنهما يعيشون على رحلته الشتاء إلى اليمن والصيف إلى الشام ، وقد امتن الله تعالى ذلك عليهم في قوله : ﴿إِلَيْلَافٍ قُرْيَشٌ إِلَيْهِمْ رِحْلَةُ الشَّتَاءِ وَالصَّيفِ﴾ فكانوا في رغد من العيش ، على خلاف غيرهم ، فإنهما كانوا يعيشون على شظف العيش وضيقه ، وما كان لقريش من سعة الرزق إنما كان لها من أجل حماها للحرم وتقديسها له ، كما هو كرامة الله لأرحام وأصلاب ينتقل فيها رسول الله ﷺ .

**نتائج هذه المقطوعة :**

**هذه المقطوعة من السيرة العطرة ما يلى :**

- (١) بيان أن الاقتصاد في بلاد العرب بصورة عامة لا يعتبر شيئاً يذكر إلى جانب غيره في البلاد الأخرى .
- (٢) بيان أن شمال بلاد اليمن كان ذا اقتصاد لا يأس به لوجود خصب وصناعة .
- (٣) خراب سد مأرب وهجرة أهله من بلادهم كان نعمة إلهية سببها الكفر والإعراض عن طاعة الله ورسوله .
- (٤) بيان إكرام الله تعالى لقريش بتحقيق أهم هدف للإنسان في هذه الحياة ، وهو الأمن من الخوف ، والإطعام من الجوع .
- (٥) وجوب شكر الله تعالى على نعمه إذ طلب ذلك من قريش بقوله : ﴿فَلَيَعْبُدُوا رَبَّهُذَا الَّيْتِ اَذْنِي اَطْعَمْهُمْ مَنْ جُوعَ رَأَمْتُهُمْ مَنْ خَوْفٍ﴾ والعبادة هي الشكر وأعظمها إقامة الصلاة فمن لم يصل ما شكر .

### **الحالة الاجتماعية**

### **في بلاد العرب**

إن الفترة التي عاشتها الأمة العربية بدون وحي إلهي ولا من يحمل هدايته

كانت طويلة جدًا وهي تلك التي كانت بين إسماعيل والنبي الخاتم محمد ﷺ . فلذا نشأت في المجتمع العربي عادات سيئة للغاية ، وأخرى حسنة للغاية أيضاً إلا أنها قد أخذتها العادات السيئة . وإن ذاكر من كل منها طرفاً ، وبذلك تعرف بوضوح الحالة الاجتماعية للأمة العربية في الجاهلية قبل الإسلام ، والقصد من ذكر ذلك أن تعرف السيئة لتجنبها والحسنة لتركها ، ويحمد الله ويشكر على ما من به على أمة العرب من نعمة الإسلام . وبهذا تكون قد توحّينا ما يتوخاه العلماء من كتابة التاريخ وقراءته .

#### العادات السيئة :

من جملة العادات السيئة التي هبطت بالمجتمع العربي قبل الإسلام هي :

(١) القمار والمعروف بالميسر ، وهذه عادة سكان المدن في الجزيرة كمكة والطائف وصنعاء وهجر وثرب ودومة الجندي وغيرها وقد حرم الإسلام بأية سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَا إِنَّمَا الْحُمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

(٢) شرب الخمر والاجتماع عليها والماهاة بتعتيقها وغلاء ثمنها ، وكان هذا عادة أهل المدن من أغبياء ، وكبراء وأدباء شعراء ، ولما كانت هذه العادة متصلة بهم متمكنة من نفوسهم حرمتها الله تعالى عليهم بالتدريج شيئاً فشيئاً ، وذلك من رحمة الله تعالى بعباده فله الحمد وله المثلة .

(٣) نكاح الاستبضاع وهو أن تخيس امرأة الرجل منهم فتطهر فيطلب لها أشراف الرجال وخيارهم نسياً وأدباً ليطهوها من أجل أن تنجو ولذا يرث صفات الكمال التي يحملها أولئك الواطعون لها .

(٤) وادُّ البناء وهي أن يدفن الرجل ابنته بعد ولادتها حية في التراب خوف العار . وجاء في القرآن الكريم التنديد بهذا العمل وتقبیحه وذلك بذكر توبيخ فاعله يوم القيمة . قال تعالى من سورة التكوير : ﴿وَإِذَا المُؤْمُنَةُ

## سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٤﴾ ؟

- (٥) قتل الأولاد مطلقاً ذكوراً كانوا أو إناثاً ، وذلك عند وجود فقر وحالة مجاعة ، أو مجرد توقع فقر شديد عند ما تلوح في الأفق آثاره لوجود محل وقطط بانقطاع المطر أو قلته . فحرم الإسلام هذه العادة السيئة القبيحة بقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ في آية الأنعام ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ حُشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ في آية الإسراء . والإملاق شدة الفقر وعظمته .
- (٦) تبرج النساء بخروج المرأة كاشفة عن محاسنها مارة بالرجال الأجانب متغيرة<sup>(١)</sup> في مشيتها متكسرة كأنها تعرض نفسها وتغيري بها غيرها .
- (٧) اتخاذ الحرائر من النساء الأخدان من الرجال وذلك بالاتصال بهم وتبادل الحب معهم في السرّ وهم أجانب عنهن ، فحرم الإسلام هذه العادة بقوله تعالى : ﴿وَلَا مُتَّخِذُاتِ أَحْدَادٍ﴾ من سورة النساء ، وحرم على الرجال ذلك بقوله من سورة المائدة : ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَحْدَادٍ﴾ .
- (٨) إعلان الإمامين عن البعيبيين وذلك بأن يجعل إحداهن راية حمراء على باب منزلها لتعرف أنها يبغى ويعشاها الرجال وتأخذ على ذلك أجراً أي مالاً مقابل الاستبضاع .
- (٩) العصبية القبلية وهي مبدأ : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » فجاء الإسلام فأمر بنصرة الأخ المسلم قريباً كان أو بعيداً ، إذ الأخوة المعتبرة هنا هي أخوة الإسلام . ونصرته إذا كان مظلوماً بدفع الظلم عنه ، ونصرته إذا كان ظالماً بمنعه من الظلم وحجزه عنه ، قال رسول الله ﷺ في رواية البخاري : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » ، فقيل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً : فكيف أنصره إذا كان ظالماً ؟ قال : « تحجزه عن الظلم » .
- (١٠) شن الغارات والحروب على بعضهم بعضاً للسلب والنهب فالقبيلة

(١) تفتحت المرأة : تدللت على زوجها بخلافه ، كأنها تخالفه وليس بها خلاف .

القوية تغير على الضعيف لسلبها مالها ؛ إذ لم يكن لهم حكم ولا شرع يرجعون إليه في أغلب الأوقات وفي أكثر البلاد .

ومن أشهر حروبهم حرب داحس والغبراء التي وقعت بين عبس من جهة وذيان وفراة من جهة أخرى . وحرب البسوس حتى قيل : أشأم من حرب البسوس التي دامت كذا سنة وكانت بين بكر وتغلب . وحرب بعاث التي وقعت بين الأوس والخزرج بالمدينة النبوية قبيل الإسلام . وحرب الفجار التي دارت بين قيس عيلان من جهة وبين كنانة وقريش من جهة مقابلة ، وسميت حرب الفجار لأنها وقعت في الأشهر الحرم .

(١١) عدم الامتنان تكيراً وأنفة ؛ إذ كانوا لا يمتهنون الحدادة والحاياكة والحجامة ولا الفلاحة ، وإنما يستندون هذه المهن لإمائهم وعيدهم . أما الأحرار فحسبهم التجارة وركوب الخيل وشن الغارات وإنشاد الشعر والمفاخرات بالأحساب والأنساب .

هذه معظم العادات السيئة التي كانت في المجتمع العربي قبل الإسلام وهي كما مررت تخيل المجتمع إلى مجتمع ساقط هابط لا سعادة فيه ولا هناء إلا أنه إزاء ذلك كانت فيه كلامات نوردها تحت عنوان :

### العادات الحسنة هي :

(١) الصدق والمراد به صدق الحديث وهو خلق كريم عرف به العرب في الجاهلية قبل الإسلام فزاده الإسلام تقريراً وتميناً .

(٢) قرئ الضيف وهو إطعامه ، وهو من الكرم الذي يحمد صاحبه عليه ، ويُحمد له ويثنى به عليه فجاء الإسلام بتقريره وتأكيده إذ قال رسول الله عليه السلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » في رواية البخاري .

(٣) الوفاء بالعهود وعدم نكثها ومهمما كلفت من ثمن وهو خلق سام شريف وجاء الإسلام بتقريره وتأكيده قال تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ في بيان صفات المؤمنين من سورة البقرة .

(٤) احترام الجوار وتقرير مبدأ الحماية لمن طلبها ، وعدم خفره مهمما كانت الأحوال ، وفي الحديث : « أجرنا من أجرت يا أم هانى » وأجار المسلمين أبو العاص بن الربيع وهو مشرك حتى دخل المدينة واسترد ودائعه وأمواله وعاد إلى مكة ثم أسلم بعد .

(٥) الصبر والتحمل . حتى قالوا : « تجوع الحرة ولا تأكل بشديها » وجاء الإسلام فزاد هذا الخلق قوة ومتانة وفي القرآن : ﴿إِصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ وفي الحديث : « مَنْ صَبَرَ ظَفَرَ » .

(٦) الشجاعة والتجردة والأنفة وعدم قبول الذل والمهانة وهي خلال امتاز بها العرب نساء ورجالا ، وفي أشعارهم وأقصاصهم شواهد ذلك .

(٧) احترام الحرم والأشهر الحرم ، بعدم القتال فيها إلا من ضرورة ، وتأمين الوافدين إلى الحرم ، ولو كانوا ذوى سوابق في الشر .

(٨) تحريمهم نكاح الأمهات والبنات .

(٩) اغتسالهم من الجناية .

(١٠) المداومة على المضمضة والاستنشاق .

(١١) السواك والاستجاجاء ، وتقطيل الأظافر ، وتنف الإبط .

(١٢) الحثان للأطفال . والخفاض للبنات .

(١٣) قطعهم يد السارق اليمنى .

(١٤) الحج والعمرة .

فهذه جملة من العادات الحسنة الحميدة التي عرف بها العرب في الجاهلية قبل الإسلام . وإنها وإن لم تكن عامة في كل فرد فإنه الطابع العام على غالبيتهم ولو لا إرادة الاختصار ، وثقة القاريء فيما أقدمه له لذكرت شواهد ذلك من كلامهم وواقعهم نظماً ونثراً ، وحسبنا من ذلك أن أباً سفيان بن حرب لما حضر عند هرقل ملك الروم بالشام وسأله عن النبي ﷺ لم يكتمه شيئاً مما سأله عنه ، مع العلم بأنه ما زال مشركاً وفي حرب مع الإسلام والمسلمين .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا لنا نيرزها للقاريء إزاء الأرقام الآتية :

(١) إن الصفات الذميمة كالحميدة لا تخلص كاملة لأية أمة من الأمم مهما كان رُقيها أو انحطاطها ، وإنما العبرة بالحال الغالبة فقط . فمتي غلت الصفات الحميدة كان المجتمع رأيًا صالحًا ، ومتي غلت الصفات الذميمة كان المجتمع هابطاً فاسدًا .

(٢) لما جاء الإسلام وهو دين الله عز وجل الذي لا يقبل ديناً سواه أقر العادات الحسنة ورغب فيها وواعد عليها بحسن المثلوبة حتى أصبحت ديناً يتقرب بها إلى الله عز وجل .

وأبطل العادات السيئة الذميمة ، ونفر منها ، وتوعّد عليها بالعذاب ، ووضع بعضها حدوداً رادعة ، فاقتلع جذورها وطهر المجتمع العربي منها ؛ إذ لا مقام لها بين أمة الإِجابة والقيادة .

(٣) الخلل الحميـدة كالذميمـة صفات يُساعد على تأصل الأولى في الإنسان وتثبيتها فيه بالإيمان والعلم ومجاهدة النفس ومقاومة الشيطان والهوى ويُساعد على تأصل الثانية وبقائها في الإنسان الكفر والجهل واتباع الشيطان والشهوات والهوى .

(٤) ضعف الإيمان وقلة العلم في الأمة الإسلامية اليوم وقبل اليوم أصل فيها كثيراً من عادات الجاهلية الأولى ، وذلك كالتبرج ، وارتكاب الفواحش وعدم احترام الحرم ، وشرب المسكرات ولعب الميسر وإجهاض الجنين واستعمال الحبوب لمنع النسل خشية الفقر ، وما إلى ذلك من الأفعال القبيحة التي كانت في الجاهلية وحرمتها الإسلام ، وسبب عودتها ضعف الإيمان والجهل واتباع الأهواء والجحود وراء الشهوات والعياذ بالله تعالى .

### الحالة الدينية

#### في بلاد العرب

إن مما لا شك فيه أن هاجر أم إسماعيل كانت مسلمة ، وأن ولدتها إسماعيل كان مسلماً كأبيه إبراهيم وأمه هاجر ، وأن الله تعالى نبأه وأرسله رسولاً إلى أهل بيته من زوجة ولد ، وإلى أخواله وجيرانه من قبيلة جرهم اليهانية ، وأن دين الله وهو الإسلام قد عَمِّهم وانتظم حياتهم زمناً طويلاً لا يُعرف متنه .

وكما هي سنة الله في الناس إذا انقطع الوحي عليهم جهلوها وظلوها كالأرض إذا انقطع عنها الغيث — المطر — أحلت وأجدبت ، وتحولت حضرتها ونصارتها إلى قترة وظلم يجهل فيه الإنسان ذاته ويتذكر فيه لعقله .

وأول ما بدأ الشرك في العرب المستعربة من ولد إسماعيل أنهم كانوا إذا خرجو من الحرم لطلب الرزق أخذوا معهم حجارة من الحرم ، فإذا نزلوا منزلًا وضعوها عندهم وطافوا بها طوفهم بالبيت ودعوا الله عندها ، وإذا رحلوا أخذوها معهم . وهكذا . وبموت من أحدث لهم هذا الحدث ومرور الزمان نشأ جيلٌ جاهم ينظر إلى تلك الأوثان من الحجارة وأنها آلة يتقرب بها إلى الله تعالى رب البيت والحرم .

فكان هذا مبدأ الوثنية في أولاد إسماعيل من العدنانيين .

أما الأصنام والتماثيل فإن أول من أتى بها من الشام إلى الديار الحجازية عمرو بن لُحَّى الخزاعي ، إذ سافر مرة من مكة إلى الشام فرأى أهل الشام يعبدون الأصنام ، فسألهم قائلاً : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا : نعبد ها نستمطرها<sup>(١)</sup> فمطرنا ، ونستنصرها فنتصرنا . فقال لهم : أفلأ تعطوني منها صنماً فأذهب به إلى بلاد العرب فيعبدوه ؟ فأعطوه صنماً يقال له : هُبْل وهو الذي نصبوه حول الكعبة وبقي حولها إلى يوم الفتح الإسلامي حيث حطم مع ثلاثة وستين صنماً ، وأبعدت ، فظهرت المساجد ، وظهرت مكة والحرم منها ، والحمد لله رب العالمين .

وكان عمرو بن لُحَّى محترماً في مكة مقدساً عند أهلها ، يشرع لهم فيقبلون شرعه ، ويبيتدع لهم فيحسنون بدعته ، فكان أول من بدل دين إبراهيم وإسماعيل في الحجاز ويشهد بهذا قول النبي ﷺ في حديثه الصحيح : «رأيت عمرو بن لُحَّى يحرق قصبه<sup>(٢)</sup> في النار .. إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأواثان ، وبحر البعير ، وسيب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحُمِيَ الخامنِي .. » .

وبمقتضى بدعة عمرو بن لُحَّى في جلب الأصنام إلى الحجاز من الشام انتشرت الأصنام في بلاد العرب ، وهذا بيان أسمائها و مواقعها ، والقبائل التي كانت تعبد ها ، كما ذكر ذلك ابن إسحق وغيره من المؤرخين .

(١) سواع بِرْهاط بساحل ينبع تعبده قبيلة هذيل المضدية .

(٢) ود بدومة الجندي شمال المدينة قريباً من الشام تعبده كلب القضاوية .

(٣) يغوث بُجُرش يعبد أهل جرش ، وهم بمخاليف اليمن جنوب مكة المكرمة .

(١) نستمطرها : نطلب منها إنزال المطر .

(٢) القصب : بوزن قفل ، اسم للأمعاء كلها .

(٤) يعوق بأرض همدان من أرض اليمن تعده قبيلة خيُوان وهم بطن من همدان .

وفيه يقول قائلهم :

يريش<sup>(١)</sup> الله في الدنيا ويَرِى ولا يَرِى يعوق ولا يَرِيش

(٥) نسر بأرض حمير من اليمن تعده قبيلة ذو الكلاع من حمير .

(٦) عميانس<sup>(٢)</sup> بأرض خولان تعده قبيلة خولان العانية وهم الذين قسموا له أنعامهم وحروشهم ، ونزل فيهم قول الله تعالى من سورة الأنعام : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْعَزْتِ وَالْأَنْعَامِ نُصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَغْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرُّكَائِنَا﴾ الآية .

(٧) سعد بأرض ملكان بن كنانة المضريّة تعده قبيلة ملكان وفيه يقول شاعرهم :

أَتَيْنَا إِلَى سَعْدٍ لِيُجْمِعَ شَمْلَنَا فَشَتَّنَا سَعْدٌ فَلَا نَحْنُ مِنْ سَعْدٍ  
وَهُلْ سَعْدٌ إِلَّا صَخْرَةٌ بِتَنْوِفَةٍ<sup>(٣)</sup> مِنَ الْأَرْضِ لَا تَدْعُ لَغَّيْ وَلَا رُشِدٍ  
وَذَلِكَ أَنْ هَذَا الشَّاعِرُ أَقْبَلَ بِإِبْلٍ مُؤْبَلَةً لِيُقْفَهَا عَلَى سَعْدٍ « الصنم » رَجَاء  
بِرَكَتِهِ فَلَمَّا رَأَيْهُ إِبْلَيْ وَكَانَ مَلْطَحُهُ بَدْمَ الْقَرْبَانِ نَفَرَتِ الْإِبْلُ وَشَرَدَتْ فَذَهَبَتْ  
كُلُّ مَذْهَبٍ فَأَخْذَ صَاحِبَهَا حَجْرًا وَهُوَ غَضِبَانٌ وَضَرَبَ سَعْدًا الصَّنَمَ وَقَالَ لَهُ :  
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ نَفَرْتَ عَلَى إِبْلِي ، ثُمَّ طَلَبَ إِبْلَهُ وَجَمَعَهَا بَعْدَ تَفْرِقَهَا ثُمَّ أَنْشَدَ  
يَقُولُ : أَتَيْنَا إِلَى سَعْدٍ لِيُجْمِعَ شَمْلَنَا إِلَيْهِ ..

(١) يقال راش السهم وبراه .

والمراد أن الله تعالى ينفع ويضر وأن يعوق الصنم لا ينفع ولا يضر .

(٢) لعله محرف عن « عم أنس » إذ لم يعتر في العربية اسم على هذا الترتيب .

(٣) التنوفة من الأرض هي القفر التي لا تبت عشيّاً ولا كلاً .

(٨) ذو الْحَلَّةَ بَيْنَ مَكَةَ وَبَيْنَ الْمَرْوَةِ . وَهَذَا الصِّنْمُ بَعْثَةٌ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجْلِي فَهَدَمَهُ عِنْدَمَا نَصَرَ اللَّهَ دِينَهُ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمَلْتَهُ .

(٩) إِسَافُ وَنَائِلَةُ وَهَمَا صَنَانُ كَانَا بِالْكَعْبَةِ ثُمَّ وُضِعَ عَلَى الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ كَانَتْ تَعْبُدُهُمَا قَرِيشٌ مِّنْ جَمْلَةِ أَصْنَامِهِمْ . وَيُرَوَى أَنَّ أَصْلَهُمَا كَانَ رَجُلًا وَامْرَأَةً مِّنْ جُرْهُمْ فَجَرَا فِي دَاخِلِ الْكَعْبَةِ فَمَسَخُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى فَالرَّجُلُ يَدْعُ إِسَافًا وَالْمَرْأَةُ تَدْعُ نَائِلَةً . وَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ تَرَجَّعَ أَنَاسٌ فِي السَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ إِلَى الْمَكَانِ إِسَافٍ وَنَائِلَةً مِّنْهُمَا فَرَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ الْحَرْجَ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ سُورَةِ الْبَقْرَةِ : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَاعِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْرُفَ بِهِمَا﴾ الآيَةُ : أَى لَا حَرْجَ عَلَيْهِ فِي السَّعْيِ بِيْنَهُمَا .

(١٠) الْعَزَى<sup>(١)</sup> وَكَانَتْ بِنَخْلَةٍ عَنْ يَمِينِ الصَّاعِدِ إِلَى الْعَرَاقِ مِنْ مَكَةَ وَكَانَ سَدِنَتْهَا وَحْجَابُهَا بْنُ شَيْبَانَ مِنْ سُلَيْمَانَ حَلْفَاءَ بْنَ هَاشِمٍ ، وَكَانَتْ تَعْبُدُ وَتَقَدَّسُ تَقْدِيسَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ .

(١١) الْلَّاتُ وَكَانَتْ بِالْطَّائِفَ وَكَانَتْ ثَقِيفَ تَعْبُدُهَا ، وَمِنْهُمْ سَدِنَتْهَا وَحْجَابُهَا .

(١٢) مَنَاهُ وَكَانَتْ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْلَلِ قَرْبَ قَدِيدٍ وَتَعْبُدُهَا قَبْلَتَا الْأَوْسَ وَالْخَزْرَاجَ ، وَمِنْ دَانَ بَدِينِهِمْ مِنْ أَهْلِ بَثْرَبِ «المَدِينَةِ» وَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَأَنْتَصَرَ التَّوْحِيدُ عَلَى الشَّرِكِ بَعْثَةُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَا سَفِيَّانَ أَوْ عَلَيْهِ أَبْنَى طَالِبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَهَدَمَهَا .

(١٣) فِلْسٌ بَجَلَّى طَيْءٌ وَهَمَا سَلْمَى وَأَجَأَ مِنْ أَرْضِ طَيْءٍ شَمَالُ الْحِجَازِ

---

(١) هَدَمَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَقُولُ : كَفَرَانِكَ يَا عَزِي لا سَبْحَانِكَ إِنِّي رَأَيْتَ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ

قربيا من حائل المدينة المعروفة اليوم كانت تعبد طبيعة بأنواع من العبادات كالهدي إلية . والاستسقاء به ، والائتمان بساحتها وبعث إلية النبي ﷺ على ابن أبي طالب فهدمه ، وكان شبه إنسان لاصق بجبل أجا .

(١٤) رئام وهو بيت لحمير بصنعاء من اليمن يعظمونه وينحرون عنده ، وتكلمهم الشياطين عنده لفتتهم .

(١٥) رُضَاء وهو بيت أيضاً لبني ربيعة بن كعب بن زيد مناة بن تميم . ولما جاء الإسلام هدمها **المُسْتَوْغَر<sup>(١)</sup>** بن ربيعة وهو يقول :

ولقد شدّدت على رُضَاء شدَّة فتركتها قُفْرًا بقاعًا أَسْحَمَا  
(١٦) ذو الْكَعْبَاتِ وهو بيت يُكَرِّرُ وتغلب ابنى وأئل وإياد وكان سنداد ، وهي منازل لإياد أسفل سوار الكوفة وفيه يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة :

بَيْنَ الْحَوْرَنِقِ<sup>(٢)</sup> وَالسَّدِيرِ وَبَارِقَ وَالْبَيْتِ ذِي الْكَعْبَاتِ مِنْ سِنَدَادِ  
عمل العرب مع أصنامهم :

أكثر ما ي عمله العرب مع أصنامهم أن أحدهم إذا أراد السفر توجه إلى صنمته فتمسح به ثم سافر وإذا عاد من سفره أول ما يبدأ به يتمسح بصنمه ثم يدخل على أهله .

نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نوجزها فيما يلى :

---

(١) لقد عمر طويلا فعاش ثلاثة وثلاثين سنة وهو القائل :

ولقد سمعت من الحياة وطولا وعمرت من عدد السنين مئينا  
مائة حدتها بعدها متبان لي وارددت من عدد الشهور سنينا  
هل ما بقي إلا كما قد فاتنا يوم يَمْرُرُ وليلة تحدونا

(٢) قصر بناء النعمان بالخيرة كان آية في البناء ، وخاف من بنائه أن يبني لغيره مثله فرماه من أعلىه فقتله واسم المقتول سمار فصار مثلا : جراة مجازة سمار .

(١) بيان منشأ الشرك في العرب المستعربة وهو نقلهم الحجارة من الحرم للتبرك بها والطواف ، ولذا وجب سد هذه الذريعة فلا ينقل شيء للتبرك به حتى إن عمر رضي الله عنه قطع شجرة بيعة الرضوان مخافة أن تبعد بمرور الزمان اللهم إلا ما كان من آثار النبي عليه السلام كشعره أو ثوبه ، أو سلامه ، ولم يبق من ذلك شيء لمرور الزمان الطويل .

(٢) طاعة عمرو بن لحيّ وتعظيمه والغلوّ فيه هو الذي جرأه على نقل الأصنام لهم وأمّرهم بعبادتها ، ولذا وجب التحذير من الغلوّ في المشائخ ، وعدم قبول قوله وطاعة أمرهم إلا ببرهان من كتاب أو سنة يدل على ذلك ويأمر به .

(٣) عبادة العرب لآلهة قوم نوح بعد مرور القرون الطويلة أمر عجب ، إلا أنه لا عجب مع خبث الشياطين ومكرهم ببني آدم لإغوائهم وإهلاكهم . إنهم كما زينوا لقوم نوح عبادتهم فعبدوهم زينوا كذلك للعرب عبادتهم فعبدوهم . ولا عجب فإننا في ديار القرآن والإسلام وزين الشيطان لإخوان لنا عبادة يعوق ونسر إذ كان لأهل قرية صغيرة تلآن أحدهما يسمونه يعوق والثاني نسرًا ، وكانوا إذا انقطع المطر عنهم وقحطوا خرجوا إليهما وقدموا لهما شيئاً قربانًا واستغاثوا بهما فإذا أمطروا بقدر الله قالوا مطرنا باستغاثتنا يعوق ونسر .

(٤) بناء الأضرحة والقباب على قبور الأولياء والصالحين تركة موروثة عن الجاهلية قبل الإسلام زينتها الشياطين وحملت الجهال على بنائها ثم عبادتها بأنواع العبادات كالنذر لها والاستغاثة بها وتقديم الشاة والبقرة لها ، وإيقاد الشموع عليها ، وتحجيمها إلى غير ذلك من الحلف بها وتعظيمها وشد الرحال إليها ؛ إذ تقدم أن العزى ورئام ورضاء وذا الكعبات كانت بيوتاً تعبد ولها سدنة وحجاج كا هي الحال للأضرحة في أكثر بلاد المسلمين .

## البدع الدينية في عهد الجاهلية

إنه وإن كان كلُّ ما عليه عرب الجاهلية من دين هو بدع ابتدعواها بعد غياب العلم والعلماء إلَّا أن هناك أموراً ظاهرة في الابداع زائدة على أصل الدين الوثنى الذي هم عليه ومن ذلك ما يلى :

(١) البحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحام فالبحيرة الناقة تشق أذنها وتترك فلا تركب ، ولا يُشرب لبنها إلَّا أن يسقوه ضيقاً من ضيوفهم ولا شك أن هذه البدعة سبباً ولا يبعد أن يكونوا فعلوه تقرّباً لآلهتهم . كما أن السائبة الناقة تسيّب أى ترك لآلة في نذر أو غيره ك مجرد التقرب فلا يركب ظهرها ولا يشرب لبنها ولا يؤكل لحمها .

وأما الوصيلة فالابداع فيها ظاهر إذ هي الشاة تُشمُ بأن تلد عشر إناث في خمسة أبْطُنٍ ليس بينهنَّ ذكر فيطلقون عليها اسم الوصيلة بمعنى الواسلة ؛ إذ وصلت بين إناثها العشرة . ثم هي بعد ذلك إذا ولدت ، فيما تلده لذكورهم دون إناثهم إلا أن يولد ميتاً فإنهما يشركون فيه إناثهم فيأكلونه جميعاً . وهذا ما ذكره تعالى في قوله من سورة الأنعام : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ حَالِصَةٌ لِذُكْرِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شَرِكَاءٌ ﴾ هذه الوصيلة ، وأما الحامى<sup>(١)</sup> فهو الجمل إذا بلغ حدّاً معيناً من النتاج يحملون ظهره فلا يركب ولا يُحمل عليه ، ويتركونه للضراب<sup>(٢)</sup> فقط ، ولا شك أن هذا يفعلونه تعبيداً وتقرباً لآلهة .

(٢) بيعة الوقوف في الحج بمزدلفة دون عرفة ، وهذه البدعة ابتدعها أشراف مكة وهم الذين يعرفون بالخمس<sup>(٣)</sup> أما سائر العرب فإنهما يقفون

(١) الحام يجمع على حوم .

(٢) الضراب هو اللقاء بواسطة اتصال الفحل بالأنثى .

(٣) جمع أحمس وهو المحتس للدين وشعائره من قريش .

تعريفات ولا يسمع لهم أن يقفوا بمزدلفة .

(٣) بدعة عدم الطواف في ثياب عصي فيها الله عز وجل ، فلا يحلون لأحد من غير الحمس أن يطوف في ثوب قديم ، فإن لم يجد من الحمس ثواباً يطوف فيه طاف عريانا ، حتى إن المرأة تطوف عارية وتضع شيئاً تستر به فرجها ، ويؤكد هذا قول إدحناه :

اليوم ييدو بعضه أو كلّه وما بدا منه فلا أحله  
وفي إبطال هاتين البدعتين أنزل الله تعالى قوله : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ وقوله ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لُذُوا زِيَّتُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ .. ﴾ .

(٤) بدعة الاستقسام بالأذلام ، وهي عبارة عن ثلاثة قداح كتب على أحدها أمرني ربّي ، والثاني نهاني ، والثالث يترك غفلاً لا يكتب عليه شيء ، فإذا أراد أحدهم أن يتزوج ، أو يطلق ، أو يسافر ، أو يتجاجر يذهب إلى صاحب الأذلام « القداح » فيقدم له شيئاً من المال ويحمل القداح في خربطة ، فإذا خرج أمرني أمضى ما عزم عليه ، وإذا خرج نهاني ربّي توقف ، وترك العمل الذي استقسم من أجله ، وإن خرج القدح الغفل أعاد العملية بإجالة القداح مرة أخرى ، وقد حرم الله تعالى هذه البدعة بقوله من سورة المائدة : ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَذْلَامِ ﴾ وسمى هذا العمل استقساماً لأنهم يطلبون به معرفة ما قسم لهم .

(٥) بدعة النساء وهي تأخير حمرة شهر المحرم إلى صفر من أجل استحلال القتال في الشهر الحرام ، وأصحاب هذه البدعة يقال لهم النساء ويفارخون بهذه البدعة حتى قال قائلهم .

السن النائبين على معه شهور الحلّ يجعلها حراماً  
ولما جاء الإسلام حرم هذه البدعة فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا النِّسَاءُ زِيَادَةً فِي

الْكُفَّارُ يُضْلِلُ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُعْجِلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لَيُوَاطُّنُوا عِدَّةً  
مَا حَرَمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوَا مَا حَرَمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءٌ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الْكَافِرِينَ ﴿٤﴾ .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة في السيرة العطرة نتائج وعبرنا نجملها في ما يأتي :

(١) إذا غاب نور العلم بموت العلماء خجمت البدع ، واستبدل الناس المدى  
بالضلال .

(٢) ضعف الإنسان الفطري هو الذي يجعله على طلب ما يجعل له النفع  
ويدفع عنه الضر ، فإن اهتدى إلى الطريق الصحيح الذي يحصل به على ما  
يرغب وينجو به مما يرهب ذاك ، وإلا سلك مسالك الغواية والضلال من  
الظلم والشرك والابتداع .

(٣) مع طول العهد من فقد العدنانيين للعلم الصحيح بالله تعالى ودينه  
فقد بقيت لهم بقايا صالحة كالحج والعمرة ، وتعظيم البيت واحترام الحرم  
والأشهر الحرم ، والتقرّب إلى الله تعالى بالمدى وإطعام الحاج وسقايته ودفع  
الظلم عنه .

كانت هذه نتائج ، وأما العبر فهي :

(١) إن المسلمين الذين فقدوا العلم الصحيح في ديارهم ابتدعوا بدعى شبيهة  
بيدع أهل الجاهلية ، فقد نذروا لأصحاب الأضرحة والقباب وساقوا لهم الشاة  
والعجل ، وحلفو بأسمائهم وكسوا توابيتهم<sup>(١)</sup> بأفخر أنواع الكسوة .

---

(١) التوأيت جمع تابوت ، وهو صندوق من خشب يوضع على القبر ويوضع عليه الثياب الحريرية  
تقربا إلى الميت الولي ، هكذا يزعم الجاهلون .

(٢) بدعة خط الرُّمل للتعرف على الغيبات عند جهال المسلمين كبدعة الاستقسام بالأزلام عند أهل الجاهلية المشركين .

(٣) احتيال بعض المشائخ على تحليل بعض المحرمات لمنافع خاصة لهم أو لغيرهم هو مسلك النساء<sup>(١)</sup> في تأخير الشهر الحرام لاستحلاله وهكذا فكل قتيا يراد بها استحلال ما حرم الله بالتأویلات البعيدة فهي اتباع لأهل الجاهلية ، واستثنان بستتهم الجاهلية والعياذ بالله تعالى .

وأخيراً

## النصرانية واليهودية في بلاد العرب

بمناسبة ذكر الدين الذي كان عليه العرب العدنانيون قبل الإسلام وهو الوثنية يحسن ذكر نبذة عن الديانتين النصرانية واليهودية في بلاد العرب جنوباً وشمالاً ليعلم القارئ بكامل الحال التي كان عليها الناس في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وليعلم أن الإسلام كان حاجة الناس في تلك البلاد كما هو حاجة كل الناس وفي كل ديارهم أمسى واليوم وغداً ، إذ لا كمال لإنسان ولا سعادة إلا به وعليه .

يروى ابن إسحق حديث وهب بن منبه في دخول النصرانية إلى نجران جنوب مكة من بلاد اليمن فيقول : إن رجلاً يُقال له فيميون من أهل الشام كان على دين المسيح عليه السلام ، وكان صالحًا ورزقه الله كرامات فأحبه رجل من أهل البلاد يقال له صالح ولازمه .

ولما عرف فيميون بالصلاح وظهور الكرامات خرج مع ذلك الرجل الذي

(١) النساء جمع نساء وهو الذي ينساً الشهر الحرام أي يؤخره .

أحبه فدخل بلاد العرب فعدوا عليهم وباعوهما عبدين في مدينة نجران . وأهل نجران يومئذ على دين العرب وهو الوثنية ، وكانت لهم نخلة يعبدونها فجعلوا لها عيّدا سنويّا يأتونها فيه فيعلقون عليها أجمل الثياب وأحسن حل النساء .

واشتري فيميون أحد أشراف نجران ، وكان فيميون إذا قام من الليل يتهدّج أشرق له البيت نورا . فعجب سيده من هذه الكرامة ، فسألته عن دينه ؟ فأخبره بأنه على دين المسيح ، وأعلمه أن ما عليه أهل نجران هو الباطل ، كما أعلمته أن الله تعالى هو الإله الحق ، وأن هذه النخلة لا تنفع ولا تضر ، وأنه لو دعا الله تعالى عليها لأسقطها ، وفعل دعا الله تعالى فعصفت بها عاصفة فاقتلت بها من جذورها .

ولذلك آمن الرجل الشريف بدين المسيح ، وتبعه آخرون فكان هذا مبدأ دخول دين المسيح في نجران ، ثم بمرور الزمان طرأ عليهم ما طرأ من البدع والتحريف لدين المسيح حتى أصبحت نصرانية ضالة كا هي في سائر البلاد .

وما يذكر هنا أن عبد الله بن الثامر وكان على دين المسيح كان له أثر كبير في نشر المسيحية في نجران بعد العبد الصالح فيميون .

وكان من أمر ابن الثامر أنه لما انتشرت المسيحية بين الناس دعاه ملك البلاد وقال له : أنسدت على أهل قريتي وخالفت ديني ودين أبي لأتمننك وجعل يعرضه لكل ألوان التعذيب ، والقتل ولم يقدر على قتله ، فقال له ابن الثامر : إنك لا تقدر على قتلي حتى توحّد الله تعالى ، ففعل الملك ، وضرب ابن الثامر فقتله ، ثم مات الملك على الفور إلى جنبه ، وبذلك استجمعت أهل نجران على الدين المسيحي ، ثم أصابهم ما أصاب غيرهم من البدع والفساد ، فكان هذا أصل النصرانية في نجران .

ولما ملك ذو نواس الحميري ، وكان قد دان باليهودية ، ووجد أهل نجران على المسيحية قد عاهم إلى دينه فأبوا عليه فحفر لهم الأخاديد وأحرق عدداً كبيراً منهم بالنار ليرجعوا على دينهم فلم يرجعوا وهم الذين ذكر تعالى في سورة

البروج ، وحدث عنهم رسول الله ﷺ ، ثم إن رجلاً يقال له دُوْسٌ قد نجا من الحريق ، وذهب إلى ملك الروم فاستعداه على ذى نواس الذى قتل النصارى من أهل دينه ، فكتب له كتاباً إلى ملك الحبشة حيث هو على دين النصارى فأعطاه جيشاً قوامه سبعون ألفاً غزا به ذى نواس فهزمه ودخلوا البلاد وحكموها بعد موت ذى نواس ، وكان على رأس الجيش الحبشي أرياط وأبرهة فتنازعا الملك وغلب أبرهة أرياط وقتلته وأصبح أبرهة الحاكم العام في البلاد ، وملك الحبشة يدعمه ويشد من أزره . هذه قصة النصرانية في نجران من بلاد اليمن .

أما اليهودية : فإنها لم تدم طويلاً في بلاد اليمن وسبب ذلك أن تبعاً ذا نواس لما دخل المدينة خرج معه حبران من أحبار اليهود وهو اللذان دعواه إلى اليهودية قبلها ودان بها ، وعذب نصارى نجران كما تقدم ، وانتهى ملوكه بموته على يد أرياط وأبرهة الحبيشيين كما سبق ذكره . إلا أن اليهودية كانت بشمال الجزيرة بفدرك وتيما وخير والمدينة التي كانت تسمى يثرب ، وسبب دخول اليهود إلى الحجاز من أرض الجزيرة هو الضغط الذى أصابهم من ملوك الروم بعد بختنصر هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تطلعهم إلى النبي المبشر به في التوراة والإنجيل ، وأنه يخرج من جبال فاران ، وأن مهاجره يثرب ذات النخيل والأرض السبخة ، فنزلوا ديار الحجاز الشمالية رجاء أن يبعث النبي آخر الزمان فيؤمنوا به ويقاتلو أعداءهم معه ويستردوا ملوكهم المسلوب منهم من عدة قرون .

مع العلم أن اليهود كالنصارى قد فسد معتقدهم وضاعت شريعتهم تحت تأثير التأويل للنقوص وتحريفها وتغييرها وتبدلها لتوافق الأهواء والأطماء الخاصة والشهوات العارمة ، فما أصبحت اليهودية ولا النصرانية تزكي النفوس ولا تصلح القلوب ولا تهذب الأخلاق بعد فسادها ، فحاجة أهل المتين إلى الإسلام كحاجة غيرهم من الجhos والوثنيين . وقد كان اليهود يستفتحون على

مشركي العرب يقولون لهم إن نبياً قد أظل زمانه ويوم يظهر نؤمن به ونقاتلكم معه . نزل بقولهم هذا القرآن العظيم في سورة البقرة بقوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

### نتائج وعبر :

لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج و عبر نحملها فيما يلى :

(١) لم تكن النصرانية ولا اليهودية في بلاد العرب ذات شأن يذكر ؛ إذ الوثنية هي الغالبة .

(٢) الفترة التي كانت النصرانية في نجران سليمة في معتقداتها وشرائعها كانت قصيرة جداً ، ولذا لم يقدر لها أن تنتشر في بلاد العرب .

ثم ما لبثت أن دخلها الفساد فلم تكن صالحة للهداية والإصلاح .

(٣) اليهودية ما دخلت بلاد العرب إلا بعد فسادها فلذا لم ينتفع بها أهلها في دار هجرتهم فضلاً عن العرب الذين نزحوا إليهم وسكنوا ديارهم .

(٤) نظراً لفساد الديانتين السماويةتين اليهودية والنصرانية ، وفساد المحسنة والوثنية بالأصلية فإن حال الناس تتطلب ديناً سماوياً جديداً تكمل عليه الأرواح وتزكي وتهذب به الأخلاق وتحقق به للناس السعادة والكمال في الدنيا والآخرة . وهو ما ستكتشف عنه الأيام بما قريب إن شاء الله تعالى .

### هل من حنفاء في بلاد العرب ؟

إن الجواب عن هذا السؤال الملحق هو — مع الأسف — أنه لم يكن في بلاد العرب في هذه الظروف حنفاء يؤمرون بالله وحده ويعبدونه بما شرع ملخصين له في ذلك . اللهم إلا ما كان من زيد بن عمرو بن ثقيل الذي قال

فيه رسول الله ﷺ «إنه يبعث يوم القيمة أمة وحده». فقد كان ينكر أفعال أهل الجاهلية ويصرّح ببطلان دين قريش ويقول لهم : والذى نفس زيد ابن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري . وقال محمد بن إسحاق لقد حدثت أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعمر بن الخطاب قالا لرسول الله ﷺ : أَسْتَغْفِرُ لِزَيْدَ بْنِ عَمْرَوْ بْنِ نَفِيلٍ ؟ قَالَ : «نَعَمْ فَإِنَّهُ يَبْعَثُ أَمَّةً وَحْدَهُ» .

وقد مات زيد قبل بعثة الرسول ﷺ . ومصداق هذا في حديث مسلم إذ قال ﷺ : «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقایا من أهل الكتاب» فهذا الحديث دليل واضح أنه ما بعث النبي الحبيب محمد ﷺ وفي العرب رجل واحد على دين صحيح يعبد به الله تعالى .

أما اليهود ، والنصارى ففيهم بقایا يعبدون الله تعالى بدین صحيح من دین موسی وعیسیٰ عليهما السلام لكنهم قليل جداً لا يتم على أيديهم هداية الناس ولا إصلاحهم .

ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل المصحح بآياته وتوبيخه قوله :

أَرْبَأَا وَاحِدًا أَمْ أَلْفَ رَبٌّ	أَدِينُ إِذَا تَقْسَمَتِ الْأُمُورُ
عَزَّلُتِ الْلَّاتِ وَالْعَزَّى جَمِيعًا	كَذَلِكَ يَفْعُلُ الْجَلْدُ الصَّبُورُ
فَلَا الْعُزَّى أَدِينُ وَلَا أُبْتَهَا	وَلَا صَنَمٌ بْنَى عُمَرُو أَرْوَرُ
وَلَا هَبْلًا أَدِينُ وَكَانَ رَبًا	لَنَا فِي الدَّهْرِ إِذْ حَلَمَى يَسِيرُ

وأما ورقة بن نوفل فقد دان بالنصرانية ، ومات قبل بدء الدعوة الإسلامية كما أن عبيد الله بن جحش بن رئاب وإن أسلم في أول الأمر لأنه حضر البعثة الحمدية إلا أنه ترك الإسلام وتتصحر في الحبشة كهاجر إليها مع من هاجر من المسلمين ، وخلف زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فتزوجها رسول الله ﷺ رحمة بها وأناب عنه في عقد نكاحها أصحح النجاشي ملك الحبشة رحمه الله تعالى .

وأما عثمان بن الحُويْرث فقد قدم الشام وتنصر وكانت له منزلة عند قيصر ملك الروم النصراني . فهؤلاء الرجال الأربع الذين كانوا قد أنكروا على قريش عبادة الأوّلَان ، وكانتوا يصرحون بأنهم على دين إبراهيم عليه السلام إلا أنهم في آخر الأمر ماتوا على غير الحنيفية إلا ما كان من زيد بن عمرو بن نفیل فإنه مات حَنِيفاً مسلماً على ملة التوحيد ، ويؤكد ذلك إذن النبي ﷺ لولده سعيد وعمر بن الخطاب بالاستغفار له ، وأخبر أنه يبعث يوم القيمة أمة وحده .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نوجزها فيما يلى :

- (١) بيان أن الناس عَرَبًا وعجمًا قد ضلوا سوء السبيل واستوجبو مقت الله تعالى لهم . اللهم إلا أفراداً قلائل من أهل الكتابين اليهود والنصارى فإنهم بقوا يعبدون الله تعالى بما شرع على ألسنة رسله حتى يُبعث النبُّيُّ الخاتم الحبيب محمد ﷺ وهم قليل .
- (٢) بيان أن العرب لم يبق منهم رجل واحد على دين الله الذي أرسل الله به إبراهيم وإسماعيل والأنبياء من قبل ومن بعد يعبد الله تعالى بما شرع ويوجهه في عبادته ، لأن زيد بن عمرو بن نفیل وإن كان موحدا إلا أنه لم يكن له شرع يعبد الله تعالى به هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنه قد مات قبل البعثة الحمدية .
- (٣) حال الناس هذه في ضلالهم وعدم هدايتهم كانت مستوجبة للبعثة الحمدية متطلبة لها بل كانت حاجتها الملحة التي لابد منها .



هذه البلاد العربية ، وقبائل العرب مفرقة فيها خولان جنوبا ، وعدرة شمالا ، والأزل شرقا ، وبني المصطلق من خزاعة غربا .

## تباشير الصباح

إن من سنن الله تعالى في الكون أن الانفراج يكون بعد الشدة ، والضياء يكون بعد الظلم ، واليسر بعد العسر .

إنه بعد ذلك الظلم الحالك الشديد الذي غطى سماء الحياة البشرية حيث عتم ظلام الشرك والكفر والظلم والشر والفساد ؛ إذ نظر الله تعالى إلى الناس فمقتهم عربهم وعجمهم لما هم عليه من الكفر والشر والفساد إلا بقایا من أهل الكتاب . في هذا الظرف بالذات أخذت تباشير الصباح تلوح بقرب انشاق النور الحمدی ، تلوح هنا وهناك في الآفاق المظلمة المذهبة .

وها هي ذى بين يديك أيها القارئ الكريم كواكب زهر تلوح في الأفق كوكبا بعد كوكب مؤذنة بقرب انبلاج الفجر الحمدی .

**فأولاً : دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهمما السلام :**

فقد أخبر تعالى عنهم أئمما سالاهم أن يبعث في ذرّيتهم رسولا منهم جاء ذلك في قوله تعالى من سورة البقرة : ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرِّيَّتَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ \* رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتَلَوَّ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَبِرْزَكِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

كما أخبر هو بنفسه عليهما صلوات الله مقررا هذه الحقيقة مؤكدا لها فقال « أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى »<sup>(١)</sup>

ثانيا : أخذ الميثاق له عليهما صلوات الله :

لقد أخذ الله الميثاق على كل نبي نبأه ورسول أرسله أن يؤمن بمحمد عليهما صلوات الله

(١) تقدم تخرج هذا الخبر ونصه أطول من هذا .

وينصره متى بُعث ، ولازم هذا أنه عرفه باسمه وصفاته . جاء هذا في قوله تعالى من سورة آل عمران : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيقَاتَ النَّبِيِّنَ لِمَا ءَاءَتْنَاهُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتَؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَشْرِرُنَّهُ قَالَ أَفَرَزْنَاكُمْ وَأَخْذَنَاكُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفْرَزْنَاكَ قَالَ فَأَشْهَدُوكُمْ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ .

### ثالثاً : بشارات الكتب الإلهية به :

ففي التوراة يروى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قوله قال : وجدت في التوراة في صفة النبي عليه السلام يقول الله سبحانه وتعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهيناً ومبشرناً ونذيراً وحرزاً للأمين أنت عبدى ورسولى سميتك المتقى ، ليس بفظٍ ولا غليظٍ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يغفو ويصفح ولن يقبضه الوحي يقيم به الملة العوجاء ، ويفتح عيوناً عمياً وأذاناً صمماً وقلوباً غلباً بأن يقولوا : لا إله إلا الله .

وفيها أى في التوراة أيضاً : تجلى الله من طور سيناء وأشرف من ساعير ، واستعلى من جبال فاران . فتجليله سبحانه وتعالى من طور سيناء المراد به إنزاله التوراة على موسى ، وإشراقه من ساعير المراد به إنزاله الإنجيل على عيسى واستعلاؤه من جبال فاران إنزاله القرآن الكريم على المبشر به محمد عليه السلام إذ جبال فاران هي جبال مكة المكرمة .

### وجاء في التوراة أيضاً :

أقيم لهمنبياً من وسط إخوتهم مثلث ، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به . فالذى يجعل الله تعالى كلامه في فمه لن يكون إلا حمدًا عليه إذ هو الذى يقرأ القرآن على ظهر قلب ، ولا ينطق إلا بما جاء فيه ودعا إليه من الحق والهدى والخير .

## وجاء في الإنجيل :

فِي تَلْكَ الأَيَّام جَاء يُوحَنَّا الْمُعْدَان يَكْرُز فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُود قَائِلاً : تَرْبُوا أَنْهَ قد اقْرَبَ مَلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ . فَقُولُهُ قد اقْرَبَ مَلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ إِشَارَةً إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّد عَلَيْهِ السَّلَام وَبِشَارَةً بِهِ وَبِقُرْبِ بَعْتَهُ إِذْ هُوَ الَّذِي مَلَكَ وَحْكَمَ بِقَانُونِ السَّمَاءِ الَّذِي هُوَ شَرْعُ اللَّهِ تَعَالَى .

## وجاء فيه أيضاً :

قَدْ لَمْ مُثِلاً آخِرَ قَائِلاً : يُشَبِّهُ مَلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ حَبَّةً خَرَدَلَ أَخْذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبَذُورِ ، وَلَكِنْ مَتَى نَمَتْ فَهِيَ أَكْبَرُ الْبَقْوَلِ ، فَهَذِهِ الْبِشَارَةُ هِيَ عِينَهَا التِّي فِي الْقُرْآنِ إِذْ قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْفَتْحِ : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْزُرٌ أَخْرَجَ شَطَأً فَآزَرَهُ فَأَسْتَعْلَظَ فَأَسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الرُّرَاعَ لِغَيْظِ بِهِمُ الْكُفَّار﴾ .

## وجاء فيه أيضاً :

أَنْطَلَقَ لَأَنِّي إِنْ لَمْ أَنْطَلَقْ لَمْ يَأْتِكُمْ « الْبَارِ قَلِيطٌ » فَأَمَّا إِنْ انْطَلَقْتُ أَرْسَلْتَهُ إِلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ ، ذَاكُ الَّذِي يَوْبِعُ الْعَالَمَ عَلَى خَطْبِيَّتِهِ . فَهَذِهِ بِشَارَةٍ كَامِلَةٍ بِالنَّبِيِّ الَّذِي يَوْبِعُ الْعَالَمَ عَلَى خَطْبِيَّتِهِ ؛ إِذْ بَعَثَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْعَالَمُ كُلُّهُ فِي ظَلَمَاتِ الشَّرِكِ وَالْكُفَّرِ ، وَقَدْ مَقْتَ الْرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسُ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَقَدْ تَقْدَمَ بِبَيَانِ ذَلِكَ .

## وجاء في الزيور :

وَمِنْ أَجْلِ هَذَا بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ إِلَى الأَبْدِ فَتَقْلِدَ أَيْهَا الْجَبَارِ<sup>(۱)</sup> بِالسِّيفِ لَأَنَّ الْبَهَاءَ لِوَجْهِكَ ، وَالْحَمْدُ لِلْغَالِبِ عَلَيْكَ ، ارْكَبْ كَلْمَةَ الْحَقِّ ، وَسِمَّةَ التَّأْلِهِ ،

(۱) قال أهل العلم إن هذه الصفات لا تتطبق على أحد بعد داود إلا على محمد علية السلام ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح، لم يبدل دين المسيح.

فإن ناموسك وشرائعك مقرونة ببصيرة يمينك ، وسهامك مسنونة ، والأمم يخرون تحتك .

#### رابعا : قال أشعيا النبي عليه السلام :

وُلد لنا غلام يكون عجبا وبشرا ، والشامة<sup>(١)</sup> على كتفيه ، أركان<sup>(٢)</sup> السلام الدجيـار وسلطـانه سلطـانـ السـلم يجلس على كرسي داود .

#### وقال أيضا :

قيل لي قم ناظرا ، فانظر ماذا ترى ؟ قلت أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل ، ويقول أحدهما لصاحبه : سقطت أصنام بابل للبحر . إن الراكبين هما عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وسقوط أصنام بابل كان على يد أمة محمد عليهما صلوات الله .

#### وقال حزقيل عليه السلام :

قال حزقيل عليه السلام وهو يصف للناس أمة محمد عليهما صلوات الله : إن الله يظهرهم عليـكم ، و باعـثـ فيـهمـ نـبـيـا ، وـ منـزلـ عـلـيـهـمـ كـتابـا ، وـ يـمـلكـهـمـ رـقـابـكـمـ فـيـهـرـونـكـمـ وـ يـذـلـونـكـمـ بـالـحـقـ ، وـ يـخـرـجـ رـجـالـ مـنـ بـنـىـ قـيـدارـ<sup>(٣)</sup> فـيـ جـمـاعـاتـ الشـعـوبـ وـ مـعـهـمـ مـلـائـكـةـ عـلـىـ خـيـلـ بـيـضـ<sup>(٤)</sup> مـتـسـلـحـينـ فـيـ حـيـطـوـنـ ، وـ تـكـوـنـ عـابـتـكـمـ إـلـىـ النـارـ .

(١) الشامة هي خاتم النبوة بين كتفيه عليهما صلوات الله .

(٢) الأركون : العظيم بلغة الإنجيل .

(٣) أولاً قيدار هم ربيعة ومضر من ولد عدنان بن إسماعيل ، وفي هذا الخبر ترجح أن العدنانيين هم من قيدار لا من نابت أخيه . إلا أن الخطب سهل ، لأن نابتا شقيق قيدار فاً ما كانوا منهم أولاد عدنان بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام .

(٤) هذا الوصف لا ينطبق إلا على أمة محمد عليهما صلوات الله : إذ هم الذين قاتلت معهم الملائكة في بدر وغيرها . وكانت خيوthem بيضا .

## وقال دانيال عليه السلام :

فظهر لـ الملك في صورة شاب حـسـن الوجه فقال : السلام عليكم يا دانيال  
إن الله يقول : إن بـنـى إـسـرـائـيل أـغـضـبـونـى ، وـتـمـرـدـوا عـلـى وـعـبـدـوـا مـن دـوـنـى آـهـةـ  
آـخـرـى وـصـارـوـا مـن بـعـد الـعـلـم إـلـى الـجـهـل ، وـمـن بـعـد الصـدـق إـلـى الـكـذـب ،  
فـسـلـطـت عـلـيـهـم بـخـتـنـصـر فـقـتـل رـجـالـهـم وـسـبـا ذـرـيـاتـهـم ، وـهـدـم بـيـت مـقـدـسـهـم  
وـحـرـقـ كـتـبـهـم ، وـكـذـلـكـ فـعـلـ مـن بـعـدهـ بـهـم . وـأـنـا غـير رـاضـعـنـهـم ، وـلـا مـقـيلـهـم  
عـثـرـاتـهـم فـلـا يـزـالـون مـعـلـوبـيـن عـلـيـهـم الذـلـلـة وـالـمـسـكـنـة حـتـى أـبـعـثـ فـيـهـم نـبـيـا<sup>(١)</sup> مـن  
بـنـى إـسـمـاعـيلـ الـذـى بـشـرـتـ بـهـ هـاجـرـ وـأـرـسـلـتـ إـلـيـهـ مـلـاـكـى فـبـشـرـهـا ، وـأـوـحـى  
إـلـى ذـلـكـ النـبـيـ وـأـعـلـمـهـ الـأـسـمـاء وـأـزـيـنـهـ بـالـتـقـوـى ، وـأـجـعـلـ الـبـرـ شـعـارـهـ ، وـالـتـقـوـى  
ضـمـيرـهـ وـالـصـدـقـ قـوـلـهـ ، وـالـوـفـاءـ طـبـيـعـتـهـ ، وـالـقـصـدـ سـيـرـتـهـ ، وـالـرـشـدـ سـنـتـهـ أـخـصـهـ  
بـكـتـابـ مـصـدـقـ لـمـا بـيـنـ يـدـيهـ ، وـنـاسـخـ لـبـعـضـ مـا فـيـهـ ، أـسـرـىـ بـهـ إـلـىـ مـنـ سـمـاءـ  
إـلـىـ سـمـاءـ حـتـىـ يـعـلـقـ فـأـدـنـيـهـ ، وـأـسـلـمـ عـلـيـهـ ، وـأـوـحـىـ إـلـيـهـ ، ثـمـ أـرـدـهـ إـلـىـ عـبـادـيـ  
بـالـسـرـورـ وـالـعـبـطـةـ ، حـافـظـاـ لـمـا اـسـتـودـعـ ، صـادـعـاـ بـمـاـ أـمـرـ ، يـدـعـوـ إـلـىـ تـوـحـيدـيـ  
بـالـلـيـلـنـ مـنـ القـوـلـ ، وـالـمـوـعـظـةـ الـحـسـنـةـ لـاـ فـظـ وـلـاـ غـلـيـظـ وـلـاـ صـخـابـ فـيـ الـأـسـوـاقـ  
رـعـوفـ بـمـنـ وـالـاهـ ، رـحـيمـ بـمـنـ آـمـنـ بـهـ ، حـسـنـ عـلـىـ مـنـ عـادـهـ ، فـيـدـعـوـ قـوـمـهـ  
إـلـىـ تـوـحـيدـيـ وـعـبـادـتـيـ ، وـيـخـبـرـهـمـ بـمـاـ رـأـىـ فـيـكـذـبـوـنـهـ وـيـؤـذـوـنـهـ .

## شهادات أهل الكتاب :

قال بعض أهل المدينة مـمـنـ أـنـعـمـ اللـهـ عـلـيـهـ بـنـعـمـةـ الـإـسـلـامـ فـأـسـلـمـوـ اللـهـ ظـاهـراـ  
وـبـاطـنـاـ : إـنـ مـا دـعـانـا إـلـىـ الـإـسـلـامـ مـعـ رـحـمـةـ اللـهـ وـهـدـاهـ لـنـاـ أـنـاـ كـنـاـ نـسـمـعـ مـنـ  
رـجـالـ يـهـودـ ، إـذـ كـنـاـ أـهـلـ شـرـكـ وـأـصـحـابـ أـوـثـانـ ، وـكـانـوـاـ أـهـلـ كـتـابـ عـنـهـمـ  
عـلـمـ لـيـسـ عـنـنـاـ ، وـكـانـتـ لـاـ تـزـالـ بـيـنـنـاـ وـبـيـنـهـمـ شـرـورـ فـإـذـا نـلـنـاـ مـنـهـمـ بـعـضـ

(١) فـقـولـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ حـتـىـ أـبـعـثـ فـيـهـمـ نـبـيـاـ إـلـىـ آـخـرـ كـلـامـهـ وـهـوـ يـخـبـرـهـمـ بـمـاـ رـأـهـ هوـ وـصـفـ كـامـلـ وـإـخـبارـ  
صـادـقـ لـمـحـمـدـ عـلـيـهـ الـسـلـامـ وـكـتـابـهـ وـدـعـوـتـهـ .

ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبُّي يبعث فقتلكم معه قتل عاد  
وارم ، فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم . فلما بعث الله رسوله محمدًا ﷺ  
أجبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدونا به ، فبادرناهم إليه فآمنا  
وكفروا به وكذبوا ، وفيهم نزلت هذه الآيات من البقرة ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ  
كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلٍ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ  
كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ .

**وقال ابن الهيثان اليودي :** عند موته بالمدينة وقد جاء من الشام : يا معاشر  
يهود ما ترونـهـ أخرجنـيـ منـ أرضـ الـخـمـرـ والـخـبـزـ إـلـىـ أـرـضـ الـبـؤـسـ والـجـوـعـ ؟ـ فـقـالـواـ  
لـهـ :ـ أـنـتـ أـعـلـمـ .ـ فـقـالـ :ـ إـنـيـ قـدـمـتـ هـذـهـ الـبـلـدـةـ أـتـوـقـعـ خـرـوجـ نـبـيـ قدـ أـظـلـ  
زـمـانـهـ ،ـ هـذـهـ الـبـلـدـةـ مـهـاجـرـهـ ،ـ فـكـنـتـ أـرـجـوـ أـنـ يـبـعـثـ فـأـتـيـعـهـ إـنـهـ قدـ أـظـلـكـ زـمـانـهـ  
فـلاـ تـسـبـقـنـ إـلـيـهـ يـاـ مـعـاـشـ يـهـودـ !!

**وقال صاحب عمورية<sup>(۱)</sup> :** وكان على دين المسيح ، قال لسلمان الفارسي  
وقد تقلّـلـ إـلـيـهـ مـنـ رـحـلـ دـيـنـ إـلـىـ آـخـرـ حـبـيـ اـنـتـهـ إـلـيـهـ بـوـصـيـةـ وـصـيـ بـهـ ،ـ وـقـدـ  
حـضـرـهـ الـمـوـتـ قـالـ لـهـ :ـ وـالـلـهـ مـاـ أـعـلـمـ أـنـهـ أـصـبـحـ الـيـوـمـ أـحـدـ مـنـ النـاسـ عـلـىـ مـثـلـ  
مـاـ كـانـ عـلـيـهـ هـؤـلـاءـ —ـ الرـهـبـانـ الـذـيـنـ تـنـقـلـ بـيـنـهـمـ سـلـمـانـ —ـ آـمـرـكـ أـنـ تـأـتـيـهـ ،ـ  
وـلـكـنـهـ قـدـ أـظـلـ زـمـانـ نـبـيـ "ـ هوـ بـيـعـوـثـ بـدـيـنـ إـبـرـاهـيمـ عـلـيـهـ السـلـامـ ،ـ يـخـرـجـ بـأـرـضـ  
الـعـرـبـ مـهـاجـرـهـ إـلـىـ أـرـضـ بـيـنـ حـرـتـيـنـ بـيـنـهـاـ نـخـلـ —ـ إـنـاـ الـمـدـنـةـ وـرـبـ الـكـعـبـةـ —ـ  
بـهـ عـلـامـاتـ لـاـ تـخـفـيـ يـأـكـلـ الـهـدـيـةـ وـلـاـ يـأـكـلـ الصـدـقـةـ ،ـ بـيـنـ كـتـفـيـهـ خـاتـمـ الـبـوـةـ .ـ  
فـإـنـ اـسـتـطـعـتـ أـنـ تـلـحـقـ بـهـ بـتـلـكـ الـبـلـادـ فـأـفـعـلـ .ـ

### هـتـافـ الـجـنـ بـالـبـشـرـىـ :

إنـ مـنـ جـمـلـةـ تـبـاشـيرـ الصـبـاحـ التـىـ سـبـقـتـ طـلـوـعـ الـفـجـرـ الـمـحـمـدـىـ ،ـ أـنـ كـثـرـتـ  
الـشـهـبـ فـىـ السـمـاءـ وـرـجـمـتـ الشـيـاطـيـنـ الـأـمـرـ الـذـىـ اـنـدـهـشـ لـهـ النـاسـ وـفـرـعـتـ

(۱) عمورية : بلد في بلاد الروم غزاه المنعم بن شرارة العلوية .

له الكهان من نساء ورجال ، وهذا سواد بن قارب رضى الله عنه يَمُرُّ بين يدى عمر بن الخطاب فيقول له رجل : يا أمير المؤمنين هل تعرف من المار ؟ فيقول عمر : لا ، ومن هو ؟ فيقول له : هذا سواد بن قارب الذى أتاه رئيْه بظهور النبي ﷺ وعندها أرسل إليه عمر فجاء فقال له : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم ، قال أَنْتَ الَّذِي أَتَاكَ رَئِيْكَ مِنَ الْجِنِّ بِظُهُورِ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قال : نعم ، قال : أَفَأَنْتَ عَلَىٰ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ مِنْ كَهَانَتِكَ ؟ فغضب سواد وقال : ما استقبلنى بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك . فأخبرنى بإيتائك رئيْكَ بظهور النبي ﷺ . قال نعم يا أمير المؤمنين بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رئيْ فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل إن كنت تعقل : إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتطلابها      وشدها العيس<sup>(١)</sup> بأقتابها  
 تهوى إلى مكة تبغى المدى      ما صادق الجن ككذاها  
 فارحل إلى الصفوة من هاشم      ليس المقاديم<sup>(٢)</sup> كاذبها

ثم ذكر أنه أتاه ليلتين بعد الأولى وهو فيها كلها بين النائم واليقظان وقال له : قم يا سواد بن قارب واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث رسول من لؤى ابن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته وأنشده في كل ليلة أبياتاً منها :

قوله :      أتاني نجبي بعد هذه ورقده  
 ولم يك فيما قد ئلويت بكاذب

(١) العيس : الإبل البيض اللون .

(٢) أى أوائلها كاذبها أى أواخرها يريد الفضل لأهل السبق الذين بادروا إلى الإسلام وسبقوا غيرهم إليه .

ثلاث ليال قوله كل ليلة

أناك رسول من لؤى بن غالب

ولما بعث النبي عليه صلوات الله عليه وسلم سواد وأقى النبي عليه صلوات الله عليه وقصّ عليه قصة رئيّه ، وأنشد الأبيات التالية :

فأشهدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرِهِ  
وَأَنَّكَ أَدْنِي الْمُرْسَلِينَ وَسِيلَةً  
إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطَيْبِ  
فَمَرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ مِنْ وَحْيٍ رَبُّنَا  
وَإِنْ كَانَ فِيمَا قَلْتَ شَيْبُ الدَّوَابِ  
بِمَعْنَى فَتِيلًا عَنْ سَوَادَ بْنَ قَازِبِ

أما كثرة الشهب ورمي الشياطين بها ، ومنعهم من استراق السمع فقد جاء ذكره في القرآن الكريم ، وهو قوله تعالى : من سورة الجن :

﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْكَتَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهِيدًا \* وَأَنَا كُنَّا  
نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسمعِ فَمَنْ يَسْتَمِعُ إِلَآنَ يَجِدُ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا \* وَأَنَا  
لَا نَدِرِي أَشَرَّ أَرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَيْثُمْ رَشَدًا ﴾ .

#### حادثة أصحاب الفيل :

إن المراد من حادثة أصحاب الفيل هو غزو أبرهة الأشرم عامل ملك الحبشة على اليمن وكان سبب غزوته مكة حمامها الله من كل جبار ظالم أنه أراد التقرب إلى ملك الحبشة لأمر حدث بينهما فبني بصنوعة بيّنا لم يُرِ مثُله وسمّاه « القليس » وقال إنه يدعو الناس لحجه بدل الكعبة في مكة المكرمة لتحول تجارة العرب إلى اليمن ، فسمع بذلك رجل كناني فأقى القليس وأحدث<sup>(1)</sup> فيه وذهب ، فبلغ ذلك أبرهة ، فحلف أن يغزو مكة ويهدم الكعبة . وجهز جيشاً

(1) أي نقوط ولطخ جدران البيت بالعذرة .

قوياً ، وأخرج معه الفيل المسمى محموداً ، وسار في طريقه وكلما اعترضته قبيلة من القبائل العربية لتصده قاتلها وهزمها ، حتى انتهى إلى مشارف الحرم ، فبعث رجاله فساقوا ماشية أهل مكة ومن بينها مائتا بعير لعبد المطلب بن هاشم شيخ مكة ورئيس قريش بها ، ثم جرت سفاراة انتهت بمقاضيات طالب فيها عبد المطلب بإبله . وأما البيت فقد قال قوله سار مثلاً : « إن للبيت رباً يُحْمِيْه » ولما علم عبد المطلب عجز قومه على مقاومة هذا العدو الظالم ذي الجيش العرمي الجرار أمر أهل مكة أن يتتحققوا بشعاف الجبال وقممها حتى لا تلتحقهم معركة الجيش الغازى فعل ذلك أهل مكة ، ووقف عبد المطلب بباب الكعبة آخذًا بحلقه وهو يقول :

لَا هُمْ إِنَّ الْعَبْدَ يَمْنَنْ لَا يَغْلِبُنْ صَلَّيْهِمْ إِنْ كُنْتَ تَرْكَهُمْ وَمَنْ وَانْصَرَ عَلَى آلِ الصَّلَبِ	لَا هُمْ إِنَّ رَحْلَهُ فَامْنَعْ حِلَالَكَ وَمِحَالُهُمْ غَلَوْ حِمَالَكَ لَتَنَا فَأَمْرَّ مَا بَدَا لَكَ وَاعْبُدِيهِ الْيَوْمَ آلَكَ
---	---

فلما أصبح أبرهة ، وتهيأً للدخول مكة ، ووجه الفيل إلى مكة أئى الفيل أن يمشي ، فإذا وجده إلى غيرها مشى ، وما زال يُحاوِله حتى أرسل الله تعالى عليهم طيراً أبايل من البحر يحمل كل طير ثلاثة أحجار ، واحدة بمنقاره واثنتين برجليه فما أصابت رجلاً إلا أخذ لحمه يتتساقط ، وطلبوها من يدهم على الطريق ليعودوا هاربين إلى اليمن . فقال دليهم :

أَيْنَ الْمَفْرَرُ وَإِلَهُ الظَّالِبِ وَالأشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لِيْسَ الْغَالِبُ	وَانْتَهَى الْحَالُ بِهِزِيْمَةِ جَيْشِ أَبْرَهَةِ وَهَلَاكَهُ ، وَأَمَا أَبْرَهَةَ فَقَدْ نُقْلَ مُثْخَنَا
--	---

(١) جمع جلة : المجموعة من البيوت وأهل حلول بها .

(٢) الحال : القوة . وغدوًا يعني غداً ردت الواو المعنوية منه في الشعر .

بحراحته إلى صناع فمات بها ، وقد أنزل الله تعالى سورة الفيل متضمنة هذه الحادثة إجمالاً وهي آية صدق النبوة الحمدية .

### نتائج وعبر :

لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نجملها فيما يأتى :

- (١) بيان بداية أمر النبي ﷺ . وأنها كانت من عهد إبراهيم عليه السلام .
- (٢) بيان استجابة الله تعالى دعوة خليله إبراهيم عليه السلام .
- (٣) بيان على شأن الحبيب محمد ﷺ وكامل شرفه الذي لا يُدان فيه ؛ وذلك بأخذ الله تعالى الميثاق على الأنبياء وأئمهم بأنه متى بعث النبي محمد ﷺ آمنوا ونصروه وعزروه .
- (٤) بيان كمال خلق الحبيب محمد ﷺ الذي تجلّى فيما وصفه به ربّه تعالى في التوراة ، وعلى لسان الملك الذي نزل على النبي دانيال عليه السلام .
- (٥) بيان شرف العرب ، وما حباهم ربّهم تعالى به من بعثة أفضل الأنبياء ، وجعله حرزاً لهم فكملوا وسعدوا به بعد أن آمنوا به وبما جاء به واتبعوا النور الذي أنزل عليه وهو القرآن الكريم .
- (٦) إثبات نبوة الحبيب محمد ﷺ وتقريرها بشهادات التوراة والزبور والإنجيل وأنبياء بنى إسرائيل ومؤمني الجن وصالحي أهل الكتاب من يهود ونصارى ، الأمر الذي يصبح معه إنكار رسالته ﷺ ضرباً من السفه والحمق والضلال العقل ، والحكم بالخسران الأبدى لصاحبه .
- (٧) في هزيمة أورهه وجيشه بخارقة لم يُعرف مثلها أكبر آية على قرب طلوع الفجر الحمدى .
- (٨) إن العبرة من هذا الذي تقدم في هذه المقطوعة من السيرة هو وجوب الإيمان اليقيني بنبوة محمد ﷺ ، ووجوب اتباعه وتعظيمه ومحبّته فوق محبة النفس والمال والأهل والولد .

## طلع الفجر الحمدي أو الميلاد السعيد

من عام الفيل وفي شهر ربيع الأول الذى أصبح يعرف بربيع الأنور ، ومن ليلة الاثنين الثاني عشر منه طلع فجر النبوة الحمدية .

هذا الذى عليه أكثر المؤرخين للميلاد النبوى السعيد .

الحمل قبل الميلاد  
والصاهرة قبل الحمل

والوالد قبل الولد  
ولكل زمان ومكان

في بطحاء مكة ، وفي بيت عريق في الشرف بيت شيبة الحمد عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي زوج عبد المطلب ولده عبد الله الذي ينبع سليلة الشرف أشرف فتاة وأعفها وأكملها حلقاً وخلقاً آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب الزهرية القرشية .

أما عبد الله الولد فللقبه بالذبيح قصة من أطرف القصص وأطرفها تتشنف الآذان بسماعها ، وتهفو القلوب لذكرها ، وهذا عرضها باختصار حتى لا بعد من ساحة الأنوار .

كانت زمم قد طمرتها حرهم عند مغادرتها مكة لظلمها فانهزامها وكان ذلك منها نسمة على أهلها الذين حاربوها وطردوها . وظللت زمم مطمورة إلى عهد شيبة الحمد عبد المطلب فأُرِيَ في المنام مكانها وحاول إعادة حفرها ، ومنعته قريش ، ولم يكن له يومئذ من ولد يعينه على تحقيق مراده إلا الحارث فنذر لله تعالى إن رزقه عشرة من الولد يحمونه ويعينونه ذبح أحدهم ، ولما

رزق الله عشرة من الولد وأراد أن يفي بندره لربه فاقترع على أيهم يكون الذبيح فكانت القرعة على عبد الله ، وهوَّ أن يذبحه عند الكعبة فمنعته قريش ، وطلبوا إليه أن يرجع في أمره إلى عرافة بالمدينة تفتيه في أمر ذبح ولده . فأرشدته إلى أن يضع عشرًا من الإبل وهي دية الفرد عندهم ، وأن يضرب بالقداح على عبد الله وعلى الإبل ، فإن خرجت على عبد الله الذبيح زاد عشرًا من الإبل وإن خرجت على الإبل فانحرها عنه فقد رضيها ربكم ، ونجا أصحابكم !! فوصلوا إلى مكة وجئ بالإبل وصاحب القداح ، وقام عبد المطلب عند هبل داخل الكعبة يدعو الله عز وجل ، وأخذ صاحب القداح يضر بها ، وكلما خرجت على عبد الله زادوا عشرًا من الإبل حتى بلغت مائة ، كل ذلك وعبد المطلب قائم يدعو الله عز وجل عند هبل فقال رجال قريش قد انتهى رضا ربكم يا عبد المطلب فأني إلا أن يضرب عنها القداح ثلاثة مرات ففعل فكانت في كل مرة تخرج على الإبل ، وعندما رضى عبد المطلب ونحر الإبل وتركها لا يصد عنها إنسان ولا حيوان ، ونجى الله تعالى والحمد لله لا لسواه عبد الله والد رسول الله . فهذا سبب لقب عبد الله بالذبيح ، وهو أحب أولاد عبد المطلب العشرة إليه ، وزاده حُبًّا فيه هذه الحادثة العجيبة .

وأكرم الله تعالى عبد المطلب بإعادة حفر زمم إذ وافقته قريش على حفرها ، وكانت موافقتها لآية شاهدتها لعبد المطلب وهي أنهم لما منعوه من حفرها وأئى عليهم ذلك قالوا نختص إلى الكاهنة وهي كاهنة بنى سعد وكانت بأعلى الشام ، فذهبوا إليها وأثناء سيرهم في طريقهم إليها عطشوا لنفاد مائهم فلما ظنوا الهالك ، وإذا بعين تتفجر تحت خف ناقة عبد المطلب فقاموا فشربوا وسقوا وعندما أذعنوا لأمر عبد المطلب ورضوا له بحفر بئر زمم خالصة له دون غيره من أهل مكة .

## نتائج وعبر :

إن من نتائج وعبر هذه المقطوعة من السيرة العطرة ما يلى :

(١) فرع عبد المطلب إلى الله تعالى يدعوه وفي كل النوائب دليل على أن مشركي العرب ما كانوا ملحدة بل كانوا يؤمنون بالله ربّا خالقا رازقا مدبراً والقرآن شاهد بهذا .

(٢) دعاء عبد المطلب الله تعالى عند هيل استشفاعاً به وتوسلاً ورثه الشيطان جهال المسلمين فإن أحدهم يأتي قبر الولي ويدعو الله تعالى عنده استشفاعاً بالولي وتوسلاً به على سنة عبد المطلب الجاهلي والعياذ بالله تعالى .

(٣) كرامات عبد المطلب التي أكرمه الله بها كرؤيا بشر زرم وحفرها ، والماء الذي نبع من تحت خف ناقته ، وخروج القداح على الإبل لا على ولده هي في الظاهر كرامات لعبد المطلب إلا أنها في الحقيقة هي آيات النبوة الحمدية وتبشيرها .

(٤) مواصلة ضرب القداح حتى بلغت مائة كانت مبدأ تقرير دية الرجل وهي مائة من الإبل وأقرها الإسلام فكانت دية الرجل المؤمن والمرأة على النصف منها .

## الحمل والميلاد

لقد تزوج عبد الله آمنة زوجه بها والده عبد المطلب على إثر نجاته من الذبح وفاءً بالتندر ، وبني بها عبد الله وحملت منه بالحبيب محمد ﷺ وواكب حمله ووضعه آيات نبوته التالية :

(١) إنه ولد ﷺ من نكاح شرعى لا من سفاح جاهلى وهي عصمة إلهية لا يقدر عليها إلا الله .

(٢) إن أمه آمنة لم تجد أثناء حملها به ﷺ ما تجده الحوامل عادة من

الوهن والضعف فكان هذا آية .

(٣) إن آمنة لما حملت به ﷺ وما وضعته رأت نوراً خرج منها فأضاء لها قصور الشام : فقد سئل ﷺ عن نفسه فقال : « أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حلت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام » .

(٤) إن آمنة لما حملت به ﷺ أتها آت : إنك حملت بسيّد هذه الأمة ، فإذا وضع في الأرض فقولي : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد وآية ذلك أنه يخرج معه نور يلاً قصور بصرى من أرض الشام فإذا فسميه محمداً فإن اسمه في التوراة أَحْمَد يُحَمِّدُه أهل السماء وأهل الأرض .

(٥) إنه ولد ﷺ مسروراً أى مقطوع السرة على خلاف المواليد في قطع القوابيل سرارهم المتصلة بأمهاتهم .

(٦) إنه ولد ﷺ مخنوتاً أى مقطوع غلفة الذكر فلم يختن كما يختن المواليد وهذا أعجب به جده عبد المطلب . وقال سيكون لابني هذا شأن عظيم وحظى عنده بأكرم منزلة .

(٧) انكسار البرمة التي وضعت عليه بعد ولادته على عادة النساء من قريش ؛ إذ وجدت منكسرة على شقين ولم يمت تختها ﷺ فكانت آية نبوته ﷺ .

(٨) ارتجاج إيوان كسرى بفارس وسقوط أربع<sup>(١)</sup> عشرة شرفه من شرفاته .

(٩) حمود نار فارس التي لم تخمد منذ ألف سنة .

---

(١) أول هذا اللفظ بسقوط أربعة عشر ملكاً من ملوكهم وملكياتهم ، فسقط عشرة منهم في أربع سنوات ، وأربعة تم سقوطهم على عهد الفتح الإسلامي .

(١٠) امتلاء البيت الذي ولد به نوراً ، ورؤية النجوم وهي تدنو منه حتى  
لتکاد تقع عليه ﷺ ، رأت هذا أمه والقابلة التي كانت معها وحدثنا به ،  
وهو حق لا باطل وصدق لا كذب .

فهذه عشر آيات واکبت ميلاده ﷺ : إعلاناً عن نبوته ، وإعلاماً بعلو  
 شأنه ، وإنخباراً بما سيؤول إليه أمره فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم  
 تسليماً .

ولد ﷺ بدار المولد المعروفة بدار محمد بن يوسف أخى الحجاج بن  
يوسف ، وهى الآن مكتبة عامة . وكان ذلك عام الفيل كما تقدم أى بعد  
غزو أبرهة الأشرم وهزيمته بقراة خمسين يوماً ، فكانت تلك الهزيمة آية أخرى  
لمحمد ﷺ دالة على صدق نبوته وصحة رسالته وعظم شأنه في العالمين .

ولد بعد وفاة والده عبد الله بكندا شهراً ، إذ تركه حملان في بطنه أمه وسافر  
للتجارة في أرض غزة من فلسطين حيث توفى جده هاشم إلا أن عبد الله  
عاد منها فمرض في طريق عودته فنزل عند أخواه من بنى عدى بن النجار  
فمات عندهم بالمدينة النبوية ، وقبره معروف المكان إلى عهد قريب حيث  
أخفى لزيارة الجهال له والاستشفاع به ، وحتى دعائه والعياذ بالله وهذا الغيبة  
الجهل على المسلمين لقلة العلماء وقلة الرغبة في طلب العلم .

#### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نحملها في الأرقام التالية :

(١) بيان شرف أبي الرسول ﷺ وظهورهما وفي هذا ما يوجب إكباره  
عليه ومحبته وتقديره .

(٢) الآيات العشر التي واکبت حمله ولادته تقرر نبوته وسيادته على الناس  
أجمعين .

(٣) في الآية الثالثة إشارة واضحة إلى عموم رسالته وانتشار دينه في الشرق والغرب .

(٤) في الآية الثامنة وهي سقوط أربع عشرة شرفة من شرفات القصر آية نبوته عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ تداول ملك الفرس في خلال أربع سنوات عشرة ملوك وملكات ، وتم الأربعة الباقون في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

### رضاع الحبيب ومراضعه صلى الله عليه وآله

إن أول مرضع تشرفت برضاعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدته الشريفة العفيفة الطيبة الأرдан آمنة بنت وهب الزهرية التي رأت من آيات النبوة ما رأت ، ثم ثوبية مولاة أبي هب التي أرضعت عمها حمزة كذلك فكان أحنا للنبي من الرضاعة ، وهو عمها صنواه أبيه . ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية من بنى سعد بن بكر رضع مع ابنتها الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى . وقد رأت في إرضاعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيات فلترتها رضي الله عنها تحدثنا بنفسها عما شاهدت من آيات نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إنهما قالت : خرجت من بلدى مع زوجى وابن صغير لنا نرضعه في نسوة من بنى سعد نلتمس الرضعاء ، وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئاً خرجنا على أتان<sup>(١)</sup> لنا قمراء ، ومعنا شارف لنا ، والله ما تبض بقطرة ، وما ن GAM ليلنا أجمع من بكاء صبياناً الذي معنا من الجوع ؛ إذ ما في ثديي ما يعنيه وما في شارفنا ما يغذيه ، ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج ، خرجنا نلتمس الرضعاء في مكة فما منا امرأة إلا وقد عرض علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتاباه إذا قيل لها :

(١) حماره .

إِنَّهُ يَتِيمٌ ، وَذَلِكَ أَنَا كَنَا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَنَّ الصَّبَىَ فَمَا بَقِيَتْ امْرَأَةٌ قَدَّمَتْ  
 مَعِي إِلَّا أَخْذَتْ رَضِيعًا غَيْرِي ، فَلَمَّا أَجْعَنَا الْعُودَةَ إِلَى بَلْدَنَا قَلَتْ لِزَوْجِي :  
 وَاللَّهِ إِنِّي لَا كُرِهُ أَنْ أَرْجِعَ وَلَمْ أَخْذْ رَضِيعًا ، وَاللَّهُ لَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمَ  
 فَآخَذَنِي ، فَقَالَ لِي : لَا عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلِي عَسْيَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بُرْكَةً فَذَهَبَتْ  
 إِلَيْهِ فَآخَذَنِي ، وَمَا حَمَلْنِي عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ ، فَلَمَّا رَجَعَتْ بِهِ  
 إِلَى رَحْلِي وَوَضَعَتْهُ فِي حَجْرَيِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدِيَائِي بِمَا شَاءَ مِنْ لَبِنٍ ، فَشَرَبَتْهُ حَتَّى  
 رُؤَى وَشَرَبَتْ مَعَهُ أَخْوَهُ حَتَّى رَوَى ، ثُمَّ نَامَ ، وَقَامَ زَوْجِي إِلَى شَارِفَنَا تِلْكَ  
 فَإِذَا هِيَ حَافِلٌ<sup>(۱)</sup> فِي حَلْبٍ مِنْهَا مَا شَرَبَ وَشَرَبَتْ مَعَهُ حَتَّى اتَّهَبَنَا رِيَّاً وَشَيْءِيَاً  
 فَبَثَتْنَا بَخِيرَ لَيْلَةً ، فَلَمَّا أَصْبَحَنَا قَالَ لِي زَوْجِي : تَعْلَمِينَ وَاللَّهِ يَا حَلِيمَةَ لَقَدْ أَخْذَتْ  
 نَسْمَةً مَبَارَكَةً ، قَلَتْ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو ذَلِكَ ، ثُمَّ خَرَجَنَا وَرَكِبْتُ أَتَانِي وَحَمَلْتَهُ  
 عَلَيْهَا مَعِي فَوَاللَّهِ لَقْطَعْتُ بِالرَّكْبِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ حُمُرِهِمْ حَتَّى إِنَّ  
 صَوَاحِبِي قَلنَ لِي يَا ابْنَةَ أَنِّي ذُؤْبِ وَيَحْكُ أَرْبِيعِي<sup>(۲)</sup> عَلَيْنَا ، أَلَيْسَ هَذِهِ أَتَانِكَ  
 الَّتِي كَنْتَ خَرَجْتَ عَلَيْهَا ؟ فَقَلَتْ لَهُنَّ : بَلِي وَاللَّهِ إِنَّهَا لَهِيَ هِيَ ، فَقَلَتْ وَاللَّهِ  
 إِنَّهَا لَشَائِنَا . ثُمَّ قَدَّمَنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بَلَادِ بَنِي سَعْدٍ ، وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ  
 اللَّهِ أَجَدِبُ مِنْهَا ، فَكَانَتْ غَنِمَى تَرْوِحَ عَلَى حِينَ قَدَّمَنَا بِهِ مَعْنَا شَبَاعًا لُبْنًا<sup>(۳)</sup>  
 فَنَحْلَبُ وَنَشَرِبُ وَمَا يَحْلِبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةً لَبِنٍ وَلَا يَجْدِهَا فِي ضَرَعٍ حَتَّى كَانَ  
 الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمَنَا يَقُولُونَ لِرَعَيَاهُمْ : وَيَلْكُمْ اسْرَحُوا حِيثُ يَسْرَحُ رَاعِي بَنَتِ  
 أَنِّي ذُؤْبِ فَتَرْوِحُ أَغْنَاهُمْ جِيَاعًا مَا تَبْضُ بِقَطْرَةِ لَبِنٍ ، وَتَرْوِحُ غَنِمَى شَبَاعًا  
 لُبْنًا ، فَلَمْ نَزِلْ نَعْرِفَ مِنَ اللَّهِ الزِّيَادَةَ وَالْخَيْرَ حَتَّى مَضَتْ سَنَاهَ ( أَنِّي سَنَاهَ  
 رَضَاعَهُ ) وَفَصَلَتْهُ ، وَكَانَ يَشِبُّ شَبَابًا لَا يَشْبَهُ الْفَلَمَانَ ، فَلَمْ يَلْغُ سَنَتِهِ حَتَّى  
 كَانَ غَلَامًا خَفْرًا « غَلِيظًا شَدِيدًا » فَقَدَّمَنَا بِهِ عَلَى أَمِهِ ، وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ

(۱) حَافِلٌ : اجْتَمَعَ فِي الْلَّبِنِ .

(۲) رَبَعَتُ الْإِبْلَ : سَرَحْتُ فِي الْمَرْعَى وَأَكَلْتُ وَشَرَبَتُ كِيفَ شَاءَتْ .

(۳) كَبِيرَةُ الْلَّبِنِ .

على مكثه فينا ؛ لما كنا نرى من بركته ، فكلمنا أمه وقلت لها لو تركت بنى عندى حتى يغلوظ فإني أخشى عليه وباء مكة ، فلم نزل بها حتى ردهه معنا فرجعنا به ، وبعد مقدمنا بأشهر وإنه لفيفهم<sup>(١)</sup> لنا مع أخيه خلف بيوننا ، إذ أتانا أخوه يشتَّد ، فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشى قد أخذه رجالان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنها ، قالت فخررت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً متقيعاً « متغيراً » وججه فالترمته والتزمه أبوه فقلنا له : مالك يابنى ؟ قال جاء لي رجالان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطنى فاتمسا فيه شيئاً لا أدرى ما هو فرجعنا به إلى خبائنا ، وقال لي أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، فاحتملناه فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمك به ياظفر<sup>(٢)</sup> وقد كنت حرية عليه وعلى مكثه عندك ؟ فقلت لها قد بلغ الندى يابنى ، وقضيت الذي على تخوف الأحداث عليه فأديته إليك كما تخيين ، قالت : ما هذا شأنك ؟ فأصدقيني خبرك فلم تدعنى حتى أخبرتها . قالت أفتحوفت عليه الشيطان ؟ قلت : نعم ، قالت : كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لبني لشأننا ، أفلأ أخبرك به ؟ قلت : بلى قالت رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام ، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أحَقَ على ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء . دعيه عنك وانطلقى راشدة .

هكذا كان استرضاعه عليه في بادية بنى سعد شأنه شأن أبناء سادات قريش يرضعون أولادهم في البوادي ليصحوا أجساماً ، وي Finchوا لساناً ، ويقووا جنائاً . ولقد قال مرة عليه عليه مُعْتَزاً بشرف أصله واسترضاعه في البايدية :

(١) البهم واحده بيهمة : صغار الغنم .

(٢) الظفر : العاطفة على ولد غيرها المرضعة له .

« أنا أعرِبكم ، أنا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر ». .

### نتائج وعبر :

هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نوجزها فيما يأتي :

- (١) بيان عدد مرضعاته وأنهن ثلات الأم السرية آمنة ، وثوية مولاة عمه ألى هب ، وحليمة السعدية رضى الله عنها .
- (٢) بيان مدة رضاعه وأنها كانت حولين كاملين وهى المدة التى قررها الإسلام .
- (٣) بيان ما نال حليمة السعدية وأسرتها من خير وبركة وما فازت من شرف لا يقادر قدره بإرضاعها رسول الله ﷺ وحبها له .
- (٤) حب النبي ﷺ موجب للخير دافع للشرّ فإن حب ألى هب له لما بشر بولادته نفعه فرؤى في المنام وأنه يعذب لموته على الشرك والكفر إلا أنه يمتص من أثملته ماء كل يوم اثنين وهو يوم ولادته ﷺ وتبشيره به .
- (٥) تقرير الإسلام لمشروعية الإرضاع حولين كاملين لمن أراد ذلك .
- (٦) بيان إعداد الله تعالى عبده ورسوله محمدًا ﷺ لتلقى الوحي عنه بشق صدره ونزع مغز الشيطان منه حتى لا يقى له محل ينزل به ليوسوس .
- (٧) بيان آيات نبوته التي رأتها آمنة والدته يوم حملها ويوم وضعها .
- (٨) جواز الاعتزاز بالخير الذى يعطيه رب تبارك وتعالى عبده ، ويكرمه به لكن مع شكر المنعم سبحانه وتعالى على ما أولى العبد من خير وفضل .

### كُفَلَاءُ الْحَبِيبِ مُحَمَّدٌ ﷺ

#### وَحَاضِنَتِه

لقد عادت بالحبيب ﷺ مرضعه حليمة السعدية لتكتفله أمه آمنة ، ويرعايه

جده عبد المطلب والله تعالى كالي الكل وحافظهم ، وبهذا كانت آمنة الوالدة أول كافل للنبي عليه صلوات الله عليه في صباحه ، وشاء الله تعالى أن تخرج آمنة ب glamها الزكيّي النقى الطاهر إلى يثرب «المدينة النبوية» ليُتَزِّيره أخواه من بنى عدى بن النجار إذ هم أخوال أبيه ، وحال الأب حال الابن ، لأن أم عبد المطلب والد عبد الله هي سلمى بنت عمرو النجارية . ولما وصلت آمنة الأباء عائدة من المدينة إلى مكة أدركتها المنية فماتت بها ، وحضرت الحبيب محمدًا الغلام اليافع مولاه أبيه أم أمين برقة باركها الله ورضي عنها ، إنها أم أسامة حب رسول الله عليه صلوات الله عليه عليه صلوات الله عليه ابن حبه زيد بن حارثة مولاه رضي الله عنه وأرضاه ، فوصلت به حاضنته أم أمين مكة المكرمة فسلمته إلى جده عبد المطلب فكفله ، فكان ثالث الكفلاه لرسول الله عليه صلوات الله عليه ، ولقد لقى محمد الغلام الطاهر من الحفاوة والتكريم والإجلال والتقدير من جده الكفيل ما لا يقدر قدره ، ولا يعرف مداده .

ومات الجد الرحيم والكافل الكريم وسن النبي عليه صلوات الله عليه ثمان سنوات ليكفله بوصيّة خصوصيّة من عبد المطلب عمه أبو طالب وهو شقيق أبيه . فكان أبو طالب ثالث الكفلاه لرسول الله عليه صلوات الله عليه في صباحه ، وما زال في كفالته حتى بلغ سن الرشد ، ثم لازمه أبو طالب العيْم الكفيل فلم يتركه ولم يسلمه لقريب ولا لبعيد حتى قبضه الله في السنة الحادية عشرة منبعثة النبوة العظيمة . ومات أبو طالب — مع الأسف — على غير ملة الإسلام لما سبق في قضاء الله تعالى أنه يموت غير مسلم ، ولا راد لما قضى الله .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا هي كالتالي :

- (1) بيان يوم النبي عليه صلوات الله عليه ؛ إذ مات والده وهو حمل لم يولد بعد ، وماتت والدته وهو في السادسة من عمره وفي القرآن الكريم : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَأَوْلَى﴾ .

- (٢) بيان من شرفه الله تعالى بكفالة نبيه أيام طفولته عليه السلام .
- (٣) بيان شرف بركة أم أيمين مولاة رسول الله عليه السلام إذ أكرمها الله بمحضاته بعد وفاة أمه عليه السلام .
- (٤) تقرير عقيدة القضاء والقدر ، وأن السعيد من سعد في بطن أمه ، والشقي من شقي في بطن أمه كذلك ، إذ رفعت الأقلام وجفت الصحف بما هو كائن .
- (٥) بيان أن فعل الخير لا يعدم فاعله جوازه<sup>(١)</sup> فإن أبا طالب أخبر النبي عليه السلام عنه أنه في النار لموته على غير الإسلام وأخبر أنه يخفف عنه العذاب لما قدم لرسول الله عليه السلام من عون وحماية طيلة حياته معه في مكة .

## مظاهر الكمال الحمدى قبل النبوة

إن الفترة التي قضتها الحبيب عليه السلام من أيام طفولته إلى يوم مبعثه كانت حقاً زاخرة بمظاهر الكمالات الحمدية ، وكلها دلائل لنبوته ، وآيات كلاماته وها نحن نستعرض مع القارئ الكريم طرفاً منها طلباً لكمال محبته واليقين في الإيمان به عليه السلام .

وإن أول تلك المظاهر الكمالية الاستسقاء به عليه السلام وهو طفل لم يبلغ بعد . فقد ذكر الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في مختصره أن ابن عساكر روى عن جُلْهَمَةَ بن عرفة قال قدمت مكة وهم في قحط ، فقالت قريش : يا أبا طالب أقحط الوادى وأجدب العيال ، فهلم فاستسق . فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلب عنه سحابة قماء ، حوله

(١) الجوازى : جمع حازى لا يعدم جزاء عليه .

أغيلمة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكتيبة ولاذ بأصبعه الغلام ، وما في السماء قزعة ، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا وأغدق ، وانفجر الوادي وأخصب النادى والبادى . وفي هذا قال أبو طالب :

وأيضاً يستسقى الغمام بوجهه

ثال<sup>(١)</sup> اليتامي عصمة للأرامل<sup>(٢)</sup>

فهذه إحدى الكرامات الإلهية للحبيب ﷺ ، وهو مظاهر الكمال ، إذ أعلم الله تعالى أبا طالب أن يستسقى به ﷺ وهو طفل فأخذه ويأتي به إلى الكعبة ، ولصق ظهره بها ويرفع الغلام بين يديه ، ولسان حاله يقول اسكننا ربنا فقد توسنا<sup>(٣)</sup> إليك بهذا الغلام المبارك فيسوقهم الله تعالى حتى يجري واديهم وتحصل أراضيهم . فكانت هذه من طلائع النبوة وتبشيرها .

نتيجة هذا المظهر :

إن نتيجة دراسة هذا المظهر من مظاهر الكمال الحمدى هي تقرير النبوة الحمدية وتأكيدها لشمر بعد ذلك حب النبي ﷺ ، وتعلق القلب به حتى يكون أحب إلى المرء من نفسه التي بين جنبيه ، ويصبح الحب مستعداً نفسها لترك ما يحب لمحبوبه ﷺ ، وبذلك تتم الطاعة لرسول الله ﷺ ومتابعته فيما جاء به عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً وهذه سبيل النجاة من المرهوب ، والظفر بالمحبوب في الدارين وتلك غاية الطالبين الصالحين .

وثاني تلك المظاهر للكمال الحمدى : أنه ﷺ لم تكشف له عورة قط

(١) غياثهم وملجؤهم .

(٢) الساكين من الرجال والنساء ، وعصمتهم أى يعنفهم من الضياع ويسد حاجتهم .

(٣) توسلهم كان يحبهم وتعظيمهم له ﷺ فلذا سقاهم الله تعالى .

بعد أن حدث له مرة وهو ينقل الحجارة مع رجالات قريش لبناء الكعبة المشرفة وكانوا يرتفعون أزرارهم على عواتقهم يتقوون بها ضرر الحجارة ، وكان هو عليه يضع الحجارة على عاتقه وليس عليه شيء ، فرأه عم العباس رضي الله عنه فقال له : لو رفعت من إزارك على عاتقك حتى لا تضرك الحجارة . ففعل عليه فبدت عورته ، فوقع على وجهه فوق الأرض ، ونودى : استر عورتك أي ناداه ملك ، فما رأيت له بعد ذلك عورة أبداً .

نتيجة هذا المظاهر :

إن لهذا المظاهر نتائج هي كالتالي :

- (١) عنابة الله تعالى بنبيه عليه صلواته ، وحفظه له من كل ما يسىء إلى مقامه الرفيع ، ومكانته السامية .
- (٢) كشف العورات مما جاء الإسلام بتحريره ومنعه إلا من ضرورة تطبيب ونحوه .

(٣) بيان مشاركة النبي عليه صلواته قومه فيما هو خير ومعروف ، وهو مظاهر من مظاهر كماله عليه صلواته ذاتاً وروحًا وخلقاً .

وثالث مظاهر الكمال : أنه عليه قد بغض الله تعالى إليه الأوثان وكل أنواع الباطل التي كان يأتيا فتيان قريش ورجالاتها من الغناء وشرب الخمر والقمار وسائر الملاهي ، وقد أخبر عليه عن ذلك عن نفسه فقال : « لما نشأت بُغضت إلى الأوثان وبغض إلى الشعر ، ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين ، كل ذلك يحول الله تعالى بيبي وبين ما أريد من ذلك ، ثم ما همت بسوء بعدهما حتى أكرمني الله برسالته . قلت ليلة لغلام كان يرعى معي : لو أبصرت لي غنمى حتى أدخل مكة فأسرر كا يسمى الشباب ، فخرجت حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفًا بالدفوف والمزامير لعرس كان لبعضهم فجلست لذلك فضرب الله على أذني فمات

فما أيقظني إلا حرّ الشمس ، ولم أقض شيئاً ، ثم عراني مثل ذلك مرة<sup>(١)</sup> أخرى .

### نتائج هذا المظاهر :

إن لهذا المظاهر من مظاهر الكمال الحمدى قبل مبعثه عليه صلوات الله نتائج هي كما يلى :

(١) حماية الله لرسوله عليه صلوات الله من كل ما يسىء إلى سامي مقامه وعظيم منزلته فداء أى وأمى .

(٢) بيان رعيه عليه صلوات الله الغنم في الادية وهي سنة الأنبياء من قبله فقد قال عليه صلوات الله : « ما من نبى إلا وقد رعى الغنم » فقالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ فقال : « ولا أنا فقد كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » .

(٣) إن الحكمة من رعى الأنبياء للغنم هي الإعداد لسياسة البشر بالرفق والرحمة واللين ؛ لأن الغنم وهي الضأن والمعز أضعف من الإبل والبقر ، وأخرج إلى الرفق ، والإنسان أضعف منها ولذا يحتاج إلى سياسة الرفق واللين ، وعدم الشدة والعنف .

ورابع المظاهر للكمال : هو تحكيم قريش له في أعظم خلاف لها كاد يفضي بها إلى الحرب والقتال ، وذلك أن السبيل كان قد طغى على الكعبة فغمراها بالياء وزلزل بناءها وكاد يهد أركانها ، وتشاورت قريش طويلاً في إعادة بناء الكعبة بعد الذي أصابها ، وكانت تتهيّب أن تمس الكعبة بشيء لا سيما هدمها وتتجدد بنائها مخافة أن تناهها عقوبة من الله رب الكعبة وحاميها من كل كيد يُراد لها ، وبعد أخذ ورد أقدمت على هدمها وتتجدد بنائها بعدما أعدت لذلك عدته ومنه المال الحلال ، وفعلاً وزعت أركانها على قبائلها ، وشرعت

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافق عليه الذهبي .

في المهد والبناء ، ولما ارتفع جدار الكعبة وبلغ موضع الحجر الأسود اختلقو  
فيمن يتشرف بوضع الحجر مكانه من الركن اليماني الشرقي ، وتنافسوا في ذلك  
وشحروا به على بعضهم حتى كادوا يقتلون . وأخيّراً أَهْمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى تَحْكِيمِ  
أُولَئِكَ مِنْ يَقْبِلُ مِنْ بَابِ الصَّفَا ، وَمَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى أَقْبَلَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَا  
إِنْ رَأَوْهُ مُقْبِلاً حَتَّى قَالُوا : هَذَا مُحَمَّدُ الْأَمِينُ رَضِيَّاً بِهِ حَكْمًا . وَفَعْلًا رَضِيَّاً  
عَلَيْهِ السَّلَامُ بِتَحْكِيمِهِ لَهُ ، فَأَمْرُهُمْ أَنْ يُسْطِعُوا ثُوبًا فَوْضُعَهُ فِيهِ ثُمَّ أَمْرَ مُثْلِي قَبَائِلِ  
قَرِيشٍ أَنْ يَأْخُذَ مُثْلِي كُلِّ قَبْيلَةٍ بَطْرَفَ وَدَفْعَوْهُ ، وَلَمَّا حَادُوا بِهِ مَكَانَهُ مِنَ الْجَدَارِ  
رَفَعُهُ بِيَدِيهِ الْكَرِيمَتَيْنِ فَوْضُعَهُ مَكَانَهُ ، وَبِذَلِكَ حَقَنَتْ دَمَاءَ قَرِيشٍ ، وَعَادَتْ  
الْأَلْفَةُ وَالْمُوَدَّةُ بَيْنَ رِجَالَاتِ قَرِيشٍ . فَكَانَ هَذَا الْحَكْمُ وَالتَّحْكِيمُ أَكْبَرُ مَظَاهِرِ  
مِنْ مَظَاهِرِ الْكَمَالِ الْمُحْمَدِيِّ قَبْلَ إِنْبَائِهِ وَإِرْسَالِهِ نَبِيًّا وَرَسُولًا .

#### نتائج هذا المظاهر :

إن لهذا المظاهر من مظاهر الكمال الحمدى نتائج هي فيما يلى :

- (١) تقرير الكمال الحمدى الذى دل عليه وصف قريش له بأنه الأمين  
إذ لم يعرف بخيانة فى عرض ولا مال ولا قول ولا عمل فقط .
- (٢) حسن السياسة التى بها حقنت دماء قريش التى كادت تسيل من شدة  
الخلاف واحتدامه .

(٣) إظهار شرف محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ على كافة رجالات قريش بتحكيمهم إياه  
ورضاهم بحكمه ، وبهذا وغيره قامت الحجة على أكثرهم في إنكارهم نبوته  
واعتراضهم على رسالته ، واتهامهم إياه بالنفاق والظلم وهو أكملهم على الإطلاق .  
وخامس المظاهر للكمال الحمدى اعتراف بغير الراهب بكماله وبنبوته  
ووصيته عمّه أبا طالب به ، وذلك أنه لما بلغ عَلَيْهِ السَّلَامُ الثانية عشرة من عمره  
أو ما يقاربها وأراد أبو طالب وهو عمّه وكافله السفر إلى الشام صحبة قافلة  
تجارية عَزَّ على أبي طالب أن يخلف محمداً وقد امتلاً قلبه بحبه عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وعز على محمد عليه أَن يفارقه عمه كذلك ، فتعينتِ الصحبة فصاحب أبو طالب معه إلى الشام مجتازين ديار ثود وببلاد مدین إلى الشام ، وانهوا إلى بُصرى من ديار الشام فنزلوا منزلًا قريباً من صُومعة راهب هو بحيرى ، وكان بحيرى ذا علم بالمسيحية والكتب الأولى ، وكان رأساً في المنطقة لعلمه وفضله .

وشاء الله تعالى أن يُطلَّ من أعلى صومعته فيرى قافلة قريش وهي مقدمة نحوه ، وأن بينها غلاماً تظله غمامـة من الشمس ولما وقفت القافلة للنزول ، ونزلت رأى الغمامـة تقف فوق الغلام لا تتعداه تحفظه من حرّ الشمس ، فعلم أنَّ هذا الغلام شائناً . وكيف يصل إليه وبجرى الحديث معه ليعرف شأنه ؟ مما كان من الراهب إلا أن دعا القافلة إلى طعام عشاء عنده بعنوان ضيافة ، وقبلت القافلة ذلك بعد تردد واستفسار عن مثل هذه الضيافة التي لم تحصل لقوافلهم المتعددة قط وطمأنهم بخيرٍ بأنه لا غرض له إلا إكرامهم ، والتعرف على أحوالهم .

ولما حضر الطعام وتقدم الأكملة لم ير بحيرى الغلام الذى رأى العمامة تظله فتعجب ، وقال للقوم : هل تختلف من قافتكم أحد ؟ فقالوا : لا ، فقال : بلى ، أين الغلام الذى كان معكم فجاءوا به ، وقد تختلف لصغره وحياته أن يطعم مع رجالات قريش فبقى في رحل عمه . فلما جاء وجلسأخذ بحيرى يلحظه ويتأمله ، ولما انصرف القوم قام بحيرى إلى محمد عليه السلام ، وقال له : يا غلام أسائلك بحق اللات والعزى — جريا على حلف العرب بهما — ألا أخبرتني بما أسائلك عنه فقال له رسول الله عليه السلام : « لا تسألني باللات والعزى قوله ما أبغض شيئاً قط بغضهما ». فقال له أسائلك بالله ألا ما أخبرتني بما أسائلك عنه . فقال له عليه السلام : « سل بما بدا لك » فجعل بحيرى يسأله عن أشياء عن حاله في نومه وهبته وأموره فجعل النبي عليه السلام يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرى من نعوت الرسول وصفاته التي عرفها من

الكتب السابقة ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كفيه وكان مثل أثر الحجم ، ثم التفت الراهب بحيرى إلى أى طالب فسأله عن الغلام فأخبره فعلم أنه النبي المتضرر ، وأمره أن يعود به إلى دياره مخافة أن يعتاله يهود إذا رأوه وعلموا به فقضى أبو طالب حاجته من تجارتة بسرعة وعاد بابن أخيه مُسْرِعاً إلى مكة .

### نتائج هذا المظاهر :

إن لهذا المظاهر من الكمال الحمدى نتائج نجملها فيما يلى :

(١) بيان مدى حب أى طالب للنبي ﷺ .

(٢) آية تظليل الغمامـة للنبي ﷺ .

(٣) تقرير النبوة الحمدية بشهادة بحيرى الراهب .

(٤) عصمة النبي ﷺ قبل بعثته من الشرك لبعضه الحلف باللات والعزى أشد بغض .

(٥) حرمة الحلف بغير الله تعالى ، وأن الحلف بغير الله شرك .

**وسادس المظاهر للكمال الحمدى :** حضوره ﷺ حلف الفضول إن حلف الفضول كان بعد حرب الفجار التي كانت حرّياً فجر فيها أهلها بانتها كهم حرمة الشهر الحرام ، وقد دارت تلك الحرب بين كنانة وقريش من جهة ، وقيس من جهة أخرى ، وكان سببها تافها لم يعد قتل رجل من قيس تداعى بعده الأحلاف للقتال ، ولما انتهت تلك الحرب الفاجرة الخاسرة إذ هى من عمل الجاهلية دعت قريش إلى حلف الفضول ، وسيبه أن رجلاً من زيد جاء مكة بضاعة فاشترتها منه العاص بن وائل وكان ذا قدر وشرف في مكة فمنعه حقه فاستعدى الزيدى الأحلاف على العاص ، وهم عبد الدار ، ومحزوم ،

وَجْمَع ، وَسَهِم ، وَعَدَى فَأَبُوا أَن يَعْيُنُه عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ فَمَا كَانَ مِنْهِ إِلَّا أَنْ عَلَا جَبَلُ أَنْ قَبِيس ، وَصَاحَ بِشِعْرٍ يَصْفِ فِيهِ ظَلَامَتِهِ . وَعِنْدَهَا مَشَى الزَّبِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ وَقَالَ : مَا هَذَا مَتْرَكَ فَاجْتَمَعَتْ هَاشِمٌ وَزَهْرَةٌ وَتِيمٌ بْنُ مَرْبَةَ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ وَمَعْهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ عُمْرُهُ إِذَا ذَاكَ عَشْرِينَ سَنَةً ، فَصَنَعَ لَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ طَعَاماً وَتَحَالَفُوا وَهُمْ فِي شَهْرِ ذِي القُعْدَةِ أَنْ حَلَفُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَعْاهِدِينَ بِاللَّهِ لِيَكُونُنَّ يَدًا وَاحِدَةً مَعَ الظَّالِمِ عَلَى الظَّالِمِ حَتَّى يُؤْدِي إِلَيْهِ حَقَّهُ مَا بَلَّ بَحْرَ صَوْفَةَ ، فَسَمِّتْ قَرِيشُ ذَلِكَ الْحَلْفَ « حَلْفُ الْفَضُولِ » وَقَالُوا فَقَدْ دَخَلَ هُؤُلَاءِ فِي فَضْلِ الْأَمْرِ ، ثُمَّ مَشَوْا إِلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ ، وَاتَّزَعُوا مِنْهُ حَقَّ الْزَبِيدِ . وَفِي هَذَا قَالَ الزَّبِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ وَهُوَ عَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إِنَّ الْفَضُولَ تَحَالَفُوا وَتَعَاقَدُوا  
أَلَا يُقْيِمُ بِيَطْنَ مَكَةَ ظَالِمٌ  
أَمْرٌ عَلَيْهِ تَوَافَقُوا وَتَعَاقَدُوا  
فَالْجَارُ وَالْمُعْتَرُ فِيهِ سَالِمٌ

وَفِي هَذَا الْحَلْفِ يَقُولُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الإِسْلَامِ : « لَقَدْ شَهَدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ حَلْفًا مَا أُحِبُّ أَنْ يَهْرُبَ النَّعْمُ ، وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الإِسْلَامِ لَأَجْبَتْ » .

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَدْعَانَ هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَكْسُو أَلْفَ حَلَةٍ وَيَنْحَرُ أَلْفَ بَعِيرٍ . فِي كُلِّ مُوسَمٍ ، وَقَالَتْ فِيهِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ جَدْعَانَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَطْعَمُ الطَّعَامَ وَيَقْرَى الضَّيْفَ فَهَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكُ يَوْمُ الدِّينِ ؟ فَقَالَ : « لَا ، لَأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ : رَبَّ اغْفِرْ لِي خَطَيْتِي يَوْمَ الدِّينِ » <sup>(۱)</sup> .

(۱) روأه مسلم وعبد الله بن جدعان يكنى بأبي زهر وهو تيئي من قرابة عائشة ولذا سألت عنه رضي الله عنها .

## نتائج هذا المظهر :

إن لهذا المظهر من الكمال الحمدى نتائج وعبرًا نلخصها فيما يلى :

- (١) شعور أهل الجاهلية بالخطيئة وكراهيتهم لها ، ولذا سموا الحرب التي انتهكوا فيها حرمة الحرم بحرب الفجار ، وهو فعال من الفجور ؛ إذ تبادلوا فيه الفجور فصار فعالاً من باب فاعل كقاتل قاتلا .
- (٢) بيان ظلم وطغيان العاص بن وائل ، وهو الذى وقف في وجه الدعوة الإسلامية بحاربها حتى مات إلى جهنم .
- (٣) بيان مرؤوءة الزبير بن عبد المطلب ، إذ هو الذى كان السبب في تكوين حلف الفضول ، وإعادة حق الزبيدي إليه بعد انتزاعه من العاص بن وائل .
- (٤) بيان فضل بني هاشم على غيرهم ، وحسبهم شرفاً مفاخرهم الجمة وكون النبي ﷺ منهم .
- (٥) تقرير الكمال الحمدى وتأكيده بحضوره ﷺ هذا الحلف ، ومفاخرته به في قوله الثابت الصحيح : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حُمْرَ النعم ، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت » .
- (٦) عدم انتفاع العبد بما يعمله من الخيرات والصالحات إذا مات مشركاً لقول الرسول ﷺ لعائشة وقد سأله عن عبد الله بن جدعان : « إنه لم يقل يوماً من الدهر رب أغرى لخطيتي يوم الدين » . أى لا ينفعه عمله الصالح لموته على الشرك والكفر .

وسبعين الكمالات الحمدية هو رغبة خديجة فيه ، وزواجهما به ﷺ إنه ﷺ لما تجاوز العشرين من عمره ، وحضر حلف الفضول ، وقبله تحكم قريش له في وضع الحجر الأسود ، و Ashtonه بالصدق والوفاء والأمانة والعفة والتزاهة زيادة على شرف الأصل ، وطيب الحتد ، وكان بمكة امرأة سرية ذات

كلات نفسية من خلق فاضل ، وأدب رفيع تلك هي خديجة بنت خويلد الأسدية القرشية رضى الله عنها وقد بلغها من مظاهر الكمال الحمدى ما جعلها تعرض عليه الاتجار بما لها ، ليوفر له دخلاً مالياً يستغنى به عن كفاله عمه أئى طالب ورفادته ورضي الحبيب محمد ﷺ بالعرض وقبل الطلب وخرج في قافلة تجارية إلى الشام ويصحبه لخدمته غلام خديجة المسمى ميسرة . وهذه هي المرة الثانية التي يسافر فيها ﷺ إلى الشام ؛ إذ الأولى كانت مع عمه وفي صباح ، وقد تقدم الحديث عنها في رابع الكلمات الحمدية .

ومن الآيات التي شاهدها ميسرة في سفره مع الحبيب ﷺ أنه رأى ملكين يظلانه من حر الشمس إذا اشتتدت الماحرة ، كما أنه ﷺ نزل يوماً تحت ظل شجرة قريبة من صومعة راهب فرأه الراهب فسأل ميسرة عنه فقال له : هو رجل من أهل الحرم قرشيٌّ فقال له الراهب : إنه ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبيٌّ ، وذلك لما شاهد من آيات النبوة التي تلوح لكل ذي بصيرة وتأمل .

كما قال الأعرابى الذى نظر لأول مرة إلى الحبيب ﷺ قال : والله ما هو بوجه كذاب !!

وعاد الحبيب ﷺ بتجارة راجحة وسررت بها خديجة ، وزادها سروراً ما أنهاها به غلامها ميسرة من خبر الراهب وأمر الملkin اللذين يظلانه من حر الشمس . فرغبت لذلك ولغيره في الزواج به ﷺ وعمره يومئذ خمسة وعشرون عاماً ، وعمرها ما بين الخامسة والثلاثين والأربعين من السنين . وقد تزوجت قبله ﷺ أبا هالة زرارة التميمي وتزوجت قبل هذا بعتيق بن عائذ المخزومي ، وولدت له بنتاً تُدعى هنداً وبهذا كان كل من هند وهالة ربيباً للنبي ﷺ .

### خطبة الزواج الميمون :

وكان الخطبة كالتالي : بعثت خديجة إليه ﷺ تقول : يا ابن عم إن قد

رغبت فيك لقرباتك وَسِيَطْرَتْك<sup>(١)</sup> في قومك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك . ثم عرضت عليه نفسها ليتزوجها . وكانت رضى الله عنها يومئذ من أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً . وكل واحد من قومها كان حريصاً على الزواج بها لو يقدر على ذلك .

فذكر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ لأعمامه ، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأبو طالب ، حتى دخلا على والدها خويلد بن أسد ، فخطبها إليه فزوجها ، وأصدقها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ عشرين بكرة ، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ ولم يتزوج غيرها حتى توفاهما الله ، وانتقلت إلى جواره ، وكل أولاده<sup>(٢)</sup> صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ منها إلا ما كان من إبراهيم فإنه ابن مارية القبطية المصرية .

### نتائج وعبر هذا المظهر :

إن لهذا المظهر من مظاهر الكمال الحمدى نتائج وعبرًا نجملها إزاء النقاط التالية :

- تقرير النبوة الحمدية برؤية الملokin يظللانه من حر الشمس .
- شهادة الراهب له بالنبوة ، وهي شهادة عالم وكفى بها شهادة .
- بيان ما حبا الله تعالى به نبيه من الكلمات النفسية التي رغبت خديجة في الزواج به .
- مشروعية إبداء المرأة رغبتها في الرجل تزيد الزواج به .
- مشروعية الخطبة للزواج و تولي ذلك قريب الزوج كما تولى حمزة

(١) شرفك وسيادتك .

(٢) الذكور هم : القاسم وبه يكتنى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ ، عبد الله ، والطيب ، والإثاث فاطمة ، وزينب ورقية ، وأم كلثوم على جميعهم السلام .

وأبو طالب خطبة خديجة من والدها خويلد بن أسد .

● بيان شرف خديجة أم المؤمنين وهي حقا سيدة نساء قريش ، وقد جاء جبريل عليه السلام بإشارة لها من أعظم البشريات جاء بها من الله عز وجل وهي : إن الله يقول لك — يزيد رسول الله — أقرئ خديجة متن السلام وبشرها بقصر في الجنة من قصب<sup>(١)</sup> .

### دُنْوَةِ سَاعَةِ طَلْوَعِ الشَّمْسِ الْخَمْدَيَّةِ

لقد بلغ الحبيب الآن الأربعين من عمره عليه السلام ، وأخذت ساعة طلوع الشمس الخمديّة تقترب ، وها هو ذا عليه السلام إن غدا حاجة أوراح لا يمر بشجر ولا حجر إلا قال له : السلام عليك يا رسول الله ، فilyفت حوله يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً سوى الشجر والحجر يسلم عليه .  
فكانت هذه مقدمة الإنباء العظيم .

### طَلْوَعَ الشَّمْسِ الْخَمْدَيَّةِ

وفي ليلة الإثنين من شهر ربيع الأول طلعت الشمس الخمديّة حيث صار لا يرى رؤيا في ليته ولا نهاره إلا جاءت كفلق الصبح . وهذا الزهرى يروى عن عروة عن خالته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وأرضها قولها : إن أول مابدىء به رسول الله عليه السلام من النبوة حين أراد الله كرامته ، ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة لا يرى رسول الله عليه السلام رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح ، قالت : وحجب إليه الخلوة : فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده . واختار عليه السلام خلوته المحبّة إليه جبل حراء وهو أحد جبال مكة المطلة

(١) ذهب .

عليها فكان يخلو به مجاوراً فيه يتحنّث — أى يزيل الحنث عنه — وهو ما يراه ويسمعه من الشرك والباطل بين أفراد قومه من قريش . وفي ليلة من ليالي رمضان المبارك ولعلها السابعة عشرة منه نزل عليه جريل عليه السلام يحمل بشري النبوة تمهيداً لحمل الرسالة إلى الناس كافة .

وها هو ذا إمام المحدثين البخاري رحمه الله تعالى ورضي عنه بروى لنا عن أمها عائشة رضي الله عنها قصة بده الوحي . إذ يقول : أول ما بدأ به رسول الله عليه ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلان الصبح ، ثم حَبَّ إِلَيْهِ الْخَلَاءَ ، فكان يخلو بغار حراء ، فتحنّث فيه — وهو التعبد — الليلالي ذات العدد قبل أن ينزع<sup>(١)</sup> إلى أهله ويتوارد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لثلثها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء .

فجاءه الملك فقال : أقرأ ، قال : « ما أنا بقاريء » . قال : « فأخذني فغطني<sup>(٢)</sup> حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال أقرأ ، فقلت : ما أنا بقاريء فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : أقرأ ، فقلت ما أنا بقاريء ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : أقرأ يا سُمْ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلِقٍ \* أَقْرَأْ وَرَبِّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَنْ \* عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » فرجع بها رسول الله عليه ﷺ يرجف قواه ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : « زملوني<sup>(٣)</sup> » فزملوه حتى ذهب عنه الرُّوع<sup>(٤)</sup> . فقال خديجة وأخبرها الخبر : « لقد خشيت على نفسي » ، فقالت : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل<sup>(٥)</sup> ،

(١) ينزع : يرجع .

(٢) غطني : ضئن إلى وعصري كما تضم الأم ولدها إلى صدرها رحمة به وشفقة عليه .

(٣) أدخلوني في ثياب وغطوني بها .

(٤) الروع : الفزع والخوف .

(٥) الكل : التعب الحسر من الإعياء .

وتكتسب المعدوم<sup>(١)</sup> ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نحملها فيما يأْتِي :

(١) تقرير سنة غالبة وهي أن الأنبياء يرسلون على رأس الأربعين من أعمارهم .

(٢) بيان آية من آيات النبوة الحمدية وهي سلام الأشجار والأحجار عليه

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ

(٣) تقرير أن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ، إذ فترة الوحي كانت ثلاثة وعشرين سنة منها ستة أشهر كانت مناما .

(٤) مشروعية العزلة إذا فسد الناس وأصبح المؤمن لا يسلم من شرهم .

(٥) بيان أن أول ما نبأ به النبي ﷺ هو أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﷺ وأن النبوة كانت قبل الرسالة ؛ إذ نبأ ﷺ باقرأ وأرسل بالمدثر وبينهما فترة من الزمن .

(٦) تعين القراءة على المسلم وطلب العلم والتعلم ، إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

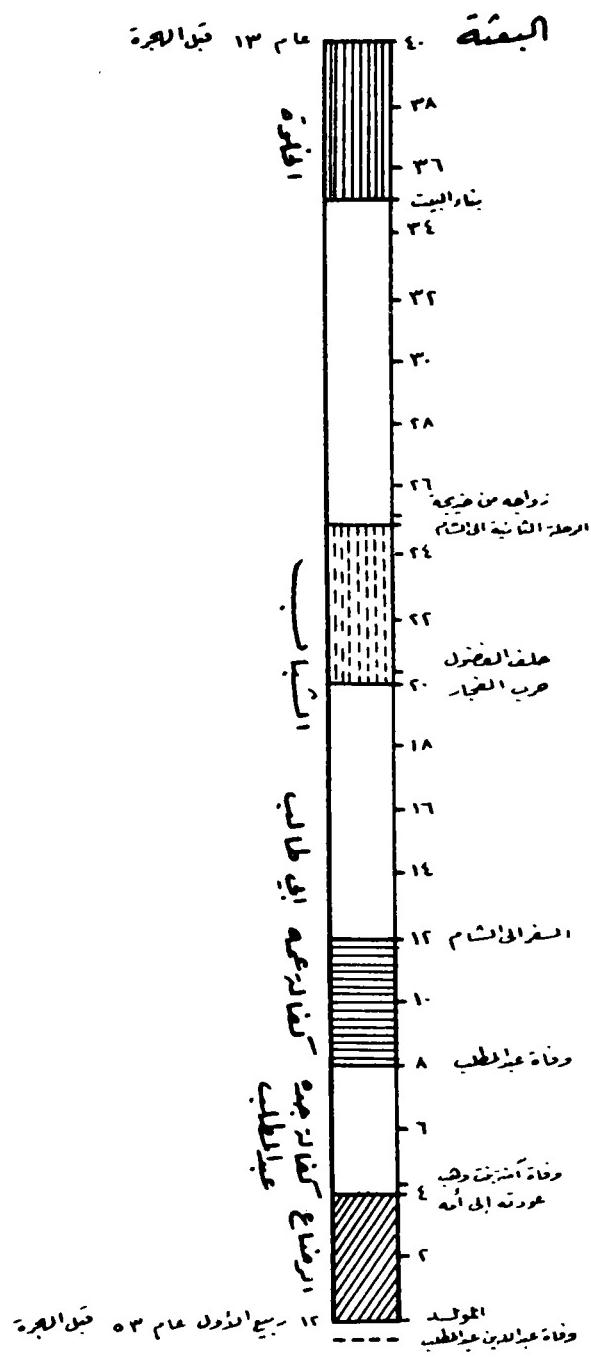
### أشعة الشمس الحمدية

تضيء دار خديجة

وتطلع على ورقة بن نوفل

ما إن جاء ﷺ خديجة وقص عليها حتى قالت له : أبشر يا ابن عم فوالذي

(١) إنك بعمرك وقوه إرادتك تفوز وتظفر بما لا يحصل عليه غيرك ، هذا إن قرئ بفتح التاء تكتسب ، وإنما فمعناه أنك تعطى ما لا يعطيه غيرك من المال وغيره .



بيان مراحل الظهور الحمدى من الولادة المباركة إلى البعثة الصادقة

نفس خديجة بيده إنّي لأرجو أن تكون نبّي هذه الأمة ، ثم جمعت عليها ثيابها وانطلقت إلى ورقة بن نوفل ابن عمها ، وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، وقالت يا ابن عم اسع من ابن أخيك . فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره الحبيب ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى ، فقال له : ورقة : هذا الناموس الأكبر الذي أنزل على موسى ، ياليتني فيها جذع ، ليتنى أكون حيًّا إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : « أو مُخْرِجٌ هُم ؟ » قال ورقة : نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً .

وكان الحبيب ﷺ لم يقض المدة التي يقضيها في غار حراء مُحثثاً فعاد إلى حراء لإتمامها . فلما قضاها وعاد من جواره بدأ باليت كعادته فطاف سبعاً فلقه ورقة وهو يطوف يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله ﷺ ، فقال ورقة والذى نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس<sup>(١)</sup> الأكبر الذي جاء موسى ، وَتَكَذَّبَنَّهُ وَلَتُؤْذَنَّهُ ، وَلَتُخْرَجَنَّهُ ، وَلَتَقْاتَلَنَّهُ ، ولكن أنا أدركك ذلك اليوم لأنصرنَّ الله نصراً يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه فقبلَ ياغُونَه<sup>(٢)</sup> ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله .

وحمل خديجة حرصها على تجلى الحقيقة ومعرفة الأمر على حقيقته ليكون إيمانها بعلم ويقين فأجرت الاختبار التالي :

قالت لرسول الله ﷺ : يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذ جاءك ، قال : « نعم » . قالت : فإذا جاءك فأخبرني به ، فجاءه جبريل عليه السلام كاً كان يحييه ، فقال رسول الله ﷺ لخديجة :

(١) المراد بالناموس جبريل عليه السلام ، وأصل الناموس أنه صاحب سر الرجل في الخير والشر .

(٢) اليافوخ : وسط الرأس . روى الترمذى عنه ﷺ أنه رأى ورقة في المنام وعليه ثياب بيض ورد أيضاً قوله ﷺ : « رأيت القسَّ في الجنة وعليه ثياب حرير ، لأنَّه أول من آمن بي » .

« يا خديجة هذا جبريل قد جاءني » ، قالت : قم يا ابن عم فاجلس على فخذى اليسرى فقام رسول الله ﷺ فجلس على فخذها اليسرى ، قالت هل تراه قال : « نعم » ، قالت : فتحول فاجلس على فخذى البنى ، فتحول وجلس ، وقالت : هل تراه ؟ قال : « نعم » قالت : فتحول فاجلس في حجرى ، فتحول وجلس في حجرها قالت : هل تراه ؟ قال : « نعم ». فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها ثم قالت : هل تراه ؟ قال : « لا » ، قالت يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله إنه ملك ، وما هذا بشيطان .

وبهذا كانت خديجة أول من استضاء بنور النبوة الحمدية وأول من آمن برسول الله ﷺ والوحى الذى جاءه ، كما أن ورقة كان من الفائزين بالأسبقية لولا أن المنية اخترمته فلم يشهد ضحى الشمس الحمدية .

### نتائج وعبر :

- إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا للخصها كالتالي :
- (١) بيان كمال عقل خديجة وصحة علم ورقة ، وفضل كل منها وكامله الروحي .
  - (٢) بيان ذكاء خديجة وسلامة فطرتها بإجرائها ذلك الاختبار العجب الذى كانت نتيجته تقرير النبوة الحمدية فأمنت على علم وبيقين فرضى الله عنها وأرضها .
  - (٣) الملائكة تكون مع الحباء والستر ، والشياطين تكون مع التفحش والوقاحة والعرى .
  - (٤) استحباب ستر المرأة رأسها ولو في خلوتها . حتى لا تقربها الشياطين .

### فتور الوحى وعودته

إنه بعد تلك المفاجأة السارة له ﷺ ولخديجة رضى الله عنها وورقة بن نوفل غفر الله له فتر الوحى وانقطع قرابة الأربعين يوماً ، ومات ورقة ، واشتد

الألم النفسي بالحبيب ﷺ حتى صرخ لخديجه بأنه خائف على نفسه ، بل كان كالمائم على وجهه في جبال مكة وشعابها ، وكان كلما اشتد به الحزن تبَدَّى له جبريل يقول له : يا محمد إنك رسول الله حَقًا فيخف عنك حزنه ، ويقلُّ الْمُهُ . وتمضي الأيام فجأة وهو يمشي يسمع صوًّا من السماء فيرفع بصره فإذا الملك الذي جاءه بغار حراء قاعد على ررف<sup>(١)</sup> بين السماء والأرض ، فرعب منه أشد الرعب ورجع إلى أهله يقول زملوني زملوني<sup>(٢)</sup> فأنزل الله تعالى قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُذَثِّرُ قُمْ فَالْأَذْرُ \* وَرَبَّكَ فَكَبِيرٌ \* وَيَنِبَّكَ فَطَهْرٌ \* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ \* وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ \* وَلَرِبِّكَ فَأَصْبِرْ﴾ .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا للشخصها فيما يلي :

(١) تشويق الرسول ﷺ إلى الوحي بانقطاعه عنه مدة من الزمن الأمر الذي تألم له رسول الله أشد الألم .

(٢) لطف الله تعالى ورحمته بنبيه ﷺ إذ كان يرسل إليه جبريل يناديه ويطمئنه ويشره بأنه رسول الله حَقًا .

(٣) بيان أول ما أرسل به ﷺ وهو النذارة ، والبشرية لازمة لمن قبل النذارة فآمن ووحد الله في عبادته ، وتابع الرسول فيما جاء به .

### صور الوحي الحمدى

إن الوحي هو الإعلام السريع الخفيّ ، وله مع رسول الله ﷺ صور جاء ذكر بعضها في قول الله تعالى من سورة الشورى : ﴿وَمَا كَانَ لِيَشْرِيْرْ أَنْ

(١) الررف : البساط من إسترق ، والإسترق الحرير الغليظ .

(٢) الترمل والتذرع بمعنى واحد وهو التلفف في الثياب للتدافئة وذهب الفزع .

**يَكْلُمُهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أُوْمِنَ وَرَاءِ حِجَابٍ أُوْزِيْرِسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِلَهٌ عَلَىٰ حَكِيمٌ**.

وبيان تلك الصور كالتالي :

(١) الرؤيا الصالحة الصادقة في النوم ، وقد بدأ بها الوحي إلى رسول الله ﷺ واستمرت لمدة ستة أشهر ؛ إذ قالت عائشة رضي الله عنها : أول ما بدأ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

(٢) الإلقاء في الروع والنفث فيه ، لقوله ﷺ : « إن روح القدس نفث في روعي أن نفسي لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله ، وأجلوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطليوه بمعصية الله فإن ما عند الله لا يبال إلا بطاعته »<sup>(١)</sup> .

(٣) أن يأتي في مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه على رسول الله ﷺ كما أخبر بذلك عن نفسه في حديث البخاري إذ قال ﷺ وقد سأله الحارث ابن هشام عن كيفية إتیان الوحي له فقال : « أحياناً يأتيه مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه على فینفصّم عنّي وقد وعيت عنه ما قاله » .

(٤) أن يأتيه الملك في صورة رجل فيوحى إليه ما شاء الله وهو أهون عليه لوجود التجانس المطلوب عادة للتتفاهم بين المخاطبين ، وقد جاء هذا أيضاً في حديث البخاري ، إذ جاء فيه قوله : « وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعى ما يقول » . وكثيراً ما كان يأتيه ﷺ جبريل عليه السلام في صورة دحية بن خليفة الكلبي الأنصاري .

(٥) إن يخاطبه الرب عز وجل كفاحاً من وراء حجاب كما تم ذلك له ﷺ

(١) رواه ابن أبي الدنيا وأخرجه الحاكم وصححه .

ليلة الإسراء والمعراج حيث فرض عليه وعلى أمه الصلوات الخمس وتردد عليه في ذلك عدة مرات يسأله التخفيف وكان ذلك بإرشاد موسى عليه السلام ، وكما تم لموسى عليه السلام بجبل الطور عدة مرات فكان يسمع كلامه ولا يرى وجهه .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نذكرها فيما يلى :

- (١) تقرير الوحي الحمدى وإيتانه .
- (٢) بيان صور الوحي التى كان ينزل عليها .
- (٣) تقرير أن الرؤيا الصالحة من الوحي .
- (٤) ذم الحرص من عبد يؤمن بالقضاء والقدر .
- (٥) بيان حقيقة وهى أن ما عند الله ينبغي أن يطلب بطاعته تعالى لابعاصيته .
- (٦) تقرير ستة وهي أن التجانس ضرورى لحصول التفاهم بين المتخاطبين .
- (٧) بيان شرف دحية بن خليفة الأنصارى إذ كان جبريل يأتى فى صورته .
- (٨) أكمل صور الوحي ما كان كفاحا<sup>(١)</sup> مع الله عز وجل بلا واسطة .

**بَدْءُ الْحَبِيبِ عَلَيْهِ دُعَوَّةٌ**

**وأول من أسلم**

إن عودة الوحي كانت حامية حارقة إذ أمر فيها رسول الله ﷺ بإذنار قومه عاقبة ما هم فيه من الشرك ، وما هم عليه من الكفر والفساد والشر ، كما أمر هو عليه ﷺ بتعظيم الله عز وجل وتوحيده ثم بتطهير ثيابه من التجassات

(١) يقال لقيت فلاناً كفاحاً أي مواجهة ليس بينهما شيء .

لأنه أصبح يتلقى الوحي في كل حين ، فتعين أن يكون عليه ، على أتم الأحوال وأحسنتها ، كما أمر بالاستمرار على هجر الأوثان ، والبعد عنها ، وعدم الالتفات إليها بحال من الأحوال كل هذا تضمنه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدْرِرُ فَقُمْ فَأَنذِرْ \* وَرَبُّكَ فَكَبِرْ \* وَتَبَّاكَ فَطَهَرْ \* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ \* وَلَا تَمْنُنْ تَسْكُنْ \* وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ .

ومن هنا بدأ عليه دعوته بعرضها على من يرى فيه الاستعداد لقبوها فكان أول من أسلم من النساء خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها وأول من أسلم من الصبيان على بن أبي طالب رضي الله عنه إذ أسلم وعمره عشر سنين ، وصلى مع رسول الله عليه مختفين بصلاتها عن أعين قريش .

وأول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، واسم أبيه بكر قبل الإسلام عتيق ، واسم أبيه عثمان بن عمرو التيمي القرشي ، وكنية عثمان أبو قحافة .

وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي ، وكان عبداً لحكيم بن حرام فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد ، وهى زوجة لرسول الله عليه مكتوب يومئذ فاستووه منها رسول الله عليه فوهبته إياه ، فعتقه عليه وتباه ، وذلك قبلبعثة النبوة ، وكان زيد قد خرجت به أمه وهو ابن ثمانية أعوام لترثيره بعض أقربائه فأصابته خيل من بنى القين فباعوه في سوق حباشة من أسواق العرب ، فاشتراه حكيم بن حرام في جملة عبد ووهبها. خديجة كما تقدم وقد حزن لفراقه والده وقال في قصيدة منها الآيات التالية :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل	أحٰى فِيرَحٰى أَمْ أَتَى دُونَهُ الْأَجْلُ
أغالك <sup>(1)</sup> بعدى السهل أَمْ غَالَكَ الْجَبَلُ	فَوَاللهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لِسَائِلُ

---

(1) أى أهلتك .

فحسبى<sup>(١)</sup> من الدنيا رُجوك لى بَجل  
 و تعرض ذكراه إذا غربها أفل  
 فيها طول ما حزني عليه وما وَجَلْ<sup>(٢)</sup>  
 ولا أسمأم التطاواف أو تسام الإبل  
 فكل امرئ فان وإن غرّه الأمل  
 ويلا ليت شعري هل لك الدهر أوبة  
 تذكرنيه الشمس عند طلوعها  
 وإن هبت الأرياح هيجن ذكره  
 سأعمل نص<sup>(٣)</sup> العيس في الأرض جاهدا  
 حياتي أو تائني على مَنِيَّتي  
 وبعد زمن قدم والده مكة وعرف وَرَفَ ولده زيدا ، وخيره الرسول ﷺ  
 بين الذهاب مع والده وبين البقاء معه فاختار رسول الله ﷺ ولذا عتقه وتبناه  
 وكان يعرف بزيد بن محمد حتى جاء الإسلام وحرم التبني فأصبح يعرف بزيد  
 ابن حارثة بدل محمد ﷺ .

#### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نجملها تحت الأرقام الآتية :

- (١) بيان ما أمر به رسول الله ﷺ بعد فترة الوحي من النذارة والتوحيد ، والطهارة ، والاستمرار على هجران الأواثان .
- (٢) بيان أن أول من أسلم من النساء خديجة ، ومن الصبيان على ، ومن الرجال أبو بكر ومن الموالى زيد بن حارثة رضي الله عنهم أجمعين .
- (٣) بيان سبب عتق زيد وتبنيّ الرسول ﷺ له ، وهو اختياره للرسول ﷺ دون والده وعمه .

(١) يكفي .

(٢) الوجل : الخوف .

(٣) نص العيس : سير الإبل .

## إسلام الصديق وأثره في الدعوة

لقد أسلم الصديق مبكراً ، إذ هو أول من أسلم من الرجال الأحرار ، كما تقدم ، وقد توجَّهَ الرسول ﷺ بكلمة لم يظفر بها أحد غير أبي بكر الصديق وهي قوله ﷺ : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبواة<sup>(١)</sup> ونظرت وتردَّد إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكم<sup>(٢)</sup> عنه حين ذكرته له ، وما تردد فيه ». .

وكان الصديق رضي الله عنه في سنْ قريبة من سنّ الرسول ﷺ وكان ذا حسبٍ ونسب في ديار مكة وبين سُكَّانها ، وهو وإن لم يكن هاشمياً فهو ثئبُّي فُرشّي عظيم ، يمتاز بمحسن الخلق ، وكرم النفس ، والمعرفة بأنساب العرب حتى إنه ليُضرب به المثل في ذلك . .

وما إن أسلم رضي الله عنه عن قناعة وعلم بما دخل فيه من دين الله تعالى حتى أخذ يتصل بخيار رجالات قريش في مكة يعرض عليهم الإسلام سراً فأجابه وأسلم على يديه نخبة ممتازة كان لها الأثر الكبير في نشر الدعوة داخل مكة وخارجها . وأفراد هذه الطليعة هم :

- عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الخليفة الراشد رضي الله عنه وأرضاه ، يكتنِي بأبي عبد الله ، وبأبي عمرو . ويلقب بذى النورين لتزوجه بابنتى رسول الله ﷺ : رقية ، ثم أم كلثوم رضي الله عنهما .
- الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشى ، يكتنِي بأبي عبد الله وهو حوارى رسول الله ﷺ ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب .

(١) الكبواة : التأخير وقلة الاستجابة .

(٢) ما ثَبَّتَ ولا تَرَبَّطَ بل أجاب بسرعة .

• عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة القرشى ، ذو الهجرتين رضى الله عنه وأرضاه .

• سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص — وهو والد سعد — مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشى ، خال الحبيب ﷺ إذ جد سعد أهيب عم آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ . وكان رضى الله عنه مجات الدعوة حتى قيل فيه : أحذروا دعوة سعد<sup>(١)</sup> . فرضى الله عن سعد وأرضاه .

• طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب القرشى يكنى بأبي محمد الفياض أحد العشرة المبشرين بالجنة ، قتل في وقعة الجمل رضى الله عنه وأرضاه .

فهؤلاء النفر الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق رضى الله عنهم ، يضاف إليهم عليّ وزيد وأبو بكر الصديق فيصبحون ثمانية أنفار هم أهل السبق في الإسلام إذ آمنوا وصلوا مع رسول الله ﷺ قبل كل أحد من الناس باستثناء السيدة خديجة رضى الله عنها إذ كانت أول المؤمنين .

#### نتائج وعبر :

من نتائج هذه المقطوعة من السيرة العطرة ما يلى :

(١) بيان فضل أبي بكر الصديق .

(٢) بيان فضل الدعوة إلى الله ، وفضل من يهدى الله على يديه فرداً أو أفراداً .

(٣) بيان شرف هؤلاء الأنفار الثمانية لسبقهم في الإسلام إذ أثني تعالى عليهم

---

(١) روى أن سعداً رضي الله عنه قال مرة للنبي ﷺ ادع الله تعالى أن يجعلني مجات الدعوة يا رسول الله . فقال له الرسول ﷺ : « أطيب مكسبك تقبّل دعوتك » .

فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالذِّينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ .

## أفواجُ السابقين بعد الأولين

وَمَا إِنْ أَسْلَمَ أُولَئِكَ النَّفَرُ الْكَرَامُ حَتَّى تَتَابَعَ أَشْرَافُ قَرِيشٍ يَدْخُلُونَ فِي إِسْلَامٍ فَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ رَبِّا وَإِلَهًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا رَبَّ سَواهُ وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولًا ، وَبِالْقُرْآنِ هَدِيًّا وَنُورًا ، فَأَسْلَمُ :

أَبُو عَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ الْجَرَاحِ الْقَرْشِيِّ الْمَلْقُبُ بِأَمِينِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبْشَرِّينَ بِالْجَنَّةِ ، وَهُوَ الَّذِي انْتَرَعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَلْقَتِ الدَّرَعِ يَوْمَ أَحَدٍ فَسَقَطَتْ بِذَلِكَ ثَنَيَاهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

وَأَبُو سَلَمَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْأَسْدِ بْنَ هَلَالِ الْقَرْشِيِّ ، وَأَمِهِ بَرَّةُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ فَهُوَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَاجِرَ الْمُهَاجِرَتَيْنِ وَشَهَدَ بَدْرًا وَتَوَفَّ سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَهُ إِكْرَامًا لَهُ وَاعْتَرَافًا بِفَضْلِهِ فِي إِسْلَامِهِ أَمْ سَلَمَةُ فَأَصْبَحَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهَذَا مِنْ إِكْرَامِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ وَلِأَنِّي سَلَمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَرْضَاهُمَا .

وَالْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ وَهُوَ عَبْدُ مَنَافِ بْنِ أَسْدِ الْقَرْشِيِّ أَسْلَمَ عَشَرَ عَشْرَةً وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اسْتَخْفَى فِي دَارِهِ بِالصَّفَا يَدْعُ النَّاسَ إِلَى إِسْلَامٍ سِرًّا حَتَّى اكْتَمَلَ عَدْدُ الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعينَ رَجُلًا ، وَكَانَ آخَرُهُمْ إِسْلَامًا عَمَرُ بْنُ الْخَطَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَيَوْمَئِذٍ خَرَجُوا مِنَ الدَّارِ وَصَلَّوْا جَهَرَةً حَوْلَ الْكَعْبَةِ .

وَعَثَانُ بْنُ مَظْعُونَ الْقَرْشِيِّ ، وَيُكَنِّي بِأَبِي السَّائِبِ وَهُوَ أَخُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرَّضَاعِ وَهُوَ أَوَّلُ مُهَاجِرٍ تَوَفَّ بِالْمَدِينَةِ النَّبُوَّيَّةِ ، وَمِنْ فَضَائِلِهِ وَكَمَالَتِهِ الرُّوحِيَّةِ أَنَّهُ امْتَنَعَ مِنْ شَرْبِ الْخَمْرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ إِسْلَامِهِ ، وَقَالَ : لَا أَشْرَبُ شَرَابًا

يُذهب عقل ، ويضحك بي من هو أدنى مني ومحملني على أن أنكح كريمتى .

وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشى ، وكان أئنَّ من النبى ﷺ عشر سنين هاجر إلى المدينة مع أخويه الطفيل وحسين أسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم ، وكانت له منزلة عند رسول الله ﷺ ، وقدرًا يكفى بأبي الحارث رضى الله عنه وأرضاه .

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى القرشى ابن عم عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، وصهره إذ كانت تخته فاطمة بنت الخطاب رضى الله عنها التي كانت سبب إسلام أخيها عمر رضى الله عنها .

وأسماء وعائشة بنتا الصديق أسلمت عائشة وهي طفلة صغيرة وأما أسماء فكانت متزوجة بالزبير بن العوام حين أسلمت فرضي الله عنهما وأرضاهما .

وخبّاب بن الأرت حليف بني زهرة التميمي .

وعبد الله بن مسعود بن أم عبد الهذلى .

وعمير بن أبي وقاص أخوه سعد بن أبي وقاص .

ومسعود بن القارى بن ربيعة من القارة وهم قوم رماة لقبوا بالقارة .

وهكذا توالي إسلام من أكبرهم الله بالإسلام فأسلم جعفر بن أبي طالب وأمرأته<sup>(١)</sup> ، وأسلم عياش وامرأته ، وحنين ، وعامر بن ربيعة بن عتن بن وائل ، وعبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد ، وحاطب بن الحارث وأمرأته فاطمة بنت المُجلل ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق ، وخالد بن سعد بن العاص ، وعامر بن ياسر العنسي المذحجى حليف بني يقظة ، وصهيب بن سنان الرومى نسبة إلى الروم إذ كان قد أسر في أرض الروم وهى

---

(١) هي أسماء بنت عميس تزوجها أبو بكر الصديق بعد استشهاد جعفر في مؤنة فرضي الله عنهم أجمعين .

الشام فاشترى منهم ، وورد فيه قول النبي ﷺ : « صهيب سابق الروم » فرضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواناً ومواه ، آمين .

لقد بلغ المسلمون هذا العدد الكبير ومازالت الدعوة سرًا لم يجهز بها بين صفوف قريش ، لأن هذا العدد غير كافٍ في دفع ما يتوقع من أذى تصيب به قريش المسلمين ، وقبل كل شيء أن الله تعالى لم يأذن بعد لرسوله والمؤمنين بالجهر بالدعوة ، ولو أذن لهم لجهروا بها وكلفهم ذلك ما كلفهم ، وسيأتي في اليوم الذين يؤذن لهم وسوف يتعرضون لأنواع من التعذيب والاضطهاد ويتقون ذلك بطيب نفس ورحابة صدر ؛ لأنه في ذات الله ، وما كان في ذات الله فهو محظوظ للحبيب الصادق .

#### نتائج وعبر :

لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نجملها فيما يلى :

- (١) بيان فضل السبق في الخير وأهله .
- (٢) تقرير مبدأ وضعه رسول الله ﷺ وهو قوله : « خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا » .
- (٣) بيان فوز الأرقام بن أبي الأرقام بمنقبة عظيمة وهي اتخاذ داره مركزاً للدعوة أيام ضعفها واستخفافها وهي أخرج أوقات مرت بها الدعوة .
- (٤) بيان فضيلة فاطمة بنت الخطاب بسبقها للإسلام وهداية أخيها عمر بسببها .
- (٥) إن من النساء من فزن بالسبق في الإسلام وهن عائشة ، وأسماء بنت الصديق ، وفاطمة بنت الخطاب ، وأسماء بنت عميس امرأة جعفر ، وأم سلمة امرأة أبي سلمة أم المؤمنين وغيرهن رضى الله عنهن وأرضاهن .

## الجهر بالدعوة بعد الإسرار بها

إنه بعد أن اكتمل عدد المسلمين نيفاً وأربعين رجلاً وكذا امرأة .. وأسلم حمزة عمُّ النبي ﷺ ، وعمر بن الخطاب استجابة الله لدعوة رسوله ﷺ حيث قال : « اللهم أيدِ الإسلام بأحد العزيرين »<sup>(١)</sup> . يعني عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام « أبو جهل » .

وبإسلام حمزة وعمر رضي الله عنهمما قويت شوكة المسلمين ، وأنزل قوله تعالى ﴿ فَاصْدُعْ بِمَا تُؤْمِنْ وَأَغْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وأنزل الله سبحانه وتعالى قوله لرسول ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ فصعد ﷺ على جبل الصفا ونادى بأعلى صوته قائلاً : وا صباهاه !! وا صباهاه !! فهزَ صوته حثيات وادي مكة وأقبل الناس نحو النداء زرافاتٍ ووحدانًا حتى امتلأت ساحة الصفا فأقبل عليهم رسول الله ﷺ كالبدر ليلة هاته فقال : « يا معشر قريش : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفع هذا الجبل ، تزيد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ » قالوا : نعم . فقال : « إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، أنقذوا أنفسكم من النار » فقام أبو هب فقال : تبأ لك سائر اليوم ، أما دعوتنا إلا لهذا . فأنزل الله تعالى سورة المد : ﴿ ثَبَثَ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَثَبَثُ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ \* سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ \* وَامْرَأَةٌ حَمَالَةُ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسِيدٍ ﴾ .

وكانت المدة التي دعا فيها رسول الله ﷺ وأصحابه سراً ثلاثة سنوات

---

(١) رواه الترمذى وصححه بلفظ : « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام » وقد تكلم بعضهم في هذا الخبر ولا حاجة إلى ذلك ما دام الله تعالى قد أيد دينه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

لَا غَيْرَ ثُمَّ أَمْرٌ بِالْجَهْرِ فَجَهْرٌ امْتِنَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ : ﴿فَاصْدُعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَغْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ الآية مِنْ سُورَةِ الْحَجَرِ .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نذكرها فيما يلى :

- (١) بيان المدة التي كانت فيها الدعوة سُرًّا وهي ثلاثة سنوات .
- (٢) بيان مقتضى سرية الدعوة وهو قلة المؤمنين وكثرة المشركين .
- (٣) الجهر بالدعوة كان بأمر الله تعالى لآية الحجر .
- (٤) بيان سبب نزول سورة المسد ، وهو قول أبي هب لرسول الله ﷺ :  
تَبَّأَ لِكَ سَائِرَ الْيَوْمِ .
- (٥) بيان أنه لا دليل لمن يرى سرية الدعوة في بلاد المسلمين اليوم في سرية الرسول ﷺ لها ثلاثة سنوات ؛ لأن الرسول وأصحابه كان لا يسمح لهم أن يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا أن يؤذنوا أو يصلوا ، ولما قويت شوكتهم أمروا بالجهر بالدعوة ، فجهروا ولاقوا من الأذى ما هو معروف بين المسلمين .
- (٦) ذكر إسلام حمزة ولم تذكر قصة إسلامه فلنذكرها لما فيها من العبرة ، وكذا الحال بالنسبة لإسلام عمر فإنا لم نذكر قصته في سبب إسلامه رضي الله عنه وسنذكرها إن شاء الله إزاء رقم سبعة بعد قصة إسلام حمزة رضي الله عنه .

### قصة إسلام حمزة رضي الله عنه :

لقد مر يوماً أبو جهل عليه لعائن الله مرّ برسول الله ﷺ وهو عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضييف لأمره فلم

يرد عليه رسول الله ﷺ ولم يكلمه ، وكانت مولاً لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ما قاله أبو جهل ، وشاء الله تعالى أن يمر حمزة راجعاً من قصر له متواشحاً قوسه ، فقالت له المرأة يا أبا عمارة لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفًا من أبي الحكم عمرو بن هشام وجده هاهنا جالساً فاذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف ولم يكلمه محمد ﷺ فاحتمل حمزة الغضب فخرج يسعى ولم يلتفت إلى أحد حتى أتى أبا جهل وهو جالس في نادي القوم حول المسجد فضربه بالقوس فشجَّ رأسه شجنة منكرة ، ثم قال أتشتمه وأنا على دينه أقول فَرِدَ ذلك علىَّ إن استطعت . فقام رجال من بني خروم لينصروا أبا جهل ، فقال أبا جهل دعوا أبا عمارة فإني والله قد سببت ابن أخيه سبًا قبيحًا . وثبت حمزة من ساعيده على ما قاله ، فأسلم وحسن إسلامه ، ويومها عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع بإسلام عمه حمزة المعروف بينهم بأنه أعز فقي في قريش .

#### (٧) قصة إسلام عمر رضي الله عنه :

وأما قصة إسلام عمر رضي الله عنه فهي كالتالي :

مرَّ عمر برجل مخزومي قد أسلم فعابه عمر فرد عليه الرجل ، بأنه إن أسلم هو فقد أسلم من هو أحق باللهم والعتاب متى يا عمر . فقال عمر : من هو ؟ قال الرجل أختك وختنك — أي صهرك — فذهب عمر إلى دار أخته فاطمة وهي تحت سعد بن زيد ، وسأل ما هذا الذي بلغنى عنكم؟ فرداً عليه ، وما كان منه إلا أن ضرب رأس أخته فأدماه ، فقامت إليه وقالت : وقد كان ذلك على رغم أنفك فاستحينا عمر حين رأى الدم يسيل من رأس أخته ، وجلس ، وقد رأى بينهما كتاباً ، فقال أروني هذا الكتاب ، فقالت له فاطمة إنه لا يمسه إلا المظoron . فقام عمر فاغتسل ، فآخر جرا له صحيفة فيها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فقال : أسماء طيبة طاهرة ﴿طه﴾ \* ما أُنزَلنا عَلَيْكَ

القرآن ﴿إِلَى قُولِهِ تَعَالَى : ﴿اَللّٰهُ اَكْبَرُ﴾ فَنَعْظَمُ ذَلِكَ فِي صَدْرِ عُمْرٍ وَأَسْلَمَ ، وَقَالَ لَهُمَا : أَيْنَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَتْ لَهُ فِي الدَّارِ فَقَالَ لَهُمْ حَمْزَةُ : مَا لَكُمْ ؟ قَالُوا : عُمْرٌ . قَالَ : افْتَحُوا لِهِ الْبَابَ ، فَإِنَّهُ إِنْ أَقْبَلَ قَبْلَنَا وَإِنْ أَدْبَرَ قَتْلَنَا . وَكَانَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَرَةٍ مِّنَ الدَّارِ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْحَدِيثَ خَرَجَ فَتَشَهَّدَ عُمْرٌ ، فَكَبَّرَ أَهْلَ الدَّارِ تَكْبِيرًا سَمِعُوهَا مِنْ فِي الْمَسْجِدِ ، وَقَالَ عُمْرٌ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ يَا رَسُولَ اللّٰهِ ؟ قَالَ : «بَلٌ» قَالَ فَقِيمُ الْاِخْتِفَاءِ فَخَرَجُوا صَفَينِ ، عُمْرٌ فِي أَحَدِهِمَا وَحَمْزَةُ فِي الْآخَرِ ، وَقَدْ كَانَ أَسْلَمَ قَبْلَ عُمْرٍ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَلَا دَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَرَأَتْهُمْ قُرَيْشٌ وَبَيْنَهُمَا حَمْزَةُ وَعُمْرٌ أَصَابَتْهَا كَآبَةٌ وَحَزْنٌ شَدِيدٌ . وَسَمِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاعَتِهَا عُمْرٌ الْفَارُوقُ .

## ارتفاع ضوء الشمس المحمدية وعشاً لأبصار المشركين

إنَّهُ بَعْدَ أَنْ أُعْلَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُعَوْتَهُ وَجَهَرَ بِهَا فِي أَوْسَاطِ الْمُشْرِكِينَ وَهِيَ دُعَوةٌ وَاضْحَىَ سَلِيمَةٌ لَا عِيبَ فِيهَا ، وَاضْحَىَ لَا غَمْوضَ وَلَا لَبِسَ فِيهَا عَيْشَةُ عَنْهَا أَبْصَارَ الْمُشْرِكِينَ ، فَلَمْ يَرُوَا مَا تَحْمِلُهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْهُدَى فَنَاصِبُوهَا الْعَدَاءَ ، وَأَصْبَحُوا لَهَا خُصُومًا أَلَدَاءَ ، يَحَارِبُونَهَا بِكُلِّ مَا لَدُهُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَشَدَّةٍ . وَفِي الْعَرْضِ التَّالِي تَتَجَلِّي هَذِهِ الْحَقِيقَةُ .

لقد مَرَّ بِنَا فِي قَصْةِ إِسْلَامِ حَمْزَةَ قَبْلَ قَلِيلٍ أَنْ أَبَا جَهَلَ وَجَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا عَنْدَ الصَّفَا فَنَالَ مِنْهُ سَبَّا وَشَتَّا ، وَعِيَّا لِأَمْرِهِ ، وَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى قَيَضَ لَهُ أَسْدًا مِّنْ آسَادِهِ ؛ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عُمَّالِ الْحَبِيبِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَضَرَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَشَجَّهَ شَجَّةً مُنْكَرَةً ، وَأَغْاظَهُ بِأَتْمِ غَيْظٍ إِذَا أَسْلَمَ أَمَامَهُ وَحَسْنَ إِسْلَامِهِ ، وَبِإِسْلَامِ حَمْزَةَ وَعُمْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا دَخَلَتُ الدُّعَوَةَ فِي طَوْرٍ جَدِيدٍ فَجَاهَ الرَّسُولُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَدَعَ بِمَا يَأْمُرُهُ بِهِ رَبُّهُ ، فَأَفَضَّ هَذَا

الموقف الجديد مضاجع المشركين ، وأفزعهم ، وزادهم هولاً وفرغاً تزايد عدد المسلمين وإعلانهم عن إسلامهم ، وعدم مبالاتهم بعداء المشركين لهم الأمر الذي جعل رجالات قريش يساومون رسول الله ﷺ ، وهذا هو ذا أبو الوليد عتبة بن ربيعة يُبعث من قبل المشركين ليعرض على رسول الله ﷺ ما رأوه حلاً للمشكّلة في نظرهم ، فيقول : يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السُّلْطَة<sup>(١)</sup> في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم وعيت به آهاتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مِنِي أعراض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، فقال له الرسول ﷺ : « قل يا أبو الوليد أسمع ». قال يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريده بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريده به شرفاً سُوَدَّناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريده به ملكاً ملكتناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيَاً ترَاهُ لا تستطيع رَدَّه عن نفسك طلبنا لك الطَّبَّ وبذلنا فيه أموالنا حتى تُبَرِّئَك منه ؛ فإنه ربِّما غلب التابع على الرجل حتى يُداوى منه .

وفرغ عتبة من كلامه ورسول الله ﷺ يستمع منه فقال : « أَقْدَ فرغَتْ يا أبو الوليد ؟ ». قال : نعم . قال : « فاسمع مِنِي » قال : أَفْعُل . فقال الحبيب ﷺ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٤﴾ حَمَ \* تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ » ومضى رسول الله ﷺ يقرأ وقد ألقى عتبة يديه وراء ظهره معتمداً عليهما وهو يسمع مُنصتاً حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة<sup>(٢)</sup>

(١) السُّلْطَة : الشرف .

(٢) ورد في هذه أن النبي ﷺ لما بلغ في قراءته : ﴿ قُلْ أَنذِرْنَاكُمْ صَاعِقَةً مُّثَوِّدَةً ﴾ جعل عتبة يضع يده في فم رسول الله ويناشده الله والرحم خشية أن تنزل عليه صاعقة لما يعلمه من صدق رسول الله ﷺ .

فسجد ، ثم قال : « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنْتَ وذاك !! ». .

وعاد عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : خلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال ورأي أني قد سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، أطيعوني واجعلوها لي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعترضوه ، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تُصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزّه عزّكم وكنتم أسعد الناس به . فما كان جوابهم إلا أن قالوا : سحرك يا أبا الوليد بلسانه فقال : هذا رأي فيه فاصنعوا ما بدا لكم !! كان هذا عرضًا .

### وعرض ثانٍ :

إن ما عرضه أبو الوليد على النبي ﷺ كان عرضاً معقولاً ، لو لا أنه أراد به الصدّ عن سبيل الله ، بصرف الرسول ﷺ عن دعوته ، ولذا نزل القرآن الكريم يأمر رسول الله ﷺ برفضه وعدم قبوله بالجملة فقال تعالى من سورة الإنسان ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا فَآصِبْرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ أَثِمًا أَوْ كُفُورًا﴾ كأنه رد عتبة على المشركين لما اتهموه بأنه سحر كان رداًًا معقولاً ومقبولاً لو لا العمة والحقيقة اللتان أصيب بها المشركون ، يدل على ذلك أن قوله عتبة ألى الوليد لهم تزن الذهب لو كان لهم عقل ، أو كانوا يتصرون ، أو كانت لهم حنكة سياسية<sup>(١)</sup> ، ويدل على عمّهم وحيرتهم أيضاً أنهم بعد ما سمعوا الذي سمعوه من ألى الوليد كونوا وفداً من

(١) هكذا كانت السياسة العالمية : إذا ظهر في الأمة رجل طموح يطالب بأمر يفاوضونه مفاوضة ألى الوليد للرسول ﷺ فرضونه حتى يرضى ويسكت لهم إلى أن ظهر المذهب الشيوعي أخيراً فعدلوا عن المفاوضات والعروض والمساومات إلى التعذيب والتتريك حتى يقطعوا أنفاسه فيسكت أو يهلك ، =

أَعْظَمُ رِجَالَهُمْ ، وَبَعْثَوْا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ ، لِيُسَاوِمَهُ بِنَفْسِ الْمُسَاوِمَةِ وَيَقُولُ لَهُ نَفْسُ الْكَلَامِ الَّذِي قَالَ لَهُ أَبُو الْوَلِيدِ وَفَعْلًا أَتَى الْوَفْدُ الْجَدِيدُ وَكَرَرَ قَوْلَةَ أَبِي الْوَلِيدِ فَرَدَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ قَائِلًا : « إِنَّهُ مَا بِي مَا تَقُولُونَ ، مَا جَئْتُ بِمَا جَئْتُكُمْ بِهِ أَطْلَبُ أَمْوَالَكُمْ ، وَلَا الشَّرْفُ فِيهِمْ ، وَلَا الْمَلْكُ عَلَيْكُمْ ، وَلَكُمْ بِشِيرًا اللَّهُ بَعْثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا ، وَأَمْرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بِشِيرًا وَنَذِيرًا فَأُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي ، وَنَصِحَّتْ لَكُمْ فَإِنْ تَقْبِلُوا مِنِّي مَا جَئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَإِنْ تُرْدُوهُ عَلَيَّ أَصْبَرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يُحَكِّمَ بَيْنِنِي وَبَيْنَكُمْ » !! وَلَا يَسْمَعُوا هَذَا الرَّدُّ الْكَرِيمُ الْحَكِيمُ مِنْ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ قَدِدوا صَوَابِهِمْ ، وَجُنُّ جَنُونَهُمْ وَأَخْذَنُوا يَهْذِرُونَ وَيَهْرُفُونَ بِمَا لَا يَعْرِفُونَ ، وَمِنْ جَمِيلَةِ مَا قَالُوهُ : أَنَّهُمْ طَلَبُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٌ أَنْ يَدْعُو رَبَّهُ لِيُحْسِنَ لَهُمْ مِنْ مَا تَمَاتَ مِنْ آبَائِهِمْ ، وَأَنْ يَزِيلَ عَنْهُمُ الْجَبَالَ الْمُحِيطَةَ بِمَكَةَ ، وَأَنْ يَفْجُرَ خَلَالَهَا الْأَنْهَارَ لِتَصْبِحَ حَدَائِقَ مِنْ نَخْلٍ وَأَعْنَابٍ ، وَذَكَرُوا كَلَامًا وَطَالَبُوا بِأَمْرِ ذَكْرِهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَقَالُوا لَنَّنُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تُفْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَتْبُوَعًا \* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَهَةٌ مِنْ نَخْلٍ وَأَعْنَابٍ فَتُفْجِرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا \* أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا ﴾<sup>(۱)</sup> أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَيْلًا<sup>(۲)</sup> \* أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْثُ مِنْ زُخْرُفٍ<sup>(۳)</sup> أَوْ تُرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنَنُؤْمِنَ لِرُقْيَكَ حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ﴾ وَهُنَا أَمْرُهُ رَبُّهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولاً ﴾ .

= وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلِقَائِهِ فَلَذَا هُمْ يَعْذِبُونَ إِنْسَانٌ وَكَانَهُ غَيْرُ إِنْسَانٌ مِنْ شَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ ، فَبِاسْمِ اللَّهِ نَعْذِبُهُمْ وَنَبْرَا إِلَى اللَّهِ مِنْ صَنْعِهِمْ !

(۱) قطعاً . حِجْعَ كَسْفَةٌ كَقطْعَةٍ .

(۲) أَيْ مُقَابِلَةٌ لِنَرَاهُمْ عَيَانًا .

(۳) أَيْ مِنْ ذَهَبٍ إِذَا الزَّخْرُفُ هُوَ الْذَّهَبُ .

ولما فرغوا من عرضهم وردهم السخيف وقام رسول الله ﷺ تبعه عبد الله ابن أبي أمية المخزومي وهو ابن عمّة رسول الله ﷺ ، لأنّ أمّه عاتكة بنت عبد المطلب فقال له : عرضت عليك قريش كذا وكذا ، ورفضت كل ذلك ، فوالله لا أؤمن بك أبداً . وعاد رسول الله ﷺ حزيناً آسفاً لما فاته ما كان أمّه من استجابة قومه لِمَّا دعوه ليكلموه في أمر دعوته . كان هذا عرضاً .

### وعرض ثالث :

إنه لما فشل رجالات قريش في المساومات التي تقدّموا بها إلى رسول الله ﷺ وسمعوا ما أياًسهم به رسول الله ﷺ من عدم التنازل عن شيء من دعوته وإن قلّ وعن عدم الترجزح عما يدعوه إليه قيد شعرة قام أبو جهل ليشفى صدره الذي احتمم غيطاً فأخذ حجراً كبيراً وقال : لأُفْلِقَنَّ به رأس محمد ﷺ وهو يصلّى ، وتحمّن عدو الله الفرصة ، فلما قام رسول الله ﷺ يصلّي حول الكعبة بين الركنين مستقبل البيت ، جاء أبو جهل لعنّه الله وتقدم نحو رسول الله ﷺ ليضربه بالحجر ، ورجالات قريش في أندائهم يتظرون ما يفعله طاغيتهم عليه لعائن الله ، فلما دنا من رسول الله ﷺ ولّ هارباً متّفع<sup>(١)</sup> اللون مرعوباً<sup>(٢)</sup> قد يبصُر يداه على الحجر ، وقام إليه رجالات قريش يقولون مالك أبا الحكم ؟ ما أصابك ؟ قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لي دونه فَحْلٌ من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته<sup>(٣)</sup> ولا مثل قصّره<sup>(٤)</sup> ولا أنيابه لفحل فقط ، فَهُمْ بـ

(١) أي متغير الوجه .

(٢) أي خائفاً .

(٣) ضخامة رأسه .

(٤) أصل عنقه ؛ إذ القصر أصل العنق .

لِيَأْكُلَنِي . وَفِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ نَزَّلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَتَّقِهِ لَتَسْفَعَا ﴾<sup>(١)</sup> بِالنَّاصِيَةِ \* نَاصِيَةَ كَادِيَةَ حَاطِئَةَ \* فَلَيَدْعُ نَادِيَهُ<sup>(٢)</sup> \* سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ \* كَلَّا لَا تُطْغِهُ وَاسْجُدْ وَاقْتِرْبُ ﴾<sup>(٣)</sup> آخِرُ سُورَةِ « الْعَلْقَ » .

وَلَمَّا سَمِعْ وَشَاهَدْ هَذِهِ الْحَادِثَةِ النَّصْرَ بْنَ الْحَارِثَ قَامَ فِي قَرِيشٍ وَقَالَ : يَا مُعْشَرَ قَرِيشٍ إِنَّهُ — وَاللَّهُ — قَدْ نَزَّلَ بِكُمْ أَمْرًا مَا أَتَيْتُمْ لَهُ بِحِيلَةٍ بَعْدَ ، فَقَدْ كَانَ فِيْكُمْ مُحَمَّدًا غَلَامًا حَدَّثًا ، أَرْضَاكُمْ فِيْكُمْ ، وَأَصْدِقُكُمْ حَدِيثًا ، وَأَعْظَمُكُمْ أَمَانَةً ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ فِي صَدْغَهِ<sup>(٤)</sup> الشَّيْبَ ، وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ قَلْتُمْ سَاحِرٌ لَا وَاللَّهُ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ ، لَقَدْ رَأَيْنَا السُّحْرَةَ وَنَفْثَتَهُمْ وَعَقْدَهُمْ ، وَقَلْتُمْ كَاهِنٌ ، لَا وَاللَّهُ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ قَدْ رَأَيْنَا الْكَهْنَةَ وَتَخَالَجَهُمْ وَسَمِعْنَا سَجْعَهُمْ . وَقَلْتُمْ شَاعِرٌ ، لَا وَاللَّهُ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ قَدْ رَأَيْنَا الشِّعْرَ وَسَمِعْنَا أَصْنَافَهُ كُلُّهَا هَرْجَهُ وَرْجَزَهُ . قَلْتُمْ مَجْنُونٌ لَا وَاللَّهُ مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ لَقَدْ رَأَيْنَا الْجَنُونَ فَمَا هُوَ بِخَنْقَهُ وَلَا وَسُوْسَتَهُ وَلَا تَخْلِيَّتَهُ . يَا مُعْشَرَ قَرِيشٍ فَانْظَرُوا فِي شَأْنَكُمْ فَإِنَّهُ وَاللَّهُ قَدْ نَزَّلَ بِكُمْ أَمْرًا عَظِيمًا . لَقَدْ كَادَ النَّصْرُ هَذَا يُسْلِمُ لَمَا تَبَيَّنَ لَهُ مِنَ الْحَقِّ وَلَكِنْ مِنْعَهُ الْحَسْدُ ؛ إِذَا هُوَ الَّذِي قَالَ : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أَئْتِنَا بَعْدَابَ أَلِيمٍ ﴾<sup>(٥)</sup> جَاءَ هَذَا فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ ، وَنَزَّلَ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى أَيْضًا : ﴿ سَأَلَ سَائِلٍ بِعَدَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ \* مَنْ أَنْهَى فِي الْمَعَارِجَ ﴾ .

إِذَا كَانَ النَّصْرُ بْنُ الْحَارِثَ هَذَا شَيْطَانُ قَرِيشٍ ، كَانَ أَخْبَثُهُمْ نُفْسًا وَأَشَدُهُمْ عَدَاوَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ ؛ إِذَا هُوَ الْقَائلُ أَنَّا أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ يَقْصُ أَخْبَارَ مُلُوكَ فَارِسٍ وَيَقُولُ : ﴿ سَأَنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾<sup>(٦)</sup> لَمَّا أَصَابَهُمْ مِنَ الْحَسْدِ وَالْعَرُورِ وَعُمَى الْبَصَرِ وَالْبَصِيرَةِ . كَانَ هَذَا عَرْضًا .

#### وَعْرُضُ رَابِعٍ :

إِنَّهُ لَمَّا أَعْيَتِ الْحَيْلُ قَرِيشًا ، وَلَمْ تَجِدْ مَا تَدْفَعُ بِهِ دُعْوَةَ الْحَقِّ الَّتِي عَشَتْ

(١) لِنَأْخُذَنِ بِنَاصِيَتِهِ .

(٢) أَى رِجَالُ مَجْلِسِهِ وَمَنْشَاهِهِ .

(٣) الصَّدْغُ الْمَكَانُ بَيْنَ الْأَذْنِ وَالْمَاجِبِ حِيثُ الشِّعْرُ مُسْتَرْسِلٌ مِنَ الرَّأْسِ ، وَلَكُلِّ إِنْسَانٍ صَدْغَانَ ، وَأُولُو مَا يَبْدِأُ الشَّيْبُ يَظْهَرُ فِيهِمَا غَالِبًا .

أبصارها عن أنوارها الساطعة بعثت وفداً إلى يثرب «المدينة» يُجلِّ لهاحقيقة الموقف بواسطة أخبار اليهود لأنهم أهل كتاب، وَذُوو علم بالأديان.

ويكون الوفد من النضر بن الحارث شيطان قريش أميراً، وعقبة بن أبي معيط مساعدًا له، وقالوا لهم: أسألأ أخبار اليهود عن محمد ﷺ وصفا لهم صفتة وأخبرهم بقوله الذي يقول، ودعوته التي يدعو إليها فإنهم أهل كتاب، وعندهم علم بالأنبياء ليس عندنا. فخرجا حتى أتيا المدينة فسألأ أخبار يهود عن رسول الله ﷺ وصفا لهم أمره وأخبرهم ببعض قوله، وقال لهم: إنكم أهل التوراة، وقد جئنكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. فقالت لهم أخبار يهود: سلوه عن ثلات نأمركم بهنَّ فإنَّ أخبركم بهنَّ فهو نبِيٌّ مرسل، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقُولٌ، فروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هي؟ فإنَّ أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبِيٌّ، وإن لم يفعل فهو مُتَقُولٌ فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

وعاد الوفد إلى قريش وقال لهم قد جئنكم بفصل ما بينكم وبين محمد ﷺ قد أخبرنا أخبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها فإنَّ أخبركم بها فهو نبِيٌّ، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقُولٌ فروا رأيكم فيه.

وسألت قريش النبِيٌّ ﷺ وقال: «غَدَا أَخْبَرُكُمْ» ولم يستثن وانصرفوا عنه. وحبس الله الوحي عنه لعدم استثنائه قرابة نصف الشهر حتى حزن ﷺ وفرحت قريش. وقالوا الكثير من القول حتى قالوا: قلاه شيطانه الذي كان يأتيه، ثم أنزل الله تعالى سورة والضحى ينفي فيها ما قالته قريش وادعاه بعضهم من غلة المغضبين له ﷺ من أن الله تعالى قد قلاه أى تركه وأضاعه ببعضاً له، وأنزل سورة الكهف وفيها بيان حديث أصحاب الكهف تفصيلاً، وفيها خبر الرجل الطوافة وهو الإسكندر ذو القرنين، ونزل في شأن الروح قوله

تعالى في السورة التي قبل سورة الكهف « الإسراء » ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيٍّ وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ردًا على اليهود . كان هذا عرضًا .

#### وعرض خامس :

ولما فشلت قريش في محاولتها الأخيرة بإرسالها وفداً إلى أحجار اليهود لجّت في الخصومة وأعلنت حربًا كلامية على رسول الله ﷺ محاولة بذلك إطفاء نور الله بأفواهها وهذا هو ذا أبو جهل يقول هازئا ساخراً برسول الله ﷺ وبما جاء به من المهدى ودين الحق : يا معاشر قريش يزعم محمد ﷺ أن جنود الله الذين يعبدونكم في النار ويجسونكم فيها تسعة عشر ، وأنتم أكثر الناس عدداً وكثرة ، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم ؟ وفي هذا نزل قول الله تعالى من سورة المدثر ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا قِنْتَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآيات .

ويكشف أبو جهل عن وجه حسده وكبرياته فيأتيه الأحسن بن شريق فيقول له : يا أبا الحكم مارأيك فيما سمعت من محمد ؟ — يريد من قراءته القرآن — فقال : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ؛ أطعمنوا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاهلنا<sup>(١)</sup> على الركب ، وكنا كفرسي رهان قالوا منانبي يأتيه الوحي من السماء ، فلم يدرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه .

ويحملهم البعض والخوف على أن يمنعوا سماع القرآن فيتخذوا في ناديهم قراراً بمنع سماع قراءة القرآن ، وأنزل الله تعالى في ذلك قرآنا ؛ وهو قوله من سورة فصلت : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنَ وَالْغُوْنَ فِيهِ

(١) يروى تحدينا وكلامها صحيح .

## لَعْلُكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ .

وعزّ عليهم أن لا يسمعوه وقد أصدروا قراراً بمنع سماعه ، فخرج أبو سفيان وأبو جهل والأنس بن شريق خرجوا ثلاثتهم ليلاً ليستمعوا قراءة الرسول ﷺ وهو يقرأ في صلاته في بيته ، واتخذوا مجالس لهم يستمعون فيها في الظلام ولا يدرى أحدهم عن الآخر ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فتلاوموا وتعاهدوا أن لا يعودوا لمثلها ، ولكنهم لم يصبروا فخرجوا في ليلة أخرى ، ولا يدرى أحدهم عن الآخر ، واستمعوا إلى قراءة النبي ﷺ حتى إذا طلع الفجر تفرقوا وجمعتهم الطريق فتلاوموا ، وتكرر هذا منهم ثلاث مرات ، وفي الرابعة تعاهدوا أن لا يعودوا لمثلها أبداً .

وهكذا تحملت الحقيقة واضحةً لا غموض فيها ولا لبس ولا خفاء وهي أن المشركين عشت<sup>(١)</sup> أبصارهم عن النور الحمدى فلم يروا فيما جاء به هدىً ولا خيراً فناصبوه العداء وأصبحوا خصوماً للدّاء يحاربونه ﷺ ويحاربون دعوته وأتباعه بكل ما لديهم من قوة ، كلاً هى حال الكافرين إلى اليوم ، فهم حرب على الإسلام والمسلمين دائمًا وأبدًا ، ولو لا أن الله تعالى ناصر دينه وأوليائه لغلبوا على الإسلام والمسلمين ، ولم يق إسلام ولا مسلمون .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نجملها في الآتي :

- (١) إثبات حيرة المشركين إزاء الدعوة المحمدية وإلى اليوم .
- (٢) بيان استعمال المشركين أسلوب المساومات لإحباط الدعوة وإطفاء نورها .
- (٣) ثبات النبي ﷺ ووقفه كأنه جبل أشئم أمام المساومات والتحديات .

---

(١) عشت أبصارهم ضعفت عن النظر لما أصابها من مرض العشا .

(٤) شهادة عتبة بن ربيعة بصحة الدعوة الحمدية وسلامتها وأحقيتها — وهو من خصومها — لها قيمتها المعنوية . كما قيل : « والحق ما شهدت به الأعداء » .

(٥) بيان تعنت المشركين وصلفهم وكبارائهم برفضهم دعوة الحق بعد ثبوتها ، ومطالبتهم بأمور ليس تحقيقها من لازم النبوة ولا شرطا في قبول دعوة الحق .

(٦) بيان خبث أئمّة جهل وشدة عدائهم للنبي ﷺ ، ومحاربته لدعوته .

(٧) استحباب قول العبد إن شاء الله فيما يستقبل من قول أو عمل .

(٨) بيان تأثير القرآن في نفس من يسمعه متذمرا له متفكرا فيه .

## خيبة المشركين تحول إلى نقمـة على المستضعفـين من المؤمنـين

إنه بعد أن بذلت قريش كل ما في وسعها من قوة وحيلة في إطفاء أنوار الدعوة الحمدية ، وباءت بخيبة مريرة حولت ذلك إلى نقمـة على المستضعفـين من المؤمنـين كبلـال وعـمار ووالـده يـاسـر وأـمـه سـمـيـة ، وصـهـيبـ الروـمـيـ ، وـخـبـابـ ابنـ الأـرـتـ وأـئـمـةـ فـهـيرـةـ ، وأـئـمـةـ فـكـيـةـ وـمـنـ النـسـاءـ زـيـرـةـ ، وـالـتـهـدـيـةـ ، وـأـمـ عـبـيـسـ .

أما بلال فكان مملوكاً لأمية بن خلف الجُمحي ، وكان يعذبه بإلقائه في الرمضاء على وجهه وظهره ، ويضع الصخرة العظيمة على صدره ، وذلك إذا حmitt الشمس وقت الظهيرة ، ويقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بـمـحـمـدـ ، وـتـبـعـدـ الـلـاتـ وـالـعـزـىـ ، وـبـلـالـ صـابـرـ يـرـددـ كـلـمـةـ : أحـدـ أحـدـ ، وـأـخـيـرـ استبدلـهـ أبوـ بـكـرـ الصـدـيقـ بعدـ مـشـرـكـ عنـهـ وأـعـتـقـهـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـماـ .

وـأـمـاـ عـمـارـ وـأـمـهـ وـوـالـدـهـ يـاسـرـ فقدـ كانواـ يـخـرـجـونـهـ إـلـىـ الـأـبـطـحـ إـذـاـ حـمـيتـ

الرمضاء يذيبونهم بحرّ رمضان ، فمرّ بهم النبيّ ﷺ وهم يذبون فقال : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة » فمات ياسر تحت العذاب رحمه الله رحمة واسعة .

وأما سمية فقد أغفلت القول لأبي جهل عليه لعائن الله فطعنها بحربة في قبلها فماتت شهيدة ، وكانت أول شهيد في الإسلام .

وشدد أعداء الله العذاب على عمار ونوعوا العذاب عليه فمرة بالجرّ ومرة بوضع الصخرة على صدره ، وأخرى بالغمس في الماء إلى حد الاختناق ويقولون له لا نتركك حتى تسبّ محمداً ، وتقول في اللات والعزى حيراً وفعل ما طلبوا منه فتركوه ، فأتى النبيّ ﷺ يبكي فقال : « ما وراءك ؟ » فقال شرّ يا رسول الله كان الأمر كذا وكذا ، فقال له : « كيف تجد قلبك ؟ » قال : أجده مطمئناً بالإيمان . فقال : « إن عادوا ياعمار فعد » . وأنزل الله تعالى قوله من سورة النحل : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقُلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِإِيمَانٍ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدَرًا ﴾ .

وأما خباب فقد أسلم سادس ستة فقد عذبه المشركون عذاباً شديداً إذ كانوا يلصقون ظهره بالرمضاء ثم بالحجارة الحمامة بالنار ويلوون رأسه .

واما عامر بن فهيرة فقد أسلم قديماً قبل دخول الرسول ﷺ إلى دار الأرق ، وكان من المستضعفين فعذب عذاباً شديداً ، ولم يرده ذلك عن دينه ، وكان يرعى غنماً لأبي بكر ، وكان يروح بها على النبيّ ﷺ وأبي بكر وهما في الغار طوال المدة التي كانوا فيها في الغار وأما أبو فكيه واسمه أفلح أو يسار فقد كان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف الجمحي أسلم مع بلال فأخذته أمية ابن خلف عليه لعائن الله وربط في رجليه حبلًا وأمر به فجر ثم ألقاه في رمضان ، ومر به جعل « حشرة معروفة » فقال له أمية أليس هذا ربك ؟ فقال : الله ربّي وربّك وربّ هذا . فاختنقه حتىّاً شديداً ، وكان معه أحوه

أبي بن خلف فيقول : زده عذاباً حتى يأتى محمدٌ فيخلصه بسحره . ولم يزالوا يعذبونه كذلك حتى أُغمى عليه فظنوه مات ثم أفاق فاشتراء أبو بكر الصديق وأعتقه .

وأما النساء زَيْرَة وأم عَيْسَى ولبيبة والنهدية فقد عذبن كذلك أشد العذاب من قبل مواليهنَّ ولم يرجعن عن دينهنَّ ، فرضى الله عنهن وأرضاهنَّ .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نذكرها إزاء الأرقام التالية :

(١) تقرير وتأكيد معنى قوله تعالى : ﴿ أَحَبِبَ النَّاسُ أَنْ يَرْكُوَا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ .

(٢) بيان ما لاقاه المستضعفون المؤمنون من ألوان العذاب ، ولم يردهم ذلك عن دينهم .

(٣) بيان أن أول شهيد في الإسلام كان سمية أم عمار رضى الله عنهما .

(٤) بيان ما كان عليه طغاة المشركين من شدة وغلظة وحقن على المسلمين ، وأأنزلوه من عذاب بالمستضعفين من الموالى والعبيد نساءً ورجالاً .

### المستهزئون بالحبيب عليه السلام

### وما أنزل الله تعالى بهم من أليم العذاب

إن تلك النعمة التي أنزلها المشركون بالمستضعفين من المؤمنين لم تكن في الحقيقة خاصة بالمستضعفين بل هي عامة في كل المؤمنين ، وعلى رأسهم سيد العالمين الحبيب محمد ﷺ ، إلا أن الأحرار من المؤمنين كان لهم من المنعة ما جعل المشركين لا يقدرون على أن يعذبواهم مثل تعذيب المستضعفين من العبيد والإماء والموالى الأغراط ، وإلا فإنه لم يسلم مؤمن واحد من التعذيب والاضطهاد والاستهزاء به والسخرية منه . وهذا رسول الله ﷺ قد سخر

منه واستهزئ به ، وسبّ وشتم ونال منه المشركون مالم ينالوه من كثير من المؤمنين ، وكان شرّ من استهزأ برسول الله ﷺ من عناهم الله تعالى بقوله : من سورة الحجر : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ \* الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ .

وها هي ذى أسمائهم عليهم لعائن الله ، مع بيان حالم ونهاية حياتهم :

(١) أبو هب<sup>(١)</sup> : وهو عبد العزى بن عبد المطلب وهو عم النبي ﷺ ، وكان من أشد الناس تكذيباً لرسول الله ﷺ وأكثرهم أذى له حتى إنه كان يطرح العذرة والنتن على باب النبي ﷺ إذ كان مجاوراً له ، وكان النبي ﷺ إذا وجد ذلك يقول : « أى جوارٍ هذا يا بني عبد المطلب؟ » ومر حمزة مرة بأبي هب وهو يطرح العذرة على باب النبي ﷺ فأخذها وطرحها على رأس أبي هب .

وكانت امرأته أم جميل العوراء مثله في عداوة الرسول ﷺ وشدة بغضه ، وقد لقبها الرحمن في كتابه : بحملة الخطب ، وهي القائلة :

مُدَمِّما<sup>(٢)</sup> عَصِينَا      وَأَمْرَهُ أَبِينَا      وَدِينِهِ قَلِّينَا<sup>(٣)</sup>

قالت هذا لما نزلت سورة المسد تحمل البشرى لها ولزوجها بالهلاك في الدنيا والخلود في النار في الآخرة ، فقد أتت تطلب الرسول ﷺ وفي يدها فهر أى حجر كبير على قدر الكف وتقف عليه ولم تره حيث ذهب الله يبصرها ، ورأت أبا بكر فقالت له : أين صاحبك؟ فقد بلغنى أنه يهجوني والله لو وجدته لضررت بهذا الفهر فاه ، أما والله إنى لشاعرة ، ثم قالت :

(١) نقلنا عن الكامل لابن الأثير بتصرف .

(٢) تعنى حمداً ﷺ وكان هذا صرفاً لها من الله تعالى عن اسم نبيه .

(٣) تركنا بعضين له .

مُذمِّماً عصينا و أمره ألينا ودينه قلينا

وأخذ الله جل جلاله أبا هب بحكة إذ أصابه بمرض خبيث يقال له مرض العدسة وكان ذلك يوم هزيمة المشركين بيدر ، فما إن بلغه خبر هزيمة قومه حتى أصيب بمرض العدسة ، فمات شرّ ميتة حتى إنهم لم يقدروا على تغسيله فصبوا عليه الماء من بعيد من شدة الرائحة الكريهة التي تفوح من جسمه الذي نضج وتهَّرَى<sup>(١)</sup> بصورة لم يُعرف لها نظير .

(٢) الوليد بن المغيرة الخزومي وهو القائل لقريش إن الناس يأتونكم في الحج فسائلونكم عن محمد فلا تختلف أقوالكم فيه بأن يقول بعض هو شاعر ، وأخر يقول هو كاهن و ... و ... ولكن قولوا كلمة واحدة هو ساحر ؛ لأنه يفرق بين المرأة وأخيه وزوجته وكان سبب هلاكه : أنه وطئ سهما فخدشه فورمت رجله ، ومات بذلك شرّ ميتة ، وكفى الله رسوله شره وشر كل مستهزئ بحبه عليه صلوات الله عليه .

(٣) أبو جهل عمرو بن هشام : الخزومي وكان من أشد الناس عداوة للرسول صلوات الله عليه واسمه عمرو ، وكتبه أبو الحكم ، وكانه المسلمين بأبي جهل لخبثه وسوء أفعاله وقيبح صنائعه ، هلك بيدر قتله ابنا عفرا ، واحتزّ رأسه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، إذ كان يعيده بابن راعية الغنم ، وهو القائل : لئن سب محمد آهتنا سبينا إلهه ، فأنزل الله تعالى من سورة الأنعام قوله : ﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَذْلًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ .

(٤) التضر بن الحارث : وكان من أشد الناس تكذيبا للنبي صلوات الله عليه وأذى له ولأصحابه ، وكان يقرأ كتب الفرس ويختلط اليهود والنصارى ، ولما سمع

(١) انسلخ وتساقط .

ذكر النّي المُنتظَر وقرب مبعشه قال : إن جاءنا نذير لنكونن أهدي من إحدى الأُمّ ، مصداق قوله هذا في قوله تعالى من سورة فاطر إذ قال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمُّ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادُهُمْ إِلَّا نُفُورًا \* أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمُكْرِرِ السَّيِّءِ وَلَا يَعْيَثُ الْمُكْرُرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ .

وهو القائل : ﴿ اللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بَعْدَابَ الْيَمِّ ﴾ . وهو المعنى بقوله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٍ بَعْدَابٍ وَاقِعٍ \* لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللّٰهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ وهو المعنى بقول الله تعالى من سورة لقمان : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهُو الْحَدِيثُ لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَخَذَهَا هُرُواً ﴾ الآية .

هلك هذا الطاغية بيدر إذ أسره المقداد بن الأسود ، وأمر الرسول ﷺ بضرب عنقه لكترة شره فقتله على رضى الله عنه .

(٥) عقبة بن أبي معيط : الأموي وكان من أشد الناس أذى لرسول الله ﷺ وعداؤه له وللمسلمين ، وهو الذي وضع سلي الجزور بين كتفى رسول الله ﷺ وهو يصلى عند البيت ورجالات قريش يضحكون ، حتى جاءت فاطمة وكانت جويرية صغيرة ففتحت عن رسول الله ﷺ ونالت منه سبًا وانصرفت رضى الله عنها وأرضها .

هلك هذا الطاغية الخبيث بيدر حيث أسر بها وصلب وهو أول مصلوب في الإسلام وكان أحيمرا أزرق العينين شبيه رسول الله ﷺ بعافر ناقة صالح قُدار بن سالف عليهم ما لعائن الله .

(٦) الأسود بن عبد يغوث : الزهرى كان من المستهزئين وكان إذا رأى فقراء المسلمين قال لأصحابه هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى ، وكان يقول للنبي ﷺ مستهزئا به : أما كُلُّمتَ اليوم من السماء يا محمد؟!

خرج عدو الله من أهلة يوما فأصابه السمو فاسود وجهه ، وأصابته الأكلة « مرض » فامتلا جسمه قيحا فمات شر ميتة ، فلا رحمه الله ، ولا حف عنه يوما عذابه .

(٧) الحارث بن قيس السهمي : وكان أحد المستهزئين بالنبي ﷺ الذين لا يبرحون يؤذونه طوال حياتهم ، وكان لجهله وشدة شغفه بالأوثان يأخذ الحجر يعبده ، فإذا غيره أحسن منه تركه وعبد غيره مما رأه أحسن في نظره . وكان يقول : قد غرّ محمد أصحابه وعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا إلا الدهر . وفيه نزل قوله تعالى من سورة الحجية : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هُوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَحَتَّمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشاوةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ \* وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظْنُونَ ﴾ وهلك هذا الطاغية الملحد الدهري بالذلة ، إذ أكل حوتا ملوحا فلم يزل يشرب حتى مات ، وقد امتلا رأسه قيحا فكانت موته شر ميتة وأنكرها .

(٩-٨) أبي وأمية ابنا خلف : وكانا من أشد الناس أذية لرسول الله ﷺ وعداؤه له ولأصحابه ، واستهزاء بدين الله ؛ إذ جاء أبي عليه لعائن الله إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم فقتله بيده وقال : زعمت أن ربك يحيي هذا العظم ! وفيه نزلت آية يس : ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعَظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ الآية . وضع عقبة بن أبي معيط طعاما ودعا إليه رسول الله ﷺ فقال : « لا أحضره حتى تشهد أن لا إله إلا الله » ففعل فأتاها رسول الله ﷺ فقال أمية بن خلف لعقبة أفلت كذا وكذا . فقال إنما قلت ذلك لطعامنا فنزلت آية الفرقان : ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الطَّالِمُ عَلَىٰ يَدِيهِ يَقُولُ يَا يَتَّسِّي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيِّلًا \* يُوَيْلَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَخْذُ فَلَمَا خَلِيلًا \* لَقَدْ أَضْلَلْتَنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾ .

و هلك أمية يوم بدر مرذولا مخزيًا شر مية ، وهلك أخوه أبى بطريق مكة  
إذ ضربه الرسول ﷺ بحرية فى ترقوته فى أحد فهلك بها فى طريقه إلى جهنم  
وبئس المصير .

(١٠) أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة : وكان من يؤذى النبي ﷺ ، ويعين  
أبا جهل على ذلك هلك بيدر على يد حمزة عم الحبيب ﷺ ، ورضي الله  
عن حمزة ومن ترضى عن حمزة موقدنا موحدًا لا يشرك بالله شيئا .

(١١) العاص بن وائل السهمي : والد عمرو بن العاص رضى الله عنه ،  
وكان من المستهزئين وهو القائل لما مات القاسم بن النبى ﷺ : إن محمدًا  
أبتر لا يعيش له ولد ذكر ، فأنزل الله تعالى فيه سورة الكوثر : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ \* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحِرْ \* إِنَّ شَانِئَكَ (١) هُوَ الْأَبْتَرُ﴾<sup>(٢)</sup> هلك العاص  
اسماً وسمى ، هلك بمكة بسبب لدغة في رجله انتفخت لها رجله حتى صارت  
كعن البعير فمات بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بشهر وكذا يوما .. هلك  
إلى جهنم وبئس المصير .

(١٢-١٣) ثيبة ومنبه أبا الحجاج السهميان : وكانا من المستهزئين المؤذين  
لرسول الله ﷺ والمؤمنين ، وكانا إذا لقيا رسول الله ﷺ يقولان له : أما  
وَجَدْ من يبعثه غيرك؟ إنها هنا من هو أحسن<sup>(٣)</sup> منك وأيسر<sup>(٤)</sup> . هلك كل  
منهما بيدر فقتل على رضى الله عنه منبهما ، والآخر لا يدرى من قتله فإلى  
سخط الله وعذابه دائمًا وأبدًا . وذلك جزاء المستهزئين .

(١٤) الأسود بن المطلب بن أسد : ويكنى أبا زمعة كان من المستهزئين

(١) أى مبغضك .

(٢) أى الناقص المقطوع النسل فقد انقطع نسله وخليد نسل محمد ﷺ إلى يوم القيمة .

(٣) أى أكبر منك سنًا .

(٤) أى أكثر منك مالاً وغنى .

إذ كان مع أصحابه يتغامرون بالنبي ﷺ وأصحابه ويقولون قد جاءكم ملوك الأرض ، ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر ويصفرون به ويصفقون لهؤا وضحكاً سخرية ، دعا عليه رسول الله ﷺ أن يعمي ويشكل<sup>(١)</sup> ولده . فعمى وشكل ولده ومات بمكة والناس يتجهزون لأحد وهو يحرض الكفار على الخروج مع ما هو عليه من المرض من شدة بغضه لرسول الله وأصحابه ودين الله فهلك أعمى أشكل إلى جهنم وبئس المصير .

(١٥) طعيمة بن عدّي بن نوفل : كان من يؤذون رسول الله ﷺ ويشتمونه ويكتذبونه أسر بيدر وقتل صبراً بها فإلى جهنم وبئس المصير .

(١٦) مالك بن الطلاطلة بن عمرو بن غبشان : كان من المستهزئين وكان سفيهاً فدعا عليه النبي ﷺ فمات بمكة بعدما امتلأ رأسه قيحاً فإلى جهنم وبئس المصير .

(١٧) ركانة بن عبد يزيد : وكان شديد العداوة للنبي ﷺ والاستهزاء به فقال يوماً للرسول ﷺ يا ابن أخي بلغني عنك أمر ولست بكذاب فإن صرعتني علمت أنك صادق . ولم يكن يقدر على صرعيه أحد ، فصارعه النبي ﷺ وصرعه ثلاث مرات ودعاه إلى الإسلام فأبى أن يُسلم وقال : لا أسلم حتى تدعو هذه الشجرة فقال لها رسول الله ﷺ : « أقْبِلْي » فأقبلت تخد<sup>(٢)</sup> الأرض ، فقال ركانة : ما رأيت سحراً أعظم من هذا ، مرها فلترجع . فأمرها ﷺ فعادت إلى مكانها ، فقال رُكَانَةُ هذا سحر عظيم . ولم يؤمن عليه لعائن الله .

قال ابن الأثير هؤلاء أشد عداوة لرسول الله ﷺ ومن عداهم من رؤساء

(١) أى يفقد ولده بموته .

(٢) تخد الأرض أى تشقاها .

قريش كانوا أقل عداوة من هؤلاء كعترة وشيبة ابى ربيعة وغيرهما .

وهناك جماعة كانوا شديدى الأذى والعداوة لرسول الله ﷺ وأصحابه ولكنهم آمنوا وأسلموا وحسن إسلامهم كأبي سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاص ، وعبد الله بن أبي أمية المخزومي أخي أم سلمة لأبيها رضى الله عنهما .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة من النتائج وال عبر ما نوجزه فيما يلى :

- (١) تقرير أن الاستهزاء بالله أو آياته أو رسوله كفر موجب للخلود في العذاب كما أن الاستهزاء بالمؤمنين موجب لغضب الله وسخطه على فاعله .
- (٢) بيان ما نال رسول الله ﷺ من أذى المشركين ، وكيف قابله رسول الله ﷺ بالصبر حتى نصره الله فأعزه وأعز دينه وأذل المشركين وأبطل دينهم .
- (٣) تقرير سنة الله في أن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالآمثل .
- (٤) بيان صدق وعد الله تعالى لرسوله في قوله : ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ فقد كفاه إياهم بأن أهلكهم كلهم والرسول ﷺ يشاهد هلاكهم ، وفي فترة وجيزة و زمن قليل .
- (٥) إن الآيات والمعجزات لاستلزم الإيمان فقد رأى ركانة أعظم آية وما آمن .

## أول هجرة في الإسلام

إنه بعد أن جهر رسول الله ﷺ بدعوته وكثر عدد المسلمين ازداد حَقُّ المشركين على المسلمين ، وبسطوا إليهم أيديهم وأستهم بالسواء . ورأى النبي ﷺ أنه غير قادر على حمايتهم فأذن لهم في الهجرة إلى الحبشة ، فقال لهم

— فداء أى وأمى — « لو خرجم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملِكًا لا يُظلم أحد عنده حتى يجعل الله لكم فرجًا ومحرجًا مما أنتم فيه » وقبل المسلمين العرض الكريم فخرجو من مكة فراراً بديهم يريدون بلاد السجاشي وذلك في شهر رجب سنة خمس من البعثة وهي السنة الثانية من إظهار الدعوة والجهر بها ، فوصلوها وكانوا قربة عشرة رجال منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول ﷺ ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ومعه امرأته سهلة بنت سهيل ، والزبير بن العوام فأقاموا بالحبشة شهرين شعبان ورمضان من سنة خمس من البعثة ، وعادوا إلى مكة في شوال ، وسبب عودتهم ما بلغهم من أن النبي ﷺ قد اصطلح مع قريش ، وأنه لم يبق اضطهاد للمسلمين من قبل المشركين لما تَمَ من الصلح بينهم وبين الرسول ﷺ .

وبسبب هذه الشائعة الكاذبة أن النبي ﷺ كان يقرأ حول الكعبة سورة والنجم فلما بلغ قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُ الْلَّاتِ وَالْعَزَّى وَمَنَّاةَ الْثَّالِثَةِ الْأُخْرَى ﴾ ألقى الشيطان في مسامع المشركين قوله : تلك الغرانيق العلا ، وإن شفاعتكم لترتحي فخيّل للمشركين أن النبي ﷺ هو الذي قالها ، وأنه بذلك قد امتدحها فلما سجد ﷺ في آخر السورة وهي سجدة من عزائم السجادات سجد المشركون معه حتى إن الوليد بن المغيرة وكان كبير السنّ أخذ كفأ من البطحاء وسجد عليه ، ثم تفرق الناس ، وبلغ الرسول ﷺ أن سجود المشركين كان من أجل ما ألقى الشيطان في مسامعهم من مدح للات والعزى مُوهماً إياهم أن النبي ﷺ هو الذي امتدحها فحزن لذلك رسول الله ﷺ وآلمه الخبر فأنزل الله تعالى تسلية له وتحفيقا عنه قوله من سورة الحج : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٌّ إِلَّا إِذَا ثَمَنَنِي ﴾<sup>(١)</sup> ﴿ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي نَسْخَ اللَّهِ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيَّاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(١) ثمنى هنا يعني قرأ وتلا ، وقد تكون يعني أحب وتشهى .

فسر بذلك رسول الله ﷺ وذهب عنه ما وجد في نفسه من الخوف والحزن بما أعلمته به ربّه من أنّ هذا الأمر جرى على سنة من سنته تعالى في أبيائه ورسله لحكم عالية يعلمها تعالى .

ولما قارب المهاجرون دخول مكة تبيّن لهم أن إسلام أهل مكة باطل ، وأن المشركين مازالوا على الشرك والكفر ، وأنهم قد ازدادوا قسوة وشدة على المسلمين فلم يدخلوا إلا بجوار ، أو في استخفاء ، وأقاموا بمكة بعد عودتهم إليها يتلقون الأذى ويعذبون ويضطهدون كما كانوا قبل هجرتهم وعودتهم فرأوا بذلك أن يعودوا إلى الحبشة مرة ثانية فعادوا وهاجر معهم خلق كثير بلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلا وهي الهجرة الثانية .

وبقي الحبيب ﷺ في مكة يدعو إلى ربّه سرّاً وجهراً صابراً موقنا بنصر الله له ولدعوته وهو يتعرض لأذى قريش كل يوم ، ومن أبرز ما سُجل في هذه الفترة من أذى نال رسول الله ﷺ ما حَدثَ به عمرو بن العاص رضي الله عنه ورواه عنه ابن الأثير وغيره من أصحاب السير وهو قوله : حضرت قريش يوماً بالحجر فذكروا النبي ﷺ وما نال منهم وصبرهم عليه ، فبينما هم كذلك إذ طلع النبي ﷺ ومشي حتى استلم الركن ثم مرّ بهم الثانية فغمزوه بعض القول ، فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى فلما مرّ بهم الثالثة غمزوه مثلها ، ثم الثالثة فقال لهم : « أتسمعون يا معاشر قريش ، والذى نفس محمد بيده لقد جنتكم بالذبح » فلم يتكلموا حتى لكان على رؤوسهم الطير ، وإن أشدتهم وصاة فيه لَيْرَقْوَه<sup>(١)</sup> بأحسن ما يجد . وانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر ، وقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم ، حتى إذا أتاكتم بما تكرهون تركتموه !!

---

(١) أي يقولون له من القول ما يجمل ويسعد به كقول بعضهم : انصرف أبا القاسم فوالله ما كت جهولا .

فَيُبَشِّرُهُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَثَبُوا إِلَيْهِ وَثَبَّتُهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ  
يَقُولُونَ : أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا .. فَيَقُولُ : « أَنَا الَّذِي أَقُولُ كَذَلِكَ »  
فَأَخْذَ عَقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيطٍ بِرَدَائِهِ ، وَقَامَ أَبُو بَكْرَ الصَّدِيقَ دُونَهُ يَقُولُ وَهُوَ يَبْكِي  
وَيَلْكُمْ أَنْ قُتِلُوكُمْ رِجَالًا أَنْ يَقُولُ رَبِّ اللَّهِ ، كَاتِبُكُمْ قَالُوكُمْ مُؤْمِنُ آلَ فَرْعَوْنَ ثُمَّ  
انْصَرُوكُمْ بَعْدَ مَا نَالُوكُمْ مِنْ الصَّدِيقِ مَا نَالُوكُمْ رَفِسًا بِأَرْجُلِهِمْ وَضَرِبًا بِأَيْدِيهِمْ .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نحملها فيما يأتي :

- (١) مشروعية الهجرة وهي الانتقال من بلد الكفر حيث تعذر على العبد أن يعبد الله إلى دار يتمكن فيها من عبادة الله تعالى بدون تعذيب .
- (٢) بيان أول هجرة وقعت في الإسلام وهي الهجرة الأولى إلى الحبشة .
- (٣) بيان فضل أصحاب الهجرة إلى الحبشة ومن بينهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله عليه السلام .
- (٤) بيان خطر الشائعات إذ بها رجع المهاجرين ولا أقوا ما لاقوا من العذاب حتى اضطروا إلى الهجرة مرة ثانية .
- (٥) تقرير قصة الغرانيق ، وأن من العجب أن يكذب بها أناس مجرد الخوف من أن يقال : إذا صحت قصة الغرانيق فمن الجائز أن يكون الشيطان قد أدخل في القرآن ما ليس منه وهو وهم بحث شبيه بهم الروافض الفائلين بأن جبريل بَدَلَ أَنْ يَأْتِي عَلَيْهَا بِالْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ أَنْ يَأْتِي بِهِمَا مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إذ لازم هذا أن الله تعالى عاجز ونسبة العجز إلى الله كفر وكذب وباطل ؛ إذ لا يمكن أن يقع في الكون غير ما يريد الله سبحانه وتعالى .

ولو فرضنا أن الشيطان ألقى بكلمة أو كلمات في قراءة الرسول عليه السلام أليس الله قادرًا على تبيينها وإبطالها ؟ بل وكيف وقد قال : ﴿فَإِنْ يَأْتِهِمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾

عَلَى قَبْلِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحَقِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١﴾  
وَكَيْفَ وَقَالَ فِي سِيَاقِ الْآيَةِ : ﴿٢﴾ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ  
أَيْمَانِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٣﴾ .

والذى ينبغي أن يعلم هنا هو أن الرسول ﷺ لم ينطق بكلمة تلك الغرانيق  
وما بعدها ، وإنما الذى نطق بها الشيطان فأسمع صوته أولياءه من المشركين  
ليقوا على اعتقادهم الفاسد في آهتهم من اللات والعزى .

ولذا لما سجد النبي ﷺ سجدوا معه كما هو في صحيح البخارى رحمه  
الله تعالى . وأحسن ما قيل في قصة الغرانيق هو قول الحافظ ابن حجر في  
الفتح ، وما ذكرناه هنا لا يختلف معه . والله أعلم ، وأعز وأحكم ، وصل  
الله على نبيه محمد وآل وصحبه وسلم .

## إرسال قريش وفدًا إلى النجاشي

لما علمت قريش باستقرار المهاجرين بالحبشة ، وإيواء ملكها لهم ، وإكرامه  
لهم خافت عواقب ذلك ، فكانت وفداً من عمرو بن العاص السياسي المشهور  
وعبد الله بن أبي أمية ، وحملتما هدية فاخرة إلى الملك النجاشي وإلى أعيان  
رجاله ل تستميلهم نفسياً فيردوا المهاجرين قسراً إلى مكة ل تعذيبهم وتعويقهم عن  
آية حركة إيجابية تتصر بها دعوة الإسلام .

ووصل الوفد يحمل الهدايا وقدّمها فعلاً إلى النجاشي وأعيان رجال الحكم ،  
إلا أن الوفد بدأ في تقديم الهدايا بأعيان رجال النجاشي وأخره هو ، سياسة  
منه ليحصل على دعم الأعيان عند مطالبة الملك برد المهاجرين إلى مكة .

ولما فرغ الوفد من تقديم الهدايا تكلم عمرو وقال للملك ورجاله : إن ناسًا  
من سفالئنا فارقوا دينهم وجاءوا بدين جديد مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت .

وما إن فرغ عمرو من كلامه حتى أشار أصحاب النجاشي بتسليم المهاجرين إلى وفد قريش متأثرين بالهدايا ، وما واعدوا به الوفد من المساعدة .

وهنا قال النجاشي : لا ، والله لا أسلم قوما جاوروني ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواى حتى أدعوهم وأسأ لهم عما يقول هذان ، فإن كانا صادقين سلمتهم إليهما ، وإن كانوا على غير ما ذكر هذان منعهم ، وأحسنت جوارهم .

ثم أرسل النجاشي إلى المهاجرين أصحاب النبي ﷺ فحضروا وهم ممعون على أن يقولوا الحق سواء سره أو أساءه ، وكان المتكلم عنهم جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال لهم النجاشي : ما هذا الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملل ؟ فقال جعفر : أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبة وصيقه وأمانته وعفته فدعانا لتوحيد الله ، وأن لا نشرك به شيئا ، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم ، وأمرنا بالصلوة والصيام ، وعدّد عليه أمر الإسلام ، فآمنا به وصدقناه ، وحرمنا ما حرم علينا ، وحللنا ما أحل لنا ، فتعذر علينا قومنا فعدبنا وفتونا عن ديننا ليروننا إلى عبادة الأوّثان . فلما قهروا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك عن سواك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك . وهنا نطق الملك وقال هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟ قال نعم فقرأ عليه قرآننا ، فبكى النجاشي وبكي أسايقته ، وقال النجاشي : إن هذا الذي جاء عيسى يخرج من مشكاة واحدة ، وقال لزجي الوفد انطلقا ، والله لا أسلمهم إليكما أبدا .

فلما خرجا قال عمرو والله لآتينه غدا بما يُبيّد حضراءهم فقال له عبد الله

لَا تَفْعِلْ إِنْ لَهُمْ أَرْحَامًا ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَتْقَى مِنْ عُمْرُو .

فَلَمَّا كَانَ الْغَدِ أَتَيَا النَّجَاشِيَّ وَقَالَ لَهُ عُمْرُو : إِنَّ هُؤُلَاءِ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مُرِيمٍ قَوْلًا عَظِيمًا ، فَأَرْسَلَ النَّجَاشِيَّ إِلَيْهِمْ فَجَاءُوهُمْ فَسَأَلُوهُمْ عَنْ قَوْلِهِ فِي الْمَسِيحِ ، فَقَالَ جَعْفَرٌ : نَقُولُ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ نَبِيًّا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلْمَتُهُ أَقْلَاهَا إِلَى مَرِيمَ الْعَدْرَاءَ الْبَتُولَ ، فَأَخْذَ النَّجَاشِيَّ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ وَقَالَ : مَا عَدَا عِيسَى مَا قَلْتَ هَذَا الْعَوْدَ ، فَنَخَرَتْ<sup>(١)</sup> بِطَارِقَتِهِ فَقَالَ لَهُمْ : وَإِنْ نَخَرْتُمْ ، وَقَالَ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ أَذْهَبُوا فَائِنْتُمْ آمِنُونَ ، مَا أَحَبُّ أَنْ لَيْ جَبَلاً مِنْ ذَهَبٍ وَأَنْتَيْ آذَيْتَ رِجْلًا مِنْكُمْ !!

وَرَدَ هَدِيَّةً قَرِيشَ وَقَالَ مَا أَخْذَ اللَّهُ الرُّشُوْةَ<sup>(٢)</sup> مَتَى حَتَّى آخِذُهَا مِنْكُمْ ، وَلَا أَطْاعُ النَّاسَ فَيَ حَتَّى أَطِيعُهُمْ فِيهِ وَأَقَامُ الْمُسْلِمُونَ بِخَيْرِ دَارٍ ، وَأَحْسَنُ جَوَارَ .

### نتائج وعبر :

إِنَّ هَذِهِ الْمَقْطُوْعَةِ مِنَ السِّيرَةِ الْعَطْرَةِ نَتَائِجٌ وَعَبْرًا نَوْجِزُهَا فِيمَا يَلِي :

- (١) بِيَانِ أَنَّ ظَلْمَ قَرِيشَ لِلْمُسْلِمِينَ يَلْعُنُ حَدًّا لِمَا يَتَجَاوزُهُ ظَلْمُ عِرْفِ الْعَرَبِ فِي بِلَادِهِمْ .
- (٢) بِيَانِ خَيْرَةِ وَفَدِ قَرِيشَ وَفَشْلِهِ فِي مَهْمَتِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَحْارِبُ اللَّهَ فِي أُولَائِهِ وَمَنْ يَحْارِبُ اللَّهَ يُهْزَمُ ، وَيَخْسِرُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .
- (٣) بِيَانِ كَالِّ جَعْفَرِ بْنِ أَنَّى طَالِبِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ فَرَضَى اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .
- (٤) بِيَانِ كَالِّ أَصْحَمِ النَّجَاشِيِّ إِيمَانًا وَعِلْمًا وَكَرْمًا وَحَسْنَ جَوَارَ ، فَرَحْمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً .
- (٥) حِرْمَةُ الرُّشُوْةِ وَسُوءُ أَحْوَالِ أَهْلِهَا مَعْطِينَ وَآخِذِينَ .

(١) يَقَالُ نَخْرٌ إِذَا رَفَعَ صَوْتَهُ بِجِيشِهِمْ .

(٢) يَرِيدُ حِينَ رَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلْكَهُ .

## هجرة أبي بكر الصديق الأولى

إن أبو بكر لما هاجر ذلك العدد الكبير من المسلمين إلى بلاد الحبشة وراء اشتداد ضغط المشركين على المسلمين مع قلة الناصر ، وإنه لم يقدر على أن يدفع عن أحد من المسلمين قرار الهجرة إلى الحبشة ، وفعلا استأذن الرسول عليهما السلام فأذن له ، فخرج حتى إذا سار مسافة قرابة اليومين من مكة لقيه ابن الدُّغْنَة وهو يومها سيد الأحابيش<sup>(١)</sup> ، فقال له : إلى أين يا أبو بكر ؟ قال : أخرجنى قومى ، وأذونى وضيقوا علىى . فقال ابن الدُّغْنَة : ولم ؟ فوالله إنك لتزرين العشيرة ، وتعين على التواب ، وتفعل المعروف ، وتكتسب المعدوم ارجع فأنت في جوارى ، فرجع معه حتى إذا دخل مكة . قام ابن الدغنه فقال : يا معاشر قريش إنى قد أجرت ابن أبي قحافة ، فلا يعرضن له أحد إلا بغير ، وحييئذ كفوا فلم يعرضوا له بسوء .

وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره يصلى فيه ويقرأ القرآن فيики فيفف عليه الصبيان والعيid والنساء يعججون لما يرون من هيئته وبكمائه وقراءته ، وبلغ قريشاً ذلك فأتوا إلى ابن الدُّغْنَة ، وقالوا له : إنك لم تحر هذا الرجل ليؤذينا ؛ إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويكي ، وكانت له هيبة ، فتحن تخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتحهم ، فأتاه فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ماشاء ، فذهب ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال له : يا أبو بكر إنى لم أجرك لتؤذى قومك ؟ إنهم قد كرهوا مكانك الذى أنت فيه ، وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحبت . فقال أبو بكر أو أرد عليك جوارك

---

(١) الأحابيش هم بنو الحارث من كنانة ، والهُبُون بن خزيمة بن مدوكة وبنو المصطلق بن خزاعة تحالفوا جميعاً بoward يقال له الأحابيش يطعن مكة فقيل لهم الأحابيش .

وأرضى بجوار الله ؟ قال فاردد على جوارى ، قال فرددته ، ققام ابن الدغنة فقال : يا معاشر قريش إن ابن أبى قحافة قد رد على جوارى فشأنكم بصاحبكم . فمرّ بأبى بكر وهو عائد إلى الكعبة سفيه من سفهاء قريش فخشى على رأس أبى بكر ترأبا ، ومرّ بأبى بكر رجل من قريش ولعله الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل ، فقال له أبو بكر : ألا ترى ما يصنع هذا السفيه ؟ فقال : أنت فعلت ذلك بنفسك ، ومضى أبو بكر وهو يقول : أى ربّ ما أحلمك ، أى ربّ ما أحلمك ، أى ربّ ما أحلمك !!

### نتائج وعبر :

هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نجملها فيما يأتي :

- (١) هجرة أبى بكر مثل حُى لكل مؤمن يضطهد في بلده ، فيخرج منه طالباً لعزة نفسه وحرية عمله الإسلامي .
- (٢) بيان فضل أبى بكر ، وما كان عليه من الإيمان والتقوى .
- (٣) في رد أبى بكر جوار ابن الدغنة ورضاه بجوار ربّه مثل عال في التوكل على الله تعالى .
- (٤) وقول أبى بكر ربّ ما أحلمك ثلاثة بعد ما وضع السفيه على رأسه التراب وشكاته إلى الرجل القرشى ورده عليه بقوله : أنت فعلت ذلك بنفسك عبرة لكل مؤمن يضطهد في ذات الله ، فيصبر على أذى قومه ، يتضرع عقوبة الله تحل بالظالمين .

### في شعب أبى طالب

إنما لما رأت قريش انتشار الإسلام وكثرة من يدخل فيه ، وبلغها ما لقى المهاجرون في بلاد الحبشة من إكرام وتأمين مع عودة وفدها خائباً لم يحصل على طائل ، اشتد حنقها على الإسلام والمسلمين ، فقامت باتخاذ إجراء انتقام

ظام جائز ، ما كان لها أن تتخذه لو لا ما أصابها من خيبة أمل جعلها تفكير هذا التفكير و تعمل هذا العمل الشرير .

اجتمع رجالها و اتخذوا قراراً بكتابة كتاب يتعاقدون فيه على بنى هاشم و بنى المطلب . على أن لا ينکحوا إليهم ولا ينكحونهم ولا يبيعونهم شيئاً ولا يتعاونوا منهم ، وفعلاً كتبوا صحيفة بذلك ، وتعاهدوا عليها وتوافقوا ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة تأكيداً لأمرهم بذلك . وكتب الصحيفة منصور ابن عكرمة بن عامر فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلت يده .

ولما فعلت قريش هذا الفعل القبيح الجائر انحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى شعب أبي طالب ، ودخلوا فيه برجالهم ونسائهم وأطفالهم ، إلا ما كان من الطاغية أبي هب ، فإنه لم يدخل معهم ؛ لأنه ظاهر قريشاً على عملهم الإجرامي هذا . وكانت سنة سبع من البعثة واستمر الحصار في الشعب لبني هاشم وبنى المطلب ثلاث سنوات ، عانوا فيها الجوع والحرمان ما لا يخطر ببال ، إنهم من شدة الجوع أكلوا ورق الشجر ، وكان يسمع من بعيد بكاء أطفالهم من الجوع .

ولما أراد الله تعالى تفريح كربلاً بعد أن ضربوا الرقم القياسي في الصبر والاحتسب قيس الله جل جلاله رجالاً من ذوى المروءة والحسب وعلى رأسهم هشام بن عمرو بن ربيعة إذ هو الذي مشى إلى رجال من قريش عرف فيهم عدم رضاهم على قرار قريش الجائر ، فاستشار شعورهم وحملهم على أن يتعاونوا على نقض الصحيفة ، و كانوا خمسة رجال ، ولما اجتمعت قريش في أنديتها قام أحدهم وهو زهير بن أبي أمية وأقبل على الناس وقال : يا أهل مكة أنا كل الطعام ، ولنيس الشياطين وبنو هاشم هلكي لا ينفع لهم ولا ينفع منهم ، والله لا أقعدن حتى تشق هذه الصحيفة الظالمه وقام أحد الرجال الخمسة فقال مثل ما قال الأول ، وقام ثالث مؤيداً ، وقام رابع بنفس الروح ، وتقدم المطعم

ابن عدى إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا كلمة «باسمك اللهم» وكان أبو جهل يسمع ويرى ما يجري في القضية فلم يتمالك العين حتى قال : هذا أمر دبر بليل .. ومزقت الصحيفة وبطل مفعولها ، ويومئذ خرج بنو هاشم وبنو المطلب من الشعب .

ومن آيات النبوة أن النبي ﷺ أخبر عمّه أبو طالب بأن الأرضة قد أكلت كلمات الباطل والجور فيها وأبقيت كلمة الحق فيها وهي «باسمك اللهم» وكان الأمر كذلك ، فإنهما لما انتزعوا الصحيفة من جدار الكعبة لم يجدوا فيها إلا جملة «باسمك اللهم» وبذلك وبحكم أبو طالب على صنيعهم فطأطأوا رؤوسهم ولم يحببوا بشيء ، وقال في هذا أبو طالب شرعاً : وهو قوله :

متى ما يُخْبَرُ غَايَّ الْقَوْمِ يُعْجِبُ وَمَا نَقَمُوا مِنْ نَاطِقٍ حَقٌّ مُّرِبٌ وَمَنْ يَخْتَلِقُ مَا لَيْسَ بِالْحَقِّ يَكْذِبُ	وَقَدْ كَانَ فِي أَمْرِ الصَّحِيفَةِ عَبْرَةً مَحِّيَ اللَّهُ مِنْهَا كُفَّارُهُمْ وَعَقُوقُهُمْ فَأَصْبَحَ مَا قَالُوا مِنَ الْأَمْرِ بَاطِلًا
--	---

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرها كالتالي :

- (١) بيان ما وصلت إليه قريش في الظلم والتعدّف والجور ، وذلك باتخاذها قرار المقاطعة الجائر المادم لكل خلق وقيمة إنسانية .
- (٢) بيان ما لقى رسول الله ﷺ والمؤمنون من أذى واضطهاد من كفار قريش .
- (٣) بيان صبر المؤمنين وجدهم وذلك في ذات الله عز وجل .
- (٤) بيان أن أهل المروءة والكرم لا يخلو منهم زمان ولا مكان ، والحمد لله .
- (٥) تجلّى آية النبوة الحمدية في أكل الأرضة الصحيفة الجائرة إلا اسم الله

تعالى ، وإن جبار الرسول ﷺ بذلك ، فكان الأمر كما أخبر إذ نرعت الصحفة  
فلم يجدوا فيها إلا جملة « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » وما عدا ذلك أكلته الأرضة .

اشتَدَادُ حُلُوكَةِ الْلَّيَالِيِّ وَالْأَيَامِ  
عَلَى الْحَبِيبِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ  
وَأَزْكَى السَّلَامِ

إنه ما إن انفرجت تلك الأزمة الخانقة بالمحاصر في شعب أبي طالب التي  
دامـتـ ثـلـاثـ سـنـوـاتـ تـقـرـيـباـ حتـىـ رـزـىـ عـلـيـهـ بـأـعـظـمـ رـزـىـ ،ـ إـنـهـ وـفـاةـ أـبـيـ طـالـبـ  
الـعـمـ الـكـافـلـ وـالـطـوـدـ الـأـشـمـ المـانـعـ ،ـ وـالـأـسـدـ الـخـامـىـ وـالـحـصـنـ الـوـاقـ .ـ وـوـفـاةـ  
خـدـيـجـةـ وـمـنـ هـىـ خـدـيـجـةـ ؟ـ إـنـهاـ الـمـلاـذـ بـعـدـ اللهـ ،ـ وـالـأـنـيـسـ بـعـدـ ذـكـرـهـ ،ـ إـنـهاـ كـانـتـ  
تـؤـمـنـ إـذـاـ خـافـ ،ـ وـتـؤـنـسـ إـذـاـ اـسـتوـحـشـ ،ـ تـرـيـحـهـ بـعـدـوـبـةـ حـدـيـثـهـ إـذـاـ تـعبـ ،ـ  
وـتـسـدـدـهـ بـصـائـبـ رـأـيـهـ إـذـ قـلـقـ أوـ اـضـطـربـ .ـ

مرض أبو طالب مرضه الذي توفي فيه ، وعلم به كفار قريش فجاءوا  
يطلبون منه أن يفاوض لهم ابن أخيه عليهم يظفرون بصلح معه قبل وفاته ،  
فبعث أبو طالب إلى النبي ﷺ فحضر ، فقال له يا ابن أخي هؤلاء أشراف  
قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليرأخذوا منك ، فقال رسول الله ﷺ :  
« نعم كلمة واحدة ثعنونها تكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم » ،  
قال أبو جهل : وأيكم وعشـرـ كلمـاتـ .ـ قال ﷺ : « تقولون لا إله إلا  
الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه » فصفقوا بأيديهم وقالوا أتريد يا محمد  
أن يجعل الآلة إلهاً واحداً ، إن أمرك لعجب . ثم قال بعضهم لبعض إنه والله  
ما هذا الرجل الذي يعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين  
آباءكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ، ثم تفرقوا وفيهم نزلت الآيات الأولى من  
سورة « ص » ﴿ صَ وَالْقُرْآنُ ذِي الدُّكْرِ ﴾ إلى قوله ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا  
احْتِلَاقٌ ﴾ .

واشتد المرض بأبي طالب فعاده الرسول ﷺ فوجد عنده بعض المشركين عرض عليه الشهادة فقال : « يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله يوم القيمة » فنظر أبو طالب إلى أشياخ الشرك حوله فقالوا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال : هو على ملة عبد المطلب<sup>(١)</sup> ، ومات فحزن الرسول ﷺ ، فقال : « لاستغفرون لك ما لم أنه عن ذلك » فأنزل الله تعالى من سورة التوبة : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ .

وأخبر هو ﷺ بعد : أنّ عمّه أبو طالب في ضحاضاح من نار يصل إلى كعبه يغلى منه دماغه .

وبعد خمسين يوماً من موته أتى طالب تقريرًا ماتت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضاها ، وتتابعت المصائب على رسول الله ﷺ واشتد الكرب وعظم الحزن . مات العم الذي كان عضداً قوياً لرسول الله ﷺ ، وكان حرزًا منيعًا ، وماتت بعده خديجة المؤنسة ساعة الوحشة ، والمؤمنة المطمئنة ساعة القلق والخوف وخلت الساحة للمشركين فأخذوا ينالون من رسول الله ﷺ ما لم يكونوا ينالونه من قبل ، فقد رموا بالأقدار عليه ، وعلى باب داره بل وداخل الدار حتى رموا بالقدر في القدر الذي يطيخ فيه .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نوجزها في التالي :

(١) بيان سنة وفاة كل من أتى طالب وخديجة رضي الله عنها وهي سنة عشر منبعثة .

(٢) ذكر آخر عرض عرضه المشركون على رسول الله ﷺ للصلح ؛ ولم

(١) وفي هذا نزل قوله تعالى من سورة القصص : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَنْهَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَفْلَمُ بِالْمَهْتَدِينَ ﴾ .

يفلحوا لأنهم مصرون على الشرك .

(٣) بيان سبب نزول آيات : ص ، والتوبه ، والقصص فالأولى في المصالحة الفاشلة والثانية والثالثة في أئم طالب ، الثانية في عدم الاستغفار له ، والثالثة في تسلية الرسول ﷺ وحزنه على موته على الشرك .

(٤) تتابع المصائب على الحبيب ﷺ كان مؤذناً بالفرح القريب .

(٥) فيما أصاب رسول الله ﷺ من مصائب عزاء لكل مؤمن فيما يصبه في هذه الحياة من بلاء ومصائب مهما عظمت إذ رسول الله ﷺ أسوة المؤمنين والمؤمنات .

### خروج الحبيب ﷺ

#### إلى الطائف بطلب النصرة لدينه

وبعد أن فقد رسول الله ﷺ عمه أبا طالب الذي كان عضده القوى ، وحماه المنبع خرج إلى الطائف يطلب ناصراً من ثقيف بنصره على قومه ، ويعينه على إبلاغ دعوته ، خرج وهو راجحاً أن يقبل أهل الطائف منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، ولما وصل الطائف قصد ثلاثة أنفار من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرافها ، وهم الإخوة الثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ومسعود ، وحبيب ، وكان عند أحدهم امرأة من قريش فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله ، وكلهم بما جاءهم من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال أحدهم : هو يمرط<sup>(١)</sup> ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك !! وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك !!

وقال الثالث : والله لا أكلمك كلمة أبداً ، لئن كنت رسول الله ﷺ كما

(١) يمرط ثياب الكعبة أي ينزعها ويلقها بعيداً عنها ، وهو إثم عظيم في نظره ، وهو إثم ولكن تكذيب لرسوله وسخرية به وإغراء السفهاء به أعظم .

تقول لأنك أعظم خطراً من أن أرداً عليك ، ولكن كنت تكذبُ على الله ما ينبغي أن أكلمك !!

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وهو يائس من خير ثقيف ، وقد طلب إلى الإخوة الثلاثة أن لا يذكروا ما دار بينه وبينهم إلى قريش فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم و عبيدهم يسبونه ويصيرون به بالحجارة حتى أدموا عقيبه ، وألحاواه إلى حائط « بستان » لابني ربيعة عتبة وشيبة ، وعمد ﷺ إلى ظل شجرة عنب فجلس تحتها مستظلاً بها فلما اطمأن وسكت نفسه قال : « اللهم إلينك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس . يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمنى<sup>(١)</sup> أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي . أعود بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي خضبك ، أو يحلّ علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوّة إلا بك ». .

ولما فرغ ﷺ من مناجاته ربه عز وجل ورأه ابنها ربيعة عتبة وشيبة دعوانا غلاماً لهما يقال له عداس وأمرأه أن يأخذ قطفاً من عنب فيضعه في طبق ثم يذهب به إلى رسول الله ﷺ ، فيضعه بين يديه ، ويقول له : كُلْ من هذا ، ففعل عداس فلما وضع الرسول ﷺ فيه يده قال : « باسم الله » ثم أكل فنظر عداس في وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما ي قوله أهل هذه البلاد ، فقال رسول الله ﷺ : « ومن أهل أيِّ البلاد أنت يا عداس ؟ وما دينك ؟ » قال : نصراني وأنا رجل من أهل نَيْنَوَى ، فقال رسول الله ﷺ : « من قرية الرجل الصالحة يونس بن متى ». فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن

(١) يتجهمنى : يعبس في وجهى ويرىنى ما أكره .

مئى ؟ . فقال رسول الله ﷺ « ذاك أخى كأن نبئ وأنا نبئ » . فاكتبه عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ، ويديه وقدميه .

وهنا نظر ابنا ربيعة أحدهما للآخر وقال له : أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما عداس قالا له : ويحك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال يا سيدى ما في الأرض شىء خيراً من هذا ، لقد أخبرنى بأمر لا يعلم إلا نبئ ، فقالا له : ويحك يا عداس لا يصرفتك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه .

وانصرف رسول الله ﷺ عائداً من الطائف بعد أن أيس من خير ثقيف ، حتى إذا كان بنخلة<sup>(١)</sup> قام من جوف الليل يصلى ، فمرّ به نفر من الجن الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الأحقاف في قوله : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَعْمِلُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَصْنِعْنَا هَذَا.. وَهُم مِنْ جِنِّ نَصِيبِنَ﴾<sup>(٢)</sup> و كانوا سبعة نفر وحملوا رسالة الله تعالى إلى قومهم منذرين ، كما نزلت سورة الجن في شأنهم أيضاً وفيها من أخبارهم الكثير .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نذكرها إزاء الأرقام الآتية :

(١) بيان ثبات الرسول ﷺ وعدم يأسه مهما عظم البلاء ، يدل على ذلك خروجه إلى الطائف يطلب النصرة .

(٢) بيان أن النبي ﷺ كان حكيمًا بل أستاذًا في الحكمة ، فانظر كيف اختار النفر الثلاثة إذ كانوا سادة ثقيف فلو أجابوا دعوته لأجابت كل أهل الطائف ، فلما رفضوها علم أن غيرهم سيرفضها فلذا لم يتصل بأحد غير النفر الثلاثة .

(١) مكان بين مكة والطائف .

(٢) مدينة بالشام .

(٣) بيان سوء معاملة أهل الطائف ومع هذا لم يدع عليهم ﷺ بل دعا لهم ، فقال « اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم » واستجواب الله تعالى له فيهم فأتوا بعد حصارهم وأمنوا وأسلموا .

(٤) بيان فضل عداس ، وشهادته بنبوة رسول الله ﷺ .

(٥) بيان مكان لقاء الجن النبي ﷺ ، وحملهم رسالة الإسلام إلى أقوامهم .

## الإسراء بالحبيب ﷺ والعروج به إلى الملائكة الأعلى

نبأ الحديث باسم الله ثم بالسؤال التالي :

متى كان الإسراء والمعراج ؟

إنه في السنة العاشرة من سنىبعثة النبوية ، إنه — الإسراء والمعراج — كان مكافأة ربانية على ما لاقاه الحبيب ﷺ من أتراح وألام وأحزان ؛ إذ كان بعد حصار دام ثلاثة سنوات في شعب أولى طالب . وما لاق أثناءه من جوع وحرمان ، إنه كان بعد فقد الناصر الحميم ، وقد خديجة أم المؤمنين إنه كان بعد خيبة الأمل في ثقيف ، وما ناله من سفهائها وصيانتها وعبيدها .

بعد هذه الآلام كافأ الحبيب حبيبه فرفعه إليه وقربه وأدناه ، وخلع عليه من حل الرضا ما أنساه كل ما كان قد لاقاه ، من حزن وألم ونصب وتعب ، وما قد يلاقيه في سبيل إبلاغ رسالته ونشر دعوته ، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما ذكر الله الذاكرون ، وما غفل عن ذكره الغافلون .

وكيف كان الإسراء ؟

لقد كان الإسراء من بيت أم هانيٍ حيث أخرج الحبيب منه إلى المسجد الحرام إلى مابين الحجر والخطيم حيث أجريت له عملية شق الصدر فأخرج

القلب وغسل يماء زمزم المبارك ، ثم أتى بسطت من ذهب مملوء إيماناً وحكمة فمحشى القلب بذلك الإيمان وتلك الحكمة ثم أعيد القلب كما كان . ثم أتى بدابة وهي البراق ، فركبه إلى بيت المقدس ، فربطه في حلقة باب المسجد ، ودخل المسجد فصل فيه ، ثم وضع له معراج متذ ما بين السماء والأرض ، فخرج بصحة أخيه في الرسالة جبريل عليه السلام ، فانتهيا إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل ، فسئل عنده معه ؟ ، فأخبر أنه محمد ﷺ وقد أذن له ، ففتح لها .

وهكذا سماء بعد سماء حتى انتهي إلى السماء السابعة ، وقد لاقاهما في كل سماء مقربوها من الملائكة والأنبياء ، فلقيا في الأولى آدم عليه السلام وفي الثانية يحيى وعيسى عليهما السلام وما ابنا الخلقة ، وفي الثالثة يوسف عليه السلام ، وفي الرابعة إدريس عليه السلام ، وفي الخامسة هارون عليه السلام وفي السادسة موسى عليه السلام ، وفي السابعة إبراهيم عليه السلام .

وكان ﷺ يلقى في كل سماء من الترحيب ما تقرب به عينه وينشرح له صدره ، وتطيب به نفسه ، وهو لذلك أهل ، ثم رفعت له سدرة المنتهى وإذا ورقها كاذان الفيلة ، ونبتها كقلال هجر ، وغشها عند ذلك أمورٌ عظيمة ، وألوان متعددة باهرة ، وركبتها الملائكة مثل الغربان على الشجرة كثرة ، وفراش من ذهب ، وغشها من نور الرب جل جلاله ما غشها ورأى ﷺ في هذا المكان جبريل عليه السلام وله ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين السماء والأرض : وهذا مادل عليه قوله تعالى من سورة النجم : ﴿ وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى \* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَّهَى \* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى \* إِذْ يَعْشُى السُّدْرَةَ مَا يَعْشَى \* مَا زَاغَ<sup>(١)</sup> الْبَصْرُ وَمَا طَغَى ﴾ إذ ثبت ينظر إلى المكان الذي حدد له النظر إليه فلم يتجاوزه ، وهذا غاية الأدب منه ﷺ . كما رفع

(١) ما مال بینا ولا شما .

له البيت المعمور فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك . ثم أُوقى بإثناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذ اللبن ، فقيل له : هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك .. ثم رفع واؤتني حتى انتهى إلى مستوى سمع فيه صرير الأفلام ، وهنا قربه ربّه وناجاه ، وإن لم يره ، لأنّه نور كيف يراه .

وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس ، ولما رجع عائداً مَرْ بِموسى عليه السلام فسألها فأخبره فطلب إليه أن يعود إلى ربّه يسائله التخفيف ؛ لأنّ موسى جرّببني إسرائيل ولم يجد لهم عزماً فخشى أن يحصل لأمة محمد ما حصل لأمته ، فعاد الحبيب ﷺ إلى حبيبه جل جلاله وعظم سلطانه يسائله التخفيف ؛ إذ فرضها أولاً خمسين صلاة ، فما زال يراجعه سائلة التخفيف حتى كانت خمساً بدل الخمسين<sup>(١)</sup> .

ونزل الحبيب ﷺ صحبة جبريل عليه السلام إلى بيت المقدس ، فنزلت الأنبياء يشيرون الحبيب ﷺ فصلّى بهم صلاة الصبح بالمسجد الأقصى . وركب البراق حيث تركه مربوطاً بحلقة الباب ، وعاد إلى مكة في صبيحة تلك الليلة ، وقد ذهب عنه ﷺ كل كرب وغم وحزن وهم ، وعاد أوفر ما يكون ثقة وطمأنينة ، وتلك ثمرة هذه الرحلة المباركة إلى الملوك الأعلى ، إذ رأى فيها بأم عينيه ما كان أخباره وتلقاه وحياً من ربّه فصدق الخبر ، وما رأه كمن سمع ، والحمد لله ذي الإنعام والجلال والإكرام وكيف قابلت قريش هذا النبأ العظيم ؟

إنه ﷺ قد عاد إلى المسجد الحرام وجلس فيه وهو لا يدرى بم تقابل قريش هذا النبأ العظيم ، والحدث الجلل ، فما زال جالساً حتى مَرْ به أبو جهل

(١) أتى بيان هذه الصلوات الخمس من حيث الوقت والكيفية فقد نزل جبريل بعد ذلك وصل بالرسول والمؤمنين عند الكعبة يوماً وليلة فعلمهم الكيفية والوقت المطلوب لأداء الصلوات الخمس ، كما في الموطأ والصححين .

عليه لعائن الله فسائله قائلاً مستهزئاً : هل استفدت الليلة شيئاً؟ فأجاب المصطفى : «نعم أُسرى في الليلة إلى بيت المقدس». قال أبو جهل : ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال النبي عليه السلام «نعم». فقال أبو جهل : أخبر قومك بذلك؟ فقال النبي عليه السلام : «نعم». فقال أبو جهل : يا معاشر بنى كعب بن لؤي هلموا . فأقبلوا فحدثهم النبي عليه السلام فمن مصدق ، ومن مكذب مصدق واضح يده على رأسه استعظاما للخبر وإنكارا له ، وتعجب منه.

ولشدة ما أثار الخبر من سخريّة وتعجب ارتد بعض من آمن ولم يرسخ إيمانه في قلوبهم ولم تختلط بشاشته قلوبهم .

ومشي رجال من المشركين المستهزئين إلى أبي بكر الصديق ، وقالوا له إن صاحبك يزعم أنه أُسرى به إلى بيت المقدس ، فقال الصديق : إن كان قال هذا فقد صدق ! إنني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه في خبر السماء يأتيه في غدوة أو روحـة . فلقب أبو بكر بالصديق من يومئذ .

واجتمع رجال من قريش وأرادوا امتحان النبي عليه السلام فقالوا له : انعت لنا المسجد الأقصى فأخذ ينعته لهم ، فالتبس عليه فجيء له بالمسجد ينظر إليه وينعته لهم ، وعندئذ قالوا له أخبرنا عن عيرنا القادمة من الشام ، فقال قد مَرِزْتُ على عير بنى فلان بالروحـة ، وقد أضلـوا بعيراً لهم ، وهم في طلبه فسلوهم عن ذلك ، ومررت بعير بنى فلان وفلان وفلان ورأيت راكباً قعوداً بذى مر فنفر بكره منه فسقط فلان فانكسرت يده فسلوه . ومررت بعيركم بالنتيـع يقدمها جمل أورق عليه غاراتان تطلع عليـكم طلوع الشمس ، فخرعوا إلى الشـيـة فجلسوا ينتظرون طلوع الشمس ، ليكذبـوه وفجأة قال قائل هذه الشمس قد طلعت فقال آخر والله هذه العـير قد طلعت يقدمها بعـير أورق كما قال . ومع هذا فلم يؤمنوا ، وقالوا إن هذا إلا سحر مبين . وأنزل الله تعالى مصداق ذلك فاتحة سورة الإسراء .

## نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نحملها فيما يأتي :

- (١) المعجزات ليست ضرورية لحصول الإيمان فقد رأى كفار قريش آيات عظاما ولم يؤمنوا .
- (٢) تقرير حادثة الإسراء والمعراج وثبوتها بالكتاب والسنّة والإجماع وأن الإسراء والمعراج كانوا بالروح والجسد معاً .
- (٣) سبق أبي بكر وفضله وسبب تلقيه بالصديق فرضي الله عنه وأرضاه .

## ثلاث آيات من آيات النبوة الحمدية

إن آيات النبوة الحمدية أكثر من أن تعد أو تُحصى وقد تقدم العديد منها في مطلع هذا الكتاب وسيأتي في آخره ذكر عشرات المعجزات . وإنما أردنا ذكر ثلاثة آيات هنا حيث أفردها المؤرخون بالذكر لعظم دلالتها وقوتها برهانها على صدق الحبيب ﷺ فيما جاء به من المدى ودين الحق ، كما أن الناحية التاريخية تقتضي ذكرها هنا بعد حادثة الإسراء والمعراج .

وأولى هذه الآيات آية انشقاق القمر ، فقد روى أَحْمَدُ فِي مسندِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ آيَةً ، فَانْشَقَّ الْقَمَرُ فَرْقَيْنِ ، وَرَوَى الْبَخَارِيُّ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرِيهِمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شَقَقَيْنِ حَتَّى رَأُوا جَرَاءَ بَيْنَهُمَا ، وَمَصَدِّقُ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى إِذْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي فَاتِحةِ سُورَةِ الْقَمَرِ : ﴿ أَقْرَبَتِ الْأَسَاطِيرُ وَأَشَقَّ الْقَمَرُ \* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُغَرِّضُونَا وَيَقُولُونَا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ \* وَكَذَّبُوا وَأَتَبُّعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ .

وخطب حذيفة بن اليهان بالمداين يوما فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه

**﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشْقَى الْقَمَرُ﴾** ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفارق ، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق . وروى أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى نظروا إليه فقال رسول الله ﷺ « اشهدوا » وقال المشركون : هذا سحر ابن أبي كبشة . وقالوا نسأل السفار خارج مكة ، فسألوا السفار فأخبروا أنهم رأوا ليلة كذا قد انشق القمر فرقتين .

وثاني الآيات هي دعاء النبي ﷺ على أهل مكة بالقطط لما استعصوا وأبوا قبول دعوة الحق ، ولجّوا في الخصومة والعناد والمكابرة ، فقد قال ﷺ « اللهم أعني عليهم بسبعين كسبع يوسف » فأصابتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والمعظام . فجاء أبو سفيان ومعه رجال من مكة وقالوا : يا محمد إنك تزعم أنك بعثت رحمة ، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم ، فدعا ﷺ فسقوا الغيث ، وقد كان بلغ الجوع حتى إن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كمية الدخان من الجوع .

وفي هذا نزل قرآن وهو قوله تعالى من سورة الدخان : **﴿فَأَرْتَقْبِ يَوْمَئِتْيِ السَّمَاءَ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ \* يَعْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابُ أَلِيمٍ﴾** الآيات .

إلا أنهم لما دعا لهم الرسول ﷺ وسقوا الغيث عادوا إلى الإصرار والعناد فعلم تعالى ذلك منهم وقال : **﴿إِنَّا كَاשِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾** وقد انتقم الله منهم يوم بدر إذ قال تعالى : **﴿يَوْمَ تُبَطَّشُ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾** وفعلاً قد أخذ الله رؤساءهم يوم بدر فأهلكهم ولم ينج إلا القليل منهم من كتب الله لهم النجاة ليؤمنوا وينجوا من عذاب الدنيا وعداب الآخرة كأبي سفيان وغيره .

وثالث الآيات هي أنه يوم اشتداد الصراع بين المشركين من جهة وبين المؤمنين من جهة أخرى ، وذلك بمكة كانت قد دارت حرب ضروس بين

فارس والروم الدولتين العظيمتين المجاورتين ، ونظرًا إلى أن دولة الروم مسيحية من أهل الكتاب ودولة فارس مجوسية وثنية كان أهل مكة يتلقون الأخبار ويتبّعُونها ، ويسرهم أن تنتصر فارس على الروم ، وكان المسلمون على العكس يودون أن تنتصر دولة الروم على دولة الفرس الوثنية ونزل قرآن كريم في هذا الشأن وهو قوله تعالى من سورة الروم ﴿ إِنَّمَا غَلَبْتُ الرُّومَ فِي أَذْنِي الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ \* فِي بَعْضِ سِنِينَ اللَّهُ الْأَكْرَمُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَخُ الْمُؤْمِنُونَ \* يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ فأخبر تعالى بأن فارساً قد غلت الروم ، وأن الروم ستغلب فارساً في خلال بعض سنين ، والبعض من الثلاث إلى التسع فقال المشركون لأنبياء بكر الصديق اجعل بيننا وبينك أجلاً ، إن ظهر الروم على فارس كان لك كذا وكذا ، وإن ظهرت فارس على الروم كان لنا كذا وكذا ، والذى قال هذا وراهن أبا بكر الصديق هو أبي بن خلف ، وإن الرهن كان على خمس قلاتص<sup>(١)</sup> من الإبل ، ولم يمض البعض من السنين حتى غلت الروم فارساً ، وكان ذلك يوم بدر حيث فرح المؤمنون بنصر الله لهم على المشركين ، ونصر الروم على فارس الوثنية ، فكان هذا آية من أظهر الآيات دلالة على صدق ما جاء به الرسول محمد عليه السلام من الهدى والدين الحق . فهذه ثلاثة آيات ناطقة بالنبوة الحمدية شاهدة بصدق ما جاء به الحبيب عليه السلام من الهدى والدين الحق .

### نتائج وعبر :

لقد اشتملت هذه القطعة من السيرة العطرة على نتائج وعبر هي كالتالي :

(١) آية انشقاق القمر من أكبر الآيات ، وهي ثابتة بالكتاب والسنّة وبالأخبار المستفيضة المتواترة ، وهي تقرر النبوة الحمدية وتؤكدها .

(١) جمع قلوص وهي الفتية من الإبل

(٢) بيان أن دعوة النبي ﷺ لا ترد ، وأن استجابة الله تعالى له آية نبوّته وتقدير رسالته وصحة دعوته .

(٣) بيان أن هذه الآيات لا تستلزم الإيمان من رآها إذ رآها المشركون وما آمنوا ولا أسلموا إلا من شاء الله تعالى منهم ذلك .

(٤) تقرير صحة الدين الإسلامي ، وأنه الدين الحق لصدق ما يخبر به كتابه من الغيوب المتعددة ، وتقع كاً أخبار ولا تختلف أبداً .

(٥) بيان أن أهل الكتب من يهود ونصارى أقرب إلى المسلمين من المشركين والملحدة الشيوخين .

## الخروج بالدعوة خارج مكة

إنه لما خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يعرض دعوته على رجال ثقيف وعاد آيساً من خيرهم دخل مكة في جوار المطعم بن عدى إذ طلب إليه ذلك فوافق عليه فرآه أبو جهل فقال مستهزئاً : هذا نبيكم يا بني عبد مناف !! فرد عليه عتبة بن ربيعة قائلاً : وما ينكر أن يكون منا نبىٌ وملِك ؟ وسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال لعتبة : « أما أنت فما حيَتَ اللَّهُ ، وإنما حيَتَ لنفسك ، وأما أنت يا أبو جهل فوالله لا يأْتِي عليك غير بعيد حتى تصحُّك قليلاً ، وتبكي كثيراً ، وأما أنت يا معاشر قريش فوالله لا يأْتِي عليكم غير كثير حتى تدخلوا فيما تنكرُون وأنتم كارهون ». .

وكان الأمر كذلك فكانت آية نبوّته ﷺ .

وبقي ﷺ بمكة وقد قل ناصره واشتدت عداوة القوم له ولم يكن بمكة من المؤمنين غير المستضعفين ففكر ﷺ في الخروج بدعوته خارج مكة فأخذ يعرض نفسه طالباً نصرته حتى يبلغ دعوة ربّه ، وذلك في الموسم والأسواق

والمناسبات السنوية وغيرها ، فأئٍ قبيلة كندة فدعاهم وطلب نصرته فأبوا عليه ، وأئٍ بطنًا من كلب يُقال لهم : بنو عبد الله فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نصرته ، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم ، ثم أئٍ بنى حنيفة وهم قوم مسلمة الكذاب ، فلم يكن أحد أسوأ منهم رداً وأقبحه ، وأئٍ بنى عامر ، فعرض عليهم نصرته والإيمان بدعوته فرفضوا ، وقال له أحدهم : أرأيت إن نحن تابعناك فأظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ فرد عليه الرسول ﷺ بقوله : « الأمر إلى الله يضعه حيث شاء ». فقال العامرى أَفْهَدْتُ نُحْرَنَا لِلْعَرَبِ دُونَكَ فَإِذَا ظَهَرَتْ كَانَ الْأَمْرُ لِغَيْرِنَا لَا حَاجَةُ لَنَا بِأَمْرِكَ .

ولما رجع بنو عامر إلى ديارهم أخبروا شيخاً كبيراً من رجالاتهم بالخبر ، فوضع يده على رأسه وقال : يا بنى عامر هل من تلاف ؟ والذى نفسى بيده ما تقوها إسماعيلى قط ، وإنها لحق وأين كان رأيكم عنه ؟

ولم يزل ﷺ يعرض نفسه ودعوته على كل قادم له اسم وشرف عَلَّهُ يجد من ينصره على دعوته وكان كلما أئٍ قبيلة يدعوها تبعه عمّه أبو هب فإذا فرغ من كلامه يقول لهم : يا بنى فلان إنما يدعوكم هذا إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أنفاسكم إلى ما جاء به من الضلاله والبدعة فلا تطيعوه ولا تسمعوا له .

### نتائج وعبر :

- إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نوجزها في ما يلى :
- (١) ما كان العرب يلتزمونه من الجوار سنة حسنة وهي تعرف اليوم باللجوء السياسي .
  - (٢) آية صدق النبوة الحمدية تتجل في صدق ما أخبر به الرسول ﷺ أبا جهل وقريشاً إذ كان ما أخبر به كلاً منها كما أخبر .

(٣) قوة فراسة العامری إذ عرف صدق النبي ﷺ وصحة دعوته وأنها الحق .

(٤) بيان ما كان عليه أبو هب من الصد عن الدعوة ومحاربتها حتى خارج مكة .

(٥) استعمال أبي هب لفظ البدعة والضلاله فيما هو شرع وهدى كاستعمال أصحاب الأهواء اليوم لفظ البدعة والضلاله على هدى الكتاب والسنة تنفيراً للناس عنهما .

### تَدَابِيرُ إِلَهِيَّةٍ لِظَهُورِ إِلْسَامٍ

ما زال الحبيب ﷺ يعرض دعوته ونصرته على كل ذى اسم وشرف وقدم مكة سويد بن الصامت الملقب بالكامل لقوته وجمله وهو أوسى من أهل المدينة قدم حاجاً ومتعمراً ، فقصدى له الرسول ﷺ ، فدعاه إلى الإسلام وقرأ عليه القرآن ، فقال : إن هذا لَحَسْنٌ ، ثم انصرف وقدم المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج في حرب بُعاث الدائرة بين قبيلتى الأوس والخزرج فكان قوله يقولون قُتل الكامل وهو مسلم .. هذا تدبير .

وآخر هو قدولم أبي الحيسير أنس بن رافع مكة مع فتية من بنى عبد الأشهل من بينهم إياس بن معاذ قدموا يلتمسون حلفاً من قريش على قومهم من الخزرج فأتاهم النبي ﷺ وقال لهم : « هل لكم فيما هو خير لكم مما جئتم له ؟ » ودعاهم إلى الإسلام وقرأ عليهم القرآن ، فقال إياس وكان غلاماً حدثاً هذا والله خير مما جئنا له ، فضرب وجهه أبو الحيسير بحفنة من البطحاء<sup>(١)</sup> وقال : دعنا منك ، فلقد جئنا لغير هذا ، وقام رسول الله ﷺ ولم يلبث أن هلك

---

(١) البطحاء : رمل وحصى .

أياس فسمعه قومه يهلل ويكبر حتى مات ، فما يشكون أنه مات مسلماً ..  
هذا تدبر .

وثالث بينما رسول الله ﷺ يعرض نفسه طالباً النصرة على القبائل الواقفة إلى الحج والعمرة وإذا برهط من الخزرج عند العقبة فدعاهم إلى الله تعالى وعرض عليهم الإسلام ، وذكرهم هذا بما تقوله اليهود لهم بالمدينة من أن نبياً يبعث الآن تبعه ونقتلكم معه قتل عاد وثمود . فقال بعضهم لبعض هذا والله النبي الذي توعدكم به اليهود ، فأجابوا دعوة النبي ﷺ وصدقوا به ، وقالوا له : إن بين قومنا شرّاً وعسى الله أن يجمعهم بك ، فإن اجتمعوا عليك فلا رجل أعزّ منك ، ثم انصرفوا عنه ، وكانوا سبعة نفر .

فلما قدموا المدينة ذكروا لأهلها النبي ﷺ ودعوهـم إلى الإسلام حتى فشا فيهم وانتشر خبرهـ . حتى إذا كان العام المـقبل وافقـ الموسم من الأنصار اثـنا عشر رجـلاً فلقـوا النبي ﷺ بالعقبـة فـبايعـوه بـيعة النساء<sup>(١)</sup> .

وكـانت هذه بـيعة العـقبـة الأولى ، وـكان أـهل هذه الـبيـعة أـسعد بن زـرارـة ، وـعـوف وـمعـاذ اـبـنـاـ الـحـارـث وـهـماـ اـبـنـاـ عـفـراء ، وـرـافـعـ بنـ مـالـكـ بنـ عـجـلـانـ ، وـعـبـادـةـ بنـ الصـامـتـ وـغـيرـهـمـ منـ الـخـزـرجـ ، وـمـنـ الـأـوـسـ : أـبـوـ الـهـيـثـمـ بنـ التـيـهـانـ ، وـهـوـيـمـ بنـ سـاعـدـةـ ، فـانـصـرـفـواـ بـعـدـ الـبـيـعـةـ ، وـبـعـثـ مـعـهـمـ النـبـيـ ﷺ مـصـبـعـ ابنـ عـمـيرـ بنـ هـاشـمـ بنـ عـبـدـ مـنـافـ بنـ عـبـدـ الدـارـ ، وـأـمـرـهـ أـنـ يـقـرـئـهـمـ الـقـرـآنـ ، وـيـعـلـمـهـمـ إـلـاـسـلـامـ ، فـنـزـلـ مـصـبـعـ بـالـمـدـيـنـةـ عـلـىـ أـسـعـدـ بنـ زـرارـةـ ، وـأـنـزـلـهـ أـسـعـدـ فـيـ دـارـ بـنـيـ ظـفـرـ ، وـاجـتمـعـ عـلـيـهـ رـجـالـ مـنـ أـسـلـمـواـ فـسـمـعـ بـهـ سـعـدـ بنـ مـعـاذـ وـأـسـيـدـ بنـ حـضـيرـ وـهـماـ سـيـداـ بـنـيـ الـأـشـهـلـ ، وـكـانـاـ مـشـرـكـيـنـ فـقـالـ سـعـدـ لـأـسـيـدـ

(١) المراد من بـيعة النساء أـنـهـمـ بـايـعواـ عـلـىـ أـنـ لـاـ يـشـرـكـواـ بـالـلـهـ شـيـئـاـ إـلـىـ آخرـ ماـ جـاءـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ يـاـ أـيـاـ الـنـبـيـ إـذـ جـاءـكـ الـمـؤـمـنـاتـ يـاـيـعـنـكـ عـلـىـ أـنـ لـاـ يـشـرـكـنـ بـالـلـهـ شـيـئـاـ وـلـاـ يـسـرـقـنـ هـ إـلـىـ هـ وـلـاـ يـعـصـيـنـ فـيـ مـعـرـوفـ هـ وـلـمـ يـذـكـرـ فـيـهـ الـقـتـالـ لـأـنـ السـاءـ لـيـسـ عـلـيـهـنـ جـهـادـ .

انطلق إلى هذين اللذين أتيا دارنا فانههما يعني بالرجلين مصعب بن عمير وأسعد ابن زراة — فإنه لولا أسعد بن زراة وهو ابن خالتى لكفيتك ذلك ، فأخذ أسيد حربته ثم أقبل عليهما فقال ما جاء بكم تسفهان ضيعافنا اعترلا عنّا ، فقال له مصعب أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما ظكره ؟ فقال : أني صفت . ثم جلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام ، فقال : ما أحسن هذا وأجله ؟ كيف تصنعون إذا دخلتم هذا الدين ؟ قالا : تغسل وتتطهر ثيابك ، ثم تشهد شهادة الحق — لا إله إلا الله ، محمد رسول الله — ثم تصلي ركعتين ، ففعل ذلك وأسلم ، ثم قال لهما إن ورائي رجلاً إن تبعكما لم يتخلل عنكم أحدٌ من قومه ، وسأرسله إليكم وهو سعد بن معاذ .

وانصرف أسيد إلى سعد وقومه . فلما نظر إليه سعد قال : أخليف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، ثم قال لأسيد : ما فعلت ؟ قال كلمت الرجلين والله ما رأيت بهما بأساً ، وذهب سعد بن معاذ إلى أسعد ومصعب فدعاه مصعب إلى الإسلام فأسلم على نحو ما أسلم أسيد ، ثم ذهب إلى دار بن عبد الأشهل فسألهم قائلاً : كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا ، قال فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، فوالله ما أمسى في داربني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمةً .

ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زراة وما زال يدعو إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا ما كان من بنى أمية بن زيد ووائل وواقف فإنهما أطاعوا أبي قيس بن الأسلت فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول الله عليه صلواته ونزل بالمدينة ، وحتى مضت بدر واحد والخدق ثم دخلوا في الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم .

وثالث هو : أنه لما فشا الإسلام في المدينة بين الأنصار اجتمع جماعة من

أهل المدينة وقرروا أن يأتوا النبي ﷺ في الحج ويتبعوا معه سراً ويدرسوا معه على كتب موضوع هجرته إليهم ، وانتهوا إلى مكة واتصلوا بالحبيب ﷺ سراً ووادعوه وسط ليالي التشريق فوافوه بالعقبة ليلًا وكانوا سبعين رجلاً ومعهم امرأتان هما نسيبة بنت كعب أم عمارة ، وأسماء أم عمرو بن عدي من بنى سلمة ، وكان مع الرسول ﷺ عمه العباس رضي الله عنه ، وهو يومئذ كافر لم يؤمن ، وإنما حضر ليستوثق لابن أخيه من كل ما يعلمه الأنصار ويعطونه له من أنفسهم ، فكان أول من تكلم العباس فقال : يا معشر الخزرج إن محمدًا منا حيث علمتم في عز ومنعة ، وقد أتى إلا الانقطاع إليكم فإن كنتم ترون أنكم وافقون له بما دعوتموه إليه ومانعوه فأئتم بذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة .

قال الأنصار : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما أحبيت . فتكلم رسول الله ﷺ وتلا القرآن ورغب في الإسلام ، ثم قال : « تمنعني ما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » . فأخذ البراء بن معور بيده ثم قال : نعم . والذى بعثك بالحق نبأً لمنعنك مما منع منه أزرنا<sup>(١)</sup> فباعينا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحدقة<sup>(٢)</sup> ورشناها كابرًا عن كابر وهنا اعرض الكلام أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله : إن بيتنا وبين الرجال حبلاً ، وإنما قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعوا ؟ فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : « بل الدم<sup>(٣)</sup> الدم ، والهدم الهدم أنا منكم وأنتم متى أحارب من حاربتم وأسلم من سالمت » . وهنا التفت إليهم العباس بن عبادة الأنصارى وقال

(١) أي نساعنا فالأزر كابية عن النساء ، لأن الأزر ستائر النساء كذلك يسترن الرجال .

(٢) السلاح .

(٣) أي نطالب بدمكم ، وهو معنى الدم الدم ، وما ترکونه من الدماء أتركه أنا أيضاً وهو معنى الهدم الهدم .

يا معشر الخزرج هل تدرؤن علام تباعونه على حرب الأحرر والأسود ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلتموه فمن الآن فهو والله خرى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافقون له فخذلوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة ، فأجابوه قائلين إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، والتفتوا إلى الحبيب عليه السلام وقالوا : فما لنا بذلك يا رسول الله ؟ فقال — فداء أى وأمى والناس أجمعون — « الجنة » !! فقالوا : ابسط يدك نبايعك ، فبسط يده فبايعوه على خلاف بيعة النساء الأولى إذ بايعوه على حرب الأحرر والأسود . وعین منهم عليهما السلام اثنى عشر نقيباً تسبعاً من الخزرج وثلاثة من الأوس . فالخزرجيون هم : أسعد بن زرار — وسعد بن الربيع — وعبد الله بن رواحة — ورافع بن مالك — والبراء بن معروف — وعبد الله بن عمرو بن حرام — وعبادة بن الصامت — وسعد بن عبادة — والمنذر بن عمرو بن خنيس .

والأوسيون هم : أسد بن حضير — وسعد بن خيثمة — ورفاعة بن عبد المنذر .

وبهذا كانت بيعة العقبة الثانية . وصرخ الشيطان من أعلى العقبة قائلاً :

يا أهل الجحاجب<sup>(١)</sup> هل لكم في مذمم<sup>(٢)</sup> والصباة<sup>(٣)</sup> معه قد اجتمعوا على حربكم . فقال رسول الله عليه السلام « هذا أزب<sup>(٤)</sup> العقبة ، أتسمع أى عدو الله ، أما والله لا يغفرن لك » ثم قال عليه السلام « ارجعوا إلى رجالكم » فقال العباس بن عبادة : والذى بعثك بالحق نبياً لئن شئت لنميل غداً على أهل منئ بأسيافنا فقال عليه السلام : « لم تؤمر بذلك » .

(١) المنازل .

(٢) يعني — لعنه الله — محمدًا عليه السلام .

(٣) الصباة جمع صاب أى مائل عن دينه يعني أهل البيعة .

(٤) أزب العقبة : شيطانها والأزب القصير الماكر والبخيل الحيث .

وسمعت قريش بهذه البيعة المباركة فلاحقت أهلها فلم تظفر إلا بسعد بن عبادة فعدبته ، ثم نجاه الله تعالى فلحق بالمدينة ، واشتد لذلك غضب قريش وعظم أذاناً للمؤمنين فأمر النبي ﷺ المؤمنين بالهجرة إلى المدينة .

فكان أول من قدم المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد ، ثم هاجر عامر بن ربيعة مع امرأته ليلي ، ثم عبد الله بن جحش ، وتتابع الأصحاب فهاجر عمر ابن الخطاب وعياش بن ربيعة ، وغيرهم .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نحملها فيما يأتي :

- (١) بيان شرف سويد بن الصامت الملقب بالكامل إذ كان أول من لقيه رسول الله ﷺ وعرض عليه الإسلام فاستحسنه ونقل خبره إلى المدينة .
- (٢) بيان شرف إياس الشاب الذي ما إن سمع قول الرسول ﷺ حتى قال : هذا والله خير مما جئتم له .
- (٣) بيان فضل الرهط الذين لقفهم رسول الله ﷺ عند العقبة وعرض عليهم الإسلام فأجابوه وأمنوا وعادوا إلى المدينة فنشروا الإسلام .
- (٤) بيان شرف أهل بيعة العقبة الأولى وعلى رأسهم أسعد بن زرار .
- (٥) بيان فضل مصعب بن عمير شهيد أحد رضى الله عنه إذ ضرب المثل في حسن الدعوة والصبر على البلاء فرضى الله عنمن ترضى عن مصعب من كل مؤمن موحد .
- (٦) شرف أهل بيعة العقبة الثانية وفضل النقباء منهم وهم اثنا عشر رجلاً .
- (٧) بيان عداوة الشيطان إذ صرخ متالماً لما شاهد من نصرة الإسلام وأغرى المشركين بالمؤمنين وأذاع خبر بيعة العقبة فلعن الله عليه .

## لطائف أمور قبل هجرة الحبيب عليه السلام

أول هذه الأمور نص حديث البيعة إذ جاء فيه ما يلى : قال عبادة بن الصامت وكان أحد النقباء : بایعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثره علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق أينما كنا لا تخاف في الله لومة لام .

وثاني هذه الأمور أن العباس بن عبادة العوف هو الوحيد الذي ظفر بلقب مهاجر أنصارى فالأصحاب كلهم إما مهاجر أو أنصارى إلا العباس بن عبادة العوف فإنه خرج إلى رسول الله ﷺ بمكة وأقام معه بها ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى استشهد بأحد رضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه .

وثالث هذه الأمور لما تمت بيعة العقبة الثانية وقد تضمنت تصريح رسول الله ﷺ ، وقال لهم : « إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تؤمنون بها » فخرجوا أرسلاً أى جماعة إثر جماعة ، وأقام رسول الله ﷺ بمكة يتضرر إذن ربّه تعالى له في الهجرة إلى المدينة .

ورابع هذه الأمور أن أول مهاجر من قريش من بنى مخزوم إلى المدينة كان أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال ، واسمه عبد الله رضى الله عنه وأرضاه .

وحدث هجرة أبي سلمة اللطيف الشريف كان كالتالى ، فلنستمع إليه :  
لما عاد أبو سلمة من الحبشة إذ هاجر إليها أولاً ، ولما وصل مكة آذته قريش ، وبلغه إسلامه من الأنصار ، فقرر الهجرة إلى المدينة ، فحمل زوجته أم سلمة وطفليه وقاد بهما راحلته ، وخرج فلحقه رجال من بنى مخزوم ، فقالوا له هذه نفسك قد غلبتنا عليها ، أرأيتك صاحبتك هذه علام ثرك تسير بها في البلاد ، ونزعوا خطام البعير من يده ، وأخذوا الراحلة

وعليها امرأته وولده ، وغضب عند ذلك رجال من رهط أبي سلمة فقالوا : والله لا نترك ولدنا عندها ؛ إذ نزعموها من صاحبنا فتجاذبوا الطفل حتى خلعت يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبس بنو المغيرة أم سلمة عندهم .

ولنستمع إليها وهي تحدث عن قصة هجرتها ، قالت رضي الله عنها : ففرقوا بيني وبين زوجي إذ واصل هو سيره إلى المدينة ، وبيني وبين ولدي إذ أخذه رهط زوجي فكنت أخرج كل غداة إلى الأبطح ، فأجلس أبيكى فلا أزال أبكى حتى أمسى ، وذلك سنة أو قريباً منها ، حتى مر بي رجل من بنى عمّي أحد بنى المغيرة فرأى ما بي فرجمني ، فقال لبني المغيرة ألا تخرون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها ، وبينها وبين ولدها . قالت : فقالوا لي الحقى بزوجك إن شئت ، قالت : وردد بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابني ، فارتخت بعيرى ، ثم أخذت ابني فوضعته في حجرى ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة ، وما معى أحد من خلق الله ، فقلت : أتبلى من لقيت حتى أقدم على زوجي ، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بنى عبد الدار ، فقال لي : إلى أين يابت أبي أمية ؟ قلت : أريد زوجي بالمدينة . قال : أو ما معك أحد ؟ قلت لا والله إلا الله وبئن هذا ، قال والله مالك من متراك ، فأأخذ بخطام البعير فانطلق معى بهوى بي ، فوالله ما صحت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عنى ، حتى إذا نزلت استأخر بعيرى فحط ، ثم قيده في الشجرة ثم تنحى عنى إلى شجرة أخرى فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ثم استأخر عنى ، وقال اركبى فإذا ركبت واستويت على بعيرى أتى وأخذ بخطامه ، فقاده حتى ينزل بي ، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء قال : زوجك في هذه القرية — وكان أبو سلمة نازلا بها — فادخلتها على بركة الله ، ثم انصرف راجعاً إلى مكة هو يومئذ على الشرك ، وما أسلم إلا في هدنة الحديبية .

والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصحابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة .

#### مراجعة :

هيا بنا يا إخوة الإسلام نراجع قصة أم سلمة هذه لعلنا نبكى فنمسح بدموعنا بعض آثامنا ، ونُذهب بها بعض قساوة قلوبنا .

هذه أم سلمة وذاك زوجها قبل رسول الله ﷺ أبو سلمة ذو الْمَجْرَتِينَ يخرج بها من مكة مهاجرًا بها إلى دار الهجرة ، ففتك منه زوجته وولده ، ويفتك الولد من أمه ، ويترك أبو سلمة زوجته وولده وبهاجر إلى ربّه تاركًا نصفه وراءه ، وتنظر أم سلمة فلم تجد مواسياً ولا مؤانساً ، فتخرج كل يوم إلى الأبطح تبكي طول يومها ، وتعود إلى كسر بيتها إلى انسلاخ سنة بأشهرها الثانية عشرة ، ثم يؤذن لها بالهجرة فتهاجر وحدها على بعير وما معها سوى طفلها تسافر مسافة عشرة أيام .

حقاً ما قالته : ما أعلم أهل بيت أصحابهم ما أصاب آل أبي سلمة . هذه وأخرى في كمال عثمان بن طلحة الذي يضرب الرقم القياسي في الكرم النفسي ، إنه يجد امرأة على بعيرها تريد السفر مسافة عشرة أيام في صحراء لا حضرة لها بها ولا ماء ، فيقول وقد سألهما عن حالها : والله مالك من مُتَرَكٍ ، ويقود بعيرها ويحسن إليها في ركوبها ونزلوها ، ويريها من العفة والكرم ما لم تره امرأة مثلها قط .

آه أين هؤلاء الرجال الأعفاء الكرماء ذوي النجدة . لقد أفترت منهم الحياة وأجدبت منهم ساحة الوجود ، ولا خير في دنيا يُفقد فيها أمثال هؤلاء .

وخامس هذه الأمور أن المهاجرين جميعهم ما منهم أحد إلا نزل بيت أحد الأنصار ، فائي كرم أعظم من هذا ؟ وأي إخاء أصدق من هذا الإخاء ؟ ، وأي إسلام أحسن من هذا ؟ وأي صبر أقوى من هذا ؟ وأي إيمان أثمن من هذا ؟ وأين نحن اليوم من ذا وذاك يا عباد الله ؟

و السادس هذه الأمور هو هجرة صهيب أنه حين أراد الهجرة إلى المدينة قال له كفار قريش : أتينا صعلوگاً فكثراً مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ! والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صهيب أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلي ؟ قالوا : نعم . قال : فإنني جعلت لكم مالى ودهم على مكانه وهاجر فلما رأه رسول الله ﷺ بادره قائلاً : « رب البيع صهيب .. رب البيع صهيب » ونزل فيه قرآن يُتلى إلى اليوم ، وهو قوله تعالى من سورة البقرة : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ اللَّهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

و السابع هذه الأمور هو أن النبي ﷺ كان قد أرسل مع أهل بيعة العقبة الأولى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويُفقّهُم في الدين ، فكان أول من لقب بالقرئ ، واستشهد بأحد فهو ضجيع سيد الشهداء حمزة في ساحة أحد يزأران مع بعضهما بعضاً ، فرضى الله عنهما وأرضاهما وجعل الجنة مأواهما .

وثامن هذه الأمور هو أن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كت قائد أبي لما ذهب بصره ، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان صلى على أبي أمامة أسعد بن زرار ، فسألته عن ذلك قائلاً يا أبا مالك إذا سمعت الأذان لل الجمعة صليت على أبي أمامة ؟ قال يا بنى إنه كان أول من جمع بنا بالمدينة في هرم<sup>(١)</sup> التبیت من حرة بنی بیاضة يقال له نقیع<sup>(٢)</sup> الخضیمات<sup>(٣)</sup> . قلت له : وكم كنتم يومئذ ؟ قال أربعون رجلاً .

وتاسع هذه الأمور هو أنه لما عاد أهل بيعة العقبة إلى المدينة وأظهروا

(١) هرم النبیت : جبل على بربد من المدينة .

(٢) يروى القیع بالتون والقیع بالباء .

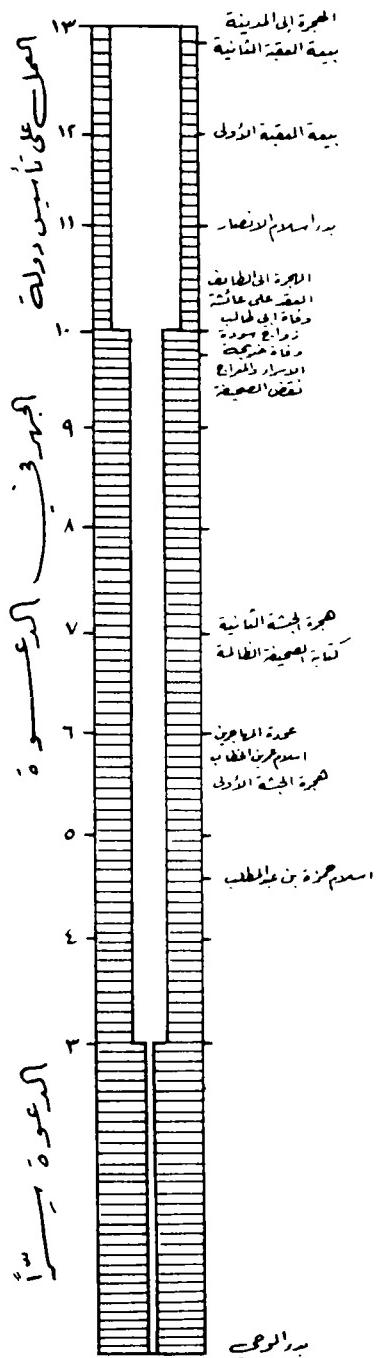
(٣) من الخضم الذي هو الأكل بالفم كله والقضم الأكل بأطراف الأسنان .

الإسلام فيها كان من بينهم معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعاذ بن جبل ، وكان  
 لعمرو بن الجموح والد معاذ صنم قد اخذه في داره ، شأنه شأن سادات  
 وأشراف المدينة ، وكان الصنم من خشب ، فكان يعبده بدعائه وتعظيمه  
 فيجيء معاذ ولده مع معاذ بن جبل في فتیان من أسلموا بالليل المظلوم فيأخذون  
 الصنم ويلقونه في حفرة لبني سلمة يلقون فيها العذرة والأوساخ منكساً رأسه ،  
 فيصبح عمرو فيطلبه فلا يجده فيبحث عنه فيجده في تلك الحفرة منكساً ملطحاً  
 فيأخذوه فيطهّره ويطهّره وينصبه في داره ، فيأتي الفتیان المسلمين ليلاً فيأخذونه  
 ويفعلون به ما فعلوا به الليلة البارحة وهكذا فيأتي به عمرو ويقول : لو أعلم  
 من فعل هذا بك لأضربك . ولما أكثروا به ذلك جاء به يوماً فغسله وطهره  
 وطبيه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ، ثم قال : إني والله لا أعلم من يصنع بك  
 ما ترى ، فإن كان فيك خير فامتنع ، فهذا السيف معك ! فلما أمسى عمرو  
 جاء الفتیان فعدوا عليه ، وأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلباً ميتاً  
 فقرنوه به في حبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر<sup>(١)</sup> من عذر  
 الناس ، ثم غداً عمرو يطلبه فلم يجده في مكانه الذي تركه فيه فخرج يتبعه  
 حتى وجده في تلك البئر منكساً مقرضاً بكلب ميت فلما رأه وأبصر شأنه  
 تبيّن له عدم صلاحيته للألوهية ، وكلمه بعض رجال قومه في الإسلام فأسلم ،  
 وقال في صنمته شعراً هذا نصه :

أنت وكُلُّ وسْطٍ بَعِيرٌ فِي قَرْنٍ  
 وَالله لو كنْتِ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ  
 إِلَى أَنْ قَالَ :

الْوَاهِبُ الرَّزَاقُ دِيَانُ الدِّيَانِ أَكُونُ فِي ظُلْمَةِ قَبْرِ مُرْتَهِنْ	الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمِئَنْ هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ
--	---

(١) جمع عذرة وهي الغائط أي الخراء .



بيان مراحل هامة مرت بها الدعوة منبعثة الصادقة إلى الهجرة المباركة إلى طيبة الطيبة الطاهرة

## هجرة الحبيب الطيب محمد ﷺ إلى طيبة الطيبة

إنه بعد أن خرج المؤمنون من مكة أرسلا إلى المدينة مهاجرين ولم يبق منهم إلا محبوس أو مفتون كان الحبيب ﷺ في انتظار إذن له من ربّه عز وجل بالهجرة ، وأبقى معه علياً حاجته إليه . وأما أبو بكر الصديق فإنه كثيراً ما كان يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً فيطمع أبو بكر أن يكون رسول الله ﷺ هو الصاحب . وفي هذه الأيام بالذات كان رجال قريش يتخوفون منه ﷺ أن يتحقق بدور الأنصار وهم ذوو شوكة ومنعة وقد لحق بهم المؤمنون فقرروا عقد اجتماع لهم بدار الندوة يحضره أولو الرأى والمشورة منهم للتفكير في أمر محمد ﷺ ، وجماعوا دار الندوة وإذا بشيخ جليل عند بابها فسألوه من أنت ؟ قالشيخ من نجد سمعت بما اتعدم عليه ، فحضرت لأسمع ما تقولون وعسى أن لا تعدموا مني رأياً ونصحاً ، فدخل معهم وقد ضم الاجتماع أبا سفيان وأبا جهل والنصر ابن الحارث وكبار رجال قريش ، ودارت المناقشة للبحث عن الخرج ، فقال بعضهم : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قدرأتم — يعنون النبي ﷺ — فإنما والله ما نأمه من الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأياً . فقال بعضهم : احبسوه في الحديد ، وأنغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشياهه من الشعراة الذين كانوا قبله — يريدون حتى يموت في الحبس — وفي هذا يقول تعالى عنهم : ﴿أُمُّ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَرْبَصُ بِهِ رَبِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أى الموت وهو معنى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ أى في الحديد محبوساً في دار حتى الموت .

وهنا قال الشيخ النجدى ، وهو إبليس عليه لعنة الله أتاهم في صورة شيخ جليل ليثقوه فيما يقتربه عليهم ، وهو الذي صرخ بأعلى العقبة منذ أشهر

قائلًا : يا أهل الجباجب ، هل لكم في مذموم والصباة ، ورد عليه الرسول ﷺ  
 قائلًا : « هذا أزب العقبة ، والله لا فرغن لك أى عدو الله ». جاء اليوم  
 لينتقم فقال : لا والله ما هذا لكم برأى ، والله لئن حبستموه كاً تقولون  
 ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتموه دونه إلى أصحابه فلاوشكوا أن  
 يشروا عليكم فينزعواه من أيديكم ، ثم يكثروكم به حتى يغلبواكم على أمركم ما  
 هذا لكم برأى فانظروا غيره ، فتشاوروا ، ثم قال بعضهم : نخرجه من بين  
 أظهرنا فتنفيه من بلادنا ، فإذا أخرج عنا فوالله لأنبالي أين ذهب . قال الشيخ  
 النجدى : والله ما هذا لكم بالرأى ، ألم تروا حسن حديثه ، وحلوة منطقه ،  
 وغلوته على عقول الرجال بما يأتى به ، دبروا فيه أمراً غير هذا . فقال أبو  
 جهل : والله إن لي فيه لرأياً ما أراك وقعت عليه أبداً . قالوا : وما هو يا أبا  
 الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً نسيباً<sup>(١)</sup> وسيطاً<sup>(٢)</sup> فينا ،  
 ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربةً رجل واحد  
 فيقتلوه فنستريح منه . ويتفرق دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على  
 حرب قومهم جميعاً ، فيرضون منا بالعقل<sup>(٣)</sup> فنعقله لهم أى ندفع ديته لهم ،  
 وهنا قال الشيخ النجدى « إبليس » هذا الرأى الذى لا رأى غيره ، فأجمعوا  
 عليه ونفذوا خطتهم ، وقد أوحى تعالى بذلك إلى رسوله محمد ﷺ ، فأمر  
 ﷺ ابن عمّه علياً بأن ينام على فراشه ويتعطى بيرده ﷺ ، وأعلمته أنه لا يناله  
 ما يكره إن شاء الله تعالى ، ثم أخذ ﷺ حفنة من تراب وخرج وهو يقرأ : ﴿يَسَّرْ  
 وَلِقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ إلى قوله : ﴿فَهُمْ لَا يَتَصْرُونَ﴾ فأعمى الله أبصارهم ،  
 فخرج من بين أيديهم ووضع التراب على رؤوسهم وهم لا يشعرون ،  
 وانصرف ﷺ حيث أراد ، وبعد ساعة أتاهم آتٍ فقال لهم :

(١) ذو نسب شريف .

(٢) شريفاً .

(٣) أى بالدية .

ما تنتظرون ها هنا؟ قالوا محمدًا فقال خيّبكم الله قد والله خرج عليكم ، ثم ما ترك رجلا منكم إلا وضع التراب على رأسه ، وانطلق حاجته ، فوضع كل واحد منهم يده على رأسه فإذا التراب عليه ، فجعلوا يتطلعون من خلال شقوق الباب فيرون عليًّا على الفراش متغطيا ببرد النبي ﷺ فيقولون والله إن هذا لحمد نائما عليه برد ، فلم يرحو كذلك حتى أصبهوا ، فقام على رضى الله عنه عن الفراش فلما رأوه قالوا . والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا وانصرفوا .

أما الحبيب ﷺ فلتركت لعائشة أم المؤمنين تقص علينا تحركه نحو هجرته ، فقد قالت : كان النبي ﷺ لا يخطئ أن يأتى بيته أبكر أحد طرف النهار إما بكرة وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذى أذن فيه لرسول الله ﷺ بالهجرة فإنه أتانا بالهجرة ، وساعة كان لا يأتينا فيها .

فلما رأه أبو بكر قال ما جاء برسول الله ﷺ في هذا الوقت إلا أمر حدث ، فلما دخل رسول الله ﷺ فآخر له أبو بكر عن سريره فجلس ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء ، فقال رسول الله ﷺ : « أخرج من عندك » فقال يا رسول الله إنما هما بنتي ، وما ذاك فذاك أبي وأمى ؟ فقال : « إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة » فقال أبو بكر الصحبة يا رسول ، قال : « الصحة » . قالت عائشة والله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح حتى رأيت أبي بكر يبكي يومئذ ، ثم قال أبو بكر يا نبى الله إن هاتين راحلتان ، قد كنت أعددتهما لهذا ، فاستأجرا عبد الله بن أرقط من بني الدبل ، وكان مشركاً ليؤذلهما على الطريق فدفعا إليه الراحتين يرعاهم ليعاد خروجهما من مكة إلى المدينة ، ولما أجمع رسول الله ﷺ على الخروج عهد إلى على بن أبي طالب أن يتخلف بعده بمكة ليؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده للناس ، إذ كان الناس يضعون عنده ودائعهم مما يخالفون عليه ، وذلك لما رأوا من أمانته وصدقه . وأتى أبي بكر

فخرج معه من خوخة له في ظهر بيته فعمدا إلى غار ثور<sup>(١)</sup> وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمّع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتهما مساءً بما كان في ذلك اليوم من الخبر ، كما أمر أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنميه نهاراً ثم يُريجها عليهما مساءً ، ليسقيهما من لبنها ، وإذا جاءهما عبد الله أو أخته أسماء بطعم اتبع عامر أثرهما بالغنم ففعلى أثرهما .

وأقام رسول الله ﷺ مع أبي بكر ثلاثة أيام . وطلبهما المشركون طيلة الثلاثة أيام ، ومن آيات النبوة أن العنكبوت نسجت على الغار ، والحمامة عشّشت وباضت تعمية على الطالبين من المشركين .

ولما مضت ثلاثة أيام ، وسكن الناس عنهما ، وأيأسوا من العثور عليهما أتاهم من استأجراه بالراحلتين ، وكانت أسماء قد جاءت بطعم في سفرة ، ونسيت أن تجعل له عصاماً وأرادت أن تعلق السفرة بالبعير فلم تستطع ذلك فشققت نطاقها نصفين فعلقت السفرة بنصفه وانقطقت بالنصف الآخر فمن ثم لقت بذات النطاقين .

ولما كان المشركون يطلبون رسول الله وأبا بكر وهما في الغار سمع أبو بكر قرع نعال الطالبين ، فخاف حزناً وقال يا رسول الله ، لو يرفع أحدهم قدمه لرأانا ، فقال له الرسول ﷺ : « ما بالك يا أبي بكر باثنين الله ثالثهما » . وفي هذا نزلت آية سورة التوبة : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَحْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانَى اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نذكرها فيما يلي :

(١) جبل من جبال مكة .

- (١) بيان مدى حب الصديق للرسول ﷺ ، إذ كان يرغب في صحبته حتى إنه لما أذن للرسول ﷺ بالهجرة وقبل صحبته بكى من شدة الفرح رضي الله عنه ، وهذا شأن الحب الصادق .
- (٢) بيان قرار قريش الجائز الذي شارك فيه أبو مرة إبليس عليه لعائن الله ورضيه لما فيه من الإجماع على قتل النبي ﷺ وتوزيع دمه على القبائل حتى لا يُطالب بدمه ، ويرضى بالدية .
- (٣) آية خروج الرسول ﷺ ومروره بين أيدي المشركين ووضع التراب على رؤوسهم وهم لا يشعرون .
- (٤) بيان أن أول فداء كان في الإسلام فداء على النبي ﷺ إذ تركه نائماً على فراشه وخرج ، والمشركون يظنون أنه النبي ﷺ وهو على رضي الله عنه .
- (٥) بيان أن النبي ﷺ كان يأخذ بالأسباب وبالحزم فيها إذ أوهم المشركين بترك علي نائماً على فراشه هذا أولاً ، وثانياً أعدّ الراحلة للسفر والحرث في العالم بالطرق ومسالكها وثالثاً دخوله غار ثور مع صاحبه استخفاء عن أعين المشركين الطالبين له .
- (٦) آية نسج العنكبوت وتعيشن الحمامه وتبييضها ستراً على رسول الله ﷺ وتعيمه على المشركين ، ولا عجب في هذا فإن الوزغة لما ألقى إبراهيم في النار كانت تنفع فيها لتشتعل على إبراهيم . فكانت الوزغة أخبث حيوان ، وكان في قتلها أجر إلى اليوم لورود السنة بذلك .
- (٧) بيان طيبة أسرة الصديق نساء ورجالاً ، وبيان سبب لقب أسماء بذات النطاقين .

## الطريق إلى المدينة

وخرج الحبيب ﷺ وصاحبـه بعد هدوء الأحوال ، وتلقـاهـما من استأجراهـ

بالراحلتين فقدم أبو بكر لرسول الله ﷺ أفضلهمما وقال اركب فداك أبى وأمّى ، فقال رسول الله ﷺ : « لا أركب بعيراً ليس لي » فقال الصديق هو لك فداك أبى وأمّى ، فقال الحبيب : « لا إلا بالشمن الذى ابتعتها<sup>(١)</sup> به ». فقال أبو بكر : هو كذا وكذا فقال النبي ﷺ : « قد أخذتها به » وركبا وانطلقوا وقد أردف أبو بكر مولاه عامر بن فهيرة ليخدمهما في رحلتهما إلى طيبة الطيبة وساروا على بركة الله ، وعين الله ترعاهم . هذا ونعود إلى مكة لتسجيل حادثين أو ثلاثة من مهمات الأحداث .

**الأول :** أن قريشاً لما كانوا يبحثون عن النبي ﷺ وصاحبـه أتوا دار أبى بكر فخرجت لهـما أسماء فـسألـوها : أـين أـبـوك ياـنتـ أـبـى بـكـرـ ؟ قـالتـ لاـ أـدـرـىـ واللهـ أـيـنـ أـبـىـ ، فـرفعـ أـبـوـ جـهـلـ يـدـهـ وـكانـ فـاحـشـاـ خـبـيـثـاـ فـلـطـمـ خـدـ أـسـماءـ لـطـمةـ أـسـقطـ قـرـطـهاـ منـ أـذـنـهاـ .

**والثانـي :** أن قـريـشاـ ماـ إـنـ فـقـدـتـ النـبـيـ ﷺ وـطـلـبـهـ وـلـمـ تـجـدـهـ حتـىـ أـعـلـتـ عنـ جـائـزـةـ مـقـدـارـهـ مـائـةـ بـعـيرـ لـمـ يـأـتـهـ بـرـسـوـلـ اللهـ ﷺ حـيـاـ أوـ مـيـتـاـ .

**والثالث :** أنه لما غادر رسول الله ﷺ مكة مع صاحبه ، قـالـتـ أـسـماءـ مـكـثـاـ ثـلـاثـاـ لـاـ نـدـرـىـ أـبـىـ اـتـجـهـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺ ، وـإـذـاـ بـرـجـلـ مـنـ الجـنـ يـقـبـلـ مـنـ أـسـفـلـ مـكـةـ يـتـغـنـيـ بـأـبـيـاتـ مـنـ الشـعـرـ ، وـإـنـ النـاسـ لـيـتـبعـونـهـ يـسـمـعـونـ صـوـتـهـ وـلـاـ يـرـونـهـ حتـىـ خـرـجـ مـنـ أـعـلـىـ مـكـةـ ، وـبـهـذـاـ عـرـفـنـاـ وـجـهـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺ وـصـاحـبـهـ وـأـنـهـماـ اـتـجـهـاـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ النـبـوـيـةـ .

وـهـاـ هـىـ ذـىـ تـلـكـ الـأـبـيـاتـ الـتـىـ كـانـ يـتـغـنـىـ بـهـ رـجـلـ الجـنـ :  
 جـزـىـ اللـهـ رـبـ النـاسـ خـيـرـ جـزـائـهـ  
 رـفـقـيـنـ حـلـاـ خـيـمـتـيـ أـمـ مـعـبـدـ  
 فـأـفـلـعـ مـنـ أـمـسـيـ رـفـيقـ مـحـمـدـ  
 هـمـاـ نـزـلـاـ بـالـبـرـ ثـمـ تـرـوـحـاـ  
 لـيـهـنـ بـنـىـ كـعـبـ مـكـانـ فـتـاهـمـ  
 وـمـقـعـدهـاـ لـلـمـؤـمـنـينـ بـمـرـصـدـ

(١) أـشـتـرـيـتـهـ .

والرابع : أن أسماء قالت لما خرج أبو بكر مهاجراً أخذ كل ماله معه ، و كان ستة آلاف درهم . قالت فدخل علينا جدّي أبو قحافة ، وكان قد ذهب بصره ، فقال إني أراه قد فجعلكم بماله مع نفسه ، قالت : قلت له كلاً يا أبٍ إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده فوضعتها عليها ، وقلت يا أبٍ هذا المال الذي ترك لنا أبو بكر . فقال إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بлаг<sup>(١)</sup> لكم . قالت أسماء بعد ذلك والله ما ترك لنا شيئاً ، وإنما أردت أن أسكن الشيخ بذلك لغير .

#### عودة إلى مسيرة الركب الميمون :

وفي طريق الركب الميمون مرروا بخيمة أم معبد ، فسألوها طعاماً أو شراباً فلم يصيروا عندها شيئاً ، وكانت بكسر خيمتها شاة هزيلة خلفتها العنم هزارها . فقال الحبيب الطيب : « هل بها من لبن ؟ » قالت : هي أجهد من ذلك فقال : « هل تأذنين لي أن أحلبها ؟ » قالت : بأبي أنت وأمّي إن رأيت بها حليباً فاحلبه ، فدعا بها رسول الله ﷺ فجاءت فمسح بيده ضرعها ، وسمى الله تعالى ودعا لها في شأنها فتفاجت<sup>(٢)</sup> ودرت واجترت ، ودعا بإماء يروى الرهط فحلب فيه شيئاً حتى علاه لبنيها ، ثم سقاها « أم معبد » حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب آخرهم ، وكيف لا ، وهو القائل : « ساق القوم آخرهم شرباً »<sup>(٣)</sup> ثم بايع أم معبد على الإسلام وارتحل ، وارتحل معه رفقةه .

وها هو ذا أبو بكر الصديق يروى الحادثة التالية وهي آية النبوة كآية درّ

(١) البَلَاغُ : ما يتبلغ به في الحياة من مال أو طعام ونحوه .

(٢) فرجمت بين رجلها .

(٣) رواه أبو داود .

الشاة وهي أعظم . قال رضى الله عنه : قال سراقة بن مالك بن جعشن لما خرج رسول الله ﷺ مهاجرًا من مكة إلى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم وبينما أنا جالس في نادى قومي إذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا فقال والله لقد رأيت ركبا ثلاثة مروا على آنفًا إني لأبراهيم محمدا وأصحابه . فأومنت إليه أن اسكنت ، ثم أمرت بفرسي وسلامي فأحضرنا لي وركبت وأنا أرجو أن أرده على قريش وآخذ المائة ناقة ، وركبت سائرًا في أثره حتى بدا لي القوم ورأيتهم عثروا فرسى فذهبت يداه في الأرض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض وتبعهما دخان كأنه إعصار<sup>(١)</sup> ، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني وأنه ظاهر فناديت القوم قائلًا أنا سراقة بن جعشن أنظروني أكلمكم فوالله لا أريكم<sup>(٢)</sup> فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر : « قل له وما تبغى منا ? » قال خذ يا رسول الله سهما من كنانتي وإن إيل بمكان كما فخذ منها ما أحبت فقال له ﷺ : « لا حاجة لي بإبلك » فلما أراد سراقة أن يرجع قال له الحبيب ﷺ : « كيف بك يا سراقة إذا سرت بسواري<sup>(٣)</sup> كسرى ? » قال سراقة : كسرى بن هرمز ؟ قال « نعم » . وعاد سراقة إلى مكة لا يلقى أحدًا يريد رسول الله ﷺ إلا رده بقوله : كفيتهم ما هاهنا .

وواصل الركب الميمون سيره يتقدّمه الخريت بن الدليل حتى وصلوا إلى قباء ديار بنى عمرو بن عوف يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة حلّت من ربيع الأول فنزل رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهدْم أخي بنى عمرو بن عوف ، وكان عزيزًا فنزل عليه الأعراب من أصحاب رسول الله ﷺ المهاجرين ، حتى

(١) ريح معها غبار .

(٢) أى لا ترون مني مكرورها .

(٣) وقد تم ذلك يوم فتح فارس على يد عمر رضى الله عنه .

قيل لبيته : بيت العزاب ونزل أبو بكر على خبيب بن إساف بالسنح ، ولحق على الركب بعد أن أدى وداع الناس ، ووصل قباء بعد ثلاثة أيام من وصول الحبيب عليهما السلام وقد نفطرت قدماه حتى إنه لما دعا به رسول الله عليهما السلام قيل إنه لا يقدر على المشي فأناه رسول الله عليهما السلام واعتنقه وبكي رحمة به ، وتفل في كفيه الطاهرتين ومسح بهما رجلي على فشفي في الحال ، ولم يشك قدميه حتى قتل رضي الله عنه وقد نزل على امرأة لازوج لها فرأى رجلا يأتيا بالليل فارتاد في أمرها فسألها فقالت الذي يأتيني هو سهل بن حنيف إنه رأني امرأة لا زوج لي فهو يكسر أصنام قومه ويحملها إلى ويقول احتطبني بها ، فكان على يذكر هذا لسهل بن حنيف بعد موته رضي الله عنهم أجمعين .

#### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نجملها فيما يلى :

- (١) بيان خبث أبي جهل وشدته على المؤمنين فلعنه الله حيًّا وميَّا .
- (٢) بيان مدى ما بذلت قريش في سبيل قتل النبي عليهما السلام ، والقضاء على الإسلام .
- (٣) من الجن مؤمنون ، وإن كلامهم ليسمع ، وإن لم تر ذواتهم .
- (٤) فضل أم معبد وهي عاتكة بنت خالد .
- (٥) تجلّى آية النبوة الحمدية في ذر الشاة وسقى الرسول عليهما السلام أهل بيته معبده وسائر أفراد رفقته .
- (٦) تجلّى آية النبوة في سقوط فرس سراقة وعجزه عن الوصول إلى النبي عليهما السلام ، وفي إخبار الرسول عليهما السلام له بأنه سيسور سواري كسرى ، وكان الأمر كما أخبر عليهما السلام .
- (٧) تجلّى آية النبوة في شفاء على فور مسح الرسول عليهما السلام رجليه .

## فِي طَيْبَةِ دَارِ الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ

إن الثلاث عشرة سنة التي قضاها رسول الله ﷺ بمكة من مبعثه إلى يوم هجرته كانت كلها آلاماً ودموعاً وأحزاناً لم ينعم فيها رسول الله ﷺ بساعة سرور ، أو يوم راحة فقط إلا أن العشر سنين التي قضاها بالمدينة كانت كلها جهاداً متواصلاً لم يفتر شهراً واحداً ولم ينعم فيها رسول الله ﷺ بالراحة يوماً واحداً وكان شطوف العيش فيها بالغاً أشدّه ، فلم يشبع فيها رسول الله ﷺ من حيز شعير مرتين في يوم واحد فقط .

نعم ... لقد كانت للحبيب ﷺ بدار الهجرة أيام مشرفة ، إلا أن أكثر أيامها كانت محقة ، وهلم إخوة الإيمان نعيش بأرواحنا مع رسولنا وحيينا تلك السنين العشرة التي عاشها ﷺ بالمدينة دار هجرته وحاضرة دولته دولة الإسلام الخالدة . وسوف نشعر بأن السنين العشرة ما كانت السنة الواحدة منها إلا عشر سنوات فالعشر سنين كانت وكأنها مائة سنة أو تزيد ، وذلك لما تم فيها من جلائل الأعمال ، وما تخللها من عظام الأمور . والله نسأل أن يرزقنا البكاء عند ذكر ما يبكي منها ، وأن يرزقنا الفرح عند ذكر ما يُفرج ، فيكون ذلك شاهد حبنا للحبيب ﷺ وآية إيماناً به وعنوان إسلامنا لربنا وإحساننا في ديننا .

فهيا بنا نعايش الحبيب وصحبه بأرواحنا وإن لم نعايشهم بأبداننا ، لطول العهد ، وفضل ما بيننا وبينهم ، إذ هم كواكب مشرفة في السماء تنير الأرض لأهلها ، وأما نحن فإننا ضعيفو الصلة بالسماء ، وذلك فضل الله يؤتى به من يشاء .

### الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ بِقَبَاءٍ

إنه قبل وصوله ﷺ إلى قباء وهي ضاحية من ضواحي المدينة على ثلاثة

أميال منها كان رجال من الأنصار لما بلغهم خروج النبي ﷺ من مكة إذا صلوا الصبح خرجوا إلى ظاهر المدينة إلى الحرة الجنوبيّة يتظرون طلوع رسول الله ﷺ عليهم فلما يرحو يتظرون حتى لم يبق ظل يستظلون به من حر الشمس ، ثم يعودون إلى بيوتهم . ولما كان اليوم الذي وصل فيه رسول الله ﷺ كانوا قد خرجوا كعادتهم وما إن عادوا إلى بيوتهم لارتفاع النهار وانعدام الظل إلا وصائح يصبح بأعلى صوته : يا بنى قيلة هذا جدم قد جاء . وكان الصائح رجلاً من اليهود كان قد علم بخروجهم كذا يوماً انتظاراً لقدوم الرسول ﷺ ، ونسبهم إلى قيلة ، لأنهم يقال لهم بنو قيلة نسبة إلى جدة لهم تسمى قيلة<sup>(١)</sup> . وما إن سمعوا الصراخ حتى خرجوا كلهم ، وإذا برسول الله ﷺ مع صاحبه مستظل بظل نخلة ، وأكثرهم لم يكن قد رأى النبي ﷺ ، وكان أبو بكر في سن رسول الله ﷺ ، وركبها الناس يُسلمون عليهما ، وما يعرفون رسول الله ﷺ من أبي بكر حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ فقام أبو بكر فأظلله برداهه فعرفوه عند ذلك . ونزل الحبيب على كلثوم بن الأئم ، ونزل الصديق على خبيب بن إساف كما تقدم .

### أول عمل بقباء لرسول الله ﷺ

إن أول عمل إصلاحي خيرى بناء قام به النبي ﷺ بقباء هو بناؤه مسجد قباء في الفترة التي أقامها بين سكانها وهم بنو عمرو بن عوف بن مالك ، والتي لم تتجاوز أسبوعاً واحداً .

وكان مسجد قباء أول مسجد بني في الإسلام ، وقد ذكره تعالى في كتابه وأثنى على أهله خيراً فقال تعالى من سورة التوبة ﴿ لَمَسْجِدٌ أَسَّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ

(١) القيل الملك والجمع أميال ، والقيلة الملة وقد تجمع على قيلات .

**مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومُ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ  
الْمُطَهَّرِينَ ﴿٤﴾ .**

وهنا بقباء أبي سلمان الفارسي الذى طالما انتظر مجىئه جاءه من المدينة بكيس من التمر وقال هذا صدقة تصدق بها عليكم — وهو يريد بذلك اختباره — فقال الحبيب ﷺ « إِنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ » وأمره أن يتصدق بها على غيره ، وانصرف سلمان وعاد في اليوم الثاني ومعه تمر آخر وقدمه للرسول ﷺ ، وقال : هذه هدية قدمتها لك ، فقبلها ﷺ ودعا له بخير .

وهنا أعلن سلمان إسلامه ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .

وسبب عمل سلمان هذا أنه علم من الكتب السابقة أن النبي محمدًا ﷺ من نعمته وصفاته أنه يقبل المدية ولا يأكل الصدقة .

ولما قضى رسول الله ﷺ ما كتب الله له من أيام في قباء بدبيار بنى عمرو ابن عوف سار إلى المدينة وفي طريقه أدركه صلاة الظهر بدبيار بنى سالم بن عوف وكان اليوم يوم جمعة فصلى بهم الجمعة وخطبهم في مسجدهم بيطن الوادى « دانونا » فكانت أول جمعة صلبت في الإسلام .

وركب الحبيب ﷺ راحلته فأتاه عُتبان بن مالك وعباس بن عبادة في رجال من بنى سالم وقالوا له : يا رسول الله أقم عندنا حيث العدد والعدة والمنعة ، وهم ممسكون بخtram ناقته ليُنْيِخُوها فقال لهم « دعوها فإنها مأمورة » ، وواصل سيره إلى طيبة طابت مغانيها ، وسلام على ساكنيها .

**نتائج وعبر :**

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نوجزها في الآتي :

(1) بيان أن مسجد قباء كان أول مسجد بنى في الإسلام .

(٢) بيان كيفية معرفة سلمان للنبي ﷺ وذلك بما أجرى من اختبار عليه بالصدقة والهدية لعلمه السابق أن من صفات نبى آخر الزمان أنه يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة .

(٣) بيان أن أول جمعة صلبت في الإسلام هي تلك التي صلاها رسول الله ﷺ في مسجد بنى سالم بن عوف ببطن وادى « دانونا » .

(٤) عرض بنى سالم على النبي ﷺ إقامة بينهم وترغيبه في ذلك وذكرهم لكثرة رجاتهم وسلامتهم الحربية يعتبر موقعًا مشرفاً خالدًا لهم رضى الله عنهم وأراضهم .

### استقبال الأنصار للحبيب ﷺ وعظيم فرحتهم وحفاوتهم به

إنه ما إن ركب ﷺ راحلته ، وسارت به من ديار بنى سالم متوجهةً نحو المدينة ، وأهل كل دار من دور الأنصار يمر بها إلا ويستقبله رجالها قائلين هلئم إلينا يا رسول الله إلى العدد والعدة والمنعة وهم مسكون بخطام ناقته وهو يقول : « دعوها فإنها مأمورة » .

وخرج أهل المدينة لاستقبال الحبيب ﷺ على بكرة أبيهم ، فامتلأت بهم الطرق ، وظهروا على سطوح المنازل نساء وأطفالاً ورجالاً وهم يقولون ، الله أكبر جاء رسول الله ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء رسول الله ، والنساء والصبيان يضربون بالدفوف وينشدون :

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا الله داع
أيها المبعوث فيما	جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة	مرحباً يا خير داع

وواصل الحبيب سيره في تلك الحشود الحاشدة ، والجموع المتجمعة في هذا اليوم التاريخي العظيم الذي قال فيه أنس بن مالك : لقد رأيت اليوم الذي دخل فيه رسول الله عليه السلام علينا ، واليوم الذي قبض فيه فلم أر يومين مثلهما قط . حتى انتهى إلى قرب دار أبي أنيوب الأنصارى ، فبركت والرسول عليه السلام مرّخ الزمام لها ، ثم ثبت فسارت غير بعيد ، ثم بركت وتلحلحت<sup>(١)</sup> وضربت بحراً<sup>(٢)</sup> في الأرض فنزل عنها الحبيب عليه السلام فاحتمل أبو أنيوب الرحل فوضعه في بيته ، ونزل النبي عليه السلام بداره لأنه أحد أخوال أبيه من بنى النجار .

ونزل رسول الله عليه السلام بالسفل من الدار ، وأبو أنيوب وأم أنيوب بالعلوى فـأـلمـ ذـلـكـ أـبـاـ أـنـيـوبـ ،ـ فـقـالـ يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ إـنـ أـكـرـهـ أـكـوـنـ فـوـقـكـ وـتـكـونـ تـحـتـىـ ،ـ فـاظـهـرـ أـنـتـ فـكـنـ فـكـنـ فـنـكـوـنـ فـنـكـوـنـ فـنـكـوـنـ ،ـ فـقـالـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ «ـ يـاـ أـبـاـ أـنـيـوبـ إـنـ أـرـفـقـ بـنـاـ وـعـنـ يـغـشـانـاـ أـنـ أـكـوـنـ فـأـسـفـ الـبـيـتـ »ـ وـبـذـلـكـ طـابـ نـفـسـ أـبـيـ أـنـيـوبـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ .ـ

وكان أبو أنيوب يصنع للرسول الطعام فإذا أكل منه عليه السلام وتركه أخذ وقدم لأبي أنيوب ليأكل منه ، فكان رضي الله عنه يسأل عن موضع أصابع رسول الله عليه السلام ليتبع موضع أصابعه فإذا كل منه رجاء البركة . فصنع له يوماً طعاماً فيه ثوم ، فلما رُدَّ إليه سأله عن موضع أصابع رسول الله عليه السلام فقيل له لم يأكل ففرغ وأتى رسول الله عليه السلام فقال : أحرام ؟ فقال : « لا ولكن أكره ذلك » .

وهذا لأنه عليه السلام ينادي الملك ، وغيره لا ينادي .

ومبارك الناقة كان مربداً ليتيمين ، وكان فيه نخل وبعض قبور ، فسأل عنه

(١) تلحلحت .

(٢) الجران باطنى العنق من البعير أى ثبت واستقرت .

فقال له معاذ بن عفراء يا رسول الله هو ليتيمين لى وسأرضيهمما منه ، فاتخذه  
رسول الله ﷺ مسجداً .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة تناجع وعبرنا نجملها في الآتي :

- (١) بيان عظم فرحة الأنصار بقدم الرسول ﷺ ، وما أبدوه من حفاوة وترحيب لم يسبق لها نظير في التاريخ البشري قط .
- (٢) بيان آية الناقة في سيرها وبروكها لقوله ﷺ : « دعواها فإنها مأمورة » .
- (٣) بيان فوز أبي أيوب خالد بن زيد بنزول الرسول ﷺ بداره ، وإقامته بها حتى بني مسجده وحجرات نسائه بإزاره .
- (٤) بيان أدب أبي أيوب وكامل حبه لرسول الله ﷺ إذ لم تطب نفسه أن يسكن في أعلى المنزل والرسول ﷺ في أسفله .
- (٥) مشروعية القاس البركة من آثار النبي ﷺ . إن وجدت ك سوره وشعره وريقه وثيابه ، وما إلى ذلك .

## بناء المسجد النبوى وفضله وشرف المدينة وأهلها

إنه ما إن بركت الناقة وضربت بجرانها من مساء يوم الجمعة من شهر ربيع الأول ، حتى سأله رسول الله ﷺ عن المرbd<sup>(١)</sup> الذي بركت فيه الناقة لمن هو ؟ وقال : « يا معاشر الأنصار ثامنوني بمحاطكم هذا لأنتخذه مسجداً » . وقال معاذ بن عفراء هو ليتيمين لى هما سهل وسهيل ابني عمرو وسأرضيهمما فاتخذه مسجداً .

---

(١) المرbd : ما يجفف فيه الماء ، ومحبسى الحيوان .

وأمر عليه أصحابه بالمشروع في العمل وتقديمهم لذلك تشجيعاً لهم واندفعوا مهاجرين وأنصاراً يعملون حتى قال قائلهم .

لئن قعدنا والنبيّ يعلم لذاك من العمل المضلّ  
وكان بالمربد قبور مشركين ونخل وحرب فأمر بالنخل قطع وبالحرب  
فسوّيت وبالقبور فنبشت ، وأخذوا ينقلون الحجارة وهم يرتجزون :  
اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والهاجر  
والرسول عليه ينقل الحجارة ويقول : « لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم  
ارحم المهاجرين والأنصار » .

وارتجز على قائلًا :

لا يستوى من يعمّ المساجد يبدأ فيه قائماً وقاعداً  
ومن يُرى عن الغبار حائداً

فأخذ عمّار بن ياسر يرتجزها فظن أحد الأصحاب أنه يعني بها تعريضاً  
به فقال لعمّار يا ابن سمية والله إنّي لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك فسمع  
ذلك رسول الله عليه فغضب وقال : « ما لهم ولعمّار يدعوهم إلى الجنة  
ويدعونه إلى النار » وتم بناء المسجد بالحجارة وكان سقفه جريد النخل وبني  
بإزاره حجرات نسائه عليه .

وكان هذا المسجد المبارك أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا  
إليها ، وذلك لفضليها واستواء سائر المساجد في الفضل دونها فقد قال الحبيب  
عليه : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى  
هذا والممسجد الأقصى » وقال عليه في بيان فضله : « صلاة في مسجدى  
هذا بآلف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » وقال : « من أقي مسجدى  
هذا لا يأتيه إلا خير يعلمه أو يتعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله » . وقال

فداء أبى وأمى ، وصلواته : « ما بين بيته ومنبرى روضة من رياض الجنة ». أما عن شرف المدينة وأهلها فحسبنا أن نورد بعض ما ورد وصح في بيان فضلها وفضل أهلها . ومن ذلك :

• قوله عليه صلواته : « إن الإيمان ليأرز<sup>(١)</sup> إلى المدينة كما تأرز الحياة إلى جحرها » .

• قوله عليه صلواته : « أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهى المدينة تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد » .

• ولو صح حديث : « اللهم إنك أخرجتني من أحب البلاد إلى فأسكنني في أحب البلاد إليك » ولم يعارض بحديث : « والله إنك خير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى ، ولولا أنى أخرجت<sup>(٢)</sup> منك ما خرجت » ، ل كانت المدينة أفضل من مكة كرمها الله .

وما يزيد المدينة حباً في قلوب المؤمنين ورغبةً في المقام بها حتى الموت قوله عليه صلواته : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليميت بها فإني أكون له شاهداً أو شفيعاً يوم القيمة » ، عرف هذا عمر رضى الله عنه فكان يدعو ويقول : اللهم إنى أسألك شهادةً في سبيلك وموئلاً في بلد رسولك .

وحسب المدينة شرفاً وفضلاً أن أصبحت داراً للرسول عليه صلواته بها مسجده وفيها قبره ، ومنها مبعثه .

وأما أهل المدينة وهم الأنصار فشرفهم كان بمسارعتهم للإيمان ، وإيواء الرسول والمؤمنين ، ونصرتهم ، ومقاساتهم العيش معهم . أشى الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ

(١) في الصحيح .

(٢) صحيح الإسناد .

وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مَّمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاَّةٌ <sup>﴾</sup> وَقَرَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرْفَهُمْ وَفَضْلَهُمْ فِي أَحَادِيثٍ كَثِيرَةٍ مِّنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بَعْضُ الْأَنْصَارِ ». وَقَوْلُهُ : « الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنُونَ وَلَا يُغْضِبُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهَ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهَ ». وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْلَا هِجْرَةُ لِكُنْتُ امْرَءًا مِّنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكْتُ وَادِيَا وَشَعْبَا لَسْلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشَعْبَهُمْ ، الْأَنْصَارُ شَعَارٌ<sup>(١)</sup> ، وَالنَّاسُ دَثارٌ » .

ولنستمع إلى شاعر<sup>(٢)</sup> الأنصار يقول ويدرك بما أكرمههم الله تعالى به من الإسلام وما خصهم به من هجرة رسوله إليهم ونصرهم له ، وبذل الرخيص والغالى له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَأْمُنَ وَيَعْزَزَ ويتصدر :

ثَوَى فِي قَرِيشٍ بَضْعُ عَشَرَةِ حَجَّةَ  
يُذَكِّرُ لَوْ يُلْقَى صَدِيقًا موَاتِيَا  
وَيُعَرِّضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ  
فَلَمَّا أَتَانَا أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ  
وَأَفْلَقَ صَدِيقًا وَاطْمَأْنَتْ بِهِ التَّوَى  
يَقْصُّ لَنَا مَا قَالَ نُوحُ لِقَوْمِهِ  
فَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا  
بَذَلَنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ أَجْلِ مَاَنَا<sup>(٣)</sup>  
نَعَادِيَ الَّذِي عَادَنَا مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمَا

نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نذكرها فيما يأتى :

(١) الشعار : التوب على الجسد ، والدثار فوقه .

(٢) هو أبو قيس صرمة ابن أبي أنس الأنصاري .

(٣) يشير إلى أحد بنود البيعة حيث قالوا إن نحن بایعناك على النصرة فما لنا نحن ؟ قال : « الجنة » هذا الذي لهم وما أعظمهم إنه الجنة دار السلام .

- (١) بيان تاريخ بناء المسجد النبوي الشريف وبناؤه أول عمل قام به النبي ﷺ في المدينة .
- (٢) بيان فضل المسجد النبوي الشريف .
- (٣) بيان فضل المدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأذكى السلام .
- (٤) بيان فضل الأنصار وهم سكان المدينة الذين آتوا ونصروا .
- (٥) بيان فضل العيش في المدينة والوفاة فيها .

## جهود الحبيب ﷺ في الإصلاح والتأسيس والبناء بالمدينة النبوية

إنه من ساعة حلوله بالمدينة أخذ ﷺ على عاتقه مهمة الإصلاح والتأسيس والبناء للمجتمع المسلم والدولة الإسلامية الوارثة لأكبر دولتين عالميتين وهما دولة الفرس ودولة الروم ، وبتتبع الخطوات التالية تتجلى هذه الحقيقة وتتأكد بإذن الله تعالى :

### الخطوة الأولى :

إن أول خطوة كانت في الإصلاح والبناء والتأسيس بناء المسجد النبوي الشريف والحجرات الطاهرات .

### الخطوة الثانية :

إنها استقدام الأسرتين الشرقيتين أسرة الحبيب ﷺ وأسرة الصديق رضي الله عنه . إنه لما كان عبد الله بن أريقط الخبير بالطرق استأجره الرسول ﷺ مع صاحبه في هجرتهما عائداً إلى مكة المكرمة بعث معه الرسول ﷺ زيد ابن حارثة ومولاه أبو رافع بمال ورواحل ، وأمره أن يأتى ببقية أسرته الشريفة ، فجاء فعلاً ببناته الطاهرات فاطمة وغيرها ما عدا زينب فإنها تحت ألى العاص

ابن الربيع كما جاء بسودة بنت زمعة إحدى أمهات المؤمنين ، وكذلك فعل الصديق إذ بعث في طلب أسرته . فجاء بها ولده عبد الله بن أبي بكر ، ومن بينهم عائشة أم المؤمنين كما جاء بأم أيمن زوج زيد مولى رسول الله ﷺ وبهذا استقر النبي ﷺ بالمدينة دار هجرته ، والتي أصبحت تُعرف به فيقال المدينة النبوية .

### الخطوة الثالثة :

الاتصال باليهود بواسطة عبد الله بن سلام رضي الله عنه ، ودعوتهم إلى الإسلام . إنه ما إن نزل ﷺ بطيبة حتى جاءه عبد الله بن سلام أحد أئبيار اليهود بالمدينة ليتحنه في صدق نبوته وصحة رسالته فيسأله الأسئلة التالية : فيقول له : إني سألك عن ثلاثة لا يعلمهم إلا نبيٌّ وهي :

ما أول أشرطة الساعة ؟

ما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟

ما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟

فأجابه الحبيب ﷺ قائلاً : « أخبرني بمن جبريل آنفاً ». فقال عبد الله : جبريل ؟ فقال النبي ﷺ « نعم ». قال عبد الله : هو عدو اليهود من الملائكة ، وأخذ الرسول ﷺ يشرح مضمون الأسئلة فقال : « أما أول أشرطة الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق تسوقهم إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزبادة كبد الحوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه ». .

وهنا قال عبد الله بن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله .

ولما أسلم عبد الله بن سلام وحسن إسلامه كانت الفرصة مواتية للاتصال

باليهود ودعوتهم إلى الإسلام ، فقال عبد الله يا رسول الله إن اليهود قومٌ يُهتَّ  
 وهم يعلمون أنّي سيدهم وابن سيدِهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فسلّمهم  
 عنى قبل أن يعلموا أنّي قد أسلّمتُ ، فإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنَّنِي قد أسلّمتُ قَالُوا  
 فِي مَا لِيْسَ فِيْ . فَأَرْسَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : « يَا  
 مَعْشَرَ يَهُودَ وَيَلْكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ  
 رَسُولَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنِّي جَئْنَتُكُمْ بِحَقٍّ فَأَسْلَمُوا » فَأَجَابُوا قَائِلِينَ : مَا نَعْلَمُهُ ، فَأَعَادَ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُعَوْتَهُمْ إِلَى إِلَيْسَمْ ثَلَاثَ مَرَاتٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : « فَأَئَيْ رَجُلٌ فِيمَكْ عَبْدُ  
 اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ؟ » قَالُوا : ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا . قَالَ :  
 « أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمْ ؟ » قَالُوا : حَاشَا اللَّهُ مَا كَانَ لِيْسَمْ . وَهُنَّا قَالَ الْحَبِيبُ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا ابْنَ سَلَامَ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ » فَخَرَجَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودَ اتَّقُوا اللَّهَ ،  
 فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ ،  
 فَلَمَّا سَمِعُوا هَذَا الْقَوْلَ قَالُوا : شَرَّنَا وَابْنُ شَرَّنَا وَتَنَقَّصُوهُ فَأَخْرَجُوهُمُ الرَّسُولُ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الَّذِي كُنْتَ أَخَافُ ، وَكَانَ عَبْدُ  
 اللَّهِ بْنُ سَلَامَ يَقُولُ : لَمَّا دَخَلَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ نَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ فَعَرَفَ  
 أَنَّهُ لَيْسَ بِوَجْهِهِ كَذَابٌ ، وَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ سَمِعَهُ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفْشُوا  
 السَّلَامَ ، وَأَطْعُمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيلِ وَالنَّاسُ نَيَامَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ  
 بِسَلَامٍ » .

#### الخطوة الرابعة :

وضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِيثَاقًا لِلْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مُتَضَمِّنًا موَادَعَةَ الْيَهُودَ بِالْمَدِينَةِ . إِنَّ  
 مِنْ أَبْرَزِ الْجَهُودِ الَّتِي بَذَلَهَا الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الإِصْلَاحِ وَالتأسِيسِ وَالْبَنَاءِ كِتَابَهُ  
 الَّذِي كَتَبَهُ فَضْمِنَهُ مِيثَاقًا فِي غَايَةِ الدِّقَّةِ ، وَحَسِنَ السِّيَاسَةَ فَأَلَّفَ بَيْنَ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ  
 مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمَهَاجِرِينَ وَجِيرَانِهِمْ مِنْ طَوَافِ الْيَهُودِ وَرَبَطَ بَيْنَهُمْ فَأَصْبَحُوا بِهِ  
 كَتْلَةً وَاحِدَةً يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَقْفَوْا فِي وَجْهِ كُلِّ مَنْ يَرِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةَ بِسُوءٍ . وَهَذِهِ  
 دِيَاجَةُ الْكِتَابِ الْمُذَكُورِ وَبَعْضُ مَا حَوَاهُ مِنْ موَادَّ الْمِيثَاقِ الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَيْهِ .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين وال المسلمين من قريش ويثرب ومن تعهم فلحق بهم وجاهم معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس ... » إلى آخر كتابه عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ المتضمن لأعظم ميثاق عرفه الناس . وهذا بعض ما جاء فيه من مواد في غاية الأهمية .

- إن المؤمنين لا يتركون مُفَرَّحًا<sup>(۱)</sup> ينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل .
- لا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه .
- إن المؤمنين المتقين على من بعى منهم أو ابتغى دَسْيَعَةَ ظُلْمٍ أو إِثْمٍ أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جمِيعاً ولو كان ولد أحد هم .
- لا يُقْتَلُ مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة ، يُجْرِي عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ .
- إن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ، وإنه مَنْ تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا مُنتَاصِرٌ عليهم .
- إن سِلْمَ المؤمنين واحد لا يُسَالُمُ مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .
- من اغتبط مؤمناً قتلاً عن بيته فإنه قَوْدٌ به إلا أن يرضي ولـى المقتول . وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه .
- إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا مُحَارِّبين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، موالיהם وأنفسهم إلا من

(۱) المَفَرَّحُ : المُثْقَلُ بِالدِّينِ الْكَثِيرِ .

ظلم أو أثم فإنه لا يُوتَّع<sup>(١)</sup> إلا نفسه وأهل بيته .

● إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بخليفة ، وإن النصر للمظلوم ، وإن الجار كالنفس غير مضر ولا آثم .

● إنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ، ولا يُؤوِّيه ، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيمة ، ولا يُؤخذ منه صرف ولا عدل .

● وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردك إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ .

**الخطوة الخامسة :** هي مؤاخاته ﷺ بين المهاجرين والأنصار .

إن من الرشد والكمال النبوى ، والنضج السياسي ، والحكمة الحمدية خطوة الحبيب ﷺ في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في ظرف كان المهاجرون فيه أحوج ما يكونون إلى ما يخفف عنهم آلام الغربة والفاقة والفرقة إذ تركوا ديارهم وأموالهم وأهليهم ، وحلوا بيلد لم يكن ليتسنى حتى لأهله فضلا عن النازحين إليه .

وبهذه المؤاخاة التي آخى فيها الرسول الحكم بين المهاجرين والأنصار ، والتي كان الأنصارى فيها يقول لأنبياء المهاجر انظر إلى أعجب نسائى إليك أطلقها فإذا انتهت عدتها تزوجتها ، بهذه المؤاخاة كان المجتمع المدني قد التَّحَمَ بعضه البعض ، وأصبح جسمًا واحدًا ينهض بكل عبء يلقى عليه . وبذلك أعده

---

(١) لا يُوتَّعْ أى لا يُوقَّعْ ولا يُهلكْ إلَّا نَفْسُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ .

الرسول الحكيم لتحمل عبء إعلان الحرب على الأبيض والأصفر ، وقاتل القريب والبعيد من كافة أهل الشرك والكفر .

وهذا نموذج مصغر من تلك المؤاخاة :

أبو بكر الصديق	المهاجر	أخوان
خارجة بن زهير	الأنصارى	
أبو عبيدة عامر بن الجراح	المهاجر	أخوان
سعد بن معاذ	الأنصارى	
عبد الرحمن بن عوف	المهاجر	أخوان
سعد بن الريبع	الأنصارى	
عمر بن الخطاب	المهاجر	أخوان
عتبان بن مالك	الأنصارى	
عنان بن عفان	المهاجر	أخوان
أوس بن ثابت	الأنصارى	
طلحة بن عبيد الله	المهاجر	أخوان
كعب بن مالك	الأنصارى	
سلمان الفارسي	المهاجر	أخوان
أبو الدرداء	الأنصارى	
بلال بن رباح	المهاجر	أخوان
أبو رويحة	الأنصارى	

وها هي ذى الكلمة الطيبة التى قالها الحبيب ﷺ فتمت بها المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار إنها هي قوله فداء أمى وأمى والناس أجمعون :

« إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم » .

وَمَا إِنْ قَالُوهَا حَتَّى قَالَ الْأَنْصَارُ : أَمْوَالُنَا بَيْنَنَا قَطَائِعٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ » فَقَالُوا : وَمَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « هُمْ قَوْمٌ لَا يَعْرِفُونَ الْعَمَلَ فَتَكْفُونَهُمُ الْعَمَلَ ، وَتَقْاسِمُونَهُمُ الشَّمْرَ » . قَالُوا : نَعَمْ . وَبَعْدَهَا قَالَ الْمَهَاجِرُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِيمَنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَنُ مُؤْسَاةً فِي قَلِيلٍ ، وَلَا أَحْسَنَ بِذَلِكَ مِنْ كَثِيرٍ ، لَقَدْ كَفُونَا الْمَؤْوَنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَاءِ ، حَتَّى لَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَذْهِبُوا بِالْأَجْرِ كُلَّهُ . فَقَالَ الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا ، مَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ وَدَعْوَتُمُ اللَّهَ لَهُمْ » .

هَكُذا كَانَتِ الْمُؤَاخِدَةُ فِي ظَرُوفِ الْحَاجَةِ ، وَلَا وَسَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمُسْلِمِينَ نَسْخَ التَّوَارِثِ بِهَا ، وَأَقْرَبَ الْمَوْدَةَ وَالْحُبُّ بَيْنَهُمْ . فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أُولَئِي بَيْعُضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أُولَئِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ .

### نتائج وعبر :

إن هذه الخطوات الخمس في السيرة العطرة نتائج وعبرًا نجملها في الآتي :

- (١) المسجد في الإسلام هو المنطلق لكل خير وكامل تطلبه الأمة المسلمة، إذ فيه تعالج أمراض الجهل وسوء الخلق، والملكات السيئة في بعض الأفراد.
- (٢) ظهور الحكمة الحمدية في كل خطوة من هذه الخطوات الخمس.
- (٣) المواد التي اشتمل عليها الميثاق الذي تضمنه كتاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للهاجرين والأنصار دالة على ما كان يتمتع به الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العلم والحكمة وحسن السياسة والرشد العام فيها.
- (٤) المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وكتاب الميثاق وما اشتمل عليه من مواد إصلاحية وسياسية الكل دال بوضوح على أن هناك توقعاً لحرب قد يطول مداها، وكذلك فقد دامت زهاء عشر سنوات أى إلى أن التحق الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرفيق الأعلى. وخاضها بعده خلفاؤه وتابعوهم، وستبقى الحرب وتستمر

بين الشرك والتوحيد ، والإيمان والكفر ما بقيت فتنة ، ووُجِدَ من يعبد غير الله تعالى . مصداق هذا قوله تعالى من سورة الأنفال : ﴿ وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ .

## أَحْدَاثٌ

### بعضها مفرح ، وبعضها محزن

ما زالت سنة هجرة الحبيب ﷺ الأولى لم تكتمل ، وما زالت الأحداث والواقع فيها تتجدد . وهذه بعض تلك الأحداث نذكرها تحت عناوينها .

#### الصلوة والأذان :

من المعلوم أن النبي ﷺ كان قبل الإسراء والمعراج يصلى هو والمؤمنون معه ركعتين في الصباح وركعتين في المساء ، لقوله تعالى في خطابه ﷺ : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنِبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعُشْنِ وَأَلْبَكَارِ ﴾ ﴿ وَلَا أَسْرَى بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَعَرَجَ بِهِ إِلَى الْمَلَكُوتِ الْأَعْلَى فِرْضَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى أَمْتَهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَنَزَلَ جَبَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَصَلَى بِالرَّسُولِ ﷺ عَنْدَ الْكَعْبَةِ كَفِيَةُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، وَبَيْنَ أَوْقَاتِهَا الْأَخْتِيَارِيَّةِ ، وَالضَّرُورِيَّةِ . وَلَا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ مِنْ فِرْضِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ نَزَلَتِ الرِّخْصَةُ بِقَصْرِ الرِّبَاعِيَّةِ إِلَى رَكْعَتَيِنِ فِي السَّفَرِ كَمَا كَانَتْ رَكْعَتَيِنِ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ أَمِ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي حَدِيثِ الْبَخَارِيِّ : إِنَّ الصَّلَاةَ نَزَلَتْ رَكْعَتَيِنِ رَكْعَتَيِنِ فِي الْحَضْرِ وَأَفْرَطَتْ فِي السَّفَرِ ؛ إِذ نَزَلَتِ الرِّخْصَةُ بِقَصْرِ الرِّبَاعِيَّةِ عَلَى رَكْعَتَيِنِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْسِكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ هَذِهِ هِيَ الصَّلَاةُ<sup>(۱)</sup> أَمَا الْأَذَانُ : فَإِنَّهُ بَعْدَ

(۱) هذه المسألة مما كثُر فيها الخلاف والكلام ، وما ذكرته فيها أقرب إلى الحقيقة فيما ظهر لي ، والله أعلم .

أن استقر الحبيب عليه السلام بالمدينة وبنى مسجده فيها « وأصبح المسلمون » يجتمعون فيه للصلوة ، وكانوا يأتون وقت الصلاة بدون إعلام فيصلون وينصرفون ، ويأتون في الوقت التالي للأول وهكذا ، ثم رأى الرسول عليه السلام أنه ينبغي أن يكون هناك ما يعلم به المسلمين دخول وقت الصلاة وقرب إقامتها ، فاستشار أصحابه فأشاروا عليه بالبوق فكرهه لاستعمال اليهود له ، وأشاروا بالناقوس فكرهه أيضا لاستعمال النصارى له ، وانصرفوا ولم يتلقوا على شيء . فنام عبد الله بن زيد الأنصاري الخزرجي فرأى أن رجلا عليه ثوبان أحضران يحمل ناقوساً في يده ، فقلت له يا عبد الله أتبغ هذا الناقوس ؟ فقال : وما تصنع به ؟ قلت ندعوه به إلى الصلاة . قال : لا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت : وما هو ؟ قال تقول : الله أكبر ، الله أكبر . أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله . أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن محمدا رسول الله . حتى على الصلاة ، حتى على الفلاح ، حتى على الفلاح . الله أكبر ، الله أكبر . لا إله إلا الله . فأخبر بها الرسول عليه السلام فقال : « إنها رؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقها عليه فإنه أندى صوتا منك » .

فلما أذن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج إلى رسول الله عليه السلام وهو يجر رداءه ويقول يا نبي الله ، والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى فقال الحبيب عليه السلام « فلله الحمد » ، وزاد بلال في أذان الفجر الصلاة خير من النوم فأقر عليها . وعلم رسول الله عليه السلام بلا إقامة فقام : « وإذا أقمت للصلاحة تقول : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، حتى على الصلاة ، حتى على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله » .

#### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نوردها إزاء الأرقام التالية :

(١) تقرير أن الصلاة كانت قبل الإسراء والمعراج عبارة عن ركعتين في أول النهار وركعتين في آخره ، ثم فرضت كذا هي الآن : الظهر أربع ركعات والعصر أربع ، والمغرب ثلاث ، والعشاء أربع ، والصبح ركعتان ، ثم قصرت « رخصة » الرباعية إلى ركعتين في السفر سواء كان مع السفر خوف أو لم يكن .

(٢) رؤيا المؤمن صالحة وتحمل البشري له ولمن رؤيت له .

(٣) بيان صيغة الأذان والإقامة ، وفضل عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب لرؤياها الأذان في المنام .

(٤) مشروعية مخالفة اليهود والنصارى .

(٥) بيان أن المؤذن ذا الصوت الندى أولى بالأذان من غيره .

(٦) بيان فضل بلال ، وأنه أول مؤذن في الإسلام .

**وفاة كلثوم بن الهمد . وأسعد بن زرارة رضي الله عنهما :**

ومن أحداث هذه السنة المؤلمة المحزنة وفاة كلثوم بن الهمد الرجل الذي أسلم قبل مقدم الرسول ﷺ إلى المدينة . ولما نزل ﷺ مهاجراً من مكة إلى قباء نزل في منزله فشرفه الله تعالى بنزل صفيه وخيرته من خلقه في منزله ولم يلبث كلثوم بن الهمد إلا قليلاً ، وكان رجلاً مسنًا حتى مات فليل رحمة الله ورضوانه ابن الهمد .

ومات بعد كلثوم أبو أمامة أسعد بن زرارة أحد النقباء وهو أول من بايع الرسول ﷺ ليلة العقبة الثانية ، وكانت وفاته بسبب ذبحة صدرية . ولما مات قال اليهود والمناقفون لو كان محمد نبياً لما مات صاحبه فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : « إني لا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً » .

وطلب بنو النجار من النبي ﷺ بعد أن مات أبو أمامة نقיהם أن يقيم لهم نقيباً آخر فقال لهم : « أنتم أخواتي وأنا بما فيكم ، وأنا نقيبكم » .

فكانت هذه منقبة لبني السجعاء يعتدون بها على قومهم ، وترك النبي ﷺ تعين أحد منهم كراهة أن يفضل بعضهم على بعض فخسهم بفضيلة عامة لهم جميعاً وهي كونه ﷺ نقيباً لهم ، وهذا من الحكمة الحمدية والرشد والنضج السياسي . اللهم صل على محمد وآلـه وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

### نتائج وعبر :

من نتائج هذه المقطوعة من السيرة العطرة ما يلى :

- (١) موت فضلاء الرجال بعد رزقها تؤلم المؤمنين وتحزنهم .
- (٢) بيان أن النبي ﷺ لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله تعالى .
- (٣) تجلّى مظاهر الرشد والحكمة والسياسة الحمدية التي لا يجارى فيها أبداً .

### أول مولود للمهاجرين بالمدينة :

ومن أحداث هذه السنة الأولى من هجرة الحبيب ﷺ المفرحة ولادة عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما .

فقد جاءت أسماء إلى المدينة مهاجرة ضمن أسرة الصديق وهي مُتم<sup>(١)</sup> فما إن نزلت بقباء حتى وضعت عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فجاءت به إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فحنّكه بأن أخذ قمرة فمضغها ثم أدخلها في فم الطفل فكان أول شيء دخل جوفه ريقه رسول الله ﷺ ، ودعا له بالبركة وكر أصحاب رسول الله ﷺ فرحاً بهذا المولود الذي كان أول مولود يولد للمهاجرين في الإسلام كما كان النعمان بن بشير أول مولود ولد في الإسلام للأنصار .

---

(١) أي مقاربة للولادة .

وبذا أخرس الله السنة اليهود ؛ إذ أدعوا أن المسلمين قد سحرروا فلذا لم يولد لهم فأكذبهم الله في دعواهم بولادة عبد الله بن الزبير ، وولادة النعمان ابن بشير الأنصاري رضي الله عنهم أجمعين .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نذكرها فيما يأتي :

- (١) بيان أن اليهود من دأبهم ترويج الشائعات الباطلة والمغرضة .
- (٢) تقرير أن اليهود يتعاطون السحر وهم أعلم به من غيرهم .
- (٣) فضيلة أسماء بنت الصديق ولدتها عبد الله بتحنيك رسول الله ﷺ له .
- (٤) جواز الفرح بفضل والتکبير عند حصول النعمة ورؤیة الخیر .
- (٥) معرفة أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين والأنصار . وما عبد الله والنعمان .

### بناء النبي ﷺ بأحباب نسائه إليه :

ومن أحداث هذه السنة الأولى المفرحة بناء النبي ﷺ بزوجه عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها ؛ إذ كان قد عقد عليها ﷺ بمكة قبل الهجرة ، وذلك بعد وفاة خديجة رضي الله عنها ، وكان عمرها إذ ذاك ست سنوات ، وفي شوال من هذه السنة المباركة بنى رسول الله ﷺ بعائشة بدار أبيها بالستّح نهاراً وهي بنت تسع سنوات ، وكان بعض الناس يتشاءمون بالبناء بين العيددين فرددت عليهم عائشة بقولها : تزوجني رسول الله في شوال ، وبني بي في شوال . فأيّ نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده مني ؟

وهو كما قالت فقد روی البخاری عن عبد الله بن عمرو بن العاص قوله : سألت رسول الله ﷺ عن أحب نسائه إليه فقال : « عائشة » وعن أحب أصحابه إليه فقال : « أبوها » أي أبو بكر .

وفي دخول الحبيب ﷺ على عائشة بالنهار رد على ما اعتاده الناس من الدخول بالليل دون النهار .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة نتائج وعبرنا نحملها كالتالي :

- (١) جواز العقد على البنت قبل بلوغها دون الدخول بها .
- (٢) فضل عائشة على سائر النساء بحب الرسول ﷺ لها أكثر من غيرها .
- (٣) جواز الدخول على العروس نهاراً ، ولا معنى لتخصيص ذلك بالليل .
- (٤) إبطال وهم من توهם شؤم الزواج والبناء بين العيدين الفطر والأضحى .
- (٥) فضل أبي بكر الصديق لحب الرسول له أكثر من أصحابه .

### آخر أحداث هذه السنة

#### ثلاث سرايا

#### يعث بها النبي ﷺ

إنه بعد أن أصبحت المدينة وكأنها دار إسلام محضة على الرغم ممَّن فيها من المشركين ، والمنافقين واليهود حيث أصبح للمؤمنين فيها شوكة وقوة لا يستهان بها أذن الله تعالى لل المسلمين بالقتال ، وذلك في قوله تعالى من سورة الحج : ﴿أَذِنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ \* الَّذِينَ أُخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ .

و عملاً بهذا الإذن الإلهي أخذ الرسول ﷺ يبعث بالسرايا لتعقب قوافل المشركين التجارية لعله يظفر بأموالهم التي أصبح المسلمين أحق بها وأولى منهم بثلثها ، فبعث أول سرية ، وهى سرية حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ، وعقد له لواء أبيض وهو أول لواء أو راية عقدت فى الإسلام ، وبعث

معه ثلاثة رجالاً من المسلمين المهاجرين ، وذلك ليعرض عبر قريش التجارية المارة بسيف البحر التي كان عليها أبو جهل في ثلاثة رجال من قريش . ولم يقع بينهم قتال ؛ لحجز مَجْدِي بن عمرو الجهنمي بينهم إذ كان مجدي موادعاً للفريقين معاً ، وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد الغنوبي ، وكانت هذه السرية في شهر رمضان بعد سبعة أشهر من مهاجر رسول الله ﷺ .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نوجزها كالتالي :

- (١) بيان تقييد الرسول ﷺ بالإذن من ربّه فلا يأتي ولا يذر غالباً إلا بإذن من ربّه عزّ وجلّ .
- (٢) بيان أول سرية في الإسلام ، وأنها سرية حمزة عم رسول الله ﷺ .
- (٣) بيان الكمال الحمدى في إرساله عمه والمهاجرين دون الأنصار لتلقى عبر قريش .
- (٤) بيان أن أول لواء عقد في الإسلام كان لواء سرية حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه .

### سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم :

في شهر شوال وهو الشهر الثامن من مهاجر الحبيب ﷺ عقد عبيدة ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم لواء أبيض وأمره بالسير إلى بطن رابع من الحجاز ، وكان اللواء مع مسطح بن أثاثة ، فسار في ستين رجالاً ليس بينهم أنصاراً قط ، ساروا طالبين قافلة للمشركين أفرادها مائتاً رجل فالتقوا معهم على ماء يقال له : « أحيا » وكان على المشركين عكرمة بن أبي جهل أو مكرز ابن حفص ، ولم يقع بينهم قتال ، وإنما تراهموا بالسهام ، فأصيب سعد بن أبي وقاص بسهم ، فكان أول سهم رمى به في الإسلام . ثم انصرف القوم عن القوم ، وفر إلى المسلمين المقداد بن عمرو الهراني ، وعتبة بن غروان

ابن جابر المازني وقد كانا مسلمين ، وإنما خرجا مع الكفار من أجل أن يهربا إلى المسلمين لمنع المشركين لهم من الهجرة ، وحبسهما دونها .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا هي كالتالي :

(١) من مظاهر الكمال الحمدى أن يرسل عَمِّيه حمزة وعبيدة للغزو دون غيرهما من أصحابه الأنصار والهاجرين ، ليضرب المثل في الكمال الخلقى والروحي .

(٢) فضل مسطح بن أثاثة حيث قلد اللواء وهو ابن خال أبي بكر الصديق .

(٣) بيان أن أول سهم رمى به في سبيل الله السهم الذي أصاب سعدًا رضي الله عنه .

### سرية سعد بن أبي وقاص :

وفي ذى القعدة من سنة الهجرة الأولى المباركة ، وبعد سريته حمزة وعبيدة عقد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ لسعد بن أبي وقاص لواء أيضًا وأرسله في عشرين رجلاً يمشون على أقدامهم يسيرون بالليل ويكتمنون بالنهار ، وكان يحمل اللواء المقداد بن الأسود رضي الله عنه ، وكان أفراد السرية كلهم مهاجرين ليس بينهم أنصارًا ، أرسلتهم إلى « الخرار » وعهد إليهم أن لا يتتجاوزوه فساروا فقاتهم غير المشركين ، إذ وصلوا الخرار صبح خامسة ، وسبقتهم عير قريش بيوم فلم يظفروا بها ، ولم يقع قتال ، وعادوا سالمين غانمين الأجر والثوبة ، دون ما خرجوا له من الظفر بغير المشركين .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نوجزها فيما يلى :

- (١) بيان فضل سعد بن أبي وقاص حيث عقد له النبي ﷺ لواء وأرسله على سرية يقودها إلى جهاد الكفار .
- (٢) شرف المقداد بن الأسود حيث حمل راية الجهاد في سبيل الله .
- (٣) بيان كمال طاعة أصحاب رسول الله ﷺ ، في الالتزام بما يعهد به إليهم .

## ظهور العداء الشديد وبدء الصراع الداخلي

إنه ما إن انقضت السنة الأولى من سنى الهجرة المباركة للحبيب ﷺ ولاح في الأفق ظهور الإسلام ، وعزّة أهله حتى نجم النفاق من اليهود والمرشّكين معاً ، وأخذ التحرّب والتكتّل ضدّ الإسلام والمسلمين يلوح في الأفق ، وأصبحت المدينة ميداناً للصراع الداخلي .

وها هي ذى قائمة بأسماء منافقى اليهود مقرونة بسوء أفعالهم وأخرى بأسماء منافقى المرشّكين مشفوعة كذلك بطبع أفعالهم وسوء سلوكهم .

### منافقو اليهود :

إن من بين من عرّفوا بالنفاق من اليهود بالمدينة حيث أظهروا الإسلام كيّداً للرسول ﷺ والمسلمين ومكرّاً بهم ، وهم مصرون على كفرهم ويهدّيهم عليهم لعائن الله :

(١) زيد بن الحصيت وهو القائل لما ضلت ناقة النبي ﷺ : يزعم محمد أنه نبىٰ يأتيه خبر السماء<sup>(١)</sup> وهو لا يدرى أين ناقته ، ولما بلغ هذا القول النبي ﷺ قال : « والله لا أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلني الله عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزماتها » فذهب رجال من المسلمين

(١) حدث هذا في غزوة تبوك .

فوجدوها كذلك .

(٢) رافع بن حريملة وهو الذى قال فيه رسول الله ﷺ لما مات عليه لعائنه الله « مات اليوم عظيم من عظماء المافقين » .

(٣-٤) رفاعة بن زيد بن التابوت ، وسويد بن الحارث أظهرا الإسلام نفاقاً ومكرًا وخدعيةً فوادهُما بعض المسلمين اغتراراً بهم فأنزل الله تعالى قوله ينهى المسلمين عن موادتهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ آتَيْتُكُمْ دِينَكُمْ هُرُوا وَلَعِبَا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارُ أُولَئِكَ أَتَقْرَبُوا إِلَى اللَّهِ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وكان رفاعة هذا إذا كلّم رسول الله ﷺ لوى لسانه ، ويقول : أَرِّعْنَا سمعك يا محمد حتى تفهمك ، ثم طعن في الإسلام وعابه فأنزل الله تعالى فيه قوله : ﴿أَلَمْ يَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضْلِلُوا السَّبِيلَ \* وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَعْدُ أَئِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيَا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا \* مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلْمَنْ عَنْ مَوَاضِيعِهِ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَآسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعْ، وَرَاعَنَا لَيْا بِالسَّبِيلِمْ وَطَعَنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَهْمَمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَآسْمَعْ وَأَنْظَرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ من سورة النساء .

(٥-٦-٧) سعد بن حنيف ونعمان بن أوفى بن عمرو وأخوه عثمان بن أوفى .

(٨-٩) سلسلة بن يرهام ، وكتانة بن صوريا كل هؤلاء كانوا من أحبّار اليهود فأسلموا نفاقا للدس والفتنة والحقيقة بين المسلمين ، فلعنة الله عليهم أجمعين . فهؤلاء تسعه من أحبّار اليهود أسلموا ظاهراً وهم كفار باطنًا ، وكان

(١) الآية من سورة المائدة .

غرضهم من إسلامهم الدس والوقيعة بين المسلمين ، والفتنة لضعفاء الإيمان ،  
والتعرف على أحوال المسلمين الخفية ليقفوا في طريق دعوة الإسلام حتى لا  
تظهر ولا تنتشر حفاظاً على كيانهم المزعزع وتشيّباً بحملهم الباطل وهو إعادة  
مجد وملكة بنى إسرائيل التي تحكم من النيل إلى الفرات .

### منافقو المشركين :

لقد كان منافقى اليهود أثر كبير على المشركين إذ جُلَّ المنافقين من المشركين  
كان نفاقهم بسبب منافقى اليهود ؛ إذ حسِّنُوا لهم ذلك تحت عنوان النصيحة  
لهم ، وإرشادهم إلى السلوك اللائق بهم حفاظاً على وجودهم ومكانتهم بين  
الناس ، ومن بين من عرف من منافقى المشركين هم :

(١) زُويْثٌ بن الحارث من بنى عمرو بن عوف .

(٢) جُلاس بن سويد من بنى حبيب ، وكان من تخلف عن الرسول ﷺ في غزوة تبوك وهو القائل : لعن كأن هذا الرجل يعني النبي ﷺ صادقاً لنحن شرّ من الحمر . وسمع هذه المقالة الخبيثة ربّيه عمر بن سعد فقال له والله يا جلاس إنك لأحب الناس إلىّ ، وأحسنتهم عندى يدًا ، وأعزتهم علىّ أن يصيبه شيء يكرهه ، ولقد قلت مقالة لعن رفعتها عليك لأفضحنك ، ولكن صمت عليها ليهلكنّ ديني ، ولإدحاماً أيسراً علىّ من الأخرى ، ثم مشى إلى رسول الله ﷺ فذَكَرَ له ما قال جلاس . فحلف جلاس بالله لرسول الله ﷺ لقد كذب علىّ عمر ، وما قلت ما قال عمر بن سعد فأنزل الله فيه<sup>(١)</sup> : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا  
قَاتُلُوا وَلَقَدْ قَاتُلُوا كَلِمَةَ الْكُفَّارِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمُّوا بِمَا لَمْ يَتَأْلُمُوا وَمَا  
نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ هَذِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُنْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ  
يَتُوَلُوا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ

(١) من سورة التوبة .

من ولیٰ ولا نصیر ﴿٤﴾ .

وقد روى أن جلاسًا قد تاب وحسنست توبته حتى عرف منه الخير والإسلام .

(٣) الحارث بن سويد أخو جلاس بن سويد ، كان منافقاً فخرج مع المسلمين يوم أحد فقتل المجنَّد البلوي ، وقيس بن زيد أحد بنى ضبيعة أحداً بثار له منها إذ قتلا أباه في الجاهلية ، ثم التحق بقريش بمكة ، ثم بعث إلى أخيه جلاس يطلب التوبة ليرجع إلى قومه بالمدينة فأنزل الله تعالى فيه قوله : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهَدُوا أَنَّ الْرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> .

(٤) نبتل بن الحارث من بنى لَوْذَانَ بن عمرو بن عوف هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « من أحب أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث » ، وكان رجلاً جسيماً أذلماً<sup>(٢)</sup> ثائر شعر الرأس أحمر العينين أسفع<sup>(٣)</sup> الخدين ، وكان يأتي النبي ﷺ يتحدث إليه فيسمع منه ، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين ، وهو القائل إنما محمد أذن من حدثه شيئاً صدقه فأنزل الله تعالى فيه من سورة التوبة : ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ الَّذِي وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنٌ قُلْ أَذْنٌ حَيْرٌ لَكُمْ ﴾ الآية .

(٥) مزيع بن قيظى وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين أجاز في حائطه « بستانه » ورسول الله ﷺ عاًمد إلى أحد : لا أحل لك يا محمد أن كنت بيأً أن تمر في حائطي ، وأخذ حفنة من تراب ثم قال : والله لو أعلم أنى

(١) من سورة آل عمران .

(٢) أسود طويل مسترخي الشفتين .

(٣) السفعة حمرة تضرب إلى سواد .

لا أُصِيبُ بِهَذَا التَّرَابَ غَيْرَكَ لَرْمِيْتُكَ بِهِ ، وَلَمَّا ابْتَدَرَهُ الصَّحَابَةُ أَنْ يَقْتُلُوهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دُعَوَةُ ، فَهَذَا الأَعْمَى أَعْمَى الْقَلْبِ أَعْمَى الْبَصِيرَةِ » وَضَرَبَهُ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ بِالْقَوْسِ فَشَجَّهَ أَيْ فِي رَأْسِهِ .

(٦) أُوسُ بْنُ قَيْظَى أَخُو مُرْبِعٍ وَهُوَ الَّذِي قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَيْوَتَنَا عَوْرَةٌ<sup>(١)</sup> فَأَذْنَنَ لَنَا فَلَنْرَجَعُ إِلَيْهَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ قَوْلَهُ : ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بَيْوَتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ الآيَةُ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ .

(٧) حَاطِبُ بْنُ أَمِيَّةَ بْنُ رَافِعٍ الْخَزْرَجِيُّ ، وَكَانَ شِيَخًا كَبِيرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَهُ أَبْنٌ مِنْ خَيْرِ الْمُسْلِمِينَ يَقَالُ لَهُ يَزِيدُ بْنُ حَاطِبٍ أُصِيبَ يَوْمَ أَحَدٍ فَنُقلَ مَشْخَنَا بِجَرَاحَاتِهِ إِلَى دَارِ بَنِي ظَفَرٍ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ رِجَالِ الْمُسْلِمِينَ وَنِسَائِهِمْ وَهُوَ يَمُوتُ فَقَالُوا لَهُ : أَبْشِرْ يَا أَبْنَى حَاطِبٍ بِالْجَنَّةِ فَنَطَقَ أَبُوهُ حَاطِبٍ الْمَنَّاقِ فَقَالَ أَجَلُ جَنَّةً وَاللَّهُ مِنْ حَرْمَلٍ غَرْتَمْ وَاللَّهُ هَذَا الْمَسْكِينُ مِنْ نَفْسِهِ .

(٨) بَشِيرُ بْنُ أَبِيرِقَ أَبُو طَعْمَةَ سَارِقَ الدَّرَعِينَ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ وَلَا تُجَادِلُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ حَوَّانًا أُثِيمًا ﴾ الآيَةُ مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ .

(٩) قَزْمَانُ حَلِيفُ بْنِ أَبِيرِقَ وَالَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » وَذَلِكَ أَنَّهُ قَاتَلَ يَوْمَ أَحَدٍ قَتْلًا شَدِيدًا وَقُتِلَ بَعْضُهُ نَفْرٌ مِنَ الْمُشَرِّكِينَ فَأَبْشَرَهُ<sup>(٢)</sup> الْجَرَاحَاتُ فَحَمَلَ إِلَى دَارِ بَنِي ظَفَرٍ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْشِرْ يَا قَزْمَانَ فَقَدْ أَبْلَيْتَ الْيَوْمَ ، وَقَدْ أَصَابَكَ مَا تَرَى ، قَالَ بَمَا أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ مَا قَاتَلْتَ إِلَّا حَمِيَّةً عَنْ قَوْمٍ ، فَلَمَّا اشْتَدَتْ بِهِ جَرَاحَاتُهُ أَخْذَ سَهْمًا مِنْ كَنَاثِتِهِ فُقِتِلَ بِهِ نَفْسَهُ . فَصَدَقَ عَلَيْهِ قَوْلُ الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » .

(١) أَيْ مَكْشُوفَةٌ ضَائِعَةٌ مَا لَهَا مِنْ يَعْمِلِها .

(٢) أَيْ أَفْعَدَهُ عَنِ الْحَرْكَةِ لِشَدَّدِهَا .

(١٠) عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي وهو رأس المنافقين ، وإليه يجتمعون . وهو القائل : لعن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، وذلك في غزوة بنى المصطلق ، وفيه وفي رهطه نزلت سورة المنافقون بأسرها ، وهم الذين كانوا يدسون إلى بني النضير حين حاصرهم رسول الله ﷺ ويقولون لهم : اثبتوا فواهكم لئن أخر جهنم لنخرب جهنم معكم ولا نطيق فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصر لكم والله يشهد إنهم لكافرون به الآية من سورة الحشر .

هؤلاء عشرة من منافقى المشركين الذين كانوا يمالئون اليهود وغيرهم على الإسلام . وقد أسلم من أسلم منهم وحسن إسلامه ، ومات على النفاق من مات منهم ، بحيث لم يقبض رسول الله ﷺ حتى لم يبق منهم منافق ، لا من اليهود ولا من المشركين ، إذ اليهود قد أنبهي وجودهم على يد رسول الله ﷺ إنهم كانوا ثلاط طوائف : بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، أما بنو قينقاع وبنو النضير فقد أخرجوا من المدينة ، وأما بنو قريظة فقد أعدموا فيها لخيانتهم وغدرهم ، ولم يسلم منهم إلا القليل ، ومن أشهر من أسلم من أحبار اليهود وعقلائهم عبد الله بن سلام رضى الله عنه ، ومخيرق وقد أسلم يوم أحد قال فيه رسول الله ﷺ : « مخيرق خير يهود » ، وذلك أنه خرج يوم أحد بسلاحه وقال لرهطه إن مت فمالي لحمد ﷺ بعد أن وعظ أهله ودعاهم إلى الإسلام ثم قاتل مع رسول الله ﷺ حتى قتل فرضى الله عنه وأرضاه .

### الأعداء الملعونون عدائهم من اليهود :

إن من ذكرنا من منافقى اليهود كانوا قد ادعوا الإسلام كذباً لأجل الدسّ والوقيعة بين المسلمين . وهناك عدد كبير من أحبار اليهود لم ينافقو بل أعلنوا عن عدائهم للرسول ﷺ والمسلمين ، حملهم على ذلك البغي والحسد للعرب على ما فضلهم الله تعالى من اصطفاء محمد رسولًا منهم إلى الناس كافة .

ولنذكر هنا رؤسائهم من أهل البغي والحسد والضغينة منهم وما كانوا يقولون للرسول ﷺ وأصحابه من سوء القول وقبيحه جدالاً مرة وعناداً مرة أخرى ، وتطاولاً واعتزازاً مرة ثالثة ، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر منهم :

حُبَيْيِ بن أَخْطَبِ النَّضْرِيِّ وَكَانَ أَخْبَثُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ عَدَاءً لِلرَّسُولِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ أَبُو صَفْيَةَ زَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَأَخْوَاهُ أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَخْطَبِ وَجْدَىِ بْنِ أَخْطَبِ . وَسَلَامُ بْنِ مَشْكُمٍ . وَكَنَانَةُ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ . وَأَخْوَهُ سَلَامُ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ . وَرَافِعُ الْأَعْوَرُ الَّذِي قُتِلَ بِخَيْرٍ . وَالرَّبِيعُ بْنُ الرَّبِيعِ أَبْنَ أَبِي الْحَقِيقِ . وَعُمَرُو بْنُ جَحَّاشَ . وَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَهُوَ طَائِيْ وَأَمَّهُ نَضْرِيَّةُ . وَالْحَجَاجُ بْنُ عُمَرُو حَلِيفُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ . وَكَرْدَمُ بْنُ قَيْسٍ حَلِيفُ كَعْبِ أَبْنِ الْأَشْرَفِ وَكُلُّ هُؤُلَاءِ نَضْرِيَّوْنَ .

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيَا الأَعْوَرِ ، وَكَانَ أَعْلَمُ أَحْبَارِ الْيَهُودِ بِالْحِجَازِ وَهُوَ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ .

وَرَفَاعَةُ بْنُ قَيْسٍ . وَسُوِيدُ بْنُ الْحَارِثِ . وَفَتْحَاصُ . وَشَاسُ بْنُ عَدَىِ . وَمَالِكُ بْنُ صَيْفٍ . وَرَافِعُ بْنُ أَبِي رَافِعٍ . وَرَافِعُ بْنُ حَرَيْلَةَ . وَمَالِكُ بْنُ عَوْفٍ . وَكَعْبُ بْنُ رَاشِدٍ . وَعَازِرٌ وَكُلُّ هُؤُلَاءِ مِنْ بَنِي قَيْنَاقَعَ . وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامَ وَقَدْ أَسْلَمَ وَحْسَنَ إِسْلَامَهُ وَكَانَ مُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ . وَالزَّبِيرُ بْنُ بَاطَّا وَعَزَالُ بْنُ شَمِيلٍ . وَكَعْبُ بْنُ رَاشِدٍ . وَوَهْبُ بْنُ يَهُوذَا . وَأَسَامَةُ بْنُ حَبِيبٍ . وَرَافِعُ بْنُ رَمِيلَةَ . وَنَافِعُ بْنُ أَبِي نَافِعٍ . وَعَدَى بْنُ زَيْدٍ . وَهُؤُلَاءِ كُلُّهُمْ قَرْظِيُّوْنَ .

وَلَيْدُ بْنُ عَاصِمٍ وَهُوَ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِوَاسْطَةِ بَنَاتِهِ وَهُوَ مِنْ بَنِي زَرِيقٍ . وَكَنَانَةُ بْنُ صُورِيَا وَهُوَ مِنْ بَنِي حَارَثَةَ .

نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نحملها فيما يأتي :

- (١) صعوبة موقف الدعوة ونحرج القائمين عليها في هذه الفترة من المجرة .
- (٢) خطر المنافقين أشد من خطر الكافرين الظاهرين .
- (٣) معرفة ما ذكر من منافقى كُلَّ من اليهود والمرشِكين .
- (٤) مظاهر النبوة الحمدية في عدة مواقف من هذا العرض .
- (٥) فضيلة كل من عبد الله بن سلام ومُخْيِرِيق من يهود المدينة الذين  
أسلموا وحسن إسلامهم .
- (٦) كفر اليهود وحربهم للإسلام وأهله كان نتيجة بغيهم وحسدهم للعرب  
على انتقال النبوة إليهم . كما كان خوفاً من أن يحول الإسلام دون عودة مجدهم  
المتمثل في مملكتهم التي يعلمون بها وأنها من النيل إلى الفرات .

### **جدليات اليهود ومظاهر عنادهم**

وإلى جانب ذلك الدس والواقعة التي يقوم بها منافقو يهود من أسلم من  
أهبارهم في الظاهر وهو مبطئ للكفر والعداء الشديد في الباطن .  
هناك جماعات أخرى تصرح بکفرها وحقدها وعدائتها للرسول ﷺ ودينه  
وأتباعه ، وتجادل وتعاند ، ولنذكر للعبرة طرفاً من جدالها وعنادها .

فهذا رافع بن حُرِيملة عليه لعائن الله يقول في جدله الساقط : يا محمد  
إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل الله فليكلمنا حتى نسمع كلامه فأنزل  
الله تعالى فيه قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةً ۚ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ شَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقَنُونَ ﴾ .

وهذا سلام بن مشكם ، ونعمان بن أوفى ، ومحمود بن دحية وشاس بن  
قيس ومالك بن الصيف يقولون للرسول ﷺ كيف تُبَعِّلُكَ وقد تركت قبلتنا ،

وأنت لا ترعم أَنْ عَزِيزًا ابْنَ اللَّهِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ رَدًّا عَلَيْهِمْ : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ أَبْنُ اللَّهِ وَقَالَ النَّصَارَى الْمَسِيحُ أَبْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِهُونَ قَوْلَ الدِّينِ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَنِّي نَوْفَكُونَ ﴾ الآية من سورة التوبة .

وهذا جبل بن أبي قشير ، وشمويل يجدان رسول الله ﷺ فيقولان له : يا محمد أخبرنا متى تقوم الساعة إن كنت نبياً كما تقول . فأنزل الله تعالى ردًا عليهم قوله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّهِ لَا يُجَلِّيهَا لِوْقَهَا إِلَّا هُوَ تَقْلِيْثُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيْكُمْ إِلَّا بَعْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَائِنُكَ حَقِّيْهُ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الآية من سورة الأعراف .

وهذا نعمان أَصْنَا وبخري بن عمرو وشاس بن عدى أتوا النبي ﷺ يتحدونه فكلّمه وتكلّمهم ﷺ ، ودعاهم إلى الله تعالى ، وحدّرهم نقمته . فقالوا ما تخوّفنا يا محمد ، نحن أبناء الله وأحباؤه ، فأنزل الله تعالى ردًا عليهم من سورة المائدة قوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْ شَاءَ اللَّهُ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ وَلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بِنَهْمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ .

وهذا رافع بن حارثة وسلمان بن مشكم ، ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة أتوا النبي ﷺ يجادلونه فقالوا : يا محمد ألسْت ترعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ، وتومن بما عندنا من التوراة ، وتشهد أنها من الله حق ؟ قال : « بلى : ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها وكتّعتم منها ما أمرتم أن تبئنوه للناس فبرئت من إحداثكم » . فقالوا معاندين : إننا نأخذ بما في أيدينا ، فإننا على المدى والحق ، ولا نؤمن بك ولا نتبعك ، فأنزل الله تعالى فيهم قوله من سورة المائدة : ﴿ قُلْ يَا أَنْفَلَ

**الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقِيمُوا التَّزَرَّاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِدُنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ طُغْيَانًا وَكَفَرُوا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٤﴾ .**

وهذا النحام بن زيد وكردم بن كعب وبحرى بن عمرو أتوا النبي ﷺ يجادلونه ، فقال يا محمدًا أما تعلم مع الله إلهاً غيره ، فقال رسول الله ﷺ : « الله لا إله إلا هو ، بذلك بعشت ، وإلى ذلك أدعو » فأنزل الله تعالى فيهم وفي قوله : « قُلْ أَئِي شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بِنِي وَيَنْكُمْ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ يَلْعَنْ أَنْتُكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلهَآءُ أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي تَرِىءُ مِمَّا تُشْرِكُونَ \* الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَغْرِفُونَهُ كَمَا يَغْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ حَسِرُوا أَفْسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ .

وأني رهط منهم ، فقالوا معاندين مجاذلين : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فغضب رسول الله ﷺ حتى اتفق<sup>(١)</sup> لونه ، ثم ساورهم<sup>(٢)</sup> غضباً لربه ، فنزل عليه جبريل فسكنه ، وقال حفف عليك يا محمد ، وأتاه من الله بحواب مأسألاً عنه : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوا أَحَدٌ ﴿٦﴾ .

#### نتائج وعبر :

(١) تقرير أنه كان من اليهود منافقون ، ولا عجب فإنهم أهل لكل شر إلا من رحم الله .

(٢) بيان ما كان يلاقيه الرسول ﷺ من جدل اليهود وعنادهم في المدينة قبل خروجهم منها .

(١) تغير لونه .

(٢) واتهم وأراد أن يطش بهم .

(٣) نزول القرآن بالرّد على ما كان اليهود يلقونه من الشبه والحجج الباطلة والمزاعم الكاذبة .

## وَكَالْيَهُودِ نَصَارَى نَجْرَانَ يَجَادِلُونَ ، وَيَعْانِدُونَ

وبمناسبة ذكرنا جدال اليهود وعنادهم نذكر جدال النصارى وعنادهم المتمثل في وفدي نجران ، وإن كان هذا الوفد لم يفد في هذه السنة الأولى من الهجرة إذ وفدي سنة الوفود وهي سنة تسع من الهجرة .

وكان أفراد هذا الوفد ستين راكبا من بينهم أربعة عشر راكبا من أشرافهم ، والذين يُؤول أمرهم إلينهم من رجال الوفد ثلاثة وهم : العاقب واسميه عبد المسيح . والسيد واسميه الأبيم . وأبو حارثة اسقفهم وهو أحد بنى بكر بن وائل ، وكانت له منزلة رفيعة عند ملوك الروم ؛ لما أبداه من اجتهد في دينهم ، ولما كان عليه من العلم ؛ فلذا أمدوه بالمال ، فبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات .

ولما وفدو على رسول الله ﷺ بالمدينة جلس إمامهم أبو حارثة على بغلته التي يركبها متوجها إلى رسول الله ﷺ ، وإلى جنبه أخيه يقال له كرز بن علقة ، فعثرت بغلته فقال أخوه كرز : تعس الأبعد يريد رسول الله ﷺ فقال له أخوه أبو حارثة بل أنت تعسست . فقال : ولم يا أخي ؟ قال : والله لَنَسَى الذي كنا ننتظر . فقال له كرز ما يمنعك منه أى من الإيمان به واتباعه ، وأنت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم شرّفونا وموّلونا وأكرمونا ، وقد أبوا إلا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى . فأضمرها كرز وأسلم بعد .

وحضرت صلاة العصر وقد دخلوا مسجد رسول الله ﷺ ، فصلوا العصر

إلى المشرق ، وكان بعض الصحابة أنكر عليهم ذلك فقال لهم النبي ﷺ « دعوهم يصلوا إلى المشرق إذ تلك قبلتهم في كنائسهم » .

فكلم رسول الله ﷺ منهم ثلاثة وهم أبو حارثة ، والعقاب ، والسيد وهم مع اختلافهم في أمرهم يقولون في المسيح هو الله ، ويقولون هو ولد الله ، ويقولون هو ثالث ثلاثة ، وهذا قول أهل الملة النصرانية ويحتاجون في قوله : إنه ولد الله ؛ لأنه لم يكن له أب يُعلم ، وقد تكلّم في المهد وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله . ويحتاجون في قوله : إنه ثالث ثلاثة بقول الله تعالى : فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا ، فيقولون لو كان واحداً ما قال إلا : فعلت وقضيت وأمرت وخلقت ، ولكنه هو وعيسي ومريم . ويحتاجون في قوله هو الله بأنه كان يحيى الموتى ويرى الأسماء ، وبخبر بالغيب ، وبخلق من الطين كهيئة الطير فينفع فيه فيكون طيراً .

ولما كلّموا رسول الله ﷺ قال لهم : « أسلموا » فقالوا : قد أسلمنا ، فقال لهم النبي ﷺ : « إنكم لم تُسلِّموا فأسلِّموا » ، قالوا : بلى قد أسلمنا قبلك . قال : « كذبتم ينعتكم من الإسلام دعاؤكم لله ولذا ، وعبادتكم الصليب ، وأكلّكم الخنزير » . قالوا : فمن أبوه يا محمد فصمت عنهم رسول الله ﷺ فلم يجيبهم ، وأنزل الله تعالى نيفاً وثمانين آية من أول سورة آل عمران في شأن عيسى ، فحدثهم عنه بالتفصيل ، وبدأ الحديث بولادة جدته حنة لأمه مريم في حديث عجيب يدل دلالة قطعية على عبودية عيسى عليه السلام ونبيّة محمد ﷺ . وجاء فيه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلْقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

ثم دعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة ، وخرج عليه ﷺ ومعه عليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين ، فلما رأوه قالوا : هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزاحتها ، فخافوا ولم يباهلوها . ونزل في ذلك

قول الله عز وجل : ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَهِّلْ<sup>(١)</sup> فَتَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِيْنَ﴾ .

قالوا للرسول ﷺ يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما تريد أن تفعل فيما دعوتنا إليه فانصرفو ، ثم خلوا بالعاصب الذي هو صاحب الرأى فيما فقالوا له : يا عبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال والله يا عشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسلاً ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر أصحابكم « يريد عيسى عليه السلام ». ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبياً قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، وإنه للاستصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أتيتم إلا إلف دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في أصحابكم ، فوادعوا<sup>(٢)</sup> الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم .

فأتوا الرسول ﷺ قالوا : يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلعنك ، وأن نتركك على دينك ، ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا فإنك عندهنا رضا .

وصالحوا النبي ﷺ على ألفٍ حلة ، وعلى أن يضيّقوا رُسُل رسول الله ﷺ ، وجعل لهم ذمة الله تعالى وعهده ألا يفتونوا عن دينهم ، ولا يعشروا ، وشرط عليهم أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به . وبعث معهم أبا عبيدة عامر ابن الجراح أمين هذه الأمة الحمدية رضي الله عنه وأرضاه .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نجملها في الآتي :

(١) أي ندع ونضرع لله تعالى ليهلك المبطل منا .

(٢) أي سالموا الرسول ﷺ ولا تخاربوا فإنك لا تعلبوه .

(١) بيان أن موقف أهل الكتاب من يهود ونصارى من الإسلام واحد ، وهو موقف عدائٍ خالص وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَلَنْ تُرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّىٰ تَبْيَغَ مِلْتَهُمْ ﴾ .

(٢) بيان أن المنافع المادية كثيرة ما تحمل صاحبها على الإصرار على الباطل ، وهو يعرف الحق حفاظاً على تلك المنافع المادية حتى لا تنزع منه كما قال أبو حارثة . . .

(٣) بيان مرية النصارى في معرفة الله عز وجل إذ مرة يقولون هو المسيح ، ومرة يقولون هو ولد الله ومرة يقولون هو ثالث ثلاثة .

(٤) بيان أن من لم يوحد الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله وعباداته فليس بمسلم .

(٥) حب المرأة للشيء وإلفه له يحمله على الإصرار على الباطل وإنكار الحق .

(٦) مشروعية المباهلة في الإسلام كما كانت في أديان الأنبياء قبله .

### الحالة الصحيحة

### بدار الهجرة

ولما قدم الحبيب ﷺ وأصحابه المدينة وجدوها أسوأ البلاد مناخاً وصحوةً كما قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضها . قالت لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوباً أرض الله من الحمى ، فعاني الأصحاب المهاجرون من حمامها ما عانوا ، إلا أن الله تعالى وقى رسوله ﷺ فلم يمرض بها .

ولنستمع إليها رضي الله عنها وهي تصف الحالة الصحية المتردية بالمدينة فقول : قدم الرسول ﷺ المدينة وهي أوباً أرض الله من الحمى ، فأصاب

أصحابه منها بلاء وسقم ، فصرف الله تعالى ذلك عن نبيه ﷺ ، فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال مولياً أباً بكر مع أبي بكر في بيت واحد ، فأصابتهم الحمى فدخلت عليهم أعدهم ، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ، وبهم ملا يعلمه إلا الله من شدة الوعك<sup>(١)</sup> ، فدنت من أبي بكر فقلت له كيف أجدرك يا أبا ؟ فقال :

كُلُّ امْرَىءٍ مَصْبَحٌ فِي أَهْلِهِ      وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَارِكَ تَعْلِيهِ  
فقلت والله ما يدرى أبي ما يقول ، ثم دنت إلى عامر بن فهيرة فقلت له : كيف تجدرك يا عامر ؟ فقال :

لَقَدْ وَجَدْتَ الْمَوْتَ قَبْلَ ذُوقِهِ      إِنَّ الْجَبَانَ حَتَّفَهُ مِنْ فَوْقِهِ  
كَالثُورِ يَحْمِي جَلَدَهُ بَرَوْقَه<sup>(٢)</sup>      كُلُّ امْرَىءٍ مَجَاهِدٌ بَطْوَقَه<sup>(٣)</sup>  
فقلت والله ما يدرى عامر ما يقول : وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع  
بغباء البيت ثم رفع عقيرته<sup>(٤)</sup> يقول :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَبِيَّنَ لَيْلَةً      بَفْخَ وَحْولَ إِذْخَرِ وَجْلَيلُ  
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةً<sup>(٥)</sup>      وَهَلْ يَيْدُونَ لِي شَامَةً<sup>(٥)</sup> وَطَفِيلُ  
والمقصود من إبراد الحالة الصحية بالمدينة أيام الحجرة إليها أن نعلم أن الحبيب  
ﷺ وأصحابه لم يجدوها مفروشة بالرياحين ، ولا سليمة من المنفصالات ،  
والكدورات ، بل فيها الخاوف والشدائد . إنها : كيد اليهود ومكرهم ، وخيث  
المنافقين وكفرهم ، وعداء المشركين وحربهم ، وحتى المناخ مفعم بحمى

(١) الوعك : شدة الألم والوجع .

(٢) أى بطاقة وقدرته .

(٣) أى بقرنة .

(٤) أى أعلى صوته .

(٥) شامة وطفيل جبلان من جبال مكة .

الملاريا والبلدوزم . في هذا الجو القاتم يضطلع الحبيب عليه السلام بأعباء دعوته ومهام رسالته فلا يترك فرصة تضيع بدون إبلاغ دعوته ونشر رسالته . وها هو ذا الآن وقد قضى سنة في دار هجرته ، وقد مرت بنا أحداثها ، وجلها مؤلمة يستقبل السنة الثانية من سني هجرته بالإعداد للجهاد والتحرك لقتال من يليه من المشركين عملاً بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ إِيمَانًا فَلَا تُؤْكِنُوهُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيْكُمْ غُلْظَةً وَأَغْلَمُوهُمْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ وذلك بعد أمره تعالى له بالجهاد في قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ .

وبعد الإذن العام بقتال المشركين الظالمين في قوله : ﴿أُذْنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ بعد أن كان محظوراً عليهم قتال الناس مطلقاً وذلك قبل الهجرة ؛ ففي السنة الأولى بعث عليه السلام ثلث سرايا تقدم الحديث عنها في أحداث السنة الأولى . وقد ولت .

وفي هذه السنة الثانية بلغت غزوتها فيها ثمان عشرة غزوة وسرية .

وأولاها :

### غزوة الأبواء<sup>(١)</sup>

كانت هذه الغزوة المسماة بالأبواء ، أو ودان لقرب ما بين الأبواء وودان ؛ إذ ما يبعهما من مسافة قد لا تزيد على ستة أميال .

وهي أول غزوة غزاها رسول الله عليه السلام ، وكانت في صفر ، وسببها أنه عليه السلام بلغه مرور غير لقريش بالأبواء ، ووجود بنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة في المنطقة فخرج لذلك ، بعد أن استخلف على المدينة سعد ابن عبادة رضى الله عنه . ولما وصل إلى ديار بنى ضمرة ، وادعنه هذه القبيلة بواسطة سيدهم وصاحب الأمر فيهم مخثى بن عمرو الضمرى . وفاقت غير

(١) ودان موضع شرق شمال رابغ ، يبعد عنه بمنحو ثلاثين كيلو متراً ، والأبواء قرية منه وفها قبر آمنة .

قريش . فعاد عليه السلام ولم يلق كيداً . غير أنه أقام بالأبواء بقية صفر وعاد في ربيع الأول . وكان لواؤه عليه السلام في هذه الغزوة أيضاً يحمله عمه حمزة رضي الله عنه .

وثانيتها :

## غزوة بُواث

وبعد عودته عليه السلام من غزوة وَدَان أو الأبواء في ربيع الأول من هذه السنة الثانية من هجرته المباركة استخلف على المدينة النبوية السائب بن عثمان بن مطعمون أو سعد بن معاذ رضي الله عنهما ، وخرج في نفس شهر ربيع الأول في مائتي راكب يرید عيراً لقريش عليها مائة رجل من بينهم أمية بن خلف ، وتعدد أبعرتها يبلغ ألفين وخمسمائة بعير .

فسار عليه السلام ولواؤه مع سعد بن أبي وقاص حتى بلغ بواث من ناحية جبل رَضْوَى جهة ينبع النخل فلبث بيواث بقية شهر ربيع الثاني ، وعاد في أوائل جمادى الأولى إلى المدينة دار هجرته المباركة ، ولم يلق كيداً ؛ وذلك لعدم اصطدامه بعيراً قريش حيث فاتت ونجت بتديير الله عز وجل وإرادته ، وما شاء الله كان وما لم يكن ، وحسب رسول الله عليه السلام وأصحابه أنهم اجتهدوا باذلين الأسباب ، وليس عليهم إلا ذلك ، أما بلوغ الأربع والحصول على المطلوب فهو لله عز وجل ، وهو يعطي وينع لحكم عالية يحب التسليم له في ذلك والرضا بما قضى .

وثالثتها :

## غزوة العشيرة<sup>(١)</sup>

في آخر جمادى الأولى ، وبعد عودته في أول الشهر من غزوة بواث بلغ

(١) في لفظ العشيرة خلاف فتصح بالثنين والسين ، وبالباء وبدونها وبالمد أيضاً العشيراء .

فعلم على السير إليها لعله يظفر ببعضها .

فخرج عليه السلام بعد أن استخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، وأعطي اللواء عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه . وسار حتى نزل العشيرة من بطن ينبع ، ولم يلق من عيرات قريش ولا غيرًا لفوائتها ، ولكنه عليه السلام وادع فيها بني مدج وحلفاءهم من بني ضمرة ، فكان في ذلك خير للإسلام وال المسلمين ، فأقام بالمنطقة بقية جمادى الأولى ، وليالي من جمادى الآخرة ، وعاد إلى المدينة ، ولم يلق كيدًا من أحد ، والحمد لله رب العالمين .

ورابعنا :

غزوة<sup>(١)</sup> بدر الأولى

إن سبب هذه الغزوة هو أن كرز بن جابر الفهري أغاث على سرح المدينة  
أى ماشيته من إبل وغنم وبقر ، وذلك بعد عودة النبي ﷺ من غزوة العشيرة  
ببضعة أيام ( عشرة فأقل ) .

فَلِمَا أَغَارَ كَرْزَ عَلَى سَرَحِ الْمَدِينَةِ خَرَجَ الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَهُ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي طَلْبِهِ لِاقْتِكَاكِ الْمَاشِيَةِ مِنْهُ، فَاسْتَخْلَفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَهُ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَدِينَةِ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةُ مُولَاهُ، وَأَعْطَى الْلَّوَاءَ عَلَيْهِ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَسَارَ فِي طَلْبِ كَرْزٍ حَتَّى بَلَغَ وَادِيًّا يُقَالُ لَهُ سَقْوَانٌ فِي نَاحِيَةِ بَدْرٍ، وَفَاتَهُ كَرْزٌ فَلَمْ يَدْرِكْهُ، فَسُمِّيَّتْ هَذِهِ الْعَزُورَةُ بِغَزْوَةِ بَدْرِ الْأُولَى، إِذَا اتَّهَى فِيهَا مَسِيرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَهُ وَسَلَّمَ إِلَى قَرْبِ بَدْرٍ، وَوُصِّفَتْ بِالْأُولَى لِأَنَّ بَعْدَهَا بَدْرًا الْكَبْرِيَّ التَّيْ نَصَرَ اللَّهُ فِيهَا الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَبِي سَفِيَّانَ وَالْمُشْرِكِينَ وَهُنَاكَ بَدْرُ الْآخِرَةِ، فَلَذَا قِيلَ فِي هَذِهِ بَدْرِ الْأُولَى .

(١) الفرق بين الغزوة والسرية أن الغزوة ماحضرها رسول الله ﷺ ، والسرية ما لم يحضرها على هذا اصطلاح جل المؤرخين ، وليس بلازم .

وخامستها :

## سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة بين مكة والطائف

هذه السرية شاء الله تعالى أن تكون سبباً قوياً في غزوة بدر الكبرى ، ومقديمة عجيبة لها ؛ إذ كانت هذه السرية في رجب من هذه السنة الثانية ، وكانت غزوة بدر الكبرى في رمضان من هذه السنة نفسها فما بين سرية ابن جحش وبدر الكبرى إلا شهر شعبان لا غير . فقد أمر النبي ﷺ أبا عبيدة عامر بن الجراح أن يتجهز للغزو ، فأطاع وتجهز — أى أعد عدة سفر وغزوة — فلما أراد المسير بكى صبابة إلى رسول الله ﷺ أى تألم لفراقه ولم يطقه فبكى حنيناً وشوقاً ، فلما رأى منه ذلك رسول الله ﷺ وهو الحبيب المحب تركه وبعث غيره وهو عبد الله بن جحش ، وبعث معه ثمانية رجال من المهاجرين ، وكتب له كتاباً عهداً له فيه بأموره ، وأمره أن لا يقرأه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه ، ويغضي لما أمره به ، ولا يكره أحداً من أصحابه ، ففعل ، ولما سار اليومين فتح الكتاب ونظر فيه ، فإذا فيه الأمر بالنزول بنخلة ، وهي مكان بين مكة والطائف ، يرصد فيه قريشاً ويعلم أخبارها وتحركاتها وتدابيرها العسكرية الحربية . فأعلم عبد الله أصحابه فساروا معه ، وكان سعد ابن أبي وقاص ، وعتبة بن زغوان قد أضلا بعيراً لهما كانا يعتبانه ، فتخلقا يطلبانه ، فسار عبد الله مع بقية أصحابه حتى نزلوا بنخلة ، فمررت عبر لقريش تحمل زبيباً وغيره ، وفيها عمرو بن الحضرمي ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل ، والحكم بن كيسان ، فأشرف لهم عكاشة بن ممحصن وقد حلق رأسه<sup>(١)</sup> ، فلما رأوه حالقاً رأسه أمنوا بعد أن خافوهم ؛ إذ قالوا : لا بأس هؤلاء عمار .

وتشاور أفراد السرية الإسلامية ، وكان اليوم هو آخر يوم من رجب ،

(١) يدخل هذا تحت قاعدة حرية مشهورة وهي « الحرب خدعة » .

لعن تركناهم هذه الليلة دخلوا الحرم ، وامتنعوا منا ، ولكن قاتلناهم الليلة قاتلناهم في الشهر الحرام فتردد القوم ، ثم تشجعوا على قتل من يقدرون عليه منهم ؛ لأن جرائم المشركين أعظم من القتل في الشهر الحرام ، فرمى واقتاد ابن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وهرب نوفل فطلبوه فأعجزهم هربا .

وأقبلوا بالقافلة والأسيرين عائدين إلى المدينة حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، وذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه : إن لرسول الله ﷺ الخمس . فعزل له خمس العير ، وذلك قبل أن ينزل فرض الخمس ، وإنما كان بإلهام من الله تعالى لعبد الله بن جحش صهر رسول الله ﷺ ، إلا أن النبي ﷺ أنكر عليهم قتالهم في الشهر الحرام ، فوقف العير والأسيرين ، وأبي أن يأخذ شيئاً من ذلك . فلما فعل هذا رسول الله ﷺ سقطَ في أيدي السرية ، وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم المسلمون على صنيعهم هذا ، وأذاعت قريش الخبر مشتعة أكبر تشنيع : أن محمداً وأصحابه استحلوا الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا الأموال وأسروا الرجال ، واعتذر من اعتذر لهم بمكة من المؤمنين ، وقالوا : إنما أصابوا من أصابوا في أول ليلة من شعبان وليس في رجب الحرام كأُشيء . إذ آخر يوم من رجب جائز أن يكون أول يوم من شعبان .

وكثرت التساؤلات ، فأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ عن أصحاب السرية ، مندداً بصنع المشركين فقال تعالى من سورة البقرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٌ فِيهِ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفَتْنَةُ أَكْبَرُ مَنْ قُتِلَ ﴾ .

فقررت الآية الكريمة أن القتال في الشهر الحرام أمر عظيم ولكن أعظم منه صد الناس عن الإسلام حتى لا يؤمنوا ويوحدوا فيكملاً ويسعدوا .

وأعظم من القتال في الشهر الحرام أيضا الكفر بالله تعالى وبرسوله ولقائه . كما أن الصد عن المسجد الحرام يمنع المؤمنين من دخوله والتبعده فيه ، كإخراج أهله المقيمين فيه بتعذيبهم والتنكيل حتى يضطروا إلى الهجرة منه أكبر من القتال في الشهر الحرام . وأخيرا فإن فتنة المؤمنين عن دينهم باضطهادهم وتعذيبهم أشد ظلما وأقبح جرمًا من القتال في الشهر الحرام .

وعندما نزل عذر أصحاب السرية في هذه الآية الكريمة سألوا رسول الله عليه عليه السلام فائلين : هل لنا من أجر في قاتلنا هذا ؟ فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يُرْجَوْنَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . فبشرهم تعالى بما رجوه من الأجر والثوابة .

وانتهت تلك الضجة وبعثت قريش تطلب فداء أسيرها ، وأرجأهم رسول الله عليه عليه السلام حتى يرجع سعد بن أبي وقاص وزميله عتبة بن زغوان ؛ إذ تأخرها عن السرية في طلب بعيرها كما تقدم .

ولما وصل سعد وعتبة أفندي<sup>(1)</sup> رسول الله عليه عليه السلام عثمان بن عبد الله فلحق بهمكمة أما الحكم بن كيسان فقد أسلم وحسن إسلامه ، فلم يرده رسول الله عليه عليه السلام على المشركين . واستشهد الحكم يوم بئر معونة فرضى الله عنه وأرضاه .

وقد سجل هذه السرية الصديق رضى الله عنه في ستة أبيات من الشعر فقال :

وأعظم منه لو يرى الرشد راشد وكفر به والله راء وشاهد لثلا يُرى لله في البيت ساجد وأرجف بالإسلام باغ وحاسد	تدعون قتلا في الحرام عظيمة صدودكم عما يقول محمد وإن خراجكم من مسجد الله أهله فإن وإن عيرتمونا بقتلهم
---	---

(1) أي قبل الفدية فيه .

بنخلة لما أوقد الحرب واقت  
دمًا وابن عبد الله عثمان بيننا  
يُنَازِعُهُ غُلٌّ من القد<sup>(١)</sup> عاند

سقينا من ابن الحضرمي رماحنا  
دَمًا وابن عبد الله عثمان بيننا

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرها نوجزها فيما يلى :

(١) بيان ما اضططع به الحبيب ﷺ من أعباء الجهاد والدعوة إذ ما فرغ  
من غزوة حتى تهيأ لأنخرى وأعد لها ، فجزاه الله عن الإسلام وأمته خير ما  
جزى به نبياً عن أمته .

(٢) بيان الكمال الحمدى في حسن التدبير ، وكمال التصرف وعظيم الرشد  
في كل أعماله .

(٣) بيان أول غنية كانت في الإسلام ، وختمت بإلهام من الله تعالى  
حتى فرض الله تعالى بعد ذلك تخميس الغائم .

(٤) بيان أول فداء في الإسلام .

(٥) بيان مدى ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من حبهم لنبيهم  
حتى إن أبا عبيدة لم يستطع أن يفارق الحبيب ﷺ فرحمه لذلك وأبقاء معه .

(٦) بيان أن سرية عبد الله بن جحش كانت مقدمة لغزوة بدر الكبرى .

### وسادستها :

## غزوة<sup>(٢)</sup> بدر الكبرى

لهذه الغزوة الفاصلة في تاريخ الدعوة الإسلامية ، والمعنون بها في القرآن يوم

(١) القد بكسر القاف : السير يقد من الجلد ، والعائد المتبلل بالدم فلا ينقطع .

(٢) بدر اسم مدينة تبعد عن المدينة المنورة بمائة وخمسين كيلو متراً . وقد كانت قبل وادياً به بئر يملكونها  
رجل يقال له بدر ، ووقعت غزوة بدر به فسميت غزوة بدر .

الفرقان . لها خطوات قبل الالتقاء فيه ، وله أحداث جسام عنده وبعده وهذه هي الخطوات التي تمت من الجانبين الإيماني والكفرى أو التوحيدى والشركى .

(١) قافلة تجارية كبرى لقريش خرجت من الشام يقودها أبو سفيان ورجاله في طريقها إلى مكة المكرمة .

(٢) يصل خبر القافلة إلى النبي ﷺ فيتدب بعض أصحابه لاعتراضها إذا مرت بالحجاز لعل الله تعالى ينفلهم إياها أى يرزقهم ما تحمله من بضائع وسلح نافعة وعظيمة ، وهم أحوج ما يكونون إلى ذلك لأن أمواهم تركوها بمكة وفروا بأنفسهم مهاجرين فصادرتها قريش منهم ولستمع إلى الرسول ﷺ يقول لهم : « هذه غير قريش فيها أمواهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها » فخفّ بعض ، ونقل بعض ، لأن الأمر ما كان ملوما وإنما هو مجرد عرض لا غير . كما أنهم ما كانوا يظنون أن النبي ﷺ سيواجه حرباً ويلقى قتالاً .

(٣) أبو سفيان يدنو من الحجاز بقافلته . وها هو ذا يتحسّس الأخبار ويسأل كل من يلقى من الركبان خوفاً من محمد ﷺ وأصحابه أن يعترضوا طريقه ، وفعلاً أصاب خبراً من بعض الركبان مفاده أن محمداً ﷺ قد استنفر أصحابه له ولعيه ، فقوى بذلك خوف أبي سفيان فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى وبعثه إلى مكة ليستنفر قريشاً فيخرجوا لحماية غيرهم التي بها أمواهم .

(٤) في مكة ترى عاتكة بنت عبد المطلب رؤيا أفرغتها ، وذلك قبل قدم ضمضم الغفارى مكة بثلاث ليال ، فتبعد إلى أخيها العباس رضي الله عنه فتقول له : يا أخي لقد رأيت الليلة رؤيا افطعني<sup>(١)</sup> ، وتخوّفت أن يدخل على قومك شرّ ومصيبة . فقال لها : وما رأيت ؟ قالت رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يال غدر

---

(١) اشتندت على .

لصارعكم في ثلاثة . فرأى الناس قد اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يعنونه فيما هم حوله مثل به بغيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمنتها : ألا انفروا يال غدر لصارعكم في ثلاثة ، ثم مثل به بغيره على رأس جبل ألى قبيس فصرخ بمنتها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفقت<sup>(١)</sup> ، فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخلتها منها فلقة<sup>(٢)</sup> .

قال لها العباس : والله إن هذهرؤيا فاكتمها ولا تذكر بها لأحد . واستكتمته<sup>(٣)</sup> إياها إلا أنه قصها على الوليد بن عتبة صديقه واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه ففشت حتى بلغت أبياً جهل فغضب لذلك ، فلما رأى العباس يطوف بالبيت ناداه : يا أبي الفضل إذا فرغت فأقبل إلينا ، فلما جاءه قال له : يا بنى عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبأ ؟ قال العباس قلت : وما ذاك ؟ قال تلك الرؤيا التي رأت عاتكة قال العباس قلت : وما رأت ؟ قال يا بنى عبد المطلب أما رضيتم أن يتباً رجالكم حتى تتباً نساوكم ، لقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاثة فستربص هذه الثلاثة فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمضي الثلاثة ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب ، وبعد ثلاثة وصل ضممض ابن عمرو الغفارى ، ووقف على بغيره بطن الوادى ، وقد حول رحله وشق قميصه وجدع بغيره وهو يصرخ بأعلى صوته قائلاً : اللطيمة<sup>(٤)</sup> اللطيمة ، أموالكم مع أئم سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركواها الغوث الغوث ، وتجهزت قريش وهم يقولون : أيظن محمد وأصحابه أن نكون

(١) نفت .

(٢) قطعة .

(٣) أى طلب منه أن يكتتها هو عليها فلا يخبر بها .

(٤) الإبل التي تحمل البر والطيب ونحو ذلك من النفائس .

كعير ابن الحضرمى كلا والله ليعلمُنَّ غير ذلك ، ولما أجمعت قريش المسير ذكرت ما كان بينها وبين بنى بكر من حرب فخافت أن تضرب من خلف إلا أن إبليس جاءهم فى صورة سراقة بن مالك بن جعشن المدبلى ، وكان من أشراف بنى كنانة فقال لهم : أنا جار لكم فلا تأتكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فطمأنهم بهذا فمشوا سراعا .

(٥) وخرج النبي ﷺ في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه ، وذلك يوم الاثنين لثوان ليال خلون من شهر رمضان ، واستعمل على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم إلا أنه رد أبا لبابة من الروحاء ، واستعمله على المدينة ، وأعطي اللواء مصعب بن عمير ، وكان أمامة عليه السلام راتبان سوداوان : العقاب وكانت مع على بن أبي طالب ، والأخرى مع بعض الأنصار ، وكان معهم سبعون بعيرا يعتقبونها<sup>(١)</sup> وهم ثلاثة وأربعة عشر رجلا ، وليس معهم إلا فرسان فرس الزبير بن العوام ، وفرس المقداد<sup>(٢)</sup> بن عمرو ، ثم سلكوا طريق العقيق على فج الروحاء ، ونزل عليه السلام بيبر الروحاء ، ثم ارتحل منها فترك طريق مكة على يساره ، وسلك ذات اليمين ، وقطع الوادي إلى مضيق الصفراء ، ثم بعث بسبعين الجهنى وعدى بن أبي الرغباء إلى بدر يتحسس له الأخبار عن أبي سفيان وغيره ، ثم سار سالكا ذات اليمين على وادى ظفران ، ولما قطعه نزل . وقد أتاه عليه السلام الخبر عن مسيرة قريش ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله به فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى « اذهب أنت وربك فقاتلنا إننا هاهنا قاعدون » ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلنا إننا معكما مقاتلون ،

(١) يتناوبون الركب عليها .

(٢) هو المقداد بن الأسود رضى الله عنه .

فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك<sup>(١)</sup> الغمام بجالدنا معك من دونه حتى بلغه . فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له به .

ثم قال رسول الله ﷺ «أشيروا على أيها الناس» فوقف سعد بن معاذ وقال : والله لكيانك تعيننا يا رسول الله ، قال : «أجل» ! فقال سعد : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيتك على ذلك عهودنا ومواثيقنا فامض يا رسول الله لما أردت ونحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تختلف منا أحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنما لصبر في الحرب صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، فسرّ الرسول ﷺ لقول سعد ونشطه ، فقال : «سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفين ، والله لكيان الآن أنظر إلى مصارع القوم» .

وطلب النبي ﷺ من أصحابه أن يشيروا عليه كان يعني به الأنصار لأن شروط بيعة العقبة التي كانت بينه وبينهم لم تتضمن نصرتهم له خارج المدينة وإنما داخلها فقط . فخاف ألا يقاتلوه معه من خرج لقتاله فلذا طمأنه سعد بما قال وسرّ به ، وتتابع ﷺ سيره تجاه بدر حتى نزل قريبا منها .

### ئذبیر حربی :

وركب رسول الله ﷺ وأبو بكر ، والأصحاب نزول ، ركبا يمسحوا المنطقة التي نزلوا بها تعرّفا إلى ما في المنطقة ، وتطلعوا إلى أخبار العدو «العير وقريش» معًا فعثرا على شيخ يقال له : سفيان الضمرى ، فسأله رسول الله ﷺ عن قريش وعن محمد ﷺ وأصحابه ، وماذا يعرف عنهم فقال الرجل

(١) برك الغمام موضع في أقصى البن .

لا أخبرك حتى تخبراني من أنتا ؟ فقال له رسول الله ﷺ « إن أخبرتنا أخبرناك » — في هذا القول من الحيطة والاحتراس ما فيه — فقال الشيخ أذاك بذلك ؟ فقال النبي ﷺ « نعم ». فقال الشيخ محبّا قد بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن صدق الذي أخبرني فهم اليوم في مكان كذا وكذا ، للمكان الذي نزل به رسول الله وأصحابه . وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فإن صدقني الذي أخبرني فهم الآن بمكان كذا وكذا ، إشارة إلى المكان الذي هم الآن به وهو العدوة القصوى ، ثم قال : وأنتا ؟ فقال النبي ﷺ « نحن من ماء ... » أى من جنس الماء الذي خلقنا منه لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَقِيقًا ﴾ فكانت منه ﷺ تورية حسنة يتطلبها الموقف .

فأخذ الشيخ يردد كلمة من ماء محتاراً في هذه النسبة . أمن ماء العراق هما أم من ماء كذا . وعاد النبي ﷺ إلى المعسكر الإسلامي .

تدبر آخر :

وفي المساء أرسل النبي ﷺ علياً والزبير وسعد بن أبي وقاص في رجال يتحسّسون العدو ويتعلّمون أخباره فعنروا على رجلين يسكنيان الماء لقريش فأتوا بهما إلى المعسكر الإسلامي فسألوهما فقالا نحن سقاة لقريش ، فأنكروا عليهما ذلك ، واتهموهما بأنهما سقاة للعيير لا لقريش رغبة من الأصحاب في العثور على العيير لا على النفي، لأن العيير لا شوكة فيها بخلاف النفي وهم يودون غير ذات الشوكة كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعْذِّبُكُمُ اللَّهُ أَخْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَأَتَوْدُونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> وسألوهما فلما أصرّا على ما قالا ضربوهما فاجتمعوا إثنان لأبي سفيان وكان النبي ﷺ يصل

(١) الآية من سورة الأنفال .

فلما سلم من صلاته قال لهم : « إذا صدقاكم ضربتموها ، وإذا كذبتموها تركتموها . صدقا والله إنها لقريش . أخبرنا عن قريش » ف قالا . هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى ، فقال رسول الله ﷺ : « كم القوم » ؟ ف قالا كثير ، قال : « فما عدتهم » ؟ قالا : لا ندرى . فقال « كم ينحرون كل يوم من الإبل » ؟ قالا : ما بين التسعة إلى العشرة ، فقال ﷺ : « إذا القوم ما بين التسعمائة والألف » ثم قال لهم : « فمن فيهم من أشراف قريش » قالا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختيرى بن هشام ، وحكيم بن حزام و .. و .. فذكرها كما من أشراف قريش . وهنا أقبل رسول الله ﷺ على الناس ، وقال : « هذه مكة قد ألقتم إلينا أفالاد<sup>(١)</sup> كبدها » .

ثم سار رسول الله ﷺ مع أصحابه فنزلوا مكاناً قريباً من العدوة الدنيا لا ماء فيه ، فقطع المعسكر ، وأصاب بعضه جنابة بالاحتلام فلم يجدوا ماء يغسلون به ، ووسرس الشيطان لبعضهم : كيف تقاتلون غداً وأنتم جئن ، وكيف تقاتلون ولا ماء عندكم ، قد تموتون عطشاً إلى آخر ما يلقى الشيطان في نفوس الناس ، فأكرمهم الله تعالى فأنزل عليهم مطرًا . فسقو واغسلوا وليد الرمل ليسهل الكر والفر عليه .

وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿إِذْ يُغَشِّيْكُمُ الْعَفَّاسَ أَمْنَةَ مَنْهُ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُظَهِّرُكُم بِهِ وَيُنْذِهِنَّ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيُنْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُبَيِّنَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ .

تدبر سابق :

وكان المعسكر الإسلامي قد بعث بسبس بن عمرو وعدى بن الزغباء

(١) الأفالاد جمع فلذة أى قطعة .

يتحسّسان أخبار العدو ويرقبان تحركاته فنزلوا على تلٌ قريب من ماء ، ثم نزلا يسقيان الماء في شنٌّ لهما ، وعلى الماء رجل يقال له مجدى بن عمرو الجهنى فسمع ببسى وعدى صوت جاريتين يقول إحداها لصاحبتها إنما تأتى العير غداً أو بعده فأعمل لهم ثم أقضيك الذى لك ، فسمع عدى وصاحبه حديثهما وما دل عليه فجلسا على بعيرهما وأتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا من خبر ورود العير غداً أو بعد غدٍ . إلا أن أبو سفيان لحضره وشدة توقعه تقدم العير إلى ماء بدر فوصله ووجد مجدياً فسأله قائلاً هل أحسست أحدها ؟ قال ما رأيت أحدها أنكره إلا أنك رأيت راكبين قد أتوا إلى هذا التل ، ثم استقىا في شنٌّ لهما ثم انطلقا فرأى أبو سفيان مناهم وأخذ من بعر ناقتهما ففتنه فإذا فيه النوى ، فقال هذه والله علائق يثرب<sup>(١)</sup> ، فرجع إلى العير سريعاً فحو لها عن طريقها فأخذ الساحل وترك بدرًا يسارًا ، وانطلق مسرعاً وبذلك نجت العير بكل ما فيها .

وأرسل أبو سفيان إلى قريش يخبرهم أن العير قد نجاه الله فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرًا ، وكانوا باللحفة فقيم عليها ثلاثة فنحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف عليناقيان ، وتسمع بنا العرب ، وترى مسيرنا وجمعنا فلا يهابوننا أبداً . وكانت بدر سوقاً سنويًا يجتمع فيه الناس ، ورفض الأختنس بن شريق الثقفى وهو حليف بني زهرة ، فقال يا بني زهرة ارجعوا فإنه لا حاجة لكم بالمسير إلى بدر ، إذ نجحى الله أموالكم وخلص أصحابكم وهو مخرمة بن نوفل فرجعوا إلى مكة فلم يشهدوا بدرًا . وسار قريش حتى نزلت بالعدوة القصوى .

### عودة إلى المعسكر الإسلامي :

ونظر الحباب بن المنذر إلى المكان الذي نزل فيه الرسول ﷺ بأصحابه

(١) يثرب هي المدينة النبوية سميت في الجاهلية يثرب باسم رجل يقال له يثرب .

فرآه غير لائق عسكرياً ، فتقدم إلى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله : أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي وال الحرب والمكيدة ؟ قال : « بل هو الرأي وال الحرب والمكيدة » فقال : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتنزله ، ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فملؤه ماءً ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ : « لقد أشرت بالرأي » فنهض رسول الله بال المسلمين وسار إلى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ، ثم أمر بالقلب فغورت ، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملؤوه ماءً ، ثم قذفوا فيه الآنية .

### تدبير صالح :

وتقصد سعد بن معاذ إلى رسول الله ﷺ فقال يا نبئ الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله ، وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحبتنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلتحق بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يأنبئ الله ما نحن بأشد لك حباً منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك ، فأثنى عليه رسول الله ﷺ وبني العريش ، وجلس فيه رسول الله ﷺ ، وكان هذا من سعد تدبيراً حسناً .

### تقارب المُعسرين :

وتحركت قريش نحو الوادي ( وادي المعركة ) فلما رأها رسول الله ﷺ تندحر من الكثيب إلى الوادي قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيالاتها وفخرها تحداك وتکذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني . اللهم أخْنُهُم الْقَدَّاَة » ورأى عتبة بن ربيعة على جمل أحمر فقال : « إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب هذا الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا » .

## فِي مَعْسِكِ الرَّكْفَرِ :

وَلَا اسْتَقَرَتْ قُرِيشٌ فِي مَعْسِكِهَا بَعْثَتْ عُمَيرٌ بْنُ وَهْبٍ الْجَمْحِيَّ يَحْرُزُ لَهَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجَالَ فَرْسَهُ حَوْلَ الْمَعْسِكِ الْإِسْلَامِيِّ ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالَ ثَلَاثَةٌ رَجُلٌ يَزِيدُونَ قَلِيلًا أَوْ يَنْقُصُونَ ، وَلَكِنَّ أَمْهَلُونِي حَتَّى أَنْظُرَ مَا إِذَا كَانَ لِلنَّاسِ كَمِينٌ أَوْ مَدْدٌ ، وَضَرَبَ فِي الْوَادِي حَتَّى أَبْعَدَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : مَا وَجَدْتَ شَيْئًا وَلَكِنَّ قَدْ رَأَيْتَ يَا مَعْشَرَ قُرِيشٍ الْبَلَى<sup>(١)</sup> تَحْمِلُ الْمَنَابِيَا نَوْا ضَحْكًا يَثْرَبُ تَحْمِلُ الْمَوْتَ النَّاقِعَ<sup>(٢)</sup> قَوْمٌ لَيْسَ لَهُمْ مُنْعَةً وَلَا مُلْجَأً إِلَّا سَيْوَفُهُمْ ، وَاللَّهُ مَا أَرَى أَنْ يَقْتُلَ رَجُلًا مِنْهُمْ حَتَّى يَقْتُلَ رَجُلًا مِنْكُمْ فَإِذَا أَصَابُوكُمْ أَعْدَادُهُمْ فَمَا خَيْرُ الْعِيشِ بَعْدَ ذَلِكَ فُرُوا<sup>(٣)</sup> رَأِيكُمْ ، وَكَانَ هَذَا مِنْ عُمَيرٍ — وَإِنْ كَانَ نَصِيحَةً — مِثْلَ الطَّابُورِ الْخَامِسِ<sup>(٤)</sup> فَلَمَّا سَمِعْ حَكِيمٌ بْنُ حَزَامَ مَا قَالَ عُمَيرٌ أَتَى عَتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ فَقَالَ : يَا أَبا الْوَلِيدِ إِنَّكَ كَبِيرُ قُرِيشٍ وَسِيدُهَا وَالْمَطَاعُ فِيهَا هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ لَا تَرْتَالَ تَذَكِّرَ فِيهَا بِخِيرٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ؟ قَالَ : وَمَا ذَاكَ يَا حَكِيمًا؟ قَالَ : تَرْجِعُ بِالنَّاسِ . وَتَحْمِلُ أَمْرَ حَلِيفَكَ عُمَرَ بْنَ الْحَضْرَمِيَّ قَالَ قَدْ فَعَلْتَ فَعْلَيَّ عَقْلَهُ<sup>(٥)</sup> وَمَا أَصَبَّ مِنْ مَالِهِ فَأَتَى ابْنَ الْخَنْظَرِيَّةِ — أَبَا جَهْلِ — فَإِنِّي لَا أَخْشَى أَنْ يَشْجُرَ<sup>(٦)</sup> أَمْرَ النَّاسِ غَيْرِهِ . إِلَّا أَنْ عَتْبَةَ قَامَ خَطْبًا فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرِيشٍ إِنَّكُمْ وَاللَّهُ مَا تَصْنَعُونَ شَيْئًا بِلَقَائِكُمْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ ، وَاللَّهُ لَنَّ أَصْبَمْتُهُ لَا يَرَالِ الرَّجُلُ يَنْظَرُ فِي وَجْهِ الرَّجُلِ يَكْرَهُ النَّظرَ إِلَيْهِ ، قَتَّلَ ابْنَ عَمِّهِ أَوْ ابْنَ خَالِهِ ، أَوْ رَجُلًا مِنْ عَشِيرَتِهِ فَارْجَعُوهُ وَخُلُوْبُهُمْ

(١) جَمْ بَلَيةُ وَهِيَ الدَّابَّةُ وَالنَّاقَةُ تُرْبَطُ عَلَى قَبْرِ الْمَيِّتِ فَلَا تَعْلُفُ وَلَا تَسْقُى حَتَّى تَمُوتُ .

(٢) النَّاقَعُ : الثَّابِتُ الْبَالِغُ فِي الْإِفَاءَ .

(٣) أَى انظروا مَا يَصْلَحُ بِكُمْ .

(٤) هُوَ فِي اصْطِلَاحِ الْمُعَاصِرِيِّينَ : بَثُ أَفْرَادٍ فِي الْجَيْشِ الْمَعَادِيِّ يَخْوِفُونَهُمْ وَيَخْذَلُونَهُمْ .

(٥) الْعَقْلُ الدِّيَةُ فَمَعْنَى عَلَى عَقْلِهِ : عَلَى دِيَتِهِ .

(٦) مَعْنَى يَشْجُرُ : يَفْرَقُ .

محمد وبين سائر العرب فإن أصحابه فذاك الذى أردم وإن كان غير ذلك الفاكم  
ولم تعرضا<sup>(١)</sup> منه ما ثریدون .

وأى حكيم أبا جهل وأخبره أن عتبة أرسله إليه بكل هذا وكذا (أى بالعدول  
عن الحرب والعودة إلى مكة) فقال : انتفع والله سحره<sup>(٢)</sup> ، كلا والله لا  
نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال . ولكن قد رأى  
أن محمداً وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه . فلما بلغ عتبة  
قول أبا جهل (انتفع والله سحره) قال : سيعلم مُصْفَر<sup>(٣)</sup> استه من انتفع  
سحره أنا أم هو .

### في معسكر الإسلام :

وشرع القائد الأعظم الحبيب محمد ﷺ في تعديل صفوف أصحابه ، وكان  
بيده قِدْح<sup>(٤)</sup> يعدل به القوم فمرّ بسَوَادَ بنَ غَرِيَّةَ وهو مُسْتَشَلٌ<sup>(٥)</sup> من الصف  
فطعن في بطنه بالقدح وقال : «استو يا سواد» فقال سواد يا رسول الله  
أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقْدَنِي من نفسك ، فكشف له ﷺ  
عن بطنه وقال له «استقد» فاعتنقه يقبل بطنه ، فقال له : «ما حملك على  
هذا يا سواد؟» قال يا رسول الله حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر  
العهد بك أن يمس جلدك ، فدعاه رسول الله ﷺ بخير .

وبعد أن عدل رسول الله ﷺ صفوف أصحابه رجع إلى العريش

(١) يريد مجدهم وما نلتمنه بمكرهه فيصفح عنكم ولا ينقم منكم . هذا الذى ظهر لي في هذه الجملة  
ولم أتعبر على من شرحها .

(٢) أى رئته وهو كتابة عن الجن والحواف .

(٣) يريد به الجبان الذى لا يحضر الحرب ويقيى بين نسائه يتطيب ويتغطر .

(٤) سهم .

(٥) أى متقدم .

فدخله ومعه أبو بكر الصديق ليس معه فيه غيره ، وقام الحبيب ﷺ ينشد ربّه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد بعدها في الأرض » ، وجعل يهتف بربّه عز وجل ويقول : « اللهم أنجز لي ما وعذتني اللهم نصرك » ، ويرفع يديه إلى السماء حتى يسقط الرداء عن منكبيه . وجعل أبو بكر رضي الله عنه يتزمه من ورائه ويسوى عليه رداءه ويقول مشفقا عليه من كثرة الابتهاج : يا رسول الله بعض مُناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك . وخفق النبي ﷺ خفقة أى إغفاءة قليلة ثم انتبه منها فقال : أبشر يا أبا بكر أراك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده ، على ثناياه النقع أى العبار .

### البقاء الفريقين :

في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة تلاقى فريق التوحيد مع فريق الشرك ، وقد قتل الله كلاً من الفريقين في عين الآخر جاء هذا في قول الله تعالى من سورة الأنفال : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذْ اتَّقِيَّتُمْ فِي أَغْيَنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقْلِلُكُمْ فِي آغْيِيْهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ .

وبدأت المعركة فرمى المشركون مهاجعاً مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بهم فكان أول قتيل من المسلمين في المعركة ، ثم رمى حارثة بن سراقة أحد بنى عدى بن التجار وهو يشرب من ماء الحوض بهم فأصاب نحره فقتل وهو الذي جاءت أمه رسول الله ﷺ لما عاد إلى المدينة وقالت يا رسول الله أخبرني عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت ، وإلا فليرين الله ما أصنع تزيد من البكاء والياحة عليه ، فقال لها رسول الله ﷺ : « ويحك أهليت ، إنها جنان ثماني وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » . وخرج من معسكر المشركين الأسود بن عبد الأسد الخزومي وكان رجلاً شرساً سيئاً الخلق فقال

أعاهد الله لأشربين من حوضهم أو لأهدمته أو لأموتن دونه . فخرج إليه حمزة رضي الله عنه فلما التقى ضربه حمزة فأطن<sup>(١)</sup> قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دمًا ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يرثي واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض فكان أول قتيل من المشركين في بدر .

### المبارزة قبل الالتحام :

من سنة الحرب عند الأولين أنهم يبدأون المعركة بالمبرزة بأن يطلب أحد المغسرين المبارزة من الآخر من باب إثارة الحمية وتهييج المقاتلين . وهنا في غزوة بدر خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة بن ربيعة فدعاه إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار ، وهم عوف ومعوذ أبا عفرا ، وعبد الله بن رواحة فسألوهم : من أنتم ؟ فقالوا رهط من الأنصار . قالوا مالنا بكم من حاجة ، ثم نادى مناديهم : يا محمد أخرج لنا أكفاءنا من قومنا . فقال رسول الله ﷺ قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي . فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي . قالوا : نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وكذلك علي لم يمهل الوليد أن قتله ، وانختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين فأثبتت<sup>(٢)</sup> كلامها صاحبه ، وكسر حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة فدققا<sup>(٣)</sup> عليه واحتملوا صاحبها وحازاه إلى معسكرهم .

ثم ظهر النبي ﷺ للناس ، فحرّضهم على القتال ، فقال : « والذى نفس

(١) أطن قدمه أي قطعها من نصف ساقها .

(٢) يقال ضربه فأثبته إذا جرحه جرحًا أقعده عن القيام والحركة .

(٣) أي أسرعا قتله وأنهيا حياته ضربا بالسيف .

محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرًا مقتلاً مقبلًا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » فقال عمر بن الخطاب أخوه بنى سلمة وفي يده ترات يأكلهن بع بع أهوا بيبي وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم قذف الترات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه . ثم تقدم إلى رسول الله عليه السلام ابن عفرا وهو عوف بن الحارث فقال يا رسول الله : ما يُضحك الرب من عباده؟ قال غمْسَه يَدَه فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا فَنَزَعَ دَرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ فَقَذَفَهَا ثُمَّ أَخْذَ سِيفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ رضي الله عنه وأرضاه . وهذا تقدم الحبيب عليه السلام فأخذ حفنة من الحصبة فاستقبل قريشاً بها وقال « شاهت الوجوه » ثم نفعهم<sup>(١)</sup> بها ، وأمر أصحابه وقال : « شُدُّوا » وعاد إلى العريش واقتلت الفريقيان وكانت المجزية للمشركين فقتل الله من قتل من صناديق قريش وأسر من أسر من أشرافهم ، فلما وضع القوم أيديهم يأسرون كان الحبيب محمد عليه السلام ساعيًّا في العريش وسعد بن معاذ قائم على باب العريش متوجًّا السيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله عليه السلام خوفاً عليه من كرة العدو عليه .

#### نهاية سعيدة :

ودارت المعركة وشاركت فيها الملائكة وعلى رأسهم جبريل عليه وعليهم السلام وكان عددهم ألف ملك في صورة رجال عليهم عماميم بيض أرسلوها على ظهورهم إذ شوهد بعضهم وأخبر بهم الرسول عليه السلام ومن سورة الأنفال قال تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغْفِلُونَ رَبَّكُمْ﴾ أى تطلبون الغوث منه لأنهم رضي الله عنهم ضجوا بالدعاء عند ملاقاة المشركين سائلين الله تعالى أن يمدthem بنصر منه ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنَّى مُمِدُّكُمْ بِالْفِلِّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ وفيها أيضاً

(١) أى رماهم بها وفي هذه الآية تعلى من سورة الأنفال : ﴿وَمَا رَمَتَ إِذْ رَمَتْ وَلَكِنَ اللَّهُ رَمَى﴾ لأن هذه النفحة بالحصبة نفذت إلى وجوه أكثر المقاتلين فأصابتهم بالجزية ؛ إذ لو لا الله تعالى ما كانت تصل حفنة بالحصبة إلى أكثر من واحد أو اثنين من المشركين .

**﴿إِذْ نُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَرُّوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** فبعض الملائكة قاتل بالفعل وبعض كان يثبت قلوب المؤمنين حتى تصر على القتال .

ولقد انتهت المعركة بنصر حاسم لل المسلمين إذ قتل من صناديد قريش سبعون وأسر منهم سبعون . وكان من بين القتلى الطاغية فرعون هذه الأمة أبو جهل ، وعتبة بن ربيعة وولده الوليد بن عتبة وأخوه شيبة بن ربيعة ، وحنظلة بن أبي سفيان ، وعقبة بن أبي معيط ، وأبو البختري ، وعبيدة بن سعيد بن العاص ، ونوفل بن خويلد ، والنضر بن الحارث بن كلدة ، وال العاص ابن هشام وأمية بن خلف وغيرهم إذ كانوا سبعين قتيلا .

ومن بين الأسرى : العباس عم النبي ﷺ ، وعقيل بن أبي طالب ، ونوفل ابن الحارث بن عبد المطلب وعمرو بن أبي سفيان وأبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ ، وأبو عزيز بن عمير آخر مصعب بن عمير ، وسهيل بن عمرو أحد ساسة قريش البارزين .

#### آية حمدية :

كانت المعركة دائرة والقتال مستمراً وسيف عكاشه بن محسن ينقطع من الضرب في يده فكيف يقاتل فأئم الرسول ﷺ وهو في العريش مركز القيادة وشكا إليه انقطاع سيفه فأعطاه النبي ﷺ جذلا<sup>(1)</sup> من حطب ، وقال : « قاتل بهذا يا عكاشه » فلما أخذ من يد رسول الله ﷺ هذه في يده فعاد سيفاً في يده طويلاً القامة شديداً المتن أبيض الحديد فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمى « العون » وما زال مع عكاشه يقاتل به حتى قتل رضي الله عنه في حرب الردة على عهد أبي بكر الصديق . فكان هذا السيف آية النبوة الحمدية القوية .

---

(1) أي عوداً من حطب .

## جيف المشركين :

لما حمّدت نار المعركة ، ودفن المسلمون شهداءهم ، وكانوا أربعة<sup>(١)</sup> عشر شهيداً سحبـت جيف المشركـين إلى قـليب<sup>(٢)</sup> كان في سـاحة المـعركة فألقـوا فيه إلا ما كان من الطاغـية أمـية بن خـلف فإـنه قد انتفـخ فـدرعـه فـملأـها فـذهبـوا بـالـحرـكـوه فـنـزـاـيلـ<sup>(٣)</sup> لـحـمـه فـتـرـكـوه مـكانـه وأـلـقـوا عـلـيـه مـا غـيـرـه مـن التـرـاب وـالـحـجـارـة .

## توبـيـخـ الحـيـبـ مـحـمـدـ عـلـيـهـ لـأـعـدـائـهـ :

وفي جـوـفـ الـلـلـيـلـ سـمعـ النـبـيـ عـلـيـهـ وـهـ وـاقـفـ عـلـىـ القـلـيبـ الذـىـ أـلـقـيـتـ فـيـ جـيـفـ الـمـشـرـكـينـ يـنـادـيـهـمـ مـوـبـحـاـ لـهـمـ مـقـرـرـاـ «ـ يـاـ أـهـلـ الـقـلـيبـ بـشـ عـشـيرـةـ النـبـيـ كـنـتـ لـنـيـكـمـ .ـ كـذـبـتـمـوـنـ وـصـدـقـيـ النـاسـ وـأـخـرـجـتـمـوـنـ وـآـوـانـ النـاسـ وـقـاتـلـتـمـوـنـ وـنـصـرـتـيـ النـاسـ ،ـ فـهـلـ وـجـدـتـمـ مـاـ وـعـدـكـمـ رـبـكـمـ حـقـاـ ؟ـ فـإـنـيـ قـدـ وـجـدـتـ مـاـ وـعـدـنـيـ رـبـيـ حـقـاـ ».ـ فـقـالـ لـهـ بـعـضـ أـصـحـابـهـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ أـتـنـادـيـ قـوـمـاـ قـدـ جـيـفـوـاـ<sup>(٤)</sup> ؟ـ فـقـالـ لـهـ :ـ «ـ مـاـ أـنـتـ بـأـسـعـ مـنـهـ مـاـ أـقـولـ لـهـ ،ـ وـلـكـنـهـ لـاـ يـسـتـطـيـعـونـ أـنـ يـجـيـبـوـاـ ».ـ وـفـيـ هـذـاـ يـقـولـ حـسـانـ فـقـصـيـدـةـ سـجـلـ فـيـهاـ غـزـوـةـ بـدـرـ مـنـهـ قـوـلـهـ :

فـدـغـ عـنـكـ التـذـكـرـ كـلـ يـوـمـ  
وـخـبـرـ بـالـذـىـ لـاـ عـيـبـ فـيـهـ  
بـمـاـ صـنـعـ الـمـلـيـكـ غـدـاـ بـدـرـ

(١) هـمـ :ـ عـيـدةـ بـنـ الـحـارـثـ بـنـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ تـوـفـيـ وـخـدـهـ عـلـىـ قـدـمـ النـبـيـ عـلـيـهـ وـلـمـ فـاضـتـ رـوـحـهـ قـالـ أـشـهـدـ أـنـكـ شـهـيدـ .ـ وـعـمـيرـ بـنـ أـنـيـ وـقـاصـ أـخـوـ سـعـدـ .ـ ذـوـ الشـمـانـيـنـ بـنـ عـدـ عـمـروـ .ـ وـعـاـقـلـ بـنـ الـكـبـيرـ .ـ مـهـجـعـ مـوـلـيـ عـمـرـ بـنـ الـحـطـابـ .ـ وـصـفـوانـ بـنـ يـضـاءـ .ـ هـؤـلـاءـ مـنـ الـمـاهـاجـرـيـنـ سـتـةـ أـنـفـارـ .ـ وـمـنـ الـأـنـصـارـ :ـ سـعـدـ بـنـ خـيـثـمـةـ .ـ وـمـيـشـرـ بـنـ عـبـدـ الـمـنـدـرـ .ـ وـبـيـزـيدـ بـنـ الـحـارـثـ وـعـمـيرـ بـنـ الـعـمـامـ .ـ وـرـافـعـ بـنـ الـمـعـلـ .ـ وـحـارـثـةـ بـنـ سـراـقةـ .ـ وـابـنـ عـفـراءـ عـوـفـ وـمـعـودـ اـبـنـ الـحـارـثـ فـرـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ أـجـمـعـينـ .ـ

(٢) الـبـشـرـ لـاـ مـاءـ فـيـهـ .ـ

(٣) أـىـ اـنـفـصـلـ عـنـهـ وـتـسـاقـطـ .ـ

(٤) أـىـ صـارـوـاـ جـيـفـاـ .ـ

بدث أركانه جُنح الغروب  
 كأسد الغاب مُردان وشيب  
 على الأعداء في لفوح الحروب  
 وكُل مجرب<sup>(١)</sup> خاطي الكُعوب  
 بنو النجار في الدين الصليب<sup>(٢)</sup>  
 وعتبة قد تركنا بالجبوب<sup>(٣)</sup>  
 ذوى حسب إذا نسبوا حَسِيب  
 قذفناهم كباكب في القليب  
 وأمر الله يأخذ بالقلوب  
 صدقت و كنت ذا رأي مُصيب

غداة كان جمعهم حراء  
 فلاقيناهم مِنَا بِجَمْعِ  
 أمام مُحَمَّدٍ قد وازروه  
 بأيديهم صوارم مرهفات  
 بنو الأوس الغطارف وازرتها  
 فغادرنا أبا جهل صريعا  
 وشيبة قد تركنا في رجال  
 يصادهم رسول الله لما  
 لم تجدوا كلامي كان حقا  
 مما نطقوا ولو نطقوا لقالوا

### خلاف الأحبة وحسمه :

وأمر القائد الأعظم الحبيب محمد ﷺ بعد انجلاء الموقف بقتل المشركين  
 وأسرهم أمر بجمع الغنائم فجمعت ، واختلف الأصحاب المجاهدون رضوان  
 الله عليهم فيمن هو الأحق بها ؟ فقال الجامعون لها : هي لنا ، وقال المقاتلون  
 الذين شغلوا عن جمع الغنائم بقتال المشركين وطلبهم : والله لو لا نحن ما  
 أصيبحواها ، إذ نحن الذين شغلنا العدو عنكم حتى أصيبح الذي أصيبح ، وقال  
 الذين كانوا يحرسون النبي ﷺ في العريش خشية أن يخالف إليه العدو ، والله  
 ما أنت بأحق بها منا فأنزل الله تعالى قوله : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ  
 الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ يَنِئُكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
 إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وبهذا انتزعها الله من أيديهم حسما للخلاف ، ثم أنزل

(١) المكتتر المحتلء .

(٢) الشديد من صلابته .

(٣) الجبوب وجه الأرض لأنها تحب أى تغير وقطع .

بيان قسمتها في قوله : ﴿ وَأَغْلَمُوا أَنَّمَا غَنِفْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ هُمْ سَهْلٌ وَالرَّسُولُ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّيْلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفَرْقَانِ يَوْمَ التَّقْوَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ من سورة الأنفال . وبهذا حسم الخلاف وانتهى نهائياً والحمد لله رب العالمين .

### بشائر النصر :

وعجل الحبيب محمد ﷺ بتبشير المسلمين في المدينة بالنصر الذي تمَّ بفتح عاصمة العجم عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل الساقية .

قال أسامة بن زيد رضي الله عنه : أتانا الخبر — حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ التي كانت عند عثمان بن عفان رضي الله عنه — أنَّ زيد بن حارثة قد قدم ، فجئت وهو واقف بالمصلى قد غيشه الناس وهو يقول : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وأبو جهل ، وزمعة بن الأسود وأبو البختري ، وأمية بن خلف ، ونبيه ومنبه أبا الحجاج ، فقلت : يا أبا أحق هذا ؟ قال نعم ، والله يابني .

### طلوع البدر :

وطلَّ الحبيب محمد ﷺ من بدر عائداً إلى المدينة ، ومعه الأسرى من المشركين ، واحتمل معه ﷺ الغنائم ، وجعل عليها عبد الله بن كعب النجاري وسار ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثب بين المصيق وبين النازية إلى سرحة به ، فقسم هناك الغنائم بالسوية على المسلمين ، ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهشونه بما فتح الله عليه ، وعلى من معه بالنصر المبين ، وأثناء مسيره وبالصفراء بالضبط قتل على بن أبي طالب النضر ابن الحارث أحد الأسرى ، كما قُتل عقبة بن أبي معيط قته عاصم بن ثابت

الأنصارى بعرق الطيبة ، وثم لقى رسول الله ﷺ أبو هند حجام الرسول ﷺ لقيه بحمىت<sup>(١)</sup> حيضاً ، فقال فيه رسول الله ﷺ : إنما هو أبو هند أمرؤ من الأنصار فأنكحوه وأنكحوا إليه ، فعلوا وكان أبو هند مولى لفروة ابن عمرو البياضى ، ثم مضى رسول الله ﷺ في مسيره إلى المدينة فوصلها قبل الأسارى بيوم .

### أيهما خير القتل أو الفداء :

إنه بعد أن أتمَ الله نصره لرسوله والمؤمنين حيث انهزم المشركون وفرروا من المعركة لائذين بالفرار تاركين وراءهم سبعين جثة أقيت في القليب وسبعين أسيراً وضعوا في القيد ، وقتل رسول الله ﷺ راجعاً ، ونزل<sup>(٢)</sup> منزلًا ، واستشار أصحابه في الأسرى : أيقتلون أم يفادون بمال يستعان به على مواصلة الجهاد ؟ فقال ﷺ : « إن الله قد أمكنكم منهم فما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ » فقام عمر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله اضرب عناقهم ، فقد كذبوك وأخرجوك ، فاضرب عناقهم ، فأعرض عن النبي ﷺ . ثم عاد ﷺ إلى قوله طالباً المشورة في الأسرى ، فقام أبو بكر رضى الله عنه ، فقال : يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم ، وأن تقبل منهم الفداء . فذهب عن وجه النبي ﷺ ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل الفداء ، فأنزل الله تعالى من سورة الأنفال : ﴿ مَا كَانَ النَّبِيُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُتَخَذَّلَ فِي الْأَرْضِ ثُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ۝ فوافقت الآية عمر رضى الله عنه فيما رأه من قتل الأسرى في هذه المعركة . وأنزل الله تعالى عنر نبيه ﷺ وعذر صاحبه أبي بكر الصديق فقال : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَكُمْ فِيمَا أَخْدَثْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* فَكُلُوا مِمَّا غَنَمْتُمْ حَلَالًا طَيْسًا ۚ ۝ وأنزل في الأسرى

(١) الحميـت : الرزق من جلد ، والحيـس السمن يخلط بالتمر والأفـط .

(٢) هو الكـيب الذى بين المضيق وبين النازـية المتقدم فى السياق السـابق .

قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَمَنْ فِي أَيْدِيهِكُمْ مِّنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخْذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فشجعهم بهذا على دفع الفدية وواعدهم بالمغفرة والرحمة إن هم أسلموا وحسن إسلامهم .

ومن بين هؤلاء الأسرى العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ، وعقيل ابن أبي طالب وغيرهما .

وبهذا كان القتل للأسرى في هذه المعركة البدوية خيراً من المفادة ، لأنها أول معركة انتصر فيها الإسلام ، وإن كان المفادة في غيرها خيراً ، وفي كل خير والحمد لله إذ أنزل تعالى بعد هذه الآيات من سورة الأنفال أنزل سورة القتال ، وفيها قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصْرَبُ الرَّقَابَ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنْ يَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْرَارَهَا ﴾ فخير تعالى في هذه الآية الإمام بين المنجائ وبين الفداء بمقابل ، وبين القتل ، فليدير الإمام مع المصلحة العامة للإسلام والمسلمين ، فإن كانت في الفداء فدوى وإن كانت في القتل قتل ، وإن كانت في المنجى من .

### كرم محمد :

إنه لعظيم كرمه ﷺ ووافر رحمته لما أعطى الأسرى لأصحابه يأتون بهم إلى المدينة النبوية مفرقين بينهم قال لهم : « استوصوا بالأسرى خيراً ». وهذا هو ذا أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير ، وقد أسر يحدث فيقول : مر بي أخي مصعب ورجل من الأنصار بأسرى فقال له شد يديك به أى حافظ عليه ، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك؟ قال أبو عزيز : و كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدموا غدائهم أو عشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصيّة رسول الله ﷺ بنا ، فما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها فأستحبّي فأردها على أحد ، فيردّوها على ما يمسّها . فسبحان الله ما أطوع أصحاب رسول الله لرسول

الله !! فضل الله عليه وسلم ما أرحمه !! لقد نالت رحمته أعداءه ، ورضي الله عن صحابته الطَّيِّعين البررة الخَيْرِين .

### صَدَى هزيمة المشركين في مكة :

ودخل مكة أول داًخل من المعركة **الْحَيْسَمَانُ** بن عبد الله الخزاعي فسألوه في هف : ما وراءك ؟ قال : قتل عتبة وشيبة وأبو الحكم وأمية بن خلف . وزمعة بن الأسود ، ونبيه ومُنْبَهٌ وأبو البُخْتَرِي ، فلما أخذ يعدد أشرف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر ، والله ما يعقل هذا ، فسألوه عنّي . فقالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : ها هو ذاك جالساً في الحجر ، وقد رأيت أباه وأخاه حين قتلا .

ولنستمع إلى أبي رافع مولى رسول الله ﷺ يحدث بنا هزيمة المشركين فيقول : كت غلاما للعباس ، وكان أبو هب قد تخلف عن بدر ، وبعث مكانه العاص بن هشام ، فلما جاءه الخبر أقبل يَجُرُّ رجله بشَّرَ ، حتى جلس على طُب حجرة زمم — أي طرفها — فيما هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحارث قد قدم ، فما إن رأاه حتى قال له : هَلْمُ إِلَّا ، لعمري عندك الخبر ، فجلس إليه والناس قيام عليه ، فقال له : يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحتهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ، ويأسروتنا كيف شاءوا وَيُمْ الله مع ذلك ما لُمْتُ الناس ، لقد لقينا رجالاً بيضًا على خيل بُلْقٍ بين السماء والأرض ، والله ما تُبَلِّقَ<sup>(١)</sup> شيئاً ولا يقوم لها شيء ، قال أبو رافع قلت تلك والله الملائكة ، فرفع أبو هب يده فضرب بها وجهي ضربةً شديدةً ، وثارته فاحتملني فضرب بي الأرض ، ثم برَّك علىّ يضربني ، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمود

(١) أي ما تبقى شيئاً .

الحجرة ، فأخذته فضربته به ضربة شَقَّت رأسه وقالت أستضعفته أن غاب عنه سيده ، فقام مولى ذليلًا ، فوالله ما عاش بعدها إلا سبع ليال فرماد الله بالعدسَة<sup>(١)</sup> فقتلته .

هذه واحدة من صدى المزيمة ...

وأخرى : وهي أن قريشاً لما فوجئت بالكارثة الشديدة ناحت نساها نوحًا شديداً ، ثم رأوا أن النبي ﷺ وأصحابه إذا علموا ذلك شَمْتُوا بهم ، فصدر أمر بمنع النياحة ، وعدم المطالبة بمفادة الأسرى خشية أن يغالي محمد وأصحابه في ثمن الفداء .

ومن غريب ما حصل أن الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده وهو زمعة ، وعقيل ، والحارث فأحب أن يبكي ، وحال دون ذلك قرار المنع الذي صدر عن قريش . فيبينا هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل تنوح فقال لغلام له : اذهب فانتظر هل أَحِلَّ التَّنْجُبُ ؟ أى هل بكت قريش على قتلها ؟ لعل أبيكى على أبي حكيمه يعني ولده زمعة ، فإن جوف قد احترق ، فذهب الغلام وعاد فقال له : إن الباكية امرأة تبكي على بغير لها أصله فأنشد هو يقول :

أتبكى أن يضل لها بغير وينتها من النوم السُّهُودُ<sup>(٢)</sup>  
فلا تبكي على بَكِيرٍ ولكن على بدر تقاصرت الجدود  
على بدر سراة بنى هصيص ومخروم ورهط أبي الوليد  
من أصداء المعركة وآثارها :

إن لمعركة بدر أصداء وآثاراً إنا وإن كنا قد عايشنا المعركة ورأينا أحدها

(١) قرحة قاتلة كالطاعون ، والعياذ بالله تعالى .

(٢) الأرق وعدم النوم فهو يعني السُّهاد .

داخل الساحة وخارجها إلا أن هذه المعركة التاريخية الفاصلة أصداء وأثاراً ذات مدى قريب أو بعيد ، فحسن رؤية ذلك ، ومشاهدته . وإزاء النقاط السود نذكر ما يمكن ذكره من ذلك :

● فداء أبي وداعة :

لقد أسر أبو وداعة السهمي فيمن أسر في المعركة ، فلما رأى النبي ﷺ أو سمع به أنه ضمن الأسرى قال فداء أبي وأمي : إن له بمة ابنا كيساً تاجرًا ذا مال وكأنكم به وقد جاءكم في طلب فداء أبيه . ولما قالت قريش لا تعجلوا بفداء أسرائكم لا يأرب<sup>(١)</sup> عليكم محمد وأصحابه ، قال المطلب بن أبي وداعة صدقتم لا تعجلوا وانسلّ هو ليلاً فقدم المدينة فدوى والده بأربعة آلاف درهم ، وهكذا يفعل الأكياس البررة بآبائهم ، وصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به وكانت آية نبوة .

● سهيل بن عمرو :

قدم مكرز بن حفص المدينة في فداء سهيل بن عمرو ، وكان قد أسره مالك بن الدخشيم أخو بنى سالم بن عوف الانصارى ، فلما خاطبهم مكرز في فداء سهيل بن عمر قالوا له : هات الذي لنا يريدون من المال مقابل فداء سهيل . فقال لهم مكرز اجعلوا رجلي مكان رجله ، وخلعوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدايه ، فخلعوا سبيل سهيل وحبسوه مكرزاً مكانه ، وكان سهيل رجلاً أعلم أي مشقوق الشفة العليا ، وكان خطيباً ، فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو فلا يقدم عليك خطيباً أبداً ، فقال رسول الله ﷺ : « لا أُمثّل به فَيُمثّل الله بِي وَإِنْ كُنْتُ نَيّاً ، وَإِنَّهُ عَسِيَ أَنْ يَقُومَ مَقَاماً لَا تَذَمِّه عَلَيْهِ ». .

(١) أي لا يقوى عليكم مستعيناً بأموال الفداء .

## • أبو العاص بن الربيع :

أبو العاص بن الربيع هو ختن النبي ﷺ إذ هو زوج زينب بنت رسول الله ﷺ زوجه إياها قبل البعثة النبوية برغبة من والدتها خديجة رضي الله عنهم أجمعين وألحقني بهم آمين .

ولما بعث النبي ﷺ آمنت خديجة وكذا بناها ومنهن زينب ، وبقي أبو العاص على شركه ، وخرج مع المشركين إلى بدر ، فوقع في الأسر ، فبعثت زينب في فدائه بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها ، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسييرها ، وتردوا عليها ما لها فافعلوا » ، فقالوا : نعم يا رسول الله وأطلقوا وردوا عليها الذي لها ، وتجلت في هذه آيات الحب الصادق والطاعة الإيمانية ، والبشرية الحمدية الطاهرة الرفيعة .

## • هجرة زينب رضي الله عنها :

لما منّ النبي ﷺ على أبي العاص بالفداء بدون مقابل كأنه التزم للنبي ﷺ أن يخلّي سبيل زينب لتلتحق بأبيها ﷺ بالمدينة النبوية . ومن هنا لما وصل أبو العاص بن الربيع إلى مكة بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجالاً من الأنصار إلى مكة ليأتيا بزينب وقال لهم كونا يبطن يا جاج<sup>(١)</sup> حتى تمر بكما زينب فتصحبها حتى تأتياني بها فخرجاً مكابنها وذلك بعد بدر بشهر تقريباً فلما قدم أبو العاص أمرها باللحوق بأبيها . وبينما زينب تتجهز للسفر لقيتها هند بنت عتبة فقالت لها يابنت محمد ألم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟ فخافتها زينب فقالت لها : ما أردت ذلك ، فقالت لها أى ابنة عمّي لا تفعل ، إن كانت لك حاجة بمثابة ما يرفق بك في سفرك ، أو بمال تتبليغين

(١) موضع على ثمانية أميال من مكة .

به إلى أبيك ، فإن عندي حاجتك ، فلا تستحيي مني فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال . قالت زينب : والله ما أراها قالت ذلك إلا تفعل ، ولكن حفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك .

ولما فرغت زينب من جهازها قدم لها حموها<sup>(١)</sup> كنانة بن الريبع بغيراً فركبته وأخذ هو قوسه وكتانته ، ثم خرج بها نهاراً يقود بها وهى في هودج لها على البعير ، وسمع بذلك رجال من قريش فلحقوا بها فأدركوها بذى طوى ، فكان أول من سبق إليها فروعها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد إذ أشار إليها بالرمح فخافت فطرحت ما في بطنه ، وبرك على الأرض حموها ونثر كنانته ثم قال لهم والله لا يدنو مني رجل إلا وضع فيه سهمي فتراجعوا عنه وانصرفوا ثم تقدم نحوه أبو سفيان مفاوضا له فقال له : إنك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد فيظن الناس إذا خرجت بابته إليه علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت ، وإن ذلك منا ضعف ووهن ، ولعمري ما لنا بحبسها عن أيها من حاجة ، وما لنا في ذلك من ثورة<sup>(٢)</sup> . ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد ردناها فسلّلها سراً وألحقها بأبيها ، قال ففعل فأقامت ليالي حتى هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبها فقدما بها على رسول الله ﷺ ، وكان في قصة هجرة زينب عبرة لأولى الآباب .

#### ● إسلام أبي العاص وكيف كان :

قبيل فتح مكة خرج أبو العاص بن الريبع بعل زينب بنت رسول الله ﷺ

(١) أحو زوجها .

(٢) أى طلب ثأر .

المهاجرة إلى أبيها بالمدينة خرج تاجراً إلى الشام ، وكان رجلاً مأموراً يأخذ أموال أرباب الأموال ويتجه فيها ، وعند رجوعه من الشام اعترضته سرية من سرايا رسول الله ﷺ فأخذوا ما معه من أموال وهرب فأعجزهم ، ووصل المدينة ليلاً مختفياً فدخل على زينب فاستجار بها فأجارته ، وقد جاء في طلب ماله فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح ، وكثير فيها وكثير الناس معه صرخت زينب من صفة النساء : أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الريان فلما سلم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال : « أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟ » قالوا : نعم ، قال : « أما والذى نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم ، إنه يجير على المسلمين أدناهم » . ثم انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته فقال : « أى بُنْيَةَ أَكْرَمِي مثواه ، ولا يخلصن إلَيْكَ فَإِنَّكَ لَا تَخْلِينَ لَه »<sup>(١)</sup> .

ثم بعث رسول الله ﷺ إلى أفراد السرية فقال لهم : « إن هذا الرجل متى حيَّثْ قد علمتم ، وقد أصيَّتم له مالاً ؛ فإنْ ثَحَسْنُوا وَتَرَدْوَا عَلَيْهِ الذِّي لَه فَإِنَّا نَحْبُّ ذَلِكَ ، وإنْ أَيْمَمْ فَهُوَ فِي اللَّهِ الَّذِي أَفَاءَ عَلَيْكُمْ ، وَأَنْتُمْ أَحْقُّ بِهِ » فما كان منهم إلا ردوا عليه كل ماله حتى أن الرجل يأتى بالشَّتَّةِ والآخر يأتى بالشَّظَاطِ<sup>(٢)</sup> ، حتى ردوا عليه ماله بأسره فاحتمله إلى مكة ورده إلى أهله ، ثم قال يا معاشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذ ، قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفيَّ كريماً ، قال : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، والله ما معنى من الإسلام عنده إلا تخوف أنى إنما أردت أكل أموالكم فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت ، ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ فرد عليه زينب بعد فترة

(١) أى بوطء وجامع .

(٢) خشبة صغيرة عقفاء تدخل في عروق الجوالق .

**فرق الإسلام فيها بينهما وذلك لتقديم إسلامها وتأخير إسلامه .**

• مثل رائع يضربه أبو العاص :

إنه لما قدم أبو العاص من الشام ومعه أموال التجارة واعتراضه السرية قال له رجالها : هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال فإنها أموال المشركين ؟ فقال : بعس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي ، فرفض المقترح ، وكان الذي كان .. ووصل مكة وأدى أموال الناس وهي أمانات في ذمته ، ثم أعلن إسلامه ، فكان هذا مثلاً رائعاً في الوفاء يضرب به ختن<sup>(١)</sup> الحبيب محمد ﷺ أبو العاص بن الربيع فرضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواناً ومواهباً آمين .

• إسلام شیطان :

كان بمكة رجل يدعى عمير بن وهب يمثل الشيطان في كيده وخبثه أذى المؤمنين في مكة أذى كبيراً وكثيراً . وُصف بأنه شيطان من شياطين قريش ، جلس يوماً يتحدث مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر ، فذكر أصحاب القليب فقال صفوان ، والله ما في العيش بعدهم خير ، فقال عمير صدقـت والله ، ثم قال : أما والله لولا دينَ على ليس له عندى قضاء ، عيالُ أخشي عليهم الضيـعـة بعدـى لركـبـت إلـى مـحـمـد حـتـى أـقـتـلـه ؟ فإنـ لـى قـبـلـهـم عـلـةـ : ابـنـيـ وـهـيـبـ أـسـيـرـ فـأـيـدـيـهـمـ . فـاغـتـنـمـهـاـ صـفـوانـ ، وـقـالـ : عـلـى دـيـنـكـ أـنـاـ أـقـضـيـهـ عـنـكـ ، وـعـيـالـكـ مـعـ عـيـالـيـ أـوـاسـيـهـمـ مـاـ يـقـوـاـ لـاـ يـسـعـنـيـ شـءـ وـيـعـجـزـ عـنـهـ . فـقـالـ لهـ عمـيرـ : فـاكـتـمـ شـائـنـيـ وـشـائـنـكـ ، قـالـ صـفـوانـ : أـغـلـ .

فأمر عمر بسيفه فشحد له وسم<sup>(٢)</sup> ثم انطلق حتى أتى المدينة . فيينا عمر

(١) الختن الصهر .

(٢) يقال : سَمَّ السِّلَاحُ سَقَاهُ السَّمْ بِطَرِيقَةٍ مَعْرُوفَةٍ عَنْهُمْ .

ابن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحاً السيف ، فقال هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، والله ما جاء إلا لشرّ ، ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ ، فقال يا نبى الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه . فقال رسول الله ﷺ : « ادخله على » فأخذ عمر بحملة سيفه في عنقه ولبيه بها ، وقال لرجال من الأنصار ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الحديث فإنه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فلما رأه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحملة سيفه في عنقه قال : « أرسله يا عمر ، اذْنُ يا عمير » فدنا وقال : انعموا صباحاً ، وكانت هذه تحية أهل الجاهلية . فقال رسول الله ﷺ : « قد أكرمنا بتحية خير من تحيةك يا عمير : بالسلام تحية أهل الجنة » فقال عمير : أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد . قال : « فما جاء بك يا عمير ? » قال جئت لهذا الأسير الذي بين أيديكم — يعني ولده وهبها — فأحسنتوا به قال الحبيب محمد ﷺ : « **فَمَا بِالسِّيفِ فِي عَنْقِكَ ؟** » قال : قبحها الله من سيف وهل أغنت عنا شيئاً ؟ قال : « اصْدُقِي الذِّي جَعَلَ لَهُ ؟ » قال : ما جئت إلا لذلك قال النبي ﷺ : « بل قعدت مع صفوان بن أمية في الحجر فذكرنا أ أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين على ، وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً فتحمل لك صفوان ذئبك وعيالك على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك ». قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كننا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنى لأعلم أنه ما أتاك به إلا الله . فالحمد لله الذى هداني للإسلام ، وساقنى هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق . فقال رسول الله ﷺ : « **فَقَهُوا أَخْاَمَ فِي دِينِهِ وَأَقْرَئُوهُ الْقُرْآنَ وَأَطْلَقُوا لَهُ أَسْيَرَهُ** » ففعلوا وعاد عمير إلى مكة وقام بالدعوة إلى الإسلام بنفس القوة

التي كان يدعو بها ضد الإسلام وأوذى كثيراً في ذلك ، وقد دخل بدعوته في الإسلام خلق كثير .

وهكذا بعد ما كان عمير بن وهب شيطاناً أسلم فأصبح داعية إسلامية وهدى الله على يديه خلقاً كثيراً .

وهنا تجلى آية النبوة الحمدية والحقيقة الإيمانية وهي أن من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادى له .

### شرف أهل بدر :

أهل بدر هم المؤمنون الذين خرجوا من المدينة مع النبي ﷺ لاعتراض عير قريش القادمة من الشام . ثم لما نجت العير تصدّوا لقتال كفار قريش في وادي بدر ، وكانوا ثلاثة وأربعة عشر رجلاً على عدة قوم طالوت هؤلاء هم أهل بدر الفائزون بأكبر فضل ، وأعظم شرف تدل لذلك الأخبار النبوية الآتية :

(١) قوله ﷺ لأم حارثة الشهيد الأنباري ، وقد سأله قائلة يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني فإن يك في الجنة أصبر وأحتسب وإن تكون الأخرى ، فليَرِئَ اللَّهُ مَا أَصْنَعَ — تعنى من البكاء والنوح — فقال رسول الله ﷺ : « ويحك أوهبت أوجنة واحدة إنها جنان كثيرة وإنه في جنة الفردوس » .

فهذا الخبر وإن كان في شهداء بدر فإنه دال على فضل أهل بدر من استشهد منهم ومن لم يستشهد .

(٢) قوله ﷺ : « لن يدخل النار رجل شهد بدراً أو الحدبية » رواه أحمد على شرط مسلم فهذا الحديث صريح في بيان فضل أهل بدر والحدبية .

(٣) روى البخاري أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال له ما تعدون أهل بدر

فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين » أو كلمة نحوها قال أى جبريل وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة .

(٤) رواية الشيوخين في حاطب بن أبي بلتعة وقد كتب كتابا إلى أهل مكة قبيل تحرك الجيش الإسلامي لفتح مكة ، فقال عمر ائذن لي يا رسول الله أضرب عنقه فقال له النبي ﷺ : « قد شهد بدرًا ، وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال أعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو قد غفرت لكم » فدمعت عينا عمر رضي الله عنه وقال : الله ورسوله أعلم .

هذا بيان شرف أهل بدر وفضلهم ، ولا يسعنا نحن إلا أن نترضى عنهم ونسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم بفضل منه ورحمة إنه بِرَّ رحيم وجادل كريم .

#### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نحملها في الآتي :

(١) العمل بمشروعية : جزاء السيئة سيئة مثلها ؛ إذ قريش طردت المؤمنين وصادرت أموالهم . فاعتراض غيرها لأنخذ ما معها من أموال كان عدلاً لا ظلم فيه .

(٢) الأخذ بمبدأ الدفاع عن النفس عملاً بقول الله تعالى : ﴿أُذْنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِإِنَّهُمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ .

(٣) لا إثم ولا عقاب على ترك المندوب من الأقوال والأعمال ؛ إذ لم يعتد على الذين لم يخرجوا إلى غزوة بدر لكون الطلب كان ندبًا لا وجوباً .

(٤) مشروعية الشورى وإنها من الواجبات الضرورية في كل ما يهم أمر المسلمين ؛ لاستشارة رسول الله ﷺ أصحابه في أمر قتال المشركين في بدر .

(٥) وجوب مراعاة العهود والمواثيق والالتزام بها تجلّى هذا في طلب النبي ﷺ بيان موقف الأنصارى من القتال معه فيما لو حدث قتال بعد نجاة العبر .

- (٦) بيان فضل أبي بكر وعمر والمقداد بن عمرو وسعد بن معاذ ، تجلى ذلك في كلماتهم التي قالوها للرسول ﷺ عند طلبه المشورة من أفراد أصحابه حيث قرأت بذلك عينا النبي ﷺ .
- (٧) بيان أن من ضروريات الحرب بث العيون للتعرف على تحركات العدو ، وعلى أماكن وتقدير قواته وحرز قوته ، ومعرفة مدى تقدر عليه .
- (٨) مشروعية استعمال الرموز والمعاريض والتورية في الكلام في حالة الحرب والتعمية على العدو ، وقطع الطرق عليه ، والخلولة بينه وبين المرافق التي قد يتدفع في شأن غاراته ، والزحف بقواته .
- (٩) مشروعية الضرب الخفيف الذي لا يكسر عضواً ولا يشن جارحة من أجل استنطاق أفراد العدو للحاجة إلى ذلك ، وحرمة التنكيل وشدة التعذيب .
- (١٠) ضرورة استعمال الرأى والمكيدة في الحرب .
- (١١) آية انقلاب العصا سيفا صارماً في يد عكاشه بن محسن قاتل به طوال حياته من أعظم آيات النبوة الحمدية .
- (١٢) آية حفنة الحصا التي رمى بها النبي ﷺ فأصابت جيشاً بكامله فخبطته ، وأصابته بالتفزق والهزيمة من آيات النبوة الحمدية .
- (١٣) تقرير مبدأ : لا موالاة بين الكافر والمؤمن ؛ إذ قاتل الرجل ولده وقاتل أباه وقاتل ابن عمّه في معركة بدر .
- (١٤) قتال الملائكة في معركة بدر ورؤيه بعضهم وظهور آثارهم آية النبوة الحمدية .
- (١٥) خذلان الشيطان إخوانه من المشركين إذ فر هارباً لما رأى الملائكة في ساحة المعركة بعد أن أجراهم ودخل المعركة معهم .

- (١٦) بيان هلاك المستهزئين مصداقا لقول الله تعالى لرسوله وهو في مكة : **﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾** إذ هلك بالمعركة جلهم كأى جهل وعتبة وأمية والوليد وعقبة بن أبي معيط .
- (١٧) وجوب رد الخلاف إلى الله والرسول في كل ما يشجر بين المسلم والمسلم ، إذ الخلاف الذي تم في شأن الغنائم رد إلى الله والرسول وقضى الله تعالى فيه بما هو العدل و الخير .
- (١٨) مشروعية فداء الأسرى أو قتلهم أو المن عليهم إذ رد هذا إلى الإمام يحكم بما فيه خير للإسلام والمسلمين .
- (١٩) موافقة عمر رضي الله عنه ربه في أسرى بدر ، إذ كان قتلهم أولى من فدائهم .
- (٢٠) تحلى الرحمة الحمدية في وصيته ﷺ بالأسرى خيرا وبيان مدى طاعة أصحابه له ﷺ .
- (٢١) تقرير مبدأ الجوار في الإسلام وأن المسلمين يجبر عليهم أدناهم والمرأة في الجوار كالرجل سواء .
- (٢٢) بيان ما كان عليه العرب في الجاهلية من بعض الكلمات كالأمانة والنجدية والعفة .
- (٢٣) آية النبوة الحمدية في إخباره ﷺ عمير بما قاله في الحجر مع صفوان وليس معهما أحد إلا الله .
- (٢٤) بيان تاريخ غزوة بدر وأنها في رمضان من السنة الثانية من الهجرة .

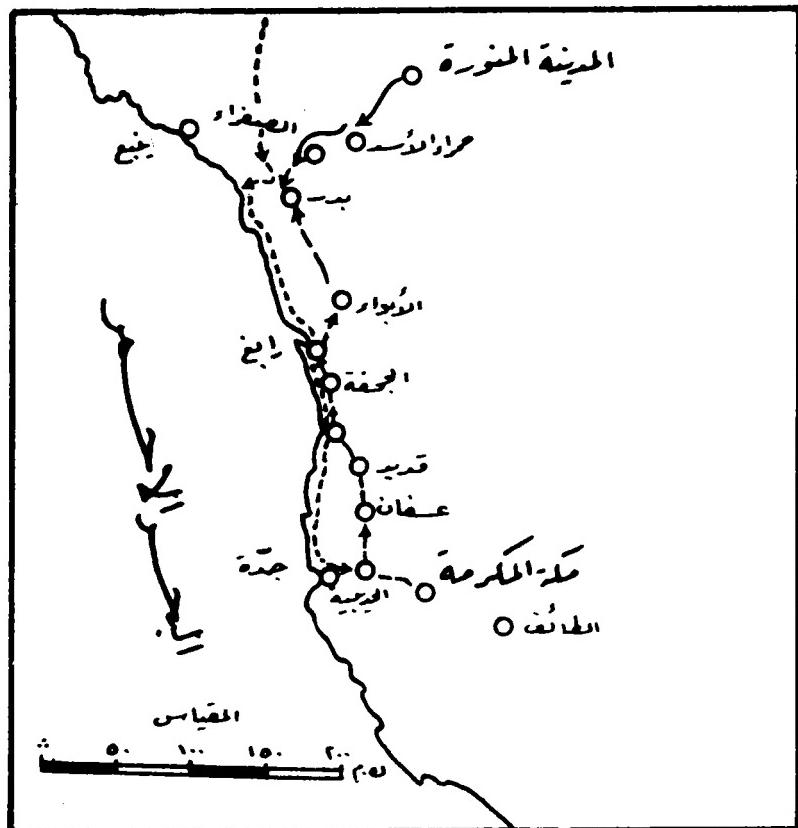
أهم ما وقع من أحداث  
في السنة الثانية من هجرة  
الحبيب محمد ﷺ

لقد تمت أحداث في السنة الثانية كالسنة الأولى من الهجرة تسجيلها مهم في الناحية التاريخية لا سيما في قضايا النسخ التي يتوقف الحكم بها على معرفة تاريخ وقوعها .

وهذه أهم الأحداث التي وقعت في هذه السنة المباركة :

- وفاة عثمان بن مظعون أخي النبي ﷺ من الرضاع ، وقد دفن بالبيع ووضع النبي ﷺ حجراً على قبره وقال : « أعلم به قبر أخي » ، وكانت وفاته في ذي الحجة .
- تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة الشريفة .
- فرض صيام رمضان ونسخ صيام عاشوراء ، فنسخ وجوب صيام عاشوراء وبقى استحبابه ثابتاً بالسنة النبوية الصحيحة ، وإن صيامه يكفر ذنوب سنة ماضية .
- مشروعية صلاة العيد ، وزكاة الفطر وأتها من سنن الإسلام الواجبة .
- فريضة الزكاة وبيان أصنبتها وشروطها .
- بيان المعامل وجعلها في كتاب معلقاً بقراط سيف النبي ﷺ .
- وفاة رقية بنت رسول الله ﷺ .
- زواج عثمان بن عفان الخليفة الراشد بأم كلثوم بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة أختها رقية رضي الله عنها وأرضاهما .
- وصول زينب بنت رسول الله ﷺ مهاجرة من مكة إلى المدينة النبوية .

- إسلام ابن أئل العاص بن الربيع رضى الله عنه ورد الرسول ﷺ عليه زوجته زينب رضى الله عنها .
- تزوج على رضى الله عنه بفاطمة بنت رسول الله ﷺ .
- أول صلاة عيد وأضحية كانت في هذه السنة إذ صلى بهم الرسول ﷺ وضحى وضحى أصحابه عن أهل اليسار معه .
- آية نبوة الحبيب محمد ﷺ ، إذ قال : «ألا أخبركم بأشقي الناس رجلين؟» قالوا بلى يا رسول الله قال : «أحيمر ثود عاشر الناقة ، والذى يضربك يا على على هذه وضع يده على رأسه حتى تبتل هذه» وضع يده على لحيته . وكان الأمر كما أخبر إذ ضرب على أحد الخوارج على رأسه فقتله .



- سير المسلمين إلى بدر
- سير قريش إلى بدر
- قافلة ألى سفيان

بيان موقع بدر ، بين مكة والمدينة ، وبيان مسیر قافلة ألى سفيان التي أسهل بها آخذاً في الساحل بين ينبع ورابغ حتى نجا بها من استيلاء المسلمين عليها ، بتدمير من الله عز وجل .

و سابعتها

غزوہ بنی قینقاع

بنو قينقاع هم إحدى طوائف اليهود الثلاث الذين كانوا نزلوا المدينة النبوية قبل الإسلام بزمن طويل فراراً من اضطهاد الروم لهم وانتظاراً للنبوة المحمدية المبشر بها في التوراة والإنجيل ، ولما حل النبي ﷺ بالمدينة مهاجراً السنة الماضية أى الأولى من الهجرة عاهدهم سليم وحسن جوار وقد تقدمت وثيقتها تحمل نصوص موادها .

وقد نافق كثير من أهاليهم ووالوا المشركين في الخفاء ، وكانوا يتربصون  
بالنبي ﷺ وأصحابه الدوائر . ولما خرج ﷺ إلى بدر فرحوا ظناً منهم أن  
ال المسلمين سيهزموه ، وتخضد شوكتهم ، ويأفل نجم قوتهم . ولما كان النصر  
للمسلمين والمفريمة للمشركين شرقوا بريقهم ، وكشروا عن أنياهم ، وقالوا  
قالة السوء .

فما كان من الحبيب محمد ﷺ إلا أن جمعهم في سوق بنى قينقاع ، وقال لهم في جملة ما قال : « احذروا ما نزل بقريش وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى نبئ مُرسلاً » فقالوا — في وقاحة — يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، إنما والله لئن حاربنا لتعلمنا أنا نحن الناس ، ونزل رداً على مقالتهم وتهديدهم من سورة آل عمران قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُعَلَّمُونَ وَثُحَسْرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِسْيَنِ التَّقْتَا فِتْهَةٌ ثُقَاتُلُ فِي سَيِّلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مُّثَيْهِمْ رَأْيِ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤْيِدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَا أُولَى الْأَبْصَارِ ﴾ فامر تعالى رسوله أن يخبرهم بهزيمتهم الآتية لا محالة ، وقد كانت ، وأن مردهم إلى جهنم ، وذكرهم بهزيمة المشركين أوليائهم على كثريتهم وشدة قوتهم .

ومضت أيام قلائل وجاءت امرأة مسلمة بجلب لها فباعته بالسوق ، ومالت إلى صائغ يهودي لتشترى منه مصاغاً فجلست وحوله يهود فعابوا عليها لستر وجهها ، وطالبوها بكشف وجهها ، فأبانت ذلك حفاظاً على عفتها ، وصيانة لشرفها ، من أن تبذل وجهها ينظر إليها غير محارمها . فما كان من أحد أولئك اليهود عليهم لعائن الله إلا أن عاقلها وربط طرف درعها من أسفله بطرف خمارها ، فلما قامت انكشفت عورتها فصاحت واكتشفتها . فسمعها رجل مسلم فهب إليها فرأى ما بها فضرب اليهودي ضربة قتله بها . وقام يهود فاشتدوا على المسلم فقتلوه فمات شهيداً رضى الله عنه وأرضاه وهب رجال من المسلمين للحادث فاقتتلوا مع اليهود ، وبهذا نقض يهود بنى قينقاع عهدهم ، وطرحوا معاهدتهم فنزلوا حصونهم فتحصنتوا بها فغزاهم رسول الله ﷺ ، وحاصرهم نصف شهر حتى نزلوا من حصونهم على حكمه ﷺ ، فكتفوا أى ربطوا بجبل في أيديهم وأرجلهم لقتلهم بموجب بنود المعاهدة المعقودة بينهم وبين رسول الله ﷺ . وقبل تنفيذ الحكم فيهم توسط في خلاصهم والعفو عنهم حليفهم عبد الله بن أبي كbir المنافقين فأقى الرسول ﷺ وكلمه فيهم ، وقال إنهم موالي فغضب الرسول ﷺ وانتهـ ابن أبي ، وقال له : « ويحك أرسلني » إذ قد أخذ المنافق برداهـ ﷺ والرسول معرض عنه غضبان ، فقال المنافق لا أرسلك حتى تحسن إلى موالي ، وهم أربعمائة حاسـ أـيـ بدون دروع ، وثلاثـ دارـعـ قدـ منـعـونـ منـ الأـحـمـ والأـسـوـدـ تحـصـدـهـمـ فـ غـدـاـةـ وـاحـدـةـ ، وـإـنـيـ وـالـلـهـ لـأـخـشـيـ الدـوـائرـ فـقـالـ النـبـيـ ﷺ : « هـمـ لـكـ خـلوـهـمـ » لـعـنـهـ اللـهـ وـلـعـنـهـ مـعـهـمـ . وـأـنـزـ اللـهـ تـعـالـىـ فـيـهـ لـعـنـهـ اللـهـ قـوـلـهـ : ﴿ يـاـ أـيـهـاـ الـدـيـنـ آـمـنـواـ لـاـ تـشـخـذـوـاـ الـيـهـودـ وـالـتـصـارـىـ أـوـلـيـاءـ بـعـضـهـمـ أـوـلـيـاءـ بـعـضـ وـمـنـ يـتـوـلـهـمـ مـنـكـمـ فـإـنـهـ مـنـهـمـ إـنـ اللـهـ لـاـ يـهـدـيـ الـقـوـمـ الـظـالـمـينـ \* فـرـىـ الـدـيـنـ فـيـ قـلـوبـهـمـ مـرـضـ يـسـارـعـونـ فـيـهـمـ يـقـولـونـ نـحـشـيـ أـنـ تـصـبـيـتـاـ دـائـرـةـ فـعـسـيـ اللـهـ أـنـ يـأـتـيـ بـالـفـتـحـ أـوـ أـمـرـ مـنـ عـنـدـهـ فـيـصـبـحـوـاـ عـلـىـ مـاـ أـسـرـواـ فـيـ أـنـسـيـهـمـ تـأـدـمـيـنـ ﴾ .

وجاء عبادة بن الصامت وكان مرتبطا بحلف مع يهود بني قينقاع فقال يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرا من حلف هؤلاء الكفار وولايهم فكان معنِّياً بقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلَيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وبقوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ .

ولما أطلقهم رسول الله ﷺ بشفاعة ابن أبي خرج بهم عبادة بن الصامت إلى أن وصل بهم ذباباً<sup>(١)</sup> ، ثم ساروا وحدهم إلى أذرعات من الشام ، ولم يلبشو إلا قليلا حتى هلكوا .

ولما خرج رسول الله ﷺ لغزوهم في حصونهم ولّى على المدينة أبا لبابة الأنصاري وأعطى لواءه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .

ولما أجلى بنو قينقاع قسم رسول الله ﷺ أموالهم بين أصحابه وأخذ خمس الغنيمة لينفقه فيما أمر الله تعالى أن ينفقه فيه حيث نزلت سورة الأنفال وفيها قول الله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَأَنَّ اللَّهَ خَمْسَةُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَنِّي السَّيِّل﴾ الآية ..

وأخيراً هل كانت هذه الغزوة في صفر أو في شوال ؟ الراجح أنها كانت في شوال عقب غزوة بدر مباشرة فهى من أحداث السنة الثانية لا من الثالثة .

نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نذكرها فيما يلى :

- (١) تسجيل خيانة اليهود وغدرهم وانعدام وفائهم بأى التزام يدعونه .
- (٢) تقرير : أن الحجاب هو ستر وجه المرأة عن الرجال الأجانب .

(١) اسم موضع معروف به جبل يقال له ذباب وهو قرب المدينة النبوية ويضم الذال منه ويكسر .

- (٣) بيان فضل المؤمن الذى غضب الله فقتل اليهودى الساخر من المؤمنة فقتل شهيداً رضى الله عنه .
- (٤) تسجيل الكرم الحمدى فى أعظم صورة وأعلى مثال ، وذلك بين ظاهر فى قبوله شفاعة ابن أبي وعفوه عن الخائبين الغدر عليهم لعائن الله .
- (٥) فضيلة عبادة بن الصامت الذى تبرأ من اليهود وأعلن ولاءه لله ولرسوله وللمؤمنين .
- (٦) نزول آية آل عمران في الرد على تبجح اليهود وتهديدهم للرسول ﷺ والمؤمنين .
- (٧) نزول آية المائدة في الرد والتنديد بابن أبي عليه لعائن الله لنفاقه وكفره .

و ثامنتها :

### غزوة الْكُدْر

بعد عودة الحبيب محمد ﷺ من غزوة بدر وإجلاء بنى قينقاع من اليهود لغدرهم وخيانتهم بلغه أنَّ بنى سُلَيْم قد تجمعوا لحرب رسول الله ﷺ على ماءِ لهم يقال « الْكُدْر » فسار إليهم ﷺ بعد أن استخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه . وكان لواوه عليه الصلاة والسلام مع على بن أبي طالب رضى الله عنه فواصل سيره طالباً جموع بنى سُلَيْم التي تجمعت لحربه ﷺ حتى بلغ ماءِهم « الْكُدْر » فلم يجد عنده أحداً ، وإنما وجد نعماً ورعاة فساق ذلك وعاد به إلى المدينة النبوية ، ولم يلق بالْكُدْر كيداً . والحمد لله وبعد أيام أرسل ﷺ غالب بن عبد الله الليثي في سرية إلى بنى سُلَيْم وغطفان فقتلوا فيهم وغنموا النعم واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر رحمهم الله تعالى ورضي عنهم .

نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نحملها في الآتي :

- (١) تقرير مبدأ محاربة من يحارب ومسالمة من يسامح .
- (٢) مشروعية الاستخلاف عند غيبة الحاكم العام .
- (٣) حلية الغنائم وهي من خصائص هذه الأمة .

وتأسعتها :

## غزوة السويف

إنه بعد هزيمة قريش في معركة بدر وما أصاب رجالها من قتل وأسرٍ آلى<sup>(١)</sup> أبو سفيان بن حرب أن لا يمس رأسه ماء من جنابة أى أن لا يطأ نساءه حتى يغزو محمدًا صلوات الله عليه ويشفى صدره بقتل أصحابه أو أسرهم ، ولما لم يجد طريقا إلى ذلك وطالت به مدة حلفه أراد أن يتحلل من مسنه فانتدب مائتي راكب من قريش وخرج يقودهم إلى المدينة لغزوها فوصلها ليلاً فترك رجاله خارجها وأتى حبيبي بن أخطب النضرى اليهودى فครع عليه الباب فلم يفتح له تَخوّفا منه فأتى سلام بن مشكم وهو سيد بنى النضير وصاحب خزانة أمواهم فاستأذنه فأذن له ودخل وأطعمه وسقاوه وبطن له من خبر الناس أى أطلعه على ما يجري في المدينة من أمور هامة ، ثم خرج من عنده ليلاً فأتى العريض شرق المدينة وحرقوا أصولاً من النخل أى مجموعات من النخل ، ووجدوا فلاحاً وحليناً له فقتلوهما ، وانصرفوا راجعين إلى مكة ، وما إن وصل الخبر إلى النبي صلوات الله عليه حتى خرج في أصحابه طالباً لأبى سفيان ورجاله فقاتوه هاربين ، وكان معهم سويف هو زادهم في غزوتهم فألقوه في الأرض ليختفوا منه وهم هاربون فوجده النبي صلوات الله عليه وأصحابه فأخذوه ، وبذلك سميت هذه الغزوة بغزوة السويف ، ورجع رسول الله صلوات الله عليه والمؤمنون معه ولم يلقوه كيلاً ،

---

(١) حلف .

فسائل بعضهم رسول الله ﷺ أتقطع أن تكون لنا هذه الغزوة؟ قال ﷺ : «نعم». ولأنى سفيان أبيات شعرية قالها وهو يتزود لغزو المدينة يحسن ذكرها لأنها سجلت جمل أحداث هذه الغارة على المدينة النبوية إذ قال فيها :

كُرُوا عَلَى يَشْرِبَ<sup>(١)</sup> وَجَمِعُهُمْ فَإِنْ مَا جَمَعُوا لَكُمْ نَفْلُ  
إِنْ يَكُنْ يَوْمُ الْقَلِيلِ كَانَ لَهُمْ دُولُ  
لِيَتْ<sup>(٢)</sup> لَا أَقْرَبُ النِّسَاءَ وَلَا يَسُرُ رَأْسَيْ وَجْلَدِيَ الْعَسْلُ  
حَتَّى تُبَرُوا<sup>(٣)</sup> قَبَائِلُ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَاجِ إِنَّ الْفَوَادَ يَشْتَعِلُ

نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نجملها فيما يلى :

- (١) بيان أن المشركين من العرب كانوا يغسلون من الجناة وهي مكرمة فيهم من بقايا دين إسماعيل وإبراهيم ، ومن ذلك الحثنان فقد كانوا يختتنون .
- (٢) بيان أن مشركي العرب كانوا يؤمنون بالله ويختلفون ويررون أيانهم .
- (٣) بيان أن الخروج للجهاد بنبيه يحصل به الأجر ولو لم يقاتل .

---

(١) المدينة النبوية .

(٢) حلفت .

(٣) هلكوا وتبدوا .

## أحداث

### السنة الثالثة من هجرة

الخبيب محمد ﷺ

أولى غزوات السنة الثالثة :

### غزوة ذى أمر

ودخلت السنة الثالثة بعد انقضاء الثانية بما فيها من أحداث جسام وأمور عظام ، وها هي ذى السنة الثالثة تفتح بغزوة ذى أمر .

وذلك أنّ النبي ﷺ بلغه أن جمّعاً من غطفان من بني ثعلبة بن محارب قد تجمعوا عند ماء يقال له « ذو أمر » من أرض نجد ليحاربوه ﷺ فسار إليهم في أربعمائة وخمسين رجلاً ، وكان ذلك يوم الخميس لاثتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من سنة ثلاثة من الهجرة . واستخلف ﷺ على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وسار حتى بلغ ماء « أمر » فعسكر حوله ، وقد هرب الأعراب الذين تجمعوا لحربه ﷺ ، والتحقوا برؤوس الجبال وكان قد نزل عليهم مطر غزيرٌ بل الشياط ، حتى إن النبي ﷺ لما ابتلت ثيابه الطاهرة جلس تحت شجرة ، ونشر ثيابه لتبيس من البيل ، فرأه المشركون المعتصمون برؤوس الجبال خالياً وحده ، فنزل رجل منهم يقال له غورث ، أو دعثور بن الحارث نزل بإيعاز من إخوانه المشركين ، وكان أشجعهم وأقدرهم على القتال ، ومشى حتى وقف على رسول الله ﷺ ، وقد سلّ سيفه وقال : يا محمد من يمنعك اليوم مني ؟ وهم بضرب رسول الله ﷺ : فقال له النبي ﷺ : « الله ». فوقع السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ وقال للدعور : « من يمنعك مني ؟ » . فقال : لا أحد ، وأناأشهد أنه لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكثرك عليك جمّعاً أبداً ، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه فرجع إلى قومه ، فقالوا له : ويلك مالك ؟

فقال لهم : نظرت إلى رجل طويل فدفع في صدرى فوقعت لظهرى ، فعرفت أنه ملك ، وشهدت أن محمدا رسول الله ، ووالله لا أكثر عليه جمعاً وجعل يدعوا قومه إلى الإسلام ، ونزل في هذه الحادثة وفي نظائرها قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا بِعْدَمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup> من سورة المائدة .

وعاد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أصحابه ولم يلقوا — والحمد لله — كيداً .

#### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتاج وعبرنا نوجزها فيما يأتي :

- (١) مشروعية محاربة من يحارب ومسالمة من يسلم .
- (٢) مشروعية الخروج إلى العدو وتتبعه إرهاباً له .
- (٣) ظهور آية من آيات النبوة المحمدية ، وذلك بسقوط السيف من يد دعثور ، وإعلان إسلامه ، وتعهده بأن لا يكثر جمعاً ضد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما شاهد من آية نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
- (٤) تجلّى الرحمة الحمدية في العفو على من أراد قتله بعد التمكن منه .
- (٥) بيان حسن عاقبة العفو بعد القدرة على المواجهة .

#### وثاني الغزوات :

### غزوة الفُرْعَع من بحران

بِحران «معدن<sup>(٢)</sup> بالحجاز» ناحية الفُرْعَع تجمع بنو سليم لقتال النبي

(١) إن هذه الآية وإن نزلت في حادثة مشابهة في الحديثة فإنه لا مانع من القول بنزولها في هذه الحادثة إذ يقال استشهاداً للتتوافق بين الحادثتين .

(٢) هو المهد الذي به معدن الذهب اليوم .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلِمَ عَلَيْهِ بِتَجَمِّعِهِمْ لِحَرْبِهِ ، فَانْتَدَبَ أَصْحَابَهُ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي ثَلَاثَةِ رَجُلٍ بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنُ أَمْ مَكْتُومَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَسَارَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا عَلِمُوا بِمَسِيرِهِ إِلَيْهِمْ تَفَرَّقُوا ، وَكَانَ هَذَا مَصْدَاقُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَصْرَتْ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ » ، فَرَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَصْحَابِهِ وَلَمْ يَلْقَوْهُ — وَالْحَمْدُ لِلَّهِ — كَيْدًا وَكَانَتْ مَدَةُ الْغِيَابِ عَنِ الْمَدِينَةِ عَشْرَةِ أَيَّامٍ .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج و عبرًا نذكرها فيما يلى :

- (١) مظاهر العزم والحزم لدى الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
- (٢) آية النبوة الحمدية في انهزام المشركين بمجرد تحركه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوهم .
- (٣) فضيلة ابن أم مكتوم لاستخلاف رسول الله له غير ما غير ما إمامًا وحاكمًا .
- (٤) جواز تولية الأعمى إذا كان ذا أهلية للولاية من الإيمان والعلم والتقوى .

### أولى السرايا :

#### سرية زيد بن حارثة إلى القرد

لما هُزِمتْ قريش في بدر وعرفت أنها غير قادرة على حماية قوافلها التجارية عبر طريق قوافلها القديم ، والذى كان يمر قريبا من المدينة إلى مكة غرب طرقها الأول ، وصارت تسلك طريق العراق إلى الشام ، وبلغ<sup>(١)</sup> ذلك

(١) سبب علم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه العبر : أن نعيم بن مسعود أتى المدينة وجالس كنانة بن الحقيق وعدداً من اليهود وشربوا وسکروا فأخبر نعيم بالقافلة وهو سكران فوصل الخبر إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

رسول الله ﷺ كما بلغه أن عيراً لقريش تحمل كميات هائلة من الفضة ، وأنها سلكت طريق العراق انتداب لها سرية من أصحابه بقيادة زيد بن حارثة حب الحبيب عليه السلام ومولاه ، فسار زيد مع أفراد سريته حتى انتهوا إلى ماء يقال له : « القردة »<sup>(١)</sup> وعليه عيراً قريش ، فهرب أهل القافلة وهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وأخرون ، وعزم زيد مع رجاله القافلة بما فيها ، وأسرروا معها الدليل وهو فرات بن جبان منبني بكر بن وائل استأجره أبو سفيان ليدهم على مسالك الطريق الجديد لقوافلهم .

ولما وصل زيد المدينة سلم الغنائم إلى النبي ﷺ ، ومنها الأسير فرات بن جبان الوائلي . وأسلم فرات وحسن إسلامه ، وقسم الرسول ﷺ الغنائم بعد أن خمسها ، فكان الخمس عشرين ألف درهم ..

وقال في هذه الغزوة المظفرة حسان شعرًا بهذه أبيات منه :

دعوا فلجلات <sup>(٢)</sup> الشام قد حال دونها	جلاد <sup>(٣)</sup> كأفواه الخاض <sup>(٤)</sup> الأوارك
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم	وأنصاره حقاً وأيدي الملائكة
إذا سلكت للغور من بطن عالم	قولوا لها ليس الطريق هنالك

نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نوجزها فيما يأتي :

- (١) بيان مدى أثر هزيمة قريش في بدر حتى أصبحت في رعب وخوف لا نظير لهما .

(١) القردة اختلف في ضبط هذه الكلمة هل هي بالفاء أو بالكاف وهل هي ساكنة الوسط أو متحركة والراجح التسكين .

(٢) جمع فلجة وهي العين الجارية .

(٣) الجlad الإبل الغزيرة اللbin والغلاظ الأجسام .

(٤) الخاض الإبل الحوامل والأوارك الإبل ترعى شجر الأراك .

- (٢) فضيلة زيد بن حارثة لاختياره لهذه السرية المظفرة قائداً ناجحاً .
- (٣) مشروعية تخميس الغنائم وتنفيذ ذلك .
- (٤) بيان أن النبي ﷺ كثيراً ما كان يكلف المهاجرين دون الأنصار في شأن الغزو وال Herb خارج المدينة نظراً إلى بتوء بيعة العقبة .

**وثاني السرايا :**

### **سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب اليهودي**

لما انهزمت قريش في بدر ، وجاء الشيران من قبل رسول الله ﷺ زيد ابن حارثة وعبد الله بن رواحة فبشا بنصر المسلمين وهزيمة المشركين في بدر ، وبلغ ذلك كعب بن الأشرف الطائي الأصل ، اليهودي العقيدة ابن النصرية اليهودية لما بلغه ذلك قال : والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم — يعني أمية بن خلف ، وأبا جهل ، وعتبة بن ربيعة ، لبطن الأرض خير من ظهرها ، وكشر عن نابه كالكلب العقور وأخذ يسب النبي ﷺ ، ويتشبّه<sup>(١)</sup> بنساء المسلمين ، ثم ذهب إلى قريش يستعدى رجالها على حرب النبي ﷺ فاستضافوه واجتمعوا عليه ، وهو يسب النبي ﷺ والمسلمين ، وسألوه عن دينهم فقال : إن دينكم خير من دين محمد ﷺ وكذب اللعين وغش . فنزل فيه قرآن من سورة النساء وهو قوله تعالى : ﴿أَلْمَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نِصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالْطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَيِّلًا﴾ .

ولما عاد إلى المدينة وأوحى الله تعالى إلى رسوله بما قاله كعب وما فعله وما عزم عليه الأمر الذي استوجب قتلها بنقضه العهد وتاليه الأعداء على

(١) تشتبّه بالمرأة إذا ذكر محسنها ، وما أراده من اللهو بها .

ال المسلمين ، قال الرسول ﷺ لبعض أصحابه : « من لي بابن الأشرف ؟ » فقال محمد بن مسلمة أخو بنى عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله ، قال : « فافعل إن قدرت على ذلك ». فقال يا رسول الله إنه لا بد لنا من أن نقول ، قال : « قولوا ما بدا لكم ، فأنتم في حِلٍّ من ذلك » ، فاجتمع على قتلها محمد بن مسلمة و سِلْكَان بن سلامة وهو أخو كعب من الرضاعة ، و عباد بن بشر ، والحارث بن أوس ، وأبو عبس بن جَبْر أحد بنى حارثة ، و ساروا نحوه ، وما كانوا بمقرية من قصره قدموه سِلْكَان بن سلامة أبا نائلة أمامهم ، فذهب فأتى كعباً في قصره ، فجلس إليه ساعة ، و تحدث معه ، و تناشدا الشعر ، وكان كل منهما يقول الشعر . ثم قال سِلْكَان و يحك يا ابن الأشرف إني قد جئتك حاجة أريد ذكرها لك فاكتم عنّي ، قال : أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء ، عادتنا العرب و رمتنا عن قوس واحدة ، و قطعت عنا السبل حتى ضاع العيال ، و وجهت الأنفس ، قال كعب : أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر يصير إلى ما تقول ، قال سِلْكَان : إني أردت أن تبيعنا طعاماً ، و نرهنك و نوثق لك ، قال كعب أترهنوني أبناءكم ؟ قال سِلْكَان : لقد أردت أن تغضينا ، إن لي أصحاباً على مثل رأسي ، وقد أردت أن آتيك بهم ، فتبיעهم و تحسن في ذلك ، نرهنك من الحلقة ما فيه وفاء ، وأراد سِلْكَان أن يعمّي عليه فلا ينكر السلاح إذا جاءوا به فقال كعب : إن في الحلقة — السلاح — لوفاء ، ورجع سِلْكَان إلى أصحابه فأخبرهم خبره ، و أمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا ، فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ فخرج معهم إلى بقيع الغرقد ، ثم وجههم قائلاً : « اللهم أعنهم » ثم رجع ﷺ ، ومضوا هم حتى انتهوا إلى حصن كعب ، فهتف به أبو نائلة سِلْكَان فنزل في ملحقته ، وهو حديث عهد بعرس فأمسكت به امرأته وهو خارج ، فقالت له : إنك امرؤ محارب ، فكيف تنزل في هذه الساعة ؟ فقال لها : إنه أبو وائلة لو وجدني نائماً لأقطنني .

فقالت له : والله إني لأعرف في صوته الشّرّ ، فلم يلتفت كعب إلى قوله . ونزل وتحدث مع أبي نائلة ساعة ، ثم قال له أبو نائلة هل لك يا ابن الأشرف أن تناشي إلى شعب<sup>(١)</sup> العجوز فتشهد بقية ليتنا هذه ؟ قال : إن شئتم فخرجو بيماشون ، فمشوا ساعة ثم إن أبا نائلة أدخل يده في فود<sup>(٢)</sup> رأس كعب ثم شم يده ، فقال : ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لملتها حتى اطمأن كعب ، ثم عاد لملتها حتى اطمأن كعب ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لملتها وأخذ بفود رأسه . وقال : اضربوا عدو الله فضربوه فاختلت عليه أسيافهم فلم تغنى شيئاً فأخذته فوضعه في ثنّة<sup>(٤)</sup> وقد صاح عدو الله صيحة ما بقى حصن إلا وقد أوقدت عليه ناراً فوق عدو الله على الأرض هالكاً . فغادرناه صريعاً ، ومضينا ، وكان قد جرح الحارت أصابته سيفنا فحملناه ومعه نزيف من جرحه حتى انتهينا إلى المدينة فوجدنا النبي ﷺ فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله ، ونقل على جرح صاحبنا فشفاه الله تعالى فعدنا إلى بيوتنا فأصبحنا ، وأصبح كل يهودي خائفاً على نفسه .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نجملها في الآتي :

- (١) مشروعية الاحتيال على قتل من وجب قتله لغدره وخيانته بتأليب الكفار على المؤمنين .

(١) خارج المدينة .

(٢) الفود : جانب الرأس مما على الأذن .

(٣) المغول : السكين يكون في السوط .

(٤) الثنّة : الموضع ما بين السرة والعلانة من الإنسان .

- (٢) جواز استعمال المعارض والتوريات للتوصيل إلى إحقاق حق ، وإبطال باطل .
- (٣) آية نبأة الحبيب محمد ﷺ إذ شفأ الله الجريح ذا النزيف الخطير بريقتة الطيبة الظاهرة .
- (٤) فضيلة محمد بن مسلمة رضي الله عنه بقتله كعب الطاغية عليه لعائن الله .
- (٥) بيان آثار قتل كعب إذ أصبح كل يهودي خائفا على نفسه لا يطمئن على حياته .

**وثالث الغزوات :**

### **غزوة أحد**

**عوامل هذه الغزوة القاسية الشديدة :**

إن هذه الغزوة عوامل وأسباباً ظاهرة منها : أن قريشاً وقد أصبيت في صناديدها الذين ألقوا في القليب قليب بدر العام الماضي سنة اثنين من الهجرة المباركة ، فقد قام رجال منها بالدعوة إلى الحرب للأخذ بالثأر من محمد ﷺ وأصحابه . ومن دعوة الحرب عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية وغيرهم كثير . فأتوا أبا سفيان بن حرب وطلبوه إليه أن يقنع أصحاب أموال العير التي نجت أن يجعلوها في حرب تشنّ على محمد وأصحابه ، ولا يأخذوا منها شيئاً . واستجابوا للطلب ، وفيهم نزل قوله تعالى من سورة الأنفال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُصْدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُعْلَمُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ هذا سبب آخر هو أن الذين تخلعوا عن بدر من المهاجرين والأنصار كانوا يسألون الله تعالى أن يتبع لهم فرصة قتال المشركين كالتى أتيحت لأهل بدر ليروا الله تعالى ما يفعلون بالمشركين من القتل لهم والفتوك بهم إيماً واحتساً ليعواضوا ما فاتهم من الأجر والغنية يوم بدر . هذان عاملان ظاهران لغزوة أحد ، وهناك عوامل خفية قوية ذكرت في قوله تعالى

من سورة آل عمران : ﴿ وَتُلْكَ الْأَيَّامُ نُذَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَعْلَمَ مِنْكُمْ شُهَدَاءُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

وفي شوال من السنة الثالثة من الهجرة المباركة خرجت قريش برجالها ونسائهم وأحابيشها وبكل من قدرت على تأليه والإيتان به من بنى كنانة وأهل تهامة ، وسارت بقيادة أبي سفيان بن حرب زعيمها بعد هلاك أبي جهل حتى نزلت على شفير وادى قناة المقابل للمدينة النبوية ، وبلغ النبي ﷺ الخبر فاستشار أصحابه يوم الجمعة في الخروج إلى المشركين لقتالهم خارج المدينة ، أو البقاء في المدينة ، وقاتلهم داخلها ، ورجع لهم القتال داخلها وأراهم أنه أقرب إلى النصر على المشركين من قتالهم خارجها . وقص عليهم رؤيا رأها ، وهي أنه رأى بقرة تذبح ورأى في ذباب سيفه ثلما وأنه رأى أنه أدخل يده في درع حصينة وأوها المدينة ، ومع هذا أصرّ أكثر الأصحاب على القتال خارج المدينة فنزل الرسول ﷺ على ما رأه لما رأوه ما دام الله تعالى لم يوح في ذلك إليه بشيء .

ودخل ﷺ بيته فلبس درعه ووضع لامته على رأسه وخرج إليهم بما إن رأوه حتى ندموا ورأوا أنهم قد أكرهوه على الخروج ظاهر المدينة فندموا ندمًا شديداً ، وحاولوا أن يشنوه عن عزمه ، وقالوا يا رسول الله أقم فالرأى ما رأيت ، وكان الذين أصرروا على الخروج هم الذين تخلفوا عن بدر . فقال لهم ﷺ : « ما ينبغي لتبني أن يضع لامته بعد ما لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه . وقد دعوتكم إلى هذا — عدم الخروج — فأبيتم إلا الخروج ، فعليكم بتقوى الله ، والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو ، وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا » .

واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم ، وخرج في ألف مقاتل وسلك بمن معه من المؤمنين على البدائع في حرة بنى حارثة ، ودليله

فِي هَذَا أَبُو خِيَمَةُ أَخْوَى بْنِ حَارِثَةَ ، وَمَرُوا بِحَائِطِ لَمْرَبِّعِ بْنِ قِبْطَى ، وَكَانَ مَنَافِقًا ؛ فَلَمَّا سَمِعْ جِسْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمِينَ رَفِعَ حَفْنَةً مِنْ تَرَابٍ ، وَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنْ لَا أَصِيبُ بَهَا غَيْرَكَ يَا مُحَمَّدَ لِضَرِبِتِ بَهَا وَجْهَكَ ، فَبِدْرَهُ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ بِضَرِبَةٍ شَجَّ بَهَا رَأْسَهُ ، وَابْتَدَرَهُ رَجُالٌ لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دُعُوهُ لَا تَقْتُلُوهُ فَإِنَّهُ أَعْمَى الْقُلُوبَ أَعْمَى الْبَصَرِ » .

وَسَارُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالشُّوَطِ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأَحْيَى الْمَدِينَةِ عَنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَلْثَى النَّاسُ ، وَكَانَ — لِعْنَهُ اللَّهُ — رَأْيَهُ عَدَمُ الْخُرُوجِ مُثُلُ رَأْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَذَا قَالَ هُنَّا : أَطَاعُوهُمْ وَعَصَانِي ، مَا نَدْرَى عَلَامُ نَفْتَلُ أَنفُسَنَا هَا هُنَا أَيُّهَا النَّاسُ وَتَبَعُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَالْدَّجَابِرُ يَقُولُ لَهُمْ : يَا قَوْمَ أَذْكُرْكُمُ اللَّهُ أَلَا تَخْذِلُوا قَوْمَكُمْ وَنَبِيَّكُمْ ، فَقَالُوا لَوْ نَعْلَمُ أَنْكُمْ تَقَاتِلُونَ مَا أَسْلَمْنَاكُمْ ، وَلَكُنَا لَا نَرَى أَنْ يَكُونَ قَتَالٌ . فَلَمَّا اسْتَعْصَمُوا وَأَبْوَا إِلَّا الْاِنْصَارَافِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَبْعَدْكُمُ اللَّهُ أَعْدَاءَ اللَّهِ فَسِيْغَنِي اللَّهُ عَنْكُمْ نَيْةً » . وَفِيهِمْ نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ سُورَةِ آلِ عُمَرَانَ : ﴿ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَاقَفُوا وَقِيلَ لَهُمْ يَعْالَوْا فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَذْفَوْا قَاتِلُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا يَتَعَاقَبُنَّهُمْ لِكُفُرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ إِلَيْمَانٍ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا تَيَسَّرَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ .

وَلَمَّا هُوَا بِالْاِنْصَارَافِ قَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ : هِيَا نَفَاتِلَهُمْ ، وَقَالَ آخَرُونَ ذَرُوهُمْ يَعُودُوا إِلَى دِيَارِهِمْ . فَنَزَلَ فِيهِمْ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فَتَسْتَيْرُنَّ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ .

وَهُنَا اضْطَرَبَ الْمُؤْمِنُونَ وَهُمْ بْنُ سَلَمَةَ وَبْنُ حَارِثَةَ بِالْفَشْلِ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ ثَبَّتَهُمْ فَشَبَّوْا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِمْ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى مِنْ سُورَةِ آلِ عُمَرَانَ : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

و سار رسول الله ﷺ و من معه من المؤمنين ، و كانوا سبعمائة رجل ينضمون  
فارسان لا غير : رسول الله ﷺ و آخر<sup>(1)</sup> ، ساروا حتى نزلوا بالشعب من  
أحد ، و جعل ظهره يجبل أحد ، وقال : « لا يقاتلن أحد حتى آمره بالقتال » .

واستعرض الحبيب محمد ﷺ جيشه ، فرد عبد الله بن عمر وأسامة بن  
زيد وزيد بن ثابت والبراء بن عازب في فتیان لم يبلغوا سن التكليف وأجاز  
سمرة بن جندب ورافع بن خديج ، وقد بلغا الخامسة عشرة و كانوا قويين وتعباً  
قريش و ذلك صبيحة يوم السبت ، وكان جيش قريش ثلاثة آلاف مقاتل ينضم  
مائتا فارس ، فجعلوا خالد بن الوليد على ميمنة الخيل ، و عكرمة بن أبي جهل  
على ميسرتها .

وهنا قال رسول الله ﷺ : « من يأخذ هذا السيف بحقه؟ » فقام إليه  
رجال فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بنى ساعدة  
قال : وما حقه يا رسول الله؟ قال : « أن تضرب به العدو حتى يئن »  
قال أنا آخذه يا رسول الله بحقه فأعطيه إيه ، وكان أبو دجانة شجاعاً يختال  
عند الحرب وله عصابة حمراء فلقها على رأسه ومشي يختال بين الصفوف ،  
فقال رسول الله ﷺ حين رأه يتباخر في مشيته بين الصفوف : « إنها لمشية  
يغضها الله إلا في مثل هذا الوطن » .

هذا هو الموقف في معسكر التوحيد قبل الهجوم أما معسكر الشرك فإن أبي سفيان  
بعد ترتيب الصفوف قال يخاطب بنى عبد الدار فقال : يا بنى عبد الدار قد ولتم لوعاننا  
يوم بدر فأصابنا ما قدرأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم ؟ إذا زالت زالوا ، فإنما  
أن تكفونا لوعاننا ، وإنما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكمه ، فهتفوا به وتوعدوه ، وقالوا  
نحن نسلم إليك لوعاننا ؟ ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ؟ !

---

(1) قال في الفتح لأبي بردة .

وهذا الذى أراده أبو سفيان بن حرب وهو تحبيسهم للقتال واستعداءهم  
له وشدهم فيه .

ولما التقى الجماع ، وتقابل الرجال قامت هند امرأة ألى سفيان تحرض على  
القتال في نسوة معها يضربن بالدف ، خلف الرجال تحريضا لهم على القتال ،  
وهذه بعض الأبيات التى كن ينشدناها للتحريض :

وَيَهَا بْنِي عَبْدِ الدَّارِ      وَيَهَا حَمَةُ الْأَدْبَارِ  
ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَارِ  
نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقَ  
إِنْ تَقْبِلُوا نُعَانِقَ      وَنَفَرَشُ الْمَارِقَ  
أَوْ تَدْبِرُوا نَفَارِقَ      فَرَاقُ غَيْرِ وَامِقْ

ونعود إلى معسكر التوحيد والإيمان :

أخذ أبو دجابة السيف ولف العصابة على رأسه علامه الموت ورمى بنفسه  
في المعركة وهو يقول :

أَنَا الَّذِي عاهَدْنِي خَلِيلِي      وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدِي النَّخِيلِ  
أَلَا أَقْوَمُ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوُلِ<sup>(١)</sup>      أَضْرَبْ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ

فجعل لا يلقى أحدا إلا قتله ، ورأى أبو دجابة مقاتلا من المشركين  
يختمش<sup>(٢)</sup> الناس خمساً شديداً فقصد له فلما حمل عليه السيف ولول فإذا به  
امرأة هي هند فأكرم سيف رسول الله ﷺ أن يضرب به امرأة .

ودارت رحى المعركة ، واستعرت نارها وتأجج لهبها ، وكان حمزة فيها

(١) الْكَيْوُلُ : آخر صنوف الحرب .

(٢) أى توقد نار الحماس في نفوسهم ، وتزيد في غضبهم .

أَسْدًا يَهُدِ الرِّجَالَ هَذِهِ ، وَكَانَ وَرَاءَهُ وَحْشِيًّا غَلامٌ جَبَيرٌ بْنُ مَطْعَمٍ يَتَرَصَّدُهُ ؛  
إِذَا أَوْعَزَ إِلَيْهِ سَيِّدَهُ بِأَنَّهُ إِذَا قُتِلَ حَمْزَةُ يَعْتَقُهُ ، وَكَانَ وَحْشِيًّا بَارِعًا فِي الضَّرَبِ  
بِالرَّمَاحِ ، ضَرَبَتْهُ لَا تَكَادُ تُخْطِئُهُ ، وَكَانَتْ هَنْدُ مُوتُورَةٍ بِمَوْتِ أُبِيهَا بَيْدَرَ ، كَلِمَا  
مَرَتْ بِهِ تَقُولُ لَهُ يَا أَبَا دَسْمَةَ اسْتَشْفِ وَاسْتَهْضِ عَلَى قُتْلِ حَمْزَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ وَحْشِيًّا مَا زَلْتَ أَتَبْعِي حَمْزَةَ وَهُوَ كَالْجَمَلِ الْأُورَقِ إِذَا تَقْدَمَنِي  
إِلَيْهِ سَبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ : هَلْمَ إِلَيْيَ يا ابْنَ مَقْطَعَةِ الْبَظَّوِيرِ<sup>(۱)</sup>  
فَضَرَبَهُ ضَرَبَةً مَا أَخْطَأَتْ رَأْسَهُ فَقُتِلَ ، ثُمَّ هَزَّزَتْ حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيَتْ مِنْهَا  
دُفْعَتْهَا عَلَيْهِ فَوَقَعَتْ فِي شَتَّتِهِ<sup>(۲)</sup> حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ رِجْلِهِ فَأَقْلَلَ نُحْوَى فَغَلَبَ  
فَوْقَهُ فَأَمْهَلَهُ حَتَّى مَاتَ فَجَئَتْ فَأَخْذَتْ حَرْبَتِي ، ثُمَّ تَنَحَّيَتْ إِلَى الْمَعْسَرِ ،  
وَلَمْ تَكُنْ لَّيْ فِي شَيْءٍ حَاجَةُ غَيْرِهِ .

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَعْطَى الْلَّوَاءَ مَصْبُعَ بْنَ عَمِيرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقُتِلَ  
مَصْبُعٌ فَأَعْطَاهُ عَلَيْيَ بنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَتَقْدَمَ عَلَى الْلَّوَاءِ ، وَهُوَ  
يَقُولُ أَنَا أَبُو الْقَصْمِ فَنَادَاهُ أَبُو سَعْدٍ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ وَهُوَ صَاحِبُ الْلَّوَاءِ الْمُشْرِكِينَ  
فَقَائِلاً : هَلْ لَكَ يَا أَبَا الْقَصْمِ فِي الْبَرَازِ مِنْ حَاجَةٍ ؟ قَالَ عَلَيْ نَعَمْ فَبَرَزاً بَيْنَ  
الصَّفَيْنِ فَاحْتَلَفَا ضَرَبَتِينِ فَضَرَبَهُ عَلَيْهِ فَصَرَعَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يَجْهَزْ عَلَيْهِ ،  
فَقَيلَ لَهُ : أَفَلَا أَجْهَزْتَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ اسْتَقْبَلَنِي بِعُورَتِهِ فَعَطَّفْتَنِي عَلَيْهِ  
الرَّحْمِ ، وَعَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ قُتِلَهُ .

وَالتَّقْىِ — وَالْمَعرِكَةُ دَائِرَةٌ — حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ بْنِ أَبِي سَفِيَّانَ بْنِ حَرْبٍ  
فَلَمَّا عَلِاهُ حَنْظَلَةُ بِالسَّيْفِ رَأَاهُ شَدَادُ بْنُ الْأَوْسِ فَضَرَبَهُ أَبِي شَدَادِ الْكَافِرِ فَقُتِلَهُ .  
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ صَاحِبَكُمْ لَتَعْسِلُهُ الْمَلَائِكَةُ فَاسْأَلُوا

(۱) أَيْ كَانَتْ تَخْتَنُ الْبَنَاتَ فَتَقْطَعُ الْبَظَّرَةَ النَّاثِنَةَ فِي الْحِيَّ أَيْ الْفَرْجَ .

(۲) الشَّتَّةُ مَا بَيْنَ السَّرَّةِ وَالْعَانَةِ .

أهله ما شأنه؟ » فسألت امرأته فقالت إنه كان في ليلة عرسه فسمع الهاتف بالجهاد فخرج ولم يغتسل فلذا غسلته الملائكة . وأنزل الله تعالى نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حسًا حتى كشفوهم عن المعسكر ، وكانت الهزيمة لا شك فيها ، حتى قال الزبير بن العوام رضي الله عنه : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدام<sup>(١)</sup> هند وصواحبها وهن مشمرات هوارب . وفي هذا يقول تعالى من سورة آل عمران : ﴿ سُلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلْرُغَبُ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا وَاهِمُ آثَارُ وَيَسَّ مَتْوَى الظَّالِمِينَ وَلَقَدْ صَدَقُوكُمُ اللَّهُ وَعْدُهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشَلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مَنْ بَعْدِ مَا أَرَأَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيُتَلِيلُكُمْ ﴾ الآيات ... .

ولما رأى الرماة انكشف المشركين والمؤمنين يسلبون ويجمعون الغنائم مالوا على المعسكر وكشفوا ظهور المؤمنين خليل المشركين فكانت الهزيمة ، وصرخ صارخ أن محمدًا قد قتل ، وأصاب المؤمنين كرب عظيم ذهلت فيه العقول ، وخلص العدو إلى الرسول عليه السلام فرماه ابن قميضة أعماء الله بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه ، وتفرق عنه أصحابه إلا قليلا وأصدعوا في الأرض حتى إن منهم من وصل إلى المدينة ، وفي هذا يقول تعالى من سورة آل عمران : ﴿ حَتَّى إِذَا فَشَلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مَنْ بَعْدِ مَا أَرَأَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيُتَلِيلُكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَآتَهُمْ دُوَفَنِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ \* إِذْ تُصْنَعُونَ وَلَا تَلُوْنَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابُكُمْ غَمًّا يَعْمَلُ لَكُمْ لَكِيلًا تَخْرُنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَآتَهُمْ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

(١) جمع خدمة وهي الخلخال في الرجل .

## سبب الهزيمة :

وسبب هذه الهزيمة المريمة بعد ذلك النصر العظيم هو أنَّ الرُّماة الذين كانوا خمسين راميًّا ، قد وضعهم الرسول ﷺ على جبل الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم موصيًا إياهم في شخص أميرهم : انفع عنا الخيل بالنبل لا يأتوننا من خلفنا ، وثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا . هؤلاء الرماة لما نصر الله المسلمين في أول النهار وانهزم المشركون أمامهم وأكب المؤمنون على جمع الغنائم وحيازة الأموال ، ونساء المشركين مشمرات على سوقيهن هاربات ولوأوهن على الأرض لم يحمله أحد حتى جاءت امرأة من قريش فرفعته . لما رأى الرماة هذا الواقع ثبت بعضهم في أماكنهم وهم القليل ونزل البعض الأكثر متعللين بهزيمة المشركين وأخذوا في نهب الأموال وجمع الغنائم . كغيرهم .

ولما رأى خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين لما رأى خلو الجبل من الرماة وضعف المقاومة منه كرّ عليهم بخيله فاحتل الجبل وقتل من فيه ، وأصلوا المسلمين نار سهامهم فمزقوهم بها تمزيقًا وعاد المشركون الفارون إلى المعركة ووقع المسلمون بين نارين هما كفگي المعارض فكانت الهزيمة وأصيب الرسول ﷺ بما أصيب به ، وصرخ الشيطان قائلاً أنَّ محمدًا قد مات ، وألقى رجال سلاحهم من أيديهم وبقوا واقفين حيارى مدھوشين . منهم عمر وطلحة فأتاهم أنس بن النضر عم أنس بن مالك فقال لهم : ما يجسسكم ؟ قالوا قتل محمد ﷺ ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ موتوا على ما مات عليه ، ثم استقبل المشركين قاتل حتى قتل ، فوجد به أكثر من سبعين ضربة وطعنة ولم يعرفه إلا اخته عرفته ببنائه . وبلغ الكرب المعسكر الإيماني حتى قال من قال : ليت لنا من يأتي عبد الله بن أبي بن سلول ليأخذ لنا أمانًا من أبي سفيان قبل أن يقتلونا ؟ فقال لهم أنس بن النضر يا قوم إنَّ كان محمد قد قتل فإنَّ ربَّ محمد لم يقتل فقاتلوا على ما مات عليه محمد ﷺ ، اللهم إني أعذر

إليك مما يقول هؤلاء وأبراً إليك مما جاء به هؤلاء ثم قاتل حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه .

وكان أول من عرف أن الرسول حُى لم يقتل كعب بن مالك فنادى بأعلى صوته يا عشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله لم يقتل ، والرسول عليه السلام ينادي « إلى عباد الله !! إلى عباد الله !! » وثاب إليه رجال وقاتلوا دونه وأبيه في هذا أبو طلحة وأبو دجابة البلاء الحسن ، وتقديموا نحو الشعب وهم يدفعون ويقاتلون حتى وصلوا إليه ، وما إن أستد رسول الله عليه السلام على الشعب حتى جاء أبي بن خلف بصرخ : لا نحوث إن نجا أى محمد عليه السلام ، وهو يتقدم نحو النبي عليه السلام فتناول الرسول عليه السلام حربة من يد أحد أصحابه وطعنه بها في ترقوته فخار كا يخور الثور فسحبوه كالثور المذبوح ومات بها في طريقه إلى مكة يسرف إلى جهنم وبئس المهد .

وارتفع الحبيب محمد عليه السلام إلى الصخرة حيث يوجد بعض أصحابه فسر ذلك . وجاء أبو سفيان يحاول الوصول إلى أصحاب الصخرة في سفح أحد فردوه خائباً وأخذ النعاس الأصحاب فذهب بذلك الخوف عنهم وسكنت نفوسهم ، وفي هذا يقول تعالى من سورة آل عمران : ﴿ فَأَثَابُكُمْ عَمَّا بَعِمْ لَكِيْلَا تَحْزُنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمْ أُمَّةً تُعَاصِي طَائِفَةً مِنْكُمْ ﴾ الآية .

وانتهت المعركة وكانت درساً قاسياً للمسلمين ، ومثلت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان بالقتل فقطعت الآذان والأنوف والمذاكيرو بقررت بطن حمزة رضي الله عنه ولاكت كبده لتأكل منها فلم تقدر عليها فرمتها وذهبت .

وأتى أبو سفيان فوق تحت الصخرة وقال : أفي القوم محمد ثلاثة ؟ فقال رسول الله عليه السلام « لا تحييه » ثم قال أفي القوم ابن أبى قحافة ثلاثة ؟ ثم قال أفي القوم ابن الخطاب ثلاثة ؟ ثم التفت إلى من معه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا ، فقال عمر كذبت يا عدو الله ، قد أبغى الله لك ما يحزنك . فقال : أعل

هيل ، فقال رسول الله ﷺ : « أجيده ، قولوا الله أعلى وأجل ». فقال أبو سفيان : إنما لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله ﷺ : « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم » فقال أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا ؟ قال عمر : لا وإنه ليس معكم كلامكم فقال : أنت أصدق من ابن قميئه<sup>(١)</sup> . ثم قال هذا يوم بدر ، وال Herb سجال . إما إنكم ستتجدون في قتلامكم مثلًا ، والله ما رضيت ولا سخطت ، ولا نهيت ولا أمرت . ثم انصرف ومن معه وقال إن موعدكم العام المقبل .

ثم بعث رسول الله ﷺ علىًّا في أثرهم وقال له : « انظر فإن جنوباً الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل فإنهم يريدون المدينة ، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأناجزتهم » فخرج علىًّا في أثرهم فوجدهم قد جنوباً الخيل وامتطوا الإبل فرجع يصبح ما استطاع أن يكتم الخبر ، وقد أمر أن يكتمه ، من شدة الفرح .

وأمر الرسول ﷺ من ينظر في القتلى فرأى سعد بن الربيع الأنصاري وبه رَمْقٌ ، فقال سعد للذى رأه أبلغ رسول الله ﷺ مني السلام وقل له جراك الله خير ما جزى نبِيًّا عن أمته ، وبلغ قومي السلام ، وقل لهم لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ أذى وفيكم عين تطرف ثم مات إلى رضوان الله فرحمك الله يا سعد بن الربيع ورضي عنك .

ووجد حمزة رضي الله عنه يبطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فقال النبي ﷺ حين رأه : « لو لا أن تخزن صفة أو تكون سنة لتركك حتى يكون في أجوف السباع وحوافل الطير ، ولكن أظهرني الله تعالى على قريش

(١) إذ زعم أنه قتل محمداً ﷺ وهو الذي أصاب وجه رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشج وجهه فصل الله وسلم على محمد ، ولعن الله ابن قميئه وأقمه وأخراه في نار جهنم .

لأمثلن بثلاثين رجلا منهم» ، وقال المسلمين لمثلن بهم . فأنزل الله تعالى :

﴿وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوَّقْتُمْ إِهْ وَلَئِنْ صَرَّتْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾

من سورة النحل ، فعفا رسول الله ﷺ وصحابه ، ونهى ﷺ عن المثلة ، وهم رجال بحمل قتلامهم ليدفوهم بالمدينة فأمر رسول الله ﷺ بدفعهم حيث صرعوا ، وأمر أن يدفن الاثنين والثلاثة في القبر الواحد ، وأن يقدم إلى القبلة أكثرهم قرآنا ، وصلى عليهم ، فكان كلما أتى بشهيد جعل حمزة معه وصلى عليهما .

ونزل في قبر حمزة أبو بكر وعمر والزبير وجلس الرسول ﷺ على حافة القبر ، وأمر ﷺ أن يدفن عمرو بن الجحوم عبد الله بن عمرو بن حرام في قبر واحد .

وانصرف الحبيب محمد ﷺ مع أصحابه عائدين إلى المدينة فدخلوها مساء يوم السبت يوم المعركة الخالدة معركة أحد التي نزل فيها جزء كبير من سورة آل عمران .

## مواقف (في أحد) وموافق

مواقف مشرفة :

وباستعراض سريع لمعركة أحد تجلّى لنا مواقف مختلفة منها المشرف ومنها الخزي ومن المواقف المشترفة ما يلى :

- موقف أبي طلحة الأنصاري إذ وقف موقفا لا يزال يذكر له ما بقى الإسلام والمسلمون . قال أنس رضي الله عنه لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ مُحَمَّدٌ<sup>(١)</sup> عليه بجهفة له ، وكان أبو طلحة راماً كسر يوم أحد قوسين أو ثلاثة فإذا مر الرجل

(١) أي مكب عليه محيط به بيته من رماد العدو أن تصيبه .

بجعية من النبل يقول له انثراها لأبي طلحة ، ويشرف النبي ﷺ على القوم فيقول له أبو طلحة بأى أنت وأمّى لا تشرف يصييك سهم من سهام القوم خرى دون نحرك . فرضى الله عن أبي طلحة وأرضاه وجعل الجنة مأواه . اللهم بحّبنا فيك لهم فاجمعنا بهم .

● موقف عائشة بنت أبي بكر وأم سليم الأنصارية قال أنس : لقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشرتان على خدم سوقهما تنقران<sup>(١)</sup> بالقرب تفرغانها في أفواه القوم مرات عديدة ، فما أشرف هذا الموقف وما أشرف صاحبتيه رضى الله عنهما وأرضاهما .

● موقف طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه بينما رسول الله ﷺ في الشعب ومعه نفر من أصحابه إذ علت عالية من قريش الجبل ، ونهض رسول الله ﷺ إلى الصخرة من الجبل ليعلوها ، وكان قد بَدَنَ وظاهر بين درعين فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته طلحة فنهض به حتى استوى عليها ، فقال ﷺ « أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع ! ». .

● موقف الحبيب محمد ﷺ وموافقه كلها مشروفة . لما أسد ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف على جواد له يزعم أنه يقتل عليه محمداً تقدم نحو رسول الله ﷺ وهو يقول : لا نجوت إن نجا ، فلما اقترب منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من يد الحارث بن الصمة فلما أخذها انتفض بها انتفاضةً تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير ثم استقبله فطعنه بها طعنة أصابت نحره فوقع عن فرسه فحمل إلى قريش وهو يخور كالثور ويقول : قتلني والله محمد ، فمات في الطريق عند سرف .

● موقف أنس بن النضر الأنباري أنه لما صاح أزب العقبة الشيطان

---

(١) أي تنقران بسرعة .

قائلاً : إنَّ مُحَمَّداً قَدْ ماتَ ، وَانجفَلَ الْأَبْطَالُ وَوَقَفُوا عَنِ القِتَالِ حِيَارِي  
مَشْدُوْهِينَ مَدْهُوشِينَ . صَاحَ فِيهِمْ أَنْسٌ قَائِلاً : مَا يَجْبَسُكُمْ عَنِ القِتَالِ ؟  
قَالُوا : قَدْ قُتِلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ : مَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدِهِ ؟ مُوتُوا عَلَى  
مَا ماتَ عَلَيْهِ . يَا قَوْمَ إِنَّ كَانَ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَإِنَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ لَمْ يُقْتَلُ ، فَقَاتَلُوا  
عَلَى مَا قَاتَلُوا عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذُ إِلَيْكَ مَا يَقُولُ هُؤُلَاءِ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ  
مَا جَاءَ بِهِ هُؤُلَاءِ .

● موقف الحبيب محمد ﷺ وحياته كلها مواقف شرف وكمال ولكن  
نذكر ما نذكر للمناسبة ولإثارة كوامن الحب في النفس بالذكر . إنه ﷺ  
بعد تلك الجراحات المؤلمة أخذ ﷺ شيئاً فجعل ينشف الدم عنه ويقول : « كيف  
يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضْبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِ (بِالدَّمِ) وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ » ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ  
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ طَالِمُونَ ﴾  
فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .

● موقف فاطمة بنت محمد ﷺ إنه لما جرح والدها ﷺ أخذ على يائني  
بالماء وفاطمة تسأل جراحات الحبيب والدها محمد ﷺ . ولما رأت الدم لم  
يرقاً بالغسل جاءت بمحصير فأحرقته وضمنت بالرماد الحار جراحات أبيها ﷺ  
فرقاً الدّم ولم يسل . إن هذا الموقف للزهراء بنت الحبيب محمد ﷺ يسمو  
كل موقف .

● موقف عبد الله بن عمرو بن حرام إنه لما انهرز وانخزل ابن أبي بثلث  
الجيش وانصرف عائداً هو ومن معه إلى المدينة استقبلهم عبد الله وقال :  
تعالوا : قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا . قالوا : لو نعلم قاتلاً لاتبعناكم .. فأنزل  
الله تعالى فيه قرآنـا يقرأ إلى يوم القيمة .

● موقف حنظلة غسيل الملائكة إنه تزوج ولم يسلم بعد وبات عريساً  
ليلتـه فأيقظـه صوتـ الجهـاد فلبـس درـعـه وحملـ سلاحـه ولحقـ بالـ مـعرـكةـ وهـيـ

دائرة فخاضها خوض الأبطال وقاتل حتى استشهد وهو جنب فغسلته الملائكة وأخبر بذلك رسول الله ﷺ قال : « سلو امرأته » فسألوها فأخبرته أنه خرج من عندها جنب ولحق بالجهاد لما سمع صوته فكان موقفاً مشرفاً لحظة دخول الجنة ولم يصل الله ركتعه وهذا فضل الله يؤتى به من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

• موقف أم عمارة نسيبة إنها خرجت أول النهار تنظر ما يصنع الناس ومعها سقاء فيه ماء فانتهت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والربيع لل المسلمين فلما انهزم المسلمون انحازت إلى رسول الله ، وبشرت القتال تذب بالسيف عن رسول الله وترمى عن القوس حتى خلصت الجراحات إليها . بهذا حدثت رضي الله عنها فكان موقفاً مشرفاً لها رضي الله عنها .

#### مواقف مخزية :

كانت تلك مواقف مشرفة لأهلها ولمحبيهم معهم . وهذه مواقف مخزية لأهلها ولمحبيهم معهم أيضاً وأول هذه المواقف المخزية :

• موقف عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بالمدينة إنه ما إن خرج الجيش الإسلامي من المدينة في طريقه إلى أحد وهو يشكك في صحة الجهاد وجدوى هذا الخروج حتى استجاب له ثلاثة رجال من المنافقين وضعاف الإيمان ورجعوا من الطريق فخذلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين الصادقين . فكان هذا موقفاً شرّياً موقفاً وأحزاه لابن أبي ومن والاه .

• موقف مربع بن قطي الأعمى عليه لعائن الله . إنه لما مر بستانه الجيش الإسلامي بقيادة رسول الله ﷺ وسمع بحس الجيش وعرف أن محمدًا ﷺ هو قائد رفع حفنة من تراب وحصى ، وقال والله لو أعلم أن لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك ، وقال إن كنت رسولاً فإني لا أحل لك أن تدخل حائطى « بستانى » . فكان موقف هذا المنافق الأعمى القلب

والبصر أخزى موقف وأقبحه على الإطلاق .

• موقف أبي عامر الذي لقبه الرسول ﷺ بالفاسق بدلاً عن الراحل الذي كان يعرف به في الجاهلية قبل الإسلام . إنه وقف لعنه الله بين الصفيين صبيحة يوم أحد ونادى قومه وترفع إليهم وحرّضهم على قتال رسول الله ﷺ والمؤمنين ، فوقف موقعاً مخزيًا ، ولذا أجابه رجال من الأنصار بقولهم لا أنعم الله بك عيناً يا فاسقاً فقال لعنه الله لقد أصاب قومي بعدي شرّ ، وقاتل مع المشركين قتالاً شديداً فكان يئس الموقف وموقف هذا الفاسق لا ينسى له الدهر كله .

• موقف هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان إنها بإغراقها على قتل حمزة رضي الله عنه وبإثارتها الحماس في جيش المشركين وبنائهم بقتل المسلمين ، وبيقرها بطن حمزة وأكلها كبده وإن لم تبتلعها لعدم قدرتها عليها بهذا قد وقفت شرّ موقف وأخزاه ولو لا أنَّ الله عليها بالإسلام لكان مع أبي بن خلف وأبي جهل في جهنم ، ولكن رحمة الله فأسلمت وحسن إسلامها ونسى لها موقفها هذا لأنَّ الإسلام جب ما قبله .

#### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نحملها إزاء الأرقام التالية :

- (١) صدق رؤيا النبي ﷺ إذ رأى في منامه ثمّاً في سيفه فأوله بموت بعض آل بيته فمات حمزة رضي الله عنه ، وعبد الله بن جحش ابن عمته .
- (٢) رد عين قادة بعد أن تدلّت على وجنته فأصبحت أحسن منها قبل إصابتها وتديها بعد خروجها فكانت آية نبوة محمد ﷺ .
- (٣) قتل النبي ﷺ أباً بن خلف كان قد أحيره به في مكة قبل الهجرة وتمّ كما أخبر فكان آية النبوة الحمدية ، ولم يقتل النبي ﷺ أحداً سواه ، وشر الخلق من قتلهنبي . كما أخبر بذلك الرسول ﷺ .

(٤) تقرير مبدأ الشورى ، إذ استشار ﷺ أصحابه في قتال المشركين خارج المدينة أو داخلها وأخذ برأي الأغلبية . وسجل حكمة انتفع بها كل من أخذ بها من مؤمن وكافر وهي قوله : « ما كان لنبيّ أن يضع لامته على رأسه ثم يضعها قبل أن يحكم الله بينه وبين عدوه ». إنها آية العزم ومظهر الحزم والصدق .

(٥) بيان شجاعة الرسول ﷺ القلبية والعقلية تجلت في مواقف عديدة له ﷺ منها أنه لم يشن عزمه رجوع ابن أبي بلال الجيش . ثباته ﷺ في المعركة بعد أن فرَّ الكثير من أصحابه . اتفاضته وهو متقل بجراحاته وطعنه أبي بن خلف طعنة خار لها كالثور وسقط منها كالجبل ومات في طريقه .

(٦) بيان كمال قيادته العسكرية ويتجلى ذلك بوضوح في اختياره مكان المعركة وزمانها ، وفي وضعه الرماة على جبل الرماة ووصيته لهم بعدم مغادرة أماكنهم مهما كانت الحال ولو رأوا الموت يتخطف إخوانهم في المعركة ، ويدل على هذا أن الهزيمة الكبيرة التي أصابت الأصحاب كانت نتيجة تخلي الرماة عن مراكزهم كما مر في عرض المعركة وتسجيل أحداثها .

وفي إرساله عليا رضي الله عنه يتبع آثار الغزاة للتعرف على وجهتهم إلى المدينة أو إلى مكة ليتحرك بحسب ما يتطلبه الموقف .

(٧) مظاهر رحمة الحبيب ﷺ حيث تجلت في عفوه عن الأعمى الذي سبه ونال منه حتى هم أصحابه بقتله فأبى عليهم وقال : « دعوه فإنه أعمى القلب أعمى البصر » وفي قوله وهو يجفف الدم السائل من وجهه الكريم الشريف : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » وفي بكائه على عمه عند ما وضع بين يديه ليصل إلى عليه حتى أغنى عليه من شدة الوجد والبكاء .

(٨) مظاهر صبره ﷺ وقد تجلى صبره بوضوح في عدم جزعه لما أصابه وأصاب أصحابه من آلام وأحزان ، ومن فوات النصر الذي قاربه في أول

النهار وخسره في آخره حيث انقلب إلى هزيمة مرة وانكسار خطير .

(٩) بيان الآثار السيئة لتقديم الرأى على قول الرسول ﷺ ، إذ كان من عوامل الهزيمة إصرار الصحابة على رأيهم في القتال خارج المدينة ، في الوقت الذي كان الرسول يرى عدم الخروج حتى الجاؤه إلى ادراعه ولباس لامته ، ثم ندموا فلم ينفعهم ندم .

(١٠) بيان أن الرغبة في الدنيا وطلبها بمعصية الله والرسول هي سبب كل بلاء ومحنة تصيب المسلمين ، في كل زمان ومكان .

(١١) بيان صدق وعد الله للمؤمنين بالنصر إذ ظهر ذلك في أول النهار .  
قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقُكُمُ اللَّهُ وَعْدُهُ إِذْ تَحْسُونُهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ الآية .

(١٢) بيان عقوبة الله تعالى للمؤمنين لما عصوه بترك الرماة لراكبهم الدفاعية وطلبهم للغنيمة . ولما ساءلوا عن سبب هزيمتهم أجابهم تعالى بقوله : ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَفْسِكُمْ ﴾ وهو ظاهر قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَحْسُونُهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشَلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مَنْ بَعْدَ مَا أَرَأَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾ أي من النصر ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْأَذْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفْتُمْ عَنْهُمْ لِيَتَلَيَّكُمْ وَلَقَدْ عَفَ عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

#### ورابع الغزوات :

#### غزوة حراء الأسد

إن من مظاهر الكمال الحمدى في كل جوانب الحياة العسكرية والمدنية على حد سواء خروجه صبيحة الأحد لإرهاب الأعداء في الداخل والخارج ؛ إنه بعد الهزيمة النكراء التي أصابت المسلمين يوم أمس السبت ما راع الناس إلا ومؤذن رسول الله ﷺ يؤذن بالخروج لللاحقة أبي سفيان بن حرب وجيشه ، وقال لا يخرج معنا إلا من حضر معنا معركة أحد أمس ، فخرج المؤمنون ومن بينهم أخوان جريحان ، فكان ح EIFEفيف الجراح يحمل أخاه ، فإذا

تعب وضعه يمشي ساعة ثم يحمله حتى وصلاً معسراً رسول الله عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ثمانية أميال من المدينة حيث عسكر عليه بحمراء الأسد . واستأذن جابر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الخروج فأذن له بعد أن عرف عنده ، وهو أن والده الشهيد عبد الله بن عمرو بن حرام لم يأذن له في الخروج إلى أحد وأوصاه بأن خواته السبع إذ لم تطب نفس عبد الله أن يترك سبع بنات ليس معهن رجل .

وما زال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحمراء الأسد حتى مرّ به معبد الخزاعي ، وخراءة مسلماً ومسرّكها كانت عيبة نُصْح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أى موضع سرّه وثقته لا تُخْفِي عليه شيئاً من الناس في تهامة ، فقال معبد وهو يومئذ مشركاً : يا محمد أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك ، وَلَوْدِنَا أَنَّ اللَّهَ عَافَاكَ فِيهِمْ ، ثم خرج حتى لقي أبو سفيان ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ؛ إذ قالوا أصبنا منهم ما أصبنا فكيف نرجع قبل أن نستأصلهم ؟

فلما رأى أبو سفيان معبداً قال له : ما وراءك يا معبد ؟ قال : خرج محمد وأصحابه يطلبونكم في جمع لم أر مثله أبداً ، فقال أبو سفيان ويحك ما تقول ؟ قال والله ما أرى أن ترحل حتى أرى نواصي الخيل . فقال أبو سفيان فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لستأصل بقيتهم . قال معبد : إني أنهاك عن ذلك ، والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من الشعر . قال أبو سفيان وما قلت ؟ قال قلت :

كَادَتْ تُهَدَّ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحْتِي  
إِذْ سَالَتِ الْأَرْضَ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ  
تُرْدَىٰ<sup>(١)</sup> بُاسِدَ كَرَامَ لَا تَنَابِلَة<sup>(٢)</sup>  
عِنْدَ الْلَّقَاءِ وَلَا مَيْلٌ<sup>(٣)</sup> مَعَازِيلِ

(١) تردى : تسرع .

(٢) تقابلة : غير قصار .

(٣) جمع أميل وهو الذي لا رمع له ولا ترس .

لما سَمِّوا بِرَئِيسِ غَيْرِ مَخْذُولٍ  
إِذَا تَعَطَّمَتِ<sup>(١)</sup> الْبَطْحَاءُ بِالْخَيلِ  
لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولٍ  
وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقَلِيلِ

فَظَلَّتْ عَدْنًا أَظْنَنَ الْأَرْضَ مَائِلَةً  
فَقَلَّتْ وَيْلَ ابْنِ حَربٍ مِنْ لِقَائِكُمْ  
إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسْلِ<sup>(٢)</sup> ضَاحِيَةً  
مِنْ جَيْشٍ أَحْمَدَ لَا وَخْشِي<sup>(٣)</sup> تَنَابِلَةً

فأُوقع هذا الشعر في نفس أبي سفيان هزيمة ، وذكر كذلك رأى صفوان ابن أمية إذ سبق أن كفه عن الرجوع إلى المدينة عندما عزم على الرجوع ، وقال له : لا تفعل فإن القوم قد حربنوا<sup>(٤)</sup> ، وإن أخشى أن يكون لهم قتال غير الذي كان فارجعوا فرجعوا ولذا أمر بالرحيل والعودة إلى مكة ، وأثناء ذلك مر به ركب من بنى عبد القيس فقال لهم : أين ت يريدون ؟ قالوا نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا نريد الميرة ، قال : فهل أنت مبلغون عنِّي محمداً رسالة أرسلكم بها ، وأحمل لكم هذه غدراً زبيباً بعказظ إذا وافيتكموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ، وكان هذا مجرد مناورة من أبي سفيان يريد بها تغطية هزيمته لما سمع من معبد ولما وصلت القافلة إلى رسول الله عليه السلام وبلغوه رسالة أبي سفيان : قال : « حسبي الله ونعم الوكيل » وفي هذا نزل قول الله تعالى من سورة آل عمران : ﴿ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوكُمْ لَكُمْ فَآخْشُوْهُمْ فَرَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوكُمْ حَسِبْنَا اللَّهَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ . وقال عليه السلام : « حسينا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقى في النار » .

وأقام الرسول عليه السلام بحرماء الأسد أربعة أيام الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء ثم قفل راجعاً إلى المدينة فظفر في طريقه بمعاوية بن المغيرة بن أبي

(١) تعطّمت : اهتزت له .

(٢) البسل : قريش .

(٣) الوخش : أرادل الناس .

(٤) حربنا : اشتهد غضبهم .

العاصر ، وبأي عزة الجمحي وقد تخلف عن المشركين نائماً ، وكان أبو عزة قد أسر يوم بدر واسترحم الرسول ﷺ فرحمه فمن عليه ، وعاهده آلا يقف موقعاً ضده وحان وجاء مع المشركين إلى أحد ، فلذا أمر الرسول ﷺ بقتله ، فقتل ، وقال ﷺ : « لا يلدغ المؤمن من جحر مَرْئَتِين » وأما معاوية فهو الذي مثل بمحنة في أحد فقطع أنفه فقد ضل الطريق فأتى دار عثمان وقد استشفع بعثمان فقبل النبي ﷺ شفاعته فيه ، على أنه لو وجده بعد ثلاثة أيام ليقتلنه ، فجهزه عثمان لقرباته وقال له ارتحل فارتحل فأخذطاً الطريق ، وكان النبي ﷺ قد ارتحل من حمراء الأسد وقال لأصحابه : إنّ معاوية أصبح قريباً ولم يبعد فاطليبوه فطلبه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فوجدها فقتلاه .

وعاد الرسول ﷺ ولم يلق كيداً . وأرعب بذلك العدو المنافق في الداخل والمشركين في الخارج فصلى الله عليه وسلم ما أعظم حكمته وأجل سياساته وأكمل صبره !!

#### نتائج وعبر :

إن هذه القطعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نوجزها في الآتي :

- (١) بيان مظاهر الكمال الحمدى من شجاعة وصبر وتحمل وحسن سياسة ، وكمال تدبير .
- (٢) بيان فضل أصحاب رسول الله ﷺ ، وما كانوا عليه من طاعة وصبر وتحمل واستجابة لله والرسول .
- (٣) تأثير الدعاية في نفوس غير الصابرين ، ولذا كان خطر الدعاية عظيماً ووجب اتفاؤه .

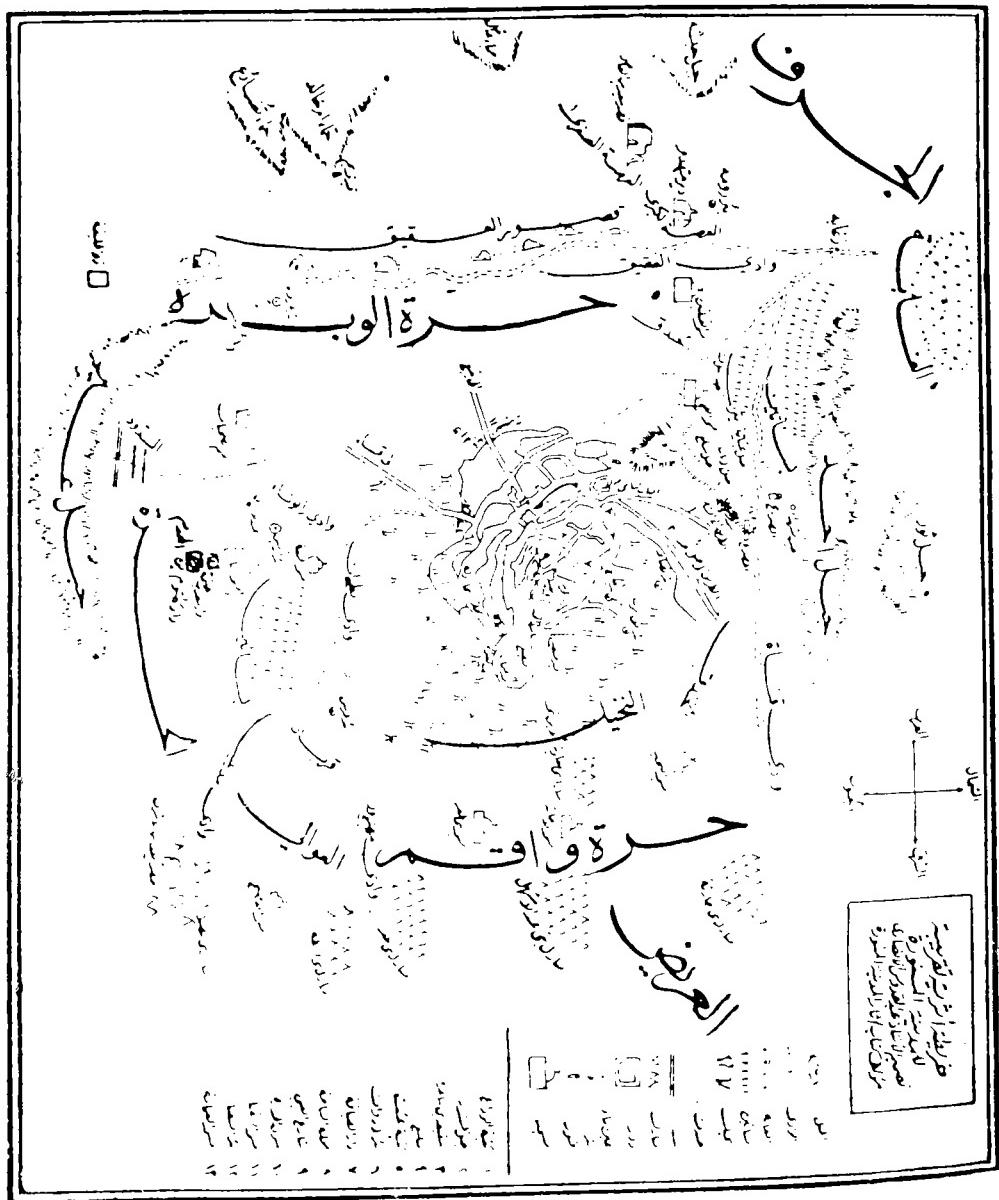
(٤) تقرير مبدأ : المؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين .

(٥) مشروعية الشفاعة في غير الحدود الشرعية .

## أهم ما وقع من أحداث في السنة الثالثة من هجرة الحبيب محمد ﷺ

إن أهم ما وقع في هذه السنة الثالثة من سنوات الهجرة المباركة من أحداث ذات خطر وشأن يمكن ذكره إزاء النقاط التالية :

- قتل كعب بن الأشرف الذي بسط يده ولسانه لرسول الله ﷺ والمؤمنين يؤذيهم ويکيد لهم ويؤلب المشركين واليهود عليهم قتلهم محمد بن مسلمة الأنصارى رضى الله عنه .
- وقوع غزوة أحد واستشهاد قرابة سبعين رجلاً مسلماً فيها ونحو من ثلاثين مشركاً ومن بين الشهداء أربعة مهاجرين وهم حمزة بن عبد المطلب ، ومصعب بن عمير ، وعبد الله بن جحش ، وشamas بن عثمان ، ومن بين الأنصار أنس بن النضر ، وسعد بن الربيع وعمرو بن الجموح ، وعبد الله ابن عمرو بن حرام ، ومن مسلمي اليهود مخريق رضى الله عنه .
- غزوة حمراء الأسد في اليوم الثاني بعد يوم أحد .
- غزوة ذى أمر وهو ماء بنجد لغطfan .
- غزوة الفرع من بحران «المهد» .
- سرية زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ .
- سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب اليهودي الظالم .
- ولادة الحسن بن علي رضى الله عنه ، وحمل فاطمة بالحسين بعد خمسين يوماً من ولادتها .
- حمل جميلة بنت عبد الله بن أبي عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وذلك في شوال ليلة أحد .



بيان موقع أحد من المدينة النبوية وهو بالشمال الشرقي منها وخلفه جبل نور الذي ذكر في تحديد حرم المدينة إذ فيه المدينة حرام من عائر إلى نور ، .  
 وأما عائر أو غير فهو في الجنوب الغربي من المدينة كما هو مبين في الخريطة هذه .

## أحداث السنة الرابعة من هجرة الحبيب محمد ﷺ

ودخلت السنة الرابعة من سنوات الهجرة المباركة وأول أحداثها .

### حدث الرّجيع<sup>(١)</sup>

في هذه السنة قدم نفر من عَصْلُ والقارة على رسول الله ﷺ بالمدينة وذكروا له أن فيهم إسلاماً، وأن لهم رغبة في أن يبعث معهم نفراً يفقهونهم في الدين ، فبعث ﷺ معهم ستة نفر هم مرثد بن أبي مرثد الغنوى ، وخالد ابن الْبَكْرِ الْلَّيْشِي ، وعاصم بن ثابت الأوسى ، وحبيب بن عدى ، وزيد بن الدثنة البياضى ، وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر وأمر عليهم ﷺ مرثد ابن أبي مرثد الغنوى وساروا حتى إذا بلغوا الرجيع غدر بهم النفر الذين طلبواهم من رسول الله ﷺ ليفقهونهم في الدين حيث استصرخوا عليهم حياً من هذيل يقال لهم بني لحيان فجاءوهم في مائة رجل فلجم المسلمون إلى جبل حيث لا طاقة لهم بقتال مائة رجل وهم ستة رجال لا غير ، فاستنزلوهم بعهد قطعوه لهم بأنهم لا يمسونهم بسوء ، فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافر ، اللهم خبر نبيك عنا ، وقاتلهم هو ومرثد وخالد بن الكبير ، ونزل ابن الدثنة وحبيب ، وعبد الله بن طارق فأوثقوهم ، فقال عبد الله هذا أول الغدر فقتلواه وألحقوه برفيقيه ، وانطلقوها بابن الدثنة وحبيب فباعوها بمكة فاشترى خبيباً بني الحارث ، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر فاشتروه ليقتلواه بالحارث فسجنته في بيت ماوية مولاية حُجَّيْرٍ بن أبي إهاب فيما هو عندها وقد استعاد منها موسى ليستحدّ بها .

حتى إذا قتل يكون نظيفاً من شعر عانته ؟ إذ جاء صبيٌّ يدب إليه فجلس

(١) الرجيع : ماء هذيل بناحية الحجاز يقع قريباً مما بين مكة وعسفان .

على فخذه ، وهو يستحد والموسى في يده فلما رأته المرأة صاحت ، فقال لها :  
أتخشين أن أقتله ؟ إن الغدر ليس من شأننا ، فكانت المرأة تقول بعد ذلك  
ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب لقد رأيته وما بحكة ثمرة وإن في يده لقطفًا  
من عنب يأكله ، ما كان إلا رزقاً رزقه الله خبيباً .

ولما خرجوها به من الحرم إلى الخل ليقتلواه ، قال ذروني أصل ركعتين فتركوه  
فضلاهما فكانت سنة القتل ؟ إذ علم بذلك رسول الله ﷺ وأقره عليها ،  
وصلاها غير واحد من المؤمنين . ثم قال لهم لو لا أن تقولوا جزع من الموت  
لزدت أو طولتها ثم أنشأ يقول :

ولست أبالى حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعى  
وذلك في ذات الإله وإن يشاً يبارك على أوصال شلو<sup>(١)</sup> ممزع  
ودعا ربّه قائلاً : اللهم أخصهم عدداً ، واقتلمهم بددًا ، ولا تبق منهم أحداً .  
ثم صليبه ، وقام إليه عتبة بن الحارث ليقتلها وقال : له : أترضى أن يكون  
محمد مكانك وأطلقك ؟ فقال : والله لا أرضى أن أطلق ويشارك محمد بشوكه  
وقتله فمات إلى رحمة الله ورضوانه .

وأما عاصم فإنهم بعثوا من يأتيهم برأسه ليعيده من سلافة بنت سعد ؛  
إذ كانت نذرت أن تشرب الخمر في رأس عاصم يوم قتل ابنته في أحد ،  
فجاء التحل فمنع من أرادوا أخذه فتركوه حتى الليل فجاء سيل فجرفة ولم  
يعثر عليه استجابة الله تعالى ل العاصم إذ كان قد عاهد الله تعالى أن لا يمس مشركاً  
ولا يمسه مشرك ، فمنعه الله في مماته كما منعه في حياته .

وأما ابن الدّئنة فإن صفوان بن أمية بعث به مع غلامه نسطاس إلى التنعيم  
ليقتلها بأبيه ، إذ كان قتل يوم بدر وألقى في القليب ، فلما وصل به هناك

---

(١) الشيلو والجمع أشلاء : عضو الإنسان بعد التفرق والتمزع ، والمزع المهرق

إلى الخل ساومه قائلا : أنسدك الله أتحب أن محمدًا الآن مكانك تضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ قال : ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي !! فقال أبو سفيان وكان حضر الإعدام مع رجال من قريش : ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا ثم قتله نسطراس فانتقل إلى رحاب رحمات الله تعالى وسوم رضوانه فهنئًا له .

ومن كرامات خبيب رضي الله عنه أن سعيد بن عامر وكان من حضر قتل خبيب كان كلما ذكر قتل خبيب بقلبه أو لسانه أخذته غشية ، وبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فسأل سعيدًا فقال : نعم ما ذكرت خبيباً إلا غشي على فرادته عند عمر خيراً .

#### نتائج وعبر :

إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نوجزها كالتالي :

- (١) العذر والخيانة وصف لازم في الغالب لأهل الكفر والشرك .
- (٢) بيان كرامة خبيب التي أكرمه الله تعالى بها ، وهي أكله قطف العنبر في غير إيانه وغير مكانه ، والغشية التي تصيب سعيدًا عند ذكره .
- (٣) مشروعية الصلاة عند القتل وأن خبيباً هو الذي سبها وأقره رسول الله ﷺ عليهما صلوات الله عليهما .
- (٤) بيان فضل ابن الدثبتة في رضاه بالموت ، ولا يصاب رسول الله ﷺ عليهما صلوات الله عليهما بشوكة تؤذيه .
- (٥) تقرير أن أصحاب رسول الله ﷺ يحبونه ﷺ أشد من حبهم لأنفسهم وذلك واجب كل مؤمن ومؤمنة في الحياة .

وثاني أحداثها :

## حدث بئر معونة الجلل

وفي هذه السنة الرابعة من هجرة الحبيب ﷺ حدث أفعى حادث ذلك هو حادث بئر معونة الذي ذهب ضحيته سبعون صحابيًّا من خيرة الأصحاب نتيجة الغدر والخيانة .

وذلك أن أبا براء عامر بن مالك المعروف بملاعب الأستة قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة . فعرض عليه النبي ﷺ الإسلام ودعاه إليه فلم يُسلم ، ولم يبعد عن الإسلام ، وقال يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فقال رسول الله ﷺ إن أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو براء : أنا جار لهم ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك فبعث رسول الله ﷺ سبعين رجلا من خيرة الأصحاب ، منهم المنذر بن عمرو ، والحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان ، وعامر بن فهيرة مولى الصديق ، وعروة بن أسماء بن الصلت ، ونافع بن بديل ابن ورقاء ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي بين أرضبني عامر وحرةبني سليم ، ولما نزلوها بعثوا حراما بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيلي فلما أتاه لم ينظر فيه أى في الكتاب حتى عدا على حرام فقتله ، ثم استصرخ عليهمبني عامر قوله فأبوا أن يحييوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل منبني سالم من عصبية ورغل وذكوان فأجابوه إلى ذلك حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالمهم فلما رأوه أخذوا سيفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم رحمهم الله أجمعين ، اللهم إلا ما كان من كعب بن زيد فإنهم تركوه بين القتلى وفيه رمق من حياة فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا فرضي الله عنهم أجمعين .

وكان عمرو بن أمية الضمرى المصرى ، والمنذر بن محمد بن عقبة الأنصارى فى سرح لقومهما ، فرأوا الطير تحوم على قتلى المؤمنين ، فقالا والله إن هذه الطير لشأننا فأقبلوا نحوها لينظروا فإذا القوم فى دمائهم ، والخيل التى قتلتهم واقفة ، فقال الأنصارى لعمرو ما ترى ؟ قال : نرى أن نلحق برسول الله عليه السلام فخبره الخبر فقال الأنصارى لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لتخبرنى عنه الرجال ، ثم قاتل القوم حتى قتل ، وأخذوا عمراً أسيراً فلما أخبرهم أنه من مصر تركوه ، وجز ناصيته عدو الله عامر بن الطفيل وأعتقده عن رقة زعم أنها كانت على أمره .

وسار عمرو حتى إذا كان بالقرقرة أقبل رجالاً من بني عامر حتى نزلا بظل هو فيه فسألهما : من أنها ؟ فقالا : من بني عامر . فأهملهما حتى ناما ، ثم قتلهما أحداً بثار شهداء بغر معونة الذين قتلوا باستصراخ عامر بن الطفيلي العامري عليهم ولم يعلم بالعقد والجوار الذى لهم من رسول الله عليه السلام ، فلما قدم على رسول الله عليه السلام أخبره بما فعل ، قال له لقد قتلت قتيلتين لأدينهما !! وألم رسول الله عليه السلام الخبر وحزن لذلك ، وقال : « هذا عمل إني به براء فقد كنت هذَا كارھا متخوّفاً » ، وبلغ هذا أباً براء فشق عليه وألمه ، كما بلغ بنيه تحریض حسان له على قتل عامر بن الطفيلي فقام إليه ربيعة فطعنه فقتله إلى جهنم وبئس المهد .

وهذه أبيات حسان في تحريض بنى أبي البراء على قتل ابن الطفيلي لعن الله تعالى :

بني أم البنين ألم يرعنكم	وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبي براء	ليخفره وما خطأ كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعي	فما أحدثت في الحدثان بعدى
أبوك أبو الحروب أبو براء	وخلالك ماجد حكم بن سعد

## نتائج وعبر :

إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نذكرها إزاء الأرقام الآتية :

(١) بيان أن الغيب استأثر الله تعالى به ، إذ لو كان النبي ﷺ يعلم الغيب بدون إعلام الله تعالى له لما أرسل شهداء بشر معونة .

(٢) بيان ما باء به عدو الله عامر بن الطفيلي من خرى الدنيا وعداب الآخرة .

(٣) فضيلة المنذر بن محمد بن عقبة الأنصارى ، إذ قاتل وحده طلبا للشهادة ففاز بها .

(٤) بيان ما باءت به عصبية ورعل وذكوان من غضب الله تعالى وعدابه .

(٥) مشروعية القنوت في الصلاة للدعاء على الظلمة ، ولرفع البلاء النازل على المؤمنين .

(٦) فضل شهداء كل من الرجيع وبشر معونة إذ ذهبوا ضحية الغدر والخيانة ، لنزلول قرآن فيهم هذا نصه : « بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه » ثم نسخ .

## وثالث أحداثها :

### سرية عمرو بن أمية الضمرى إلى مكة لقتل أبي سفيان

ما زال أبو سفيان يتحسّر على فوته قتل النبي ﷺ ، حيث خاب أمله في ذلك بعد غزوة أحد التي كلفته أمواً طائلة وأتعاباً شديدة رجاء أن يثار لقتلاه في بدر من محمد ﷺ ، الذي قتل رجاله وأسر أعداداً منهم في بدر .

ومن هنا فكر في خطة خسيسة وهي إرسال من يغتال محمدًا ﷺ ، إذ قال بين رجاله ؛ ما أحد يغتال محمدًا ؟ فإنه يمشي في الأسواق فدرك ثأرنا

منه ؟ فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له : إن أنت وفيتني  
 خرجت إليه حتى أغتاله ، فإني هاد بالطريق خريت معى خنجرًا مثل  
 خافية<sup>(١)</sup> التسر ، فقال له أبو سفيان : أنت صاحبنا وأعطاه بعيراً ونفقة ،  
 وقال له : اطُو أمرك فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينمي إلى محمد ، فقال  
 الأعرابي : لا يعلمه أحد ، فخرج ليلاً فوصل المدينة في ستة أيام ، فعقل راحلته  
 بحى بنى عبد الأشهل ، ثم أقبل قاصداً رسول الله ﷺ ، فوجده بين أصحابه  
 يحدثهم في مسجده ، فلما دخل المسجد رأه الرسول ﷺ ، فقال : « إن  
 هذا الرجل يريد غدرًا ، والله حائل بينه وبين ما يريد ». فوقف وقال :  
 أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال له الرسول ﷺ : « أنا ابن عبد المطلب »  
 فذهب يتحنى على رسول الله ﷺ كأنه يساره ، فجذبه أسيد بن حضير  
 وقال : تَنَحَّ عن رسول الله ﷺ ، وجذبه بداخل إزاره ، فإذا الخنجر ، فقال  
 يا رسول الله : « هذا غادر » ، فأسقط في يد الأعرابي ، وقال : دمي دمي  
 يا محمد ، وأخذه أسيد يلبيه ، فقال له النبي ﷺ : « أصدقني ما أنت وما  
 أقدمك ؟ فإن صدقتي نفعك الصدق ، فإن كذبتي فقد أطلعت على ما  
 همت به ». قال الأعرابي : فأنا آمن ؟ قال : « وأنت آمن ». فأخبره بخبر  
 أبي سفيان بن حرب ، وما جعل له . فأمر به النبي ﷺ فحبس عند أسيد  
 ابن حضير ، ثم دعا به من الغد ، فقال : « قد أمنتك فاذهب حيث شئت ،  
 أو خير لك من ذلك ». قال : وما هو ؟ فقال : « أن تشهد أن لا إله إلا  
 الله وأنّي رسول الله ». فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك أنت رسول  
 الله ، والله يا محمد ما كنت أفرق<sup>(٢)</sup> من الرجال ، مما هو إلا أن رأيتك  
 فذهب عقل ، وضعفت ، ثم أطلعت على ما همت به فما سبقت به الركبان ،

(١) الخافية والجمع خواف : ريشة من أربع ريشات ، إذ ضم الطائر جناحه خفيت .

(٢) أى ما كنت أخاف .

ولم يطلع عليه أحد فعرفت أنك من نوع ، وأنك في حق ، وأن حزب أبي سفيان حزب شيطان . فجعل النبي ﷺ يبتسم ، وأقام أياما ثم استأذن النبي ﷺ فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر .

وما حدث هذا الذى حدث من أبي سفيان من إرساله من يغتال رسول الله ﷺ بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمرى مع رجل من الأنصار إلى مكة وأمرهما بقتل أبي سفيان بن حرب .

قال عمرو فخرجت أنا ومعي بعير والرجل صاحبى علة<sup>(١)</sup> ، فكنت أحمله على بعير حتى جئنا بطن ياجع فعقلنا بعيرنا بالشعب ، وقلت لصاحبى انطلق بنا إلى أبي سفيان لنقتله ، فإن خشيت شيئا فالحق بالبعير فاركبه والحق برسول الله ﷺ وأخرجه الخبر وخل عنى قال عمرو : فدخلنا مكة ومعي خنجر قد أعددته إن عاقى إنسان ضربته به .

فقال لي صاحبى هل لك أن نبدأ فنطوف ونصلى ركعتين ؟ فقلت له : إن أهل مكة يرشون أفنائهم بالماء مساءً، ويجلسون فيها ، وأنا أعرف بهم ، قال فمشينا حتى أتينا البيت ، فطفنا به وصلينا ، ثم خرجنا ، فمررنا بمجلس لهم فعرفني بعضهم ، فصرخ بأعلى صوته هذا عمرو بن أمية ، فثار أهل مكة إلينا ، وقالوا ما جاء إلا لشرّ ، فقلت لصاحبى : أن جاء هذا الذى كت أخذ ، أما أبو سفيان فليس إليه سبيل ، فانج بنفسك . فخرجنَا نشتد حتى صعدنا الجبل ، فدخلنا غاراً بتنا فيه ليلاً ننتظر أن يسكن الطلب ، فوالله إنا لفيه إذ أقبل عثمان بن مالك الترمي يتخيّل بفرس له ، فقام على باب الغار ، فخرجت إليه ، فضربته بالختنجر ، فصاح صيحة أسع أهل مكة ، فأقبلوا إليه ورجعت إلى مكانى فوجدوه و به رقم فقالوا : من ضربك ؟ قال عمرو بن

---

(١) أي جعله كالضرة له يقاسم المركب وغيره .

أمية ، ثم مات ولم يقدر يُخرِّهم بِمَكَانٍ ، وشغلهِم قتل صاحبِهِم عن طلبِي  
فاحتملوه ، ومكثنا في الغار يومين حتى سكن عَنَّا الطلب ، ثم خرجنا إلى  
السعيم ، فإذا بخشبة خبيب ، وحوله حرس ، فصعدت خشبته واحتملته على  
ظهره ، فمشيت به نحو أربعين خطوة ، فعلموا به فطرحته ، واشتدوا في  
أثره ، فأخذت الطريق فأعْيوا ورجعوا ، وانطلق صاحبِي فركب البعير وأتى  
النبي ﷺ فأخبره ، وأما خبيب فلم يُرَ بَعْدَ ذلِكَ ، وكأنَّ الأرض قد ابتلعته .  
وسرت حتى دخلت غاراً ومعي قوسٍ وأسهمٍ فبینَا أنا فيه إذ دخل على  
رجل من بنى الدليل أعرور طويل يسوق غنماً فقال : من الرجل ؟ قلت من  
بني الدليل فاضطجع معِي ورفع عقيرته يتعنّى ويقول :

ولست بِمُسلِّمٍ ما دمْتُ حِيَا      ولست أَدِينُ دِينَ الْمُسْلِمِينَ

ثم نام فقتلته ، ثم سرت فإذا رجلان بعثهما قريش يتحسسان أمر النبي  
ﷺ فرميَت أحدهما بسهم فقتله واستأسرت الآخر فقدمت به على النبي ﷺ  
وأخبرته الخبر فضحك ودعا لي بخير .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نجملها إزاء الأرقام التالية :

- (١) مشروعية المعاملة بالمثل وهي في كتاب الله تعالى إذ قال تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾ إذ أبو سفيان هو الذي بدأ بفتح من  
يغتال له رسول الله ﷺ ، ولذا بعث رسول الله ﷺ من يقتل أبي سفيان .
- (٢) تقرير القضاء والقدر ، إذ أبو سفيان قضى الله تعالى أن يسلم ويصبح  
في عداد المسلمين بل في عداد الأصحاب رضوان الله عليهم فلذا لم يتأت لعمرو  
ابن أمية قتله .

- (٣) بيان شجاعة وبطولة عمرو بن أمية حتى لكانها نادرة في الناس ،  
وفوزه بدعاء الرسول ﷺ له بالخير .

- (٤) بيان تأثير الدعاية في عقول الناس ، وإن فكيف يتغنى الراعي الدئلي  
بكونه غير مسلم وأنه لا يدين بدين المسلمين ؟
- (٥) بيان مدى ما بذلته قريش في حرب الإسلام وإطفاء نوره ، ولم تقدر  
والحمد لله .

وأولى غزوتها :

### غزوة بنى النضير

بنو النضير إحدى ثلاث طوائف كانت تسكن حوالى المدينة من اليهود ، وقد وادعهم الرسول ﷺ يوم قدم المدينة مهاجرًا ، وكتب لهم بذلك كتاباً ، فنقضت بنو قينقاع عهدهما أول ما نقض وذلك في السنة الثانية وبعد غزوة بدر مباشرةً كاً تقدم استعراضه في أحداث السنة الثانية فأجلalam الرسول ﷺ ولم يقتلهم إذ قبل فيهم شفاعة حليفهم عبد الله بن أبي فخرجوا من المدينة ونزلوا أذرات بالشام وهلكوا بها . وهما أولاء بنو النضير ينقضون عهدهم اليوم بتآمرهم على قتل النبي ﷺ بصورة مكشوفة واضحة .

إنه بعد انتهاء وقعة أحد المؤلمة جاء أبو براء العامری زائراً المدينة فلاقى رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يرفض ، وقال للرسول ﷺ لو تبعث إلى ديارنا بعثاً من صالح رجالك يدعون إلى أمرك فإني أرجو أن يجاپوا لذلك ، فأبدى النبي ﷺ تخوفاً على أصحابه فوعده أبو براء بأنه سيكون جاراً حتى لا يمسوا بسوء ، وبعث النبي ﷺ سبعين رجلاً من خيرة الأصحاب . وحدثت واقعة بشر معونة واستشهد فيها كافة الأصحاب . وإن عمرو بن أمية لما وقع في أسر عامر بن الطفيلي أعتقه وعاد عامر إلى المدينة وفي طريقه لقى رجلين من بنى عامر فقتلهما ثاراً لشهداء بشر معونة ، وكان القتيلان معاهدين للنبي ﷺ ولم يعلم بذلك عمرو وأخبر النبي ﷺ بالحادث فقال النبي ﷺ : « لأدينهما » ، وفعلاً جاء ذووهما يطالبون بدينهما .

و كانت معاهدة اليهود تقضى بأن يدى كل من الطرفين مالزمه من دية شرعية ، فخرج النبي ﷺ مع أبي بكر و عمر وعلى إلهم أى إلى بنى النضير يطالبهم بإلسيام في دية العارميين بموجب المعاهدة ، فانتهى إلى ديارهم و ذكر لهم ما جاءهم من أجله فأبدوا ارتياحا واستعدادا وأنزلوه مع أصحابه متولا حسنا في ظل جدار من بيت أحدهم . وأظهروا أنهم يسعون في تحقيق طلبه ، وإذا بهم متآمرون على قتله ؛ إذ قالوا : إنها فرصة قد لا تتاح لكم فتخلصوا من الرجل بقتله ، وعينوا لذلك عمرو بن جحاش ، فقال : أنا لذلك ، فقالوا نطلع على السطح ونلقى عليه رحى من فوقه نقتله بها ، وأنكر عليهم سلام ابن مشكم عليهم ، وقال : لا تفعلوا ، لكنهم أجمعوا على أن ينفذوا خطفهم القذرة هذه . وقبل أن يفعلوا بدقاائق أوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ بما همّوا به من قتله فقام على الفور كأنه يقضى حاجة ودخل المدينة ، ولما استبطأه أصحابه قاموا ولحقوا به فأخبرهم بمأمورة اليهود ، وأن خبر السماء قد سبقهم . وكان آية المائدة نزلت في هذه الحادثة وهي قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ﴾ . وهذه الحادثة أشباء ، وتتل آية عند كل واحدة منها تذكيرا بنعمة الله وفضله على المؤمنين ليشكروا بالصبر والطاعة .

وبعث إلهم ﷺ محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده ، لتقضهم العهد الذي بينهم وبينه ، فبعث إلهم المنافقون وعلى رأسهم ابن أبي كبير المنافقين يشجعونهم على البقاء وعدم الجلاء ، وفي ذلك يقول تعالى من سورة الحشر : ﴿أَلمْ ترِ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْرَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ في عدة آيات إلى قوله تعالى : ﴿كَمَثُلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهم بنو قينقاع أهلتهم الله .

ولما لم ينصاعوا للأمر بالجلاء لتشجيع المنافقين لهم أعلن القائد الأعظم الحبيب محمد ﷺ الحرب عليهم ، فولى على المدينة ابن أم مكتوم ، وخرج

إليهم برجاله ، فحاصرهم قرابة نصف شهر ، وأثناء ذلك هددهم بإحرق  
نخلهم وقطعه وفعلاً أحرق بعض المؤمنين طرقاً وقطعوا بعضاً ، وتآلماً لذلك  
بعض المسلمين لا سيما لما قال اليهود للرسول ﷺ : عهدنا بك تهى عن  
الفساد ، وتعيب صاحبه ، فكيف تأذن بإحراق النخيل؟ . ونزل في ذلك  
قوله تعالى من سورة الحشر : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرْكُثُوهَا فَأَئِمَّةٌ عَلَىٰ  
أَصْوَلِهَا فَإِذْنِ اللَّهِ وَلَيُخْزِي الْفَاسِقِينَ ﴾ .

ونزل اليهود أخيراً على حكم رسول الله ﷺ مناصعين لأمره ، وهوأن  
يخرجوها من المدينة حاملين أموالهم على إبلهم ، ما عدا الحلقة « السلاح » حتى  
لا يحاربوا بها مرة أخرى ، فأخذوا أموالهم الصامنة والناطقة حتى إن أحدهم  
يهدم سقف بيته ويحمل بعض أحشائه ، أو يهدم بحفل الباب ليأخذ الباب ،  
وفي هذا يقول تعالى : ﴿ يُخْرِبُونَ بَيْوَئِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَأَعْتَبُرُوا  
يَا أُولَى الْأَبْصَارِ \* وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّلَيَا –  
بالقتل – وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَنَّارٌ \* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَافُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وأجل بنو النصير عن المدينة ، ولم يسلم منهم إلا رجلان ، هما يامين بن  
عمير ، وأبو سعيد بن وهب فأحرزا أموالها . ولما مر اليهود بخير نزل بها سلام  
ابن أبي الحقيق ، وكتانة بن الربيع ، وحيي بن أخطب فاستقبلهم يهود خير  
بالبطول ، والمزامير ، والغناء بزهاء وفخر كأنهم أبطال فاتحون ، وما هم إلا  
خونة ناكثون مهزومون .

وقسم الحبيب محمد ﷺ أموال بنى النصير بين المهاجرين لا غير ؛ إذ هم  
 أصحاب الحاجة حتى أنهم عالة على الأنصار . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى  
فإن أموال بنى النصير لم تكن غنائم أحرزت بالقتال ، وإنما كانت فيها أفاءها  
الله على رسوله بدون سفر ولا قتال . وفي هذا يقول تعالى من سورة الحشر :  
﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾

وَلِكُنَّ اللَّهَ يُسْلِطُ رَسُولَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَىٰ فَلَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي أَقْرَبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنَى السَّيْلَ كَمَّ لَا يَكُونُ ذُلْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۝

إِلَّا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ شَكَا إِلَيْهِ أَبُو دِجَانَةَ ، وَسَهْلَ بْنَ حَنْيفٍ حَاجَةً فَأَعْطَاهُمَا خَاصَّةً دُونَ بَقِيَّةِ الْأَنْصَارِ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نوجزها فيما يلى :

- (١) تقرير مبدأ أن نقض المعاهدة إعلان للحرب .
- (٢) بيان الكمال الحمدى في الوفاء بالعهود والالتزام التام بالمعاهدات .
- (٣) بيان سجية من سجايا اليهود وهى نقض المعاهدات وكذا الحال بالنسبة إلى الكفار إذا رأوا حاجتهم في النقض نقضوا لكرههم بالله ولقائه .
- (٤) قد تقتضى الضرورة الخربية هدم الجسور وبعض الدور وقطع الأشجار للضرورة .
- (٥) بيان أن الفيء خلاف الغنيمة صورة وحكما .
- (٦) ولوغ اليهود بالمرامير والطبلول والأغاني وحفلات الرقص والمجون في كل زمان .
- (٧) بيان أن سورة الحشر جلها نزل في يهود بنى النضر .

### عبرة خاصة

عبرة لو كان هناك من يعتبر ؛ أنه لما أخرج بنو النضر من ديارهم ، وتركوها خراباً مرمى بها عمرو بن سعدى اليهودى ، وكان متأللاً في بني قريظة لا يفارق الكنيسة . فرأى خراباً ، وفقدان أهلها ، بعد ما كانوا يعمرونها ، ولهن فيها طيب عيش وهدوء نفس وراحة بال ، فأقى بوق

الكنيسة ، فنفع فيه فاجتمع رجال بنى قريظة فذكرهم بحال بنى النضير ، وحال بنى قينقاع من قبلهم وما حل بهم من ذل وهوان وخسران ، وقررهم بما يعرفون من التوراة ، وهو أن محمدًا هو النبي الخاتم وأنه رسول الله ﷺ ، حقاً وصدقًا ، وأن التجاه في اتباعه والخسران في حربه والكفر به ومعاداته ، فأقرروا لما أكثر عليهم من الحجج والشواهد والبراهين . فقال له كعب بن أسد القرطبي : ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتبعه ؟ ، قال : أنت يا كعب ، قال كعب : فلم والتوراة ما حلت بينك وبينه قط ؟ ، قال الزبير بن باطأ بل أنت صاحب عهتنا . وعقدنا فإن اتبعته اتبعناه ، وإن أبيت أبينا . فاقبل عمر بن سعد على كعب فذكر ما تقاولا في ذلك إلى أن قال عمرو ما عندى في أمره إلا ما قلت : ما تطيب نفسى أن أصير تابعًا !!

وهكذا يحمل الكير صاحبه على جحود الحق وإنكاره وإن خسر نفسه وأهله في الدنيا والآخرة ، وهو الخسران المبين .

وثاني غزوتها :

### غزوة ذات الرقاع

ذكر في سبب هذه الغزوة أن بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان قد جمعوا الجموع وأجمعوا أمرهم على حرب رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم في أربعمائة مقاتل ، واستخلف على المدينة أباذر الغفارى ، أو عثمان بن عفان رضى الله عنهما وسار إليهم وهم بديار نجد فنزل ( خلا ) وهو موضع من نجد في أرض غطفان .

ولما علم بمسيره ﷺ من أجمعوا أمرهم على قتاله تفرقوا ولحقوا برؤوس الجبال فلم يكن قتال ، وسميت هذه الغزوة ذات الرقاع ؛ لأنهم كانوا يعتقدون البعير كل ستة بعير ، وكان الفصل صيفاً ولم يطيقوا الحر فكانوا يُلقّون العرق على أرجلهم فسميت ذات الرقاع .

## وحدث في هذه الغزوة ما يلى :

(١) أن النبي ﷺ لما بات برجاله بات في مضيق « شعب بين جلين » وجعل على الحراسة مهاجرًا وهو عمار بن ياسر ، وأنصاراً وهو عباد بن بشر ، فخير أحدهما الآخر في حراسة أول الليل ، أو آخره . فاختار الأنصارى أول الليل ، فحرس ثم قام يصلى ويقرأ في سورة الكهف فجاء أحد القناصة من العدو ، فرمى بسهم فنزعه وواصل صلاته ، ثم رماه بآخر فنزعه ، وواصل صلاته ثم رماه بثالث فاستيقظ صاحبه ، فرأى الدم يسيل منه فسألته فأخبره فقال : لم لا توقظني ؟ فقال : إنى كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أكملها ، فلما تابع على الرمي ركعت فاذنك ، وائم الله لولا أن أصبحت شَعْرًا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها أى منها قراءة .

(٢) أن غورث الغطفانى قال لرجاله : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفك به ، وأخذ يتبع جيش الإسلام ، فلما نزلوا في وادٍ كثیر الأشجار ، وتفرقوا فيه للراحة تحت ظلال أشجاره ، وكان النبي ﷺ قد جلس تحت ظل شجرة وعلق سيفه بها ، فجاء غورث الغطفانى في استخفاف وختل حتى أخذ السيف وأصلته ، وقال للرسول ﷺ : من يمنعك اليوم عنّي يا محمد ؟ فنظر إليه الرسول ﷺ وقال : « الله » . فانهار الرجل وسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ ، وقال له : « من يمنعك مني اليوم ؟ » قال : لا أحد ، وجلس بين يدي رسول الله ﷺ وعاشه على أن لا يحارب ضده ، ورجع إلى قومه فأخبرهم فأسلم كثيراً على خبر هذه الحادثة .

(٣) أن جمل جابر بن عبد الله قد انقطع وأصبح لا يقدر على المشي إلا بصعوبة فمرّ به الحبيب محمد ﷺ وهو واقف والجمل حاسر بارك ، فقال له : « ناولني سوطه » فناوله إياه فضرب به الجمل فقام وسار حتى كاد يسبق غيره .

ومن باب المطايية قال عليه السلام لجابر : « أَتَيْعُنِيهِ يَا جَابِر ؟ » قال : بل أَهُبُّ<sup>أَهُبُّ</sup> لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « لَا ، بَلْ بَعْنِيهِ » فَسَاوَمَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى بَلَغَ الشَّمْنَ المَطْلُوبَ فَبَاعَهُ إِيَّاهُ ، وَاشْتَرَطَ جَابِرٌ حَمْلَاهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَبْلَ النَّبِيِّ عليهما السلام الشرط . وَلَا وَصَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ جَاءَ جَابِرٌ بِالْجَمَلِ فَأَنْاخَهُ عَلَى مَقْرَبَةِ مَسَاجِدِ الْمَدِينَةِ ، وَقَالَ لِبَعْضِهِمْ أَخْبَرَ النَّبِيِّ عليهما السلام بِأَنَّ جَابِرًا جَاءَ بِالْجَمَلِ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ عليهما السلام لِعُمَارَ : « أُعْطِ هَذِهِ الدِّرَاهِمَ لِجَابِرٍ وَقُلْ لَهُ يَأْخُذْ جَمْلَهُ ، فَإِنَّهُ لَا حَاجَةَ لَهُ بِهِ » . فَأَخْدَى جَابِرُ الْجَمَلَ وَثَمَنَهُ شَاكِرًا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَضْلَهُمَا .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة تنتائج وعبرنا نحملها في الآتي :

- (١) بيان مصدق قوله عليه السلام : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » .
- (٢) مشروعية اتخاذ الحرس عند الخوف .
- (٣) بيان كمال عباد بن بشر الأنصارى فى خشوعه فى صلاته وتدبّره كلام الله تعالى .
- (٤) آية النبوة الحمدية تتجلى فى انهيار غورث وسقوط السيف من يده .
- (٥) بيان الكرم الحمدى المتجلى فى إعطاء جابر الجمل والشمن معاً .
- (٦) آية النبوة الحمدية فى جمل جابر الذى أصابه الكلل والإعياء حتى انقطع ثم عاد خيراً ما كان ببركة ضربه له ورغبة فى عودة صحته وسلامته .

### وثالث الغزوات :

غزوَةُ السَّوْيِق  
أو  
بدرُ الْآخِرَةِ

سبب هذه الغزوة : أن أبا سفيان بن حرب لما كان عائداً من غزوة أحد

قال للنبي ﷺ وأصحابه موعدنا بدرًا عاما قابلا فقال النبي ﷺ لأصحابه « قولوا له نعم ». فقالوا : نعم إن موعدنا معك العام القابل ، فلما آن أوان الموعد استخلف النبي ﷺ على المدينة عبد الله بن رواحة ، أو عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ، وخرج في ألف وخمسمائة مقاتل ، وسار حتى وصل بدرًا ، وكان بها سوق كبيرة تقام سنويًا ولذا واعد أبو سفيان فيها النبي ﷺ وأصحابه . فباع النبي ﷺ وأصحابه واشتروا فربحوا ضعف رأس المال إذ ربع الدرهم درهمين ، وعادوا لم يمسسهم سوء ؛ إذ أبو سفيان لما خرج برجاته ووصل إلى قريب من عسفان رأى أنه لا فائدة من الحرب وخاف الهزيمة فخطب في رجاله فقال : إن هذا العام عام جدب ، ولا يصلح لكم إلا عام خصب فلذا أرى أن تعودوا ، فأكلوا أزوادهم وكانت سويقاً ورجعوا ، فقال أهل مكة يُتحون عليهم باللائمة كأنكم ما خرجتم للقتال ، وإنما خرجتم لأكل السويق فسميت هذه الغزوة أيضا بغزوة السويق .

وقال في هذه الغزوة كعب بن مالك شعرًا منه قوله :

ليعاده صدقًا وما كان وافيا لأبٍ ذميمًا وافتقدت المولايا وعمراً أبا جهل تركناه ثاويا وأمركم السّي الذي كان غاويا فدّي لرسول الله أهل وماليا شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديا	وعدنا أبا سفيان بدرًا فلم نجد فأقسم لو وافتني فلقيتنا تركنا به أوصال عتبة وابنه عصيتم رسول الله أَفْ لدينكم فإئتي وإن عنفتموني لقائل أطعنها فلم تَعْدَلْه فينا بغيرة
--	---

نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا هي الآتية :

- (1) بيان الوفاء الحمدى الدال على الشجاعة النادرة إذ لم يرهب أبا سفيان كما رهب هو وولي من الطريق خائفا .

- (٢) مشروعية البيع والشراء في كل فرصة تسنح حتى في الجهاد والحج .
- (٣) بيان مصداق حديث نصرت بالرعب مسيرة شهر ؛ لأنزام جيش أى سفيان قبل الالقاء بأرض الموعد وهى بدر .
- (٤) تفسير قول الله تعالى : ﴿أَلَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَرَأَدُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمْسِسْهُمْ سُوءٌ وَأَتَبْعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ .

أهم ما وقع من أحداث  
في هذه السنة الرابعة  
من هجرة الحبيب محمد  
صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

تمت في هذه السنة وهي الرابعة من الهجرة أحداث يحسن ذكرها مجملة لل بتاريخ والعبرة إزاء النقاط السوداء الآتية :

- وفاة أى سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخرومى ابن عممة رسول الله ﷺ ببرة بنت عبد المطلب .
- وفاة عبد الله بن عثمان بن عفان وهو ابن رقية بنت رسول الله ﷺ ، قوله من العمر ست سنين .
- ولادة الحسين بن علي رضي الله عنهما وهو سبط النبي ﷺ لأنه ابن بنته فاطمة الزهراء رضوان الله عنها .
- زواج النبي ﷺ بزینب بنت خزیمہ بن الحارث الھلالیة واللقبة بأم المساکین .
- تزوج الحبيب محمد ﷺ بأم سلمة بعد وفاة زوجها أى سلمة وانقضاء عدتها منه .

- أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت الشاب الأنصاري أى يتعلم كتابة اليهود فتعلمتها في نصف شهر .

## أحداث السنة

### الخامسة

ودخلت السنة الخامسة من هجرة الحبيب محمد ﷺ ، وكان أول أحداثها :

### غزوة دومة الجندي

بلغ النبي ﷺ أن جمّعاً من المشركين بدومنة الجندي وهي قرية تبعد عن المدينة بمسافة خمس عشرة ليلة ، وعن دمشق بنحو من خمس ليالٍ فهى إلى الشام أقرب ، وإن كانت من أعمال المدينة النبوية — يتلخصون ، و يؤذون المارة فأراد النبي ﷺ أن يؤذهم من جهة — تخليصاً للبلاد من ظلمهم ، ومن جهة أخرى ليرعب الروم ، وكل من في المنطقة حتى لا يفكروا في حربه ﷺ ومن جهة ثالثة ينشر دعوة الله تعالى و يبلغها إلى سكان تلك الديار . فاستخلف على المدينة سباع بن عُرفة الغفارى ، وخرج في ألف مقاتل ، وانهى إلى تلك البلاد ، ولم يجد بها أحداً ، إذ رأبوا و تفرقوا بمجرد أن علموا أن محمداً قد خرج إليهم .

وأقام ﷺ بالمنطقة كذا يوماً ، أرسل فيها السرايا هنا وهناك ولم يعثروا إلا على الماشي من إبل و غنم ، فساقوا منها ما شاء الله ، وعاد الحبيب محمد ﷺ إلى المدينة ولم يلت كيداً ، والحمد لله أولاً و آخرًا .

### نتائج و عبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج و عبراً نوجزها فيما يلى :

(1) بيان ما كان من الفوضى في تلك الديار قبل الإسلام بدليل وجود

عصابات تتلخص فتؤذى المارة وتسلب أموالهم .

(٢) بيان ما أُوتى النبي ﷺ من كمال السياسة وحسنها ، إذ خروجه إلى دومة الجدل حقق عدة أهداف شريفة منها إرعاب الروم ، ورفع الظلم والدعوة إلى الإسلام .

(٣) بيان مصداق قوله ﷺ : « ونصرت بالرعب مسيرة شهر » ، إذ بمجرد أن علم الظلمة بخروج النبي ﷺ إليهم حتى تفرقوا منه زمين والميافة مسافة شهر .

(٤) مشروعيةأخذ الغنائم في الإسلام وحالتها لهذه الأمة المجاهدة المقيمة للعدل الناشرة للهدي والخير بين من تظلمهم تحت راية الإسلام .

وثاني أحداثها :

### غزوة الخندق أو الأحزاب

هذه الغزوة نزلت في بيان أحداثها الجسام سبع عشرة آية من سورة الأحزاب ، وهذه عناصر تكوينها متسلسلة ليسهل فهمها والانتفاع بغيرها .

١ - سبب وقوعها :

إن السبب الأقوى و المباشر لحدوث هذه الغزوة هو أن رؤساء بنى النضير الذين نزلوا بخیر يوم جلائهم ، واحتفل بهم يهود خیر وأقاموا لهم الأفراح يوم استقبالهم كما تقدم بيانه في استعراض غزوة بنى النضير من السنة الرابعة من هجرة الحبيب محمد ﷺ .

هؤلاء الرؤساء وهم حبي بن أخطب ، وعبد الله بن سلام بن أبي الحقيق ، وكتانة بن الربع بن أبي الحقيق وغيرهم رأوا أن يثأروا لما أصابهم من الذل

والهوان ، وينقمو من الرسول ﷺ والمُؤمنين ، فخرجو إلی مکة لتأليب قريش ، تحزب الأحزاب لقتال النبي ﷺ والقضاء عليه ، فوجدوا قريشاً مستعدة لذلك من أجل الهزائم التي لحقتها في غير ما میدان وساحة قتال ، وضلّلها هؤلاء اليهود ؛ إذ أعلمواها أنها على حق ، وأن دینها خیر من دین محمد ، وأنها أهدى منه سبیلاً في حياتها الدينية والاجتماعية والسياسية . وفي هذا نزل قول الله تعالى من سورة النساء : ﴿ أَلْمَ تَرِ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نِصْيَارِ مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالظَّاغْوَتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا \* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنْهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدْ لَهُ نَصِيرًا ﴾ .

فخرجو إلی عند قريش وترکوها تعد العدة وتجمع الرجال من قبائلها على اختلافهم مُجمعة الخروج إلى المدينة لحرب محمد ﷺ واستئصاله .

وذهب أولئك الرؤساء في الشر إلى قبائل غطفان يؤلبونهم على حرب محمد ﷺ فاستجابوا لهم لظلمة نفوسهم ، ولقوة تأثير كلام اليهود فيهم . وخرجت قبائل غطفان بزعامة عيینة بن حصن ، وكل قبيلة معها سيدها . فمع بني فزاره عيینة ، ومع مرة الحارث بن عوف المرى ، ومع الأشجع مُسْعِر ابن رخيلة الأشجعى .

وخرجت قريش بقيادة أبي سفيان بن حرب ، وواصل كل سيرة فنزلت قريش بمجمع الأسیال قريباً من دومة بين الجرف والغاية ، وكان أفراد معسکرهم عشرة آلاف مقاتل من أحبابي THEM ، ومنتبعهم من کنانة وتهامة . ونزلت قبائل غطفان شرق المدينة إلى جنب أحد الشرق . وفي هذا يقول تعالى من سورة الأحزاب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جَنُودٌ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجْنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا \* إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ .

## ب - حفر الخندق إجراء وقائي :

وكان النبي ﷺ قد سعى بتحركات اليهود وتخزيهم الأحزاب لقتاله فداء أبي وأمّي فاستشار رجاله . فاقتراح سلمان الفارسي حفر خندق حول جبل سلع تكون ظهور المسلمين إلى جبل سلع ووجوههم إلى الخندق فيمنعون كل مقتحم للخندق يريد الوصول إليهم . وأن يوضع النساء والأطفال في حصنون المدينة وأطامها ، فاجتمعت الكلمة على حفر الخندق ، وأنذ المسلمين يحفرون ومعهم نبيّهم ﷺ يحرر معهم . وقد وزع ﷺ الحفر عليهم فجعل لكل عشرة أنفار أربعين ذراعاً . واشتغلت الفئوس والمساحي في الحفر ، والرجال في نقل التراب وإبعاده ، وكان بين الذين ينقلون التراب الحبيب ﷺ حتى علا جلده الطيب الظاهر ، وكان ذلك منه ﷺ تشجيعاً لهم على العمل ومواصلته حتى إنه كان إذا تقاولوا يقول معهم . فقد كانوا يرتجزون برجل من المسلمين يقال له جعيل وسماه النبي ﷺ عمراً فيقولون :

سماه من بعد جعيل عمراً . فيقول ﷺ : « عمراً »  
وإذا قالوا : وكان للبائس يوماً ظهراً . يقول هو ﷺ : « ظهراً »  
ولما رأى ﷺ ما بهم من التعب والجوع قال : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة » « فاغفر للأنصار والهاجرة » .

قالوا هم مجربين له :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً  
وكان ﷺ ينقل التراب معهم ويردد قول عبد الله بن رواحة :  
والله لو لا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا  
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا  
إن الأولي قد بَعْوا علينا إذا أرادوا فتنة أينما

## جـ - آيات تظهر أثناء الحفر وبعده :

وتجلت أثناء حفر الخندق آية من آيات النبوة المحمدية وذلك أن كُدْيَة قد اشتدت عليهم وهم يحفرون فشكواها إلى رسول الله ﷺ فقال : « أنا نازل » أى إليها داخل الخندق ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ؛ إذ لبوا ثلاثة أيام لا يذوقون طعاماً فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب الكدية المستعصاة فعادت كثيباً أهيل . هذه آية ظاهرة .

وأخرى : قال جابر بن عبد الله قلت : يا رسول الله ائذن لي إلى البيت فأذن لي فأتيت امرأة فقلت لها : إني رأيت برسول الله ﷺ شيئاً ، ما كان في ذلك صبر ، فهل عندك شيء ؟ قالت : عندي شعر وعناق « جدى صغير » قال فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ، ثم جئت النبي ﷺ ، والعيجين قد انكسر<sup>(١)</sup> ، والبرمة بين الأثافى<sup>(٢)</sup> كادت تنضج ، فقلت : طعم<sup>٣</sup> لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان ، قال « كم هو ؟ » فذكرته له ، فقال : « كثير طيب قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التور حتى آتي » ، فقال : « قوموا » فقام المهاجرون والأنصار ، فلما دخل جابر على امرأته قال لها : ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم ، قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم ، فقال : « ادخلوا ولا تصاغطوا » فجعل ﷺ يكسر الخبز ويعرف من البرمة حتى شبعوا وبقى بقية ، فقال لي : « كل هذا وأهدى فإن الناس أصحابهم مجاعة » .

وثالثة : قال سلمان رضي الله عنه : ضربت في ناحية من الخندق فغلظت على صخرة ورسول الله ﷺ قربت مني ، فلما رأى أضربي ورأى شدة المكان على نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول

(١) أى صار كسراً بمعنى نضج .

(٢) الأثافى جمع أثافية : حجر يوضع فوقه القدر .

برقة ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحنه برقة أخرى ، ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى . قال سلمان فقلت له بأبي أنت وأمّي ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعلول وأنت تضرب ؟ قال : « أو قد رأيت ذلك يا سلمان ؟ » قلت : نعم . قال : « أما الأولى فإن الله فتح على باب اليمن وأما الثانية فإن الله فتح على باب الشام والمغرب وأما الثالثة فإن الله فتح على باب المشرق » .

#### د — موقف مخز للمنافقين :

لما شرع الرسول ﷺ والمؤمنون في حفر الخندق كان المؤمنون يواصلون العمل ، وإن كانت لأحدهم حاجة ضرورية استأذن رسول الله ﷺ فأذن له فيذهب إلى أهله فيقضي حاجته ويعود ، أما المنافقون فإن أحدهم يُورّى بقليل من العمل ثم يذهب إلى أهله بدون إذن ولا استئذنان في خفاء فأنزل الله تعالى فيهم قوله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْلَلُونَ مِنْكُمْ لِوَادِأٌ فَلَيُحَذَّرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبُهُمْ فِتْنَةً أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

ونزل في المؤمنين الصادقين ثناء الله عليهم : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا آسَتُدْنُوكُمْ لِبْضُ شَأْنِهِمْ فَأَذْنُنَ لَمَنْ شِئْتُمْ مِنْهُمْ وَآسْتَغْفِرُ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

#### ه — مواجهة العدو :

وما إن تم حفر الخندق حتى وصلت قريش وعسكرت بمجمع الأسياخ قريباً من بغر دومة بين الجرف والغابة ، ووصلت غطافان بقبائلها فعسكرت شرق المدينة بجانب أحد ، وكان عامة أفراد قوات العدو تقدر باثنى عشر ألف مقاتل وخرج النبي ﷺ بأصحابه وكانوا قرابة ثلاثة آلاف مقاتل فجعلوا

(١) مستترین بشيء عند الهرب من العمل حتى لا يُروا .

ظهورهم إلى جبل سلع ووجوهم تجاه العدو ، بعد أن استعمل على المدينة ابن أم مكتوم الأعمى ، وجعل النساء والأطفال في الآطام<sup>(١)</sup> والمحصون .

### و — عمل شرير يقوم به ابن أخطب :

وذهب حبي بن أخطب عليه لعائن الله إلى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريطة وعهدهم ، إذ كان قد عاقد الرسول ﷺ وعاهده على قومه ، فلما سمع كعب صوت حبي وعرفه أغلق باب حصنه دونه فاستأذن حبي فلم يأذن له فصاح حبي : ويحك يا كعب افتح لي ، فقال كعب : ويحك يا حبي فإنك أمرؤ مشغوم ، وإنى قد عاهدت محمدًا فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا الوفاء والصدق . وما زال يراوده على الفتح حتى فتح له الباب ودخل ، وكان أول ما قال قوله : ويحك يا كعب لقد جئتكم بعزم الدهر وبآخر طام جئتكم بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجمع الأسياں ، وبغضفان على قادتها وسادتها حتى أزلتهم بذئب نقمى إلى جنب أحد ، قد عاهدونى أن لا يرحوها حتى نستأصل محمدًا ومن معه . فقال له كعب جئتنى والله بذلك الدهر ، ويحك يا حبي ، فدعنى وما أنا عليه ، وما زال حبي يراود كعبا حتى نقض عهده مع رسول الله ﷺ ، وبرىء مما كان بينه وبين محمد ﷺ . وبهذا نقضت قريطة عهدها مع رسول الله ﷺ ، وبلغ هذا النبي ﷺ فأرسل السعديين : سعد بن معاذ وسعد بن عبادة من الأنصار لتفصى الحقيقة ، ومعرفة ما إذا كانت قريطة قد نقضت عهدها حقًا . وذهب السعدان رضى الله عنهمَا ومن معهما وعادوا بالحقيقة المرة وهي أن قريطة قد نقضت عهدها وهي على أحيث حال ، وقد أوصاهم رسول الله ﷺ إذا كانت قريطة قد نقضت عهدها أن لا يصرحوا بذلك ، ولكن يلعنوا به لحنًا حتى لا يُفتن الناس في المعسكر ، ولا يفت في أعضادهم ، ولذا قالوا : عضل والقارة أى كغدر عضل والقارة

(١) جمع أطم وهو المحسن أو البيت المرتفع .

بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه وهنا قام رسول الله ﷺ فكبّر وقال : « أبشروا يا معاشر المسلمين ». .

بنقض قريطة عهدها عظمت الفتنة واشتد البلاء وعظم الكرب ، وأصبحت الحال كما وصف الله تعالى في كتابه إذ قال من سورة الأحزاب : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ۚ ۝ أَى قريطة من فوق من الجنوب الغربي وقريش وغطفان من أسفل إذ هم من الشمال الغربي والشريقي ، ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَلَعَّتِ الْفُلُوبُ الْحَاجِرَ ۚ ۝ — أى من شدة الخوف — ﴿ وَظَرَّوْنَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۚ ۝ — أى المختلفة وهذه حال المنافقين وضعفة الإيمان ، أما المؤمنون الصادقون فهم كما قال تعالى فيهم : ﴿ هُنَالِكَ أَبْثَلَى الْمُؤْمِنُونَ وَرَأَزِلُوا زَلَّا شَدِيدًا \* وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۚ ۝ إذ قال معتب بن قشير : كان محمد يعذنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط !! وقال أوسُ ابن قيظى يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو أى مكشوفة له فإذا ذلت لنا أن نخرج أى من المعسكر فنرجع إلى ديارنا ، وهو ومن ماله من قومه المعنيون بقول الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ يَرْبَتِ لَامْقَامٍ لَكُمْ فَارْجِعُوهُ وَيَسْتَأْذِنُ فِرِيقٌ مِّنْهُمْ الَّتِي يَقُولُونَ إِنَّ يُبُوئَنَا عَوْرَةً وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۚ ۝ في آيات كثيرة تكشف عوارهم وتُظهر نفاقهم .

### ز — رحمة نبوية تجلّى في عرض صالح :

ولما رأى الحبيب محمد ﷺ صعوبة الموقف وشدة البلاء ، وما أصاب المسلمين من مخاوف بعث إلى عبيدة بن حصن ، وإلى الحارث بن عوف وهما قائداً غطفان يعرض عليهما صلحًا وهو أن يعطياهم ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا بن معهم من قومهم ، وتم الصلح حتى كتبت الوثيقة إلا أنها لم يشهد عليها بعد ، وقبل التوقيع النهائي بعث رسول الله ﷺ إلى السعديين فذكر ذلك لهم ، واستشارهما فيه فقالا له : يا رسول الله أمراً تحبه فتصنعه أم شيئاً أمرك

الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ قال : « بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوم<sup>(١)</sup> من كل جانب فأردت أن أكثر عليكم من شوكتم إلى أمر ما ». فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله ، وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرئ أو بيعاً فتحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال رسول الله ﷺ « فأنت وذاك » ، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة « الوثيقة » فمحا ما فيها من الكتابة ، ثم قال ليجهروا علينا .

## ح — بداية المعركة :

وقف الرسول ﷺ والمؤمنون وجهاً لوجه أمام العدو ، وتحركت خيل من قريش على رأسها عمرو بن عبد وُد . فمروا بخيomas بنى كنانة فقالوا لهم تهـوا يا بنى كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم ؟ ثم أقبلوا تسرع بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدوها ثم قصدوا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم بين السبخة وسلح ، وما إن رأهم المسلمون حتى حرج على بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين ووقفوا بينهم وبين الشغرة التي دخلوا منها بخيولهم ولما رأوا ذلك أقبلوا مسرعين نحو الشغرة التي أخذت منهم فوقفوا دونها وقال عمرو بن ود من يبارز ؟ فبرز له على بن أبي طالب رضى الله عنه ، وقال له : يا عمرو إنك قد كنت عاهدت الله تعالى إلا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذتها منه ، قال له : أجل ! فقال له على

(١) أى اشتدوا عليكم .

إني أدعوك إلى الله وإليه رسوله وإلى الإسلام فقال : لا حاجة لي بذلك ، قال على فإني أدعوك إلى النزال ، فقال له : لم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك ، فقال على لكي والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك ، فنزل عن فرسه وعقره وضرب وجهه ثم أقبل على على يناله فتازلا وتجاؤلا فقتل على عمرًا ، ولما رأت خيل المشركين ذلك فرت هاربة مقتحمة الخندق . ولم يقدروا بعد هذه الجولة أن يقتحموا الخندق لا رجالا ولا فرسانًا ، وإنما هي الاقتناص والرمادية حتى إن ابن العرقة رمى سعد بن معاذ بسهم وقال : خذها وأنا ابن العرقة<sup>(١)</sup> ، فقال له سعد عرق وجهك في النار ، وكان سعد قد أصيب في أكحله ، وقل من ينجو من الموت من أصيب بإصابته ، ولذا دعا فقال : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأيقنت لها فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه . اللهم إن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ، ولا تمني حتى تقر عيني من بني قريطة ، وعظم البلاء وفرع الحبيب عليه السلام إلى ربه يدعوه ويسأله النصر له والمزية لأعدائه فقال : « اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم » ، وقال له بعض أصحابه يا رسول الله هل من شيء نقوله ؟ فقد بلغت القلوب الحناجر ، فقال : « نعم ، قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن رؤاعاتنا ». وقد حالت المواجهة للعدو دون صلاة العصر حتى غربت الشمس فصلا بعد ذلك ودعا على المشركين فقال : « ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى » ، صلاة العصر . وحصل هذا عدة مرات ، وذلك لأن صلاة الخوف لم ينزل القرآن بها بعد ، وإنما لصلوا على أي حال ولا يؤخرنها عن وقتها .

واستجواب الله دعوة رسوله وعباده المؤمنين الصادقين فساق إلى رسوله نعم

(١) هي فلابية بنت سعيد تكنى أم فاطمة وهي جدة خديجة أم أمها هالة ، وقيل لها العرقية لطيب عرقها .

ابن مسعود الغطيفي بعد أن هداه إلى الإسلام فأسلم ، وأتى النبي ﷺ يقول له : يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت ، فقال له رسول الله ﷺ « إنما أنت فيما رأي واحد فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة » ، وخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بن قريظة ، وكان لهم نديمًا في الجاهلية ، فقال يا بني قريظة قد عرفتم وذى إياكم وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا صدقت لست عندنا بعثتهم . فقال لهم إن قريشاً وغطفان ليسوا كائناً ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرت لهم عليه ، وبلدكم وأموالهم ونسائهم بغيرة فليسوا كائناً ، فإن رأوا نزرة<sup>(١)</sup> أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا بيلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل بيلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه ، قالوا له لقد أشرت بالرأي .

ثم خرج من عندهم حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم وذى لكم وفراق محمداً ، وإنك قد بلغني أمر قد رأيت على حقاً أن أبلغكم نصحاً لكم فاكتموه عنك ، فقالوا نفعل . فقال : تعلموا أن عشرة يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه : إننا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن تأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكم فتضرب أعناقهم ، ثم تكون معك على من بقي منهم ؟ حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم ، فإن بعثت إليكم يهود يتلمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجالاً واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان : فقال يا عشرة غطفان إنكم أهل وعشيرتي

(١) نزرة أي فرصة انتهزوها .

وأحب الناس إلى ، ولا أراك تهمني ، قالوا : صدقت ما أنت عندنا بعثهم ، قال فاكتموا عنّي قالوا : فعل بما أمرك ؟ فقال لهم ما قال لقريش وحدرهم ما حذرهم .

وكان من تدبير الله تعالى لرسوله والمؤمنين ليخرجهم من محنتهم أن أرسل أبو سفيان ورجال من غطفان إلى بنى قريظة وفي ليلة سبت يقولون لهم إننا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحاfer فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا فإننا نخشى أن ضررتكم<sup>(١)</sup> الحرب ، واشتدد عليكم القتال أن تشنمروا<sup>(٢)</sup> إلى بلادكم وتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا به . فلما رجعت الرسل إلى قريش وغطفان بما قالت بنو قريظة قالوا والله إن الذي حدثكم به ثُعيم بن مسعود لحق فأرسلوا إلى بنى قريظة : إننا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم : إن الذي ذكر لكم نعيم لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمرروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم ، فأرسلوا إلى قريش وإلى غطفان : إننا والله لا نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم ، وخذل الله تعالى شاتية باردة شديدة البرد فجعلت تكتفأ قدورهم وتقلع خيامهم ، وما أطاقوا المقام فقررروا العودة فورا إلى بلادهم ، وارتحلوا عائدين لم ينالوا خيرا ، وكفى الله رسوله والمؤمنين قتالهم ، وكان الله قويًا عزيزًا . وأنزل في ذلك قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودًا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجَنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ وقوله : ﴿ وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) نالتم الحزن بأضراسها كنایة عما تلحق بهم من موت وهزيمة .

(٢) تنهضوا وتسرعوا إلى بلادكم .

**بِعِظِّهِمْ لَمْ يَتَأْلُوا حَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ أَلْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ فَوِيًّا عَزِيزًا** ﴿٤﴾ .

ولنستمع الآن إلى حذيفة بن إيمان رضي الله عنه يحدثنا عن مشاهدته لعسكر أبي سفيان في تلك الليلة الباردة وهو يعلن الرحيل بسرعة .

قال رضي الله عنه : وقد قال له رجل من أهل الكوفة يا أبو عبد الله أرأيتم رسول الله وصاحبته؟ قال : نعم يا ابن أخي ، قال فكيف كنتم تصنعون ! قال والله لقد كنا نجهد ، فقال السائل لـ حذيفة والله لو أدركتنا ما تركناه يمشي على الأرض ، وحملناه على أعناقنا . فقال حذيفة يا ابن أخي ، والله لقد رأينا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ هويًا<sup>(١)</sup> من الليل ثم التفت إلينا فقال : « مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فِي نَيْلٍ لِّنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ » — فشرط له رسول الله ﷺ الرجعة — « أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ » . فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني . فقال : « يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يصنعون ولا تُحَدِّثَنَ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِنَا » قال فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله « الملائكة » تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم نارًا ولا قدرًا ولا بناء ، فقام أبو سفيان فقال : يا معاشر قريش لينظر أمرؤ من جليسه؟ قال : حذيفة فأخذت بيده الرجل الذي إلى جنبي ، قلت : من أنت؟ قال فلان بن فلان ، ثم قام أبو سفيان فقال يا معاشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخلف وأخلفتنا بني قريظة وبلغنا عنهم ما نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا إني مرتاحل ، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ولو لا عهد رسول الله ﷺ

(١) هويًا أي قطعة من الليل .

إلى : « لا تُحدث شيئاً حتى تأتيني » ثم شئت لقتلته بسهم قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصل في مرض<sup>(١)</sup> البعض نسائه . فلما رأني أدخلني إلى رجليه وطرح على طرف المرض ، ثم ركع وسجد وإلى لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر . وسمعت غطfan بما فعلت قريش فأنسحروا راجعين إلى بلادهم .

وهناك قال الحبيب ﷺ : « الآن نفزوهم ولا يغزونا » ، وحقاً لم تغز بعدها قريش النبي ﷺ حتى غزاهم في عقر دارهم ودخل مكة عليهم . ولما أصبح رسول الله ﷺ من تلك الليلة عاد إلى المدينة وعاد أصحابه ، والحمد لله .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نجملها إزاء الأرقام التالية :

(١) موقد نار حرب غزوة الخندق هم رؤساء يهود بنى النضير : حبي ابن أخطب وسلم بن مشكم وكنانة بن الريبع . وما زال اليهود يوقدون نيران الحرب إلى اليوم .

(٢) بيان خيانة وغدر عيينة بن حصن الغطفاني إذ وادعه الرسول واقطع له أرضاً وغدر .

(٣) فضل سلمان الفارسي في إرشاده المؤمنين إلى حفر الخندق ، وقول الرسول فيه : « سلمان منا آل البيت » لما تنازعه كُلُّ من المهاجرين والأنصار .

(٤) تحلي آيات النبوة المحمدية عند حفر الخندق في ثلاثة مواطن وهي تفتت الصخرة حتى كانت كثيباً مهياً ، وما أعلنه عند كل بارقة برقت إذ كان ما أخبر به كما أخبر . وإطعام الملايين بصاع شعير وجدى من الماعز .

(١) كسام .

- (٥) بيان أن هذه الغزوة كانت تمحىصاً للمؤمنين ، وكشفاً لعوار المنافقين .
- (٦) تحلى الرحمة الحمدية في سعيه عليه السلام للصلح مع العدو الغازى ليخفف به على المؤمنين .
- (٧) جلال موقف سعد بن معاذ في رفضه الاتفاقية إيماناً وتوكلًا وصبراً وصدقًا .
- (٨) ظهور بطولة علي بن أبي طالب في منازلته عمرو بن ود وقتلها إياه في جولات محدودة .
- (٩) عظم مصاب المسلمين في سعد بن معاذ وهو القائل عند قدومه على المعركة :

**لَبْثَ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهِيجَا جَمِيلٌ لا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجْلُ**

(١٠) استجابة الله تعالى دعاء رسوله والمؤمنين .

(١١) عظم دور نعيم بن مسعود في تخذيل كل من اليهود والمشركين .

(١٢) تقرير حقيقة سياسية رشيدة وهي عدم الأخذ بنصائح العدو مهما كان صادقاً ووجوب الحذر منها تجلت هذه الحقيقة في دور نعيم الذي قام به في تخذيل العدو في قالب نصائح لا نظير لها .

(١٣) فضل حذيفة بن اليمان لاختيار الرسول عليه السلام له وبعثه لاستطلاع حال العدو ، وفوزه بمرافقة الحبيب عليه السلام في الجنة .

(١٤) تفسير آيات الأحزاب الواردة في غزوة الأحزاب وهي نحو من سبع عشرة آية .

وثالث أحداثها :

### غزوة بنى قريطة

بنو قريطة إحدى طوائف اليهود الثلاث الذين كانوا يسكنون حول المدينة النبوية ووادعهم رسول الله عليه السلام ونقضوا عهدهم واحدة بعد واحدة ،

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ كُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْدًا تَبَذَّهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ فاليهود إلى اليوم لا يفون بعهده ، ولا يتزمون بميثاق ، فكان النكث والغدر وصفا لازما لهم إلا من شاء الله منهم .

فبنو قريطة نقضوا عهدهم وانضموا إلى معسكر المشركين المحاصرين للمدينة الذين جاءوا لاستئصال الرسول والمؤمنين — خيب الله مسعاهم — فهذا وجوب قتالهم وتعين قتلهم أو إجلاؤهم عن البلاد وإخراجهم منها . كان هذا سبب غزوة بنى قريطة وهو نقضهم للمعاهدة وانضمامهم إلى المشركين الغزاة الظالمين المع狄ين .

#### بداية غزوهم :

لما عاد الرسول ﷺ والمؤمنون من الخندق وذلك يوم الأربعاء من أواخر شهر ذى القعدة من سنة خمس من الهجرة ، ودخلوا المدينة فلما كان وقت الظهر أتى جبريل عليه السلام النبي ﷺ متوجراً<sup>(١)</sup> بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة<sup>(٢)</sup> ، عليها قطيفة من دجاج فقال : « أوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ » قال : « نعم » ، فقال جبريل : « فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم . إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريطة فإني عاقد إليهم فمزلزل بهم » .

واستجواب الرسول ﷺ لأمر ربه تعالى فعين على المدينة ابن أم مكتوم ، وأمر ابن عمته عليّ بن أبي طالب أن يتقدم برايته إلى بنى قريطة بجس نبضهم ، ومعرفة أحوالهم ، وما هم عليه . وأذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس أن احضاروا فوراً إلى النبي ﷺ فحضروا فأمرهم بالمسير إلى بنى

(١) الاعتجار بالعمامة : أن لا يجعل شيء منها تحت اللحية .

(٢) الرحالة : السرج .

قريطة ، وقال لهم : « لا يصلين أحدكم العصر إلا في بنى قريطة ». وخف الناس وخرجوا ، وحان صلاة العصر ، فمنهم من صلاتها في طريقه متأنّاً قول الرسول ﷺ ، ومنهم من لم يصلها حتى دخل الليل عملاً بظاهر النص : « لا يصلين أحدكم العصر إلا في بنى قريطة » ولم يعب النبي ﷺ على من صلى ولا من أخر ، إذ الكل عامل بطاعته ﷺ .

وخرج الحبيب ﷺ مع بعض أصحابه فإذا بعلى رضي الله عنه عائد من بنى قريطة وقال للرسول ﷺ لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأنجذاب فقال الرسول ﷺ : « لم ؟ أظنك سمعت منهم لي أذى ؟ » قال : نعم . قال : « لو رأوي لم يقولوا من ذلك شيئاً » ، وكانوا قد نالوا من الرسول شيئاً لما دنا منهم على وخطفهم . وسار الحبيب ﷺ حتى وصل إلى ديارهم ودنا من حصنهم ناداهم قائلاً : « يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمه ! » قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولاً .

وأثناء مسيرة ﷺ إلى بنى قريطة مرّ بنفر من أصحابه فسألهم : « هل مر بكم أحد ؟ » قالوا : يا رسول الله مرّ بنا دحية بن خليفة الكلبي على بعنة يضاء عليها رحالة عليها قطيفة دجاج ، فقال رسول الله ﷺ : « ذلك جبريل بعث إلى بنى قريطة ينزل بهم حُصُونَهُمْ ويُقْذِفُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ ». ونزل الحبيب ﷺ وأصحابه على بعر من آبار بنى قريطة يقال لها : أنا أوّي آني ، ولما تلاحق المسلمون حاصرهم ﷺ ، وطلب منهم النزول فأبوا أن ينزلوا وفي هذه الأثناء ، وعندما جدهم الحصار وأيقنوا أنّ النبي ﷺ لا يفلتهم قام فيهم كعب بن أسد أحد أشرافهم ، وهو صاحب الحل والعقد بينهم فقال لهم يا عشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنّ عارض عليكم خلا لا ثلاثاً فخدعوا أيّها شئتم ، قالوا : وما هي ؟ قال نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبيّن لكم أنّه لنبيّ مرسى ، وأنّه الذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائهم ، قالوا : لا نفارق حكم التوراة

أبداً ، ولا نستبدل به غيره . قال فإذا أتيتم هذه فهلم فلقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيف لم ترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم ترك وراءنا نسلاً خشى عليه ، وإن ظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين مما خير العيش بعدهم ؟ قال فإن أتيتم على هذه فإن الليلة ليلة سبت ، وإن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها ، فأنزلوا علينا نصيب من محمد وأصحابه غرّة ، قالوا نفسد سبتنا علينا<sup>(١)</sup> ، وحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصحابهم ما لم يخف عليك من المسوخ .

وهنا قال كعب : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً .

### عرض مرفوض :

ولما اشتدت حيرتهم ، وعظمت مخاوفهم أنزلوا رجلاً منهم هو شاس بن قيس ليفاوض رسول الله ﷺ في شأنهم فنزل وكلم رسول الله ﷺ وعرض عليه أن يعاملهم معاملة بني النضير بحيث يخرجون بأموالهم ونسائهم وأولادهم ، ويتركون السلاح فأبى ذلك رسول الله ﷺ ، فقال شاس تحقن دماءنا وتعطينا النساء والذرية ولا نأخذ من أموالنا شيئاً فأبى ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه ، فعاد شاس فأخبرهم بنتيجة المفاوضات وأنها في غير صالحهم .

### وآخر مقبول :

ولما رفض رسول الله ﷺ مقتريهم بعثوا إليه يطلبون أن يبعث إليهم أبا لبابة ليستشوروه في موضوع النزول على حكم رسول الله ﷺ ، وكان أبو لبابة أوسياً وقريطة كانت حلفاء الأوس . فبعث إليهم النبي ﷺ أبا لبابة

(١) إشارة إلى الذين اعتدوا في السبت بالصيد فمسخوا قردة .

فدخل عليهم حصنهم فما إن رأوه حتى قام إليه الرجال وجهش النساء والصبيان بالبكاء فرق لهم أبو لبابة . فقالوا له يا أبا لبابة أنتزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه أى إنه الذبح !!

### عثرة كريم ألقاها الله جل جلاله :

وخرج أبو لبابة من عندهم وهو يقول : والله ما زالت قدماي في مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ﷺ ، ولذا انطلق على وجهه ، ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ربط نفسه في سارية المسجد ، وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله على ما صنعت ، وعاهد الله أن لا يطأبني قريطة أبداً ، ولا يرى في بلد خان فيه الله ورسوله أبداً . وكانت آية الأنفال تعنيه وهي قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْوِلُواَ اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحْوِلُواَ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

ولما بلغ النبي ﷺ خبره وكان قد استبطأه فلم يأت قال : « أما إنه لو جاءني لاستغرت له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه » ، وقضى أبو لبابة كذا يوماً مربوطاً تأني امرأته وقت الصلاة فطلاقه فإذا صلي ارتبط .

وفي سحر الليلة السادسة من ارتباطه سمعت أم سلمة النبي ﷺ يضحك فقالت له : مم تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنك قال : « تيب على أبي لبابة » قالت : أفلأ أبشره يا رسول الله ؟ وكان الحجاب لم يضرب بعد على نساء النبي والمؤمنين قال : « بلى » فقامت على باب حجرتها وقالت : يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك فثار الناس إليه ليطلقوه فقال : لا ، والله حتى يكون الرسول ﷺ هو الذى يطلقنى بيده فلما مرّ عليه الرسول ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه .

## فِي لَيْلَةِ نَزْوِلِ قَرِيبَةٍ :

وَفِي لَيْلَةِ نَزْوِلِ قَرِيبَةٍ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَكْرَمُ الرَّبِّ أَنْفَارُ مِنَ الْيَهُودِ فَأَسْلَمُوا ثَلَاثَةً مِنْهُمْ لَيْسُوا مِنْ بَنِي قَرِيبَةٍ وَالرَّابِعُ قَرْظَى ، فَغَيْرُ الْقَرْظَى هُمْ ثَعْلَبَةُ بْنُ سَعْيَةَ ، وَأَسِيدُ بْنُ سَعْيَةَ وَأَسَدُ بْنُ عَبْدِ وَهُمْ مِنْ بَنِي هَدْلٍ فَلَيْسُوا قَرْظَى وَلَا نَصْرَى . وَالْقَرْظَى هُوَ عُمَرُ بْنُ سَعْدِ الْقَرْظَى فَإِنَّهُ أَبِي أَنْ يَدْخُلَ مَعَ قَرِيبَةٍ فِي غَدَرِهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَا أَغْدِرُ مُحَمَّداً أَبِّا ، وَمَرَّ فِي الْلَّيْلِ بِحَرْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ الَّذِي عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ بْنُ مُسْلِمَةَ فَعْرَفَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ ، وَقَالَ اللَّهُمَّ لَا تَخْرُمْنِي إِقَالَةَ عَثَرَاتِ الْكَرَامِ وَخَلَى سَبِيلِهِ فَذَهَبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَتَى مَسْجِدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَبَاتَ بِهِ تِلْكَ الْلَّيْلَةِ . ثُمَّ ذَهَبَ فَلَمْ يَدْرِ أَيْنَ تَوَجَّهَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا . وَلَمَّا ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « ذَاكَ رَجُلٌ نُجَاهُ اللَّهُ بِوْفَائِهِ » .

## نَزْوِلُ بَنِي قَرِيبَةٍ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ :

وَلَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ وَأَعْلَمُ عَنِ النَّزْوِلِ بَنِي قَرِيبَةٍ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَافَدَ رِجَالُ الْأَوْسَ على رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ مَوَالِنَا دُونَ الْخَرْجِ ، وَقَدْ فَعَلْتَ فِي مَوَالِنَا إِخْرَاجَنَا بِالْأَمْسِ مَا قَدْ عَلِمْتَ ، وَهُوَ أَنَّهُ قَدْ وَهَبَ بَنِي قَبِيقَاعَ لَابْنِ أَبِي الْخَرْجِيِّ لِمَا أَلْحَقَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ شَافِعًا فِيهِمْ بِوَصْفِهِمْ مَوَالِيِّهِ أَيْ أَحَلَافِ الْخَرْجِ فَقَالَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ : « أَلَا تَرْضُونَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسَ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟ » قَالُوا : بَلِّي ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ « فَذَلِكَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ » .

## مِنَ الْمُسْتَشْفَى إِلَى الْحُكْمَةِ :

لَقَدْ أَصَبَّ سَعْدٌ فِي الْخَنْدَقِ بِسَهْمٍ فِي أَكْحَلِهِ وَدَعَا رَبَّهُ أَنْ لَا يَتَوَفَّهُ حَتَّى يُرِيهِ نَعْمَهُ فِي بَنِي قَرِيبَةٍ الْخَوْنَةِ الْغَادِرِينَ ، وَلَمَّا هَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ وَارْتَحَلُوا وَعَادُ النَّاسُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ فِي خِيمَةِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ فِي خِيمَةِ

رفيدة الإسلامية مسجده عليه السلام التي اتخذتها مثل المستشفى تعالج فيها الجرحى من فقراء المسلمين وضعفائهم ، محتسبة ذلك عند الله ترجو ثوابه يوم القيمة وأمر النبي عليه السلام بوضع سعد في خيمة رفيدة من أجل أن يقرب منه ليعوده من قريب .

ولما حكمه عليه السلام في بنى قريطة أتاه قومه من الأوس فحملوه على حمار قد وطأوا له بوسادة من أدم ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله عليه السلام وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك ، فإنما ولاك رسول الله ذلك لتحسين فهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد آن لسعد أن لا تأخذنه في الله لومة لائم . وهنا فهم القوم أن سعداً سوف لا يرحمهم فنعي بعضهم إلى بعض رجال بنى قريطة قبل أن يصل إليهم سعد وما وصل سعد قال رسول الله عليه السلام : « قوموا إلى سيدكم » فقاموا إليه وأنزلوه من على الدابة وقالوا له يا أبا عمرو إن رسول الله عليه السلام قد ولاك أمر مواليك لتحكم فهم ، فقال لهم سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيه ما حكمت ؟ قالوا : نعم : وعلى من هنا ؟ يشير إلى الناحية التي فيها رسول الله عليه السلام جالساً ، وهو معرض عن رسول الله عليه السلام إجلالاً له وتوقيراً ، فقال رسول الله عليه السلام : « نعم ». قال سعد فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال وثُسْتَي الذراري والنساء . فقال رسول الله عليه السلام : « لقد حكمت فيهم حكم الله من فوق سبعة أرقعة<sup>(١)</sup> ». .

### كيف نزل القرظيون من حصونهم :

إنه لما صدر حكم الله تعالى على لسان سعد بن معاذ في بنى قريطة ، ورضي الحكم رسول الله عليه السلام والمؤمنون ووافقوا عليه مجتمعين كان القرظيون

(١) جمع رقع و المراد السموات السبع لأنه رقعة فوق أخرى .

ساعئذ في حصولهم ، وقد أبوا أن ينزلوا على حكم سعد ، فصالح على بن أبي طالب قائلاً يا كتبية الإيمان ، وتقديم هو والزبير بن العوام ، وقال : والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأقتحمن حصولهم فصالح اليهود وقالوا يا محمد نزل على حكم سعد بن معاذ ، ونزلوا فاقتيدوا إلى المدينة وحبسو في دار بنت الحارث : امرأة من بنى التجار يقال لها : **ئسية بنت الحارث** .

### تنفيذ الحكم :

ثم خرج الحبيب محمد ﷺ إلى سوق المدينة وأمر بحفر أخاديد فيها ، ثم أمر أن يؤتى بهم أرسالاً فتضرب أعناقهم ويلقون في تلك الأخداد ، وكانوا قرابة السبعمائة رجل من بينهم كعب بن أسد رئيسهم ، وعدوا الله حبي بن أخطب النضرى مخرب الأحزاب لحرب رسول الله ﷺ والمؤمنين وقد قالوا لکعب وهم يساقون أرسالاً إلى رسول الله ﷺ إلى أين يذهب بنا يا کعب ؟ فقال لهم أفي كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعي لا يتزع ، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل !! وأخيراً جيء بعده الله حبي بن أخطب عليه حلة فقاچة<sup>(١)</sup> قد شقها من كل جهاتها حتى لا يتتفع بها المسلمون جيء به مجموعة يداه إلى عنقه فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله ما لست نفسي في عدوك ، ولكنه من يخندل الله يخندل ثم أقبل على الناس ، وقال أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ، وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه .

### القرظية العجب :

لقد أعدم كل من أبى الشعر واحتلم من ذكران بنى قريطة إلا رفاعة فقد استوهبته سلمى بنت قيس أم المنذر التجارىة النبى ﷺ فقالت يا رسول

(١) موشاة بالحمرة كالورد .

الله بأى أنت وأمى هب لي رفاعة فإنه قد زعم أنه سُيصلّى ويأكل لحم الجمل  
فووهبه لها فاستحيته أما نساؤهم فلم يقتل منهم إلا امرأة واحدة قُتلت بجنایة  
ارتكتبها<sup>(١)</sup> . وكانت المرأة عجبا في حياتها . ولنترك لأم المؤمنين عائشة تحدثنا  
عنها :

حدث عروة بن الزبير عن خالته عائشة رضى الله عنها قال : إنها قالت  
لم يُقتل من نساء بنى قريطة إلا امرأة واحدة إنها والله لعندى تتحدث معى  
وتضحك وتتقلب ظهراً لبطن من الضحك ، ورسول الله ﷺ يقتل رجاهما  
في السوق ؛ إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ، فقلت  
لها : وليك مالك ؟ قالت : أقتل . قلت : ولم ؟ قالت بحدث أحدهته ، فانطلق  
بها فضرب عنقها . فكانت عائشة تقول : والله ما أنسى عجبا منها طيب نفسها  
وكثره ضحكتها ، وقد عرفت أنها قتلت .

### وقرظى أ عجب :

هذا القرظى الأ عجب حالاً من القرظى العجب هو الزَّبِير<sup>(٢)</sup> بن باطا أحد  
أعيان بنى قريطة . وكان هذا الزَّبِير قد منَّ على ثابت بن قيس بن شهاس في  
الجاهلية ، وذلك في حرب بُعاث ؛ إذ قد جرَّ ناصيته وخلي سبيله ، فجاء  
ثابت وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني ؟ قال وهل يجهل  
مثلثك ؟ قال إنى أردت أن أجزيك يدك عندى ، قال الزَّبِير إن الكريم  
يمجزى الكريم .

ثم أتى ثابت النبي ﷺ فقال يا رسول الله إنه قد كان للزَّبِير بن باطا على  
منة ، وقد أحبت أن أجزيه بها فهب لي دمه . فقال رسول الله ﷺ « هو

(١) كانت قد طرحت الرُّحَا على خلال بن سويد فقتلته .

(٢) الزَّبِير يفتح الراي بخلاف الزَّبِير بن العوام فضم الراي .

لَكْ » فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكِفَافُ قَدْ وَهَبَ لِي دِمْكَ فَهُوَ لَكْ ، فَقَالَ الزَّبِيرُ : شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا وَلَدٌ فَمَا يَصْنَعُ بِالْحَيَاةِ ؟ فَأَتَى ثَابِتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكِفَافُ فَقَالَ : بِأَيِّ أَنْتَ وَأَمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ هَبَ لِي امْرَأَهُ وَوَلَدَهُ ، قَالَ : « هُمْ لَكْ » فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ قَدْ وَهَبَ لِي رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكِفَافُ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ فَهُمْ لَكْ ، فَقَالَ : أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْحَجَازِ لَا مَالَ لَهُمْ فَمَا يَقْوِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ ؟ فَأَتَى ثَابِتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكِفَافُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَهُ ، قَالَ « هُوَ لَكْ » فَأَتَاهُ ثَابِتُ فَقَالَ قَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكِفَافُ مَالِكٌ فَهُوَ لَكْ ، قَالَ أَيِّ ثَابِتٍ : مَا فَعَلَ الَّذِي كَانَ وَجْهَهُ مَرَأَةٌ صَيْنِيَّةٌ يَتَرَاءَى فِيهَا عَنَارِيُّ الْحَيَّ كَعْبُ بْنُ أَسْدٍ ؟ قَالَ : قُتْلُ . قَالَ فَمَا فَعَلَ سَيِّدُ الْمُحَاضِرِ وَالْبَادِي حَيْيَ بْنَ أَخْطَبَ قُتْلُ ، قَالَ فَمَا فَعَلَ مُقْدَمَتِنَا إِذَا شَدَدْنَا وَحَامِيتِنَا إِذَا فَرَرْنَا عَزَّالَ بْنَ سَمْوَءَلَ ؟ قَالَ : قُتْلُ ، قَالَ فَمَا فَعَلَ الْمُجْلِسَانِ ؟ يَعْنِي بْنَيْ كَعْبَ بْنَ قَرِيظَةَ . وَبْنَيْ عُمَرَ بْنَ قَرِيظَةَ ؟ قَالَ : ذَهَبُوا قُتْلَوْا ، قَالَ فَإِنِّي أَسْأَلُكَ يَا ثَابِتَ بِيَدِي عَنْدَكَ أَلَا لَحْقَتِنِي بِالْقَوْمِ فَوَاللَّهِ مَا فِي الْعِيشِ بَعْدَ هُؤُلَاءِ مِنْ خَيْرٍ . فَمَا أَنَا بِصَابِرٍ لِلَّهِ فَتْلَهُ<sup>(۱)</sup> دَلْوٌ نَاضِحٌ حَتَّى أَلْقَى الْأَحْبَةَ ، فَقَدَمَهُ ثَابِتٌ فَضَرَبَ عَنْقَهُ .

وَلَا يَلْغِي أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ قَوْلَهُ : « أَلْقَى الْأَحْبَةَ » قَالَ يَلْقَاهُمْ وَاللَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا مُخْلِدًا .

### أموال بنى قريظة :

بِنَاءً عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذِ الَّذِي وَاقَ فِيهِ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى وَرَضِيَهُ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّ أَمْوَالَ بَنِي قَرِيظَةَ كَنْسَائِهِمْ وَذَرِيَّاتِهِمْ تَقْسِيمٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَلَذَا قَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكِفَافُ فَأَعْطَى لِلْفَارَسِ ثَلَاثَةَ أَسْهَمٍ وَلِلرَّاجِلِ سَهْمًا بَعْدَ أَخْذِ الْخَمْسِ الَّذِي هُوَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ،

(۱) إِفْرَاغَةٌ دَلْوٌ أَيْ زَمْنٌ مَا يَفْرَغُ دَلْوٌ مَاءً . كَنَابِيَّةٌ عَنْ أَقْصَرِ زَمْنٍ .

وعلى هذه السنة مضت في الإسلام قسمة الغنائم إلا أن بعض أئمة الفقه يرى أن الفارس يعطى سهرين والراجل يعطى سهماً واحداً.

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أخا بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قريظة إلى نجد فباعهم واشترى بشمهم خيلاً وسلاحاً لل المسلمين .

### ريحانة الحبيب ﷺ :

ريحانة امرأة من بنى عمرو بن قريظة اصطفاها رسول الله ﷺ قبل قسمة السبايا وعرض عليها الزواج بها ويضرب عليها الحجاب فأبانت ، وقالت يا رسول الله اتركني في ملوكك فهو أخف علىّ وعليك فتركها ، وعرض عليها الإسلام فأبنت إلا اليهودية فعزز لها ﷺ ووُجِدَ في نفسه لذلك من أمرها فيينا هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال : « إن هذا لشعبة بن سعية يشرني بإسلام ريحانة ». فجاء فقال يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فسره ذلك من أمرها فكانت عنده ﷺ حتى توفى وهي في ملوكه رضي الله عنها .

### وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه :

بعد أن حكم سعد بن معاذ في بنى قريظة بمحكمه الذي وافق حكم الله ورسوله عادوا به إلى خيمة رفيدة بالمسجد النبوى ، تعالجه وتشرف عليه رفيدة .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من بنى قريظة حيث تم قتل رجالهم وقسمة أموالهم ، ونسائهم وذراريهم . وفي ذات ليلة انفجر عرق سعد الذي كان قد رقاً حتى أقرّ الله تعالى عينه بهلاك بنى قريظة ، كما سأله ربّه ذلك ، فأقى النبي ﷺ جبريل وقال له : يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتزّ له العرش ، فقام ﷺ سريعاً يجر رداءه إلى سعد ولحق به أبو بكر وعمر فوجده قد مات شهيداً متأثراً بجرحه الذي أصيب به في الخندق يوم أتى الخندق وهو ينشد :

لَبَثْ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهِيْجَا جَمْلًا      لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجْلُ  
 قالت عائشة رضى الله عنها سمعت بكاء أبا بكر وعمر على سعد إلا أن  
 النبي ﷺ كان لا يبكي على أحد ، ولكن إذا اشتد وجده<sup>(١)</sup> أخذ بلحيته  
 ﷺ .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نجملها فيما يأتي :

(١) بيان وبالعاقبة الغدر والخيانة وأنه عائد على صاحبها وفي القرآن الكريم : ﴿فَمَنْ تَكَثَّرَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمُكْرُرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ .

(٢) بيان فضل الله تعالى على أبي لبابة في قبول توبته ، وفضل أبي لبابة في صدق لجنه إلى ربّه تعالى .

(٣) بيان أن في الوفاء النجاة ، وأن الصدق منجاة .

(٤) بيان فضل رُفيدة الإسلامية في بنائها خيمة في المسجد تعالج فيها الجرحى كأنها بنت مصحة اليوم و تعالج فيها بنفسها فضربت المثل في ذلك .

(٥) بعض الأفراد من البشر أمرهم عجب كالقرطبة القتيلة والزبير بن باطا .

(٦) تجليات الكرم والحلم والحزم الحمدى في غزوة بنى قريظة يرى ذلك كل من استعرض أحداث هذه الغزوة .

(١) الوجد بفتح الواو : الحزن والألم النفسي ، وبالضم : اليسار والسعنة في الرزق .

## أهم ما وقع من أحداث في السنة الخامسة من هجرة الحبيب ﷺ

إن ما اشتملت عليه السنة الخامسة من هجرة النبي ﷺ من أحداث ذات شأن يمكن الوقوف عليه إزاء النقاط السوداء الآتية :

- غزوة دومة الجندل .
- غزوة الخندق ، وما تجلت فيها من آيات النبوة الحمدية ، وما لاق فيها المسلمون من بلاء .
- غزوة بنى قريظة وهلاكهم بموت رجاتهم وسبى نسائهم وأولادهم نتيجة غدرهم وخيانتهم .
- وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه .
- زواج الرسول ﷺ بزینب بنت جحش بنت عمته بعد طلاق زید مولاها لها .
- فرضية الحجاب صبيحة عرس زینب الذى تولى الله تعالى عقد نكاحها رضي الله عنها وأرضها ثمرة طاعتها الله ورسوله .
- إبطال عادة التبني نهائيا بتزوج الرسول ﷺ بزینب امرأة زید بن حارثة الذى كان قد تبناه النبي ﷺ في مكة أيام العمل بهذه البدعة .

## أحداث السنة

### السادسة

#### من هجرة الحبيب ﷺ

ودخلت السنة السادسة من هجرة النبي المباركة وكان أول أحداثها :

## غزوة بنى لحيان

في جمادى الأولى من هذه السنة السادسة من هجرته فداء أئم وأمّي ونفسى رأى ﷺ أن يطالب بدم أصحاب الرجيع الذين غدر بهم رجال لحيان وقتلواهم وهم خبيب وأصحابه رضوان الله عليهم فانتدب مائتين من أصحابه ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وأظهر أنه يريد الشام وهي تورية فقط وال Herb خدعة فخرج برجاله عن الطريق المؤدى إلى ديار بنى لحيان ، فغمى على الأعداء ، ثم عاد إلى الطريق القاصد ، وذلك من أجل أن يصيب من القوم غررة ، وواصل سيره وأغذه وبسرعة هائلة حتى نزل على غران وهى منازل بنى لحيان ، وغران هذا وادٍ بين أمع وعسفان متى إلى بلد يقال له ساية ، فلما علموا بطلبه لهم حذروا فتمتعوا في رؤوس الجبال ، فلما نزل بديارهم ولم يلقهم لتحقّصهم برؤوس الجبال . رأى أن يرهب قريشاً فيشعرهم بقدومه إلى قرب ديارهم طلباً للغادرين من بنى لحيان ، ليكون ذلك ذا وقع في نفوسهم وقد سبق له ﷺ أن صرّح فقال : « اليوم نغزوهم ولا يغزووننا » قالها بعد خيبة قريش في الخندق . فسار ﷺ برجاله وهم مائتا راكب كما تقدم حتى هبط عسفان ، ثم بعث فوارس من رجاله على رأسهم أبو بكر الصديق حتى بلغوا كراع<sup>(١)</sup> الغميم ، ثم كرّ وراح ﷺ راجعاً وهو يقول : « آتُون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون . أَعُوذ بالله من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب وسوء النظر في الأهل والمال ». وقال في هذه الغزوة كعب ابن مالك شرعاً هو :

لو أن بنى لحيان كانوا تناظروا<sup>(٢)</sup> لَقُوا عَصَبَا<sup>(٣)</sup> في دارهم ذات مصدقي

(١) موضع بالحجاز بين مكة والمدينة وهو إلى مكة أقرب .

(٢) يعني انتظروا .

(٣) جمع عصبة أي الجماعة .

لَقَوْا سَرَعَانًا<sup>(١)</sup> يِمَالُ السَّرَّبَ<sup>(٢)</sup> رَوْعَهُ  
أَمَامُ طَحُونَ<sup>(٣)</sup> كَالْمَجَرَّةِ فَيَلْقِي  
شَعَابَ حِجَازَ غَيْرَ ذِي مِنْفَقَ<sup>(٤)</sup>  
وَلَكُنْهُمْ كَانُوا وَبَارًا<sup>(٥)</sup> تَبَعَتْ

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نوردها كالتالي :

- (١) مشروعية المعاقبة بالمثل بقتل وقتل من خان وغدر .
- (٢) مشروعية التورية والتعمية على العدو ليصاب منه غرّة .
- (٣) مشروعية إرهاب العدو بالتزول بساحتته وإظهار القوة له .
- (٤) مشروعية قول آييون تائبون لربنا حامدون عند العودة من السفر الصالح .
- (٥) مشروعية التعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال .

### وثاني أحداها :

## غزوة ذي قرّد

### سبب هذه الغزوة :

إن هذه الغزوة كما لغيرها سببا اقتضاها وهو أن عيينة بن حصن الفزارى وهو ذاك الذى قاد قبائل غطفان لحرب الرسول ﷺ بالمدينة مع الأحزاب ، هذا العدو الحاقد أغاد في خيل له من رجاله على سرح المدينة وهى لقاح للنبي

- 
- (١) السرعان أو القوم .
  - (٢) النفس .
  - (٣) الكيبة تطعن كل ما تمرّ به .
  - (٤) جمع وبرة دوية .
  - (٥) أى لا نفق فيه يخرج منه .

عليه تبلغ عشرين لقحة<sup>(١)</sup> وهي الإبل ذات الألبان ، فاستاقوا الإبل وقتلوا الراعي وأخذوا امرأته .

### أول من علم بالغارة :

وكان أول من علم بهذه الغارة سلمة بن الأكوع السُّلْمَى رضي الله عنه إذ خرج يريد الغابة فلما علا ثيَّة الوداع شاهد خيل عينه من بعد فَعَلَا على جبل سلع وصاح : واصباحاه ! واصباحاه !! وهي صيحة الإنذار في ذلك الزمن ، ثم جرى وراء الخيل الغازية يطاردها يرميهم بالنبل وهم يخلون عن اللقاح ويلقون برمادهم وبعض أمعتهم تخفقا حتى افتک منهم أكثر اللقاح وتركها وراءه وما زال يطاردهم حتى وصلت خيل النبي عليه ، إذ كان أول من أتى إلى رسول الله عليه بعد صيحة سلمة من الفرسان المقداد بن عمرو الكندي ، ثم تابعوا ، وقال الرسول عليه لأول مرة : « يا خيل الله اركبى » .

واستخلف النبي عليه على المدينة ابن أم مكتوم وسار الناس ، وقد قدم الخيل وأمر عليهم سعد بن زيد ، وقال له : اخرج في طلب القوم حتى أحقق في الناس وسارت الخيل فكان أول فارس وصل إلى المغيرة هو محز بن فضلة المقلب بالأخرم . فلما انتهى إلى العدو قال لهم : قفوا عشر بنى اللّكِيَّة حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والأنصار فحمل عليه رجل من العدو فقتله ، وجال الفرس في الميدان ، ولم يقدر عليه ، وعاد إلى المدينة حتى وقف على آرئه . وتلاحت الخيل فقتل أبو قتادة رجلا من المغيرة يقال له حبيب ابن عينه وغضاه ببرده ، وتقىد يطارد القوم . فلما وصل الناس إليه وظنوا أن القتيل أبو قتادة لوجود برده على القتيل استرجعوا أى قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون . فقال لهم رسول الله عليه : « ليس بأبي قتادة ولكنه قتيل لأبي

(١) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن وهي بسكنون القاف بعد اللام المفتوحة .

قتادة وضع عليه بردہ لیعرف أنه قبیلہ » ، وأدرك عکاشة بن محسن أوبارا  
وابنه عمرو بن أوبار وهم على بعير واحد فقتلهمما معًا .

وسار رسول الله ﷺ والناس معه حتى نزلوا بجبل بدی فردة ، وتلاحق  
به الناس فأقام بهم يوماً وليلة ، وقال له سلمة بن الأكوع الذى كان يرمى  
ال القوم ويقول :  
خذها وأنا ابن الأكوع      اليوم يوم الرّضيّ

قال يا رسول الله لو سرحتنى في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح ،  
وأخذت بأعناق القوم . فقال له رسول الله ﷺ : « إنهم الآن ليغفون<sup>(١)</sup>  
في غطفان » بمعنى إنك لا تدركهم لأنهم وصلوا إلى ديارهم وهم يتناولون  
طعام العشاء ونحر لهم رسول الله ﷺ بعيرين طعمومها ، ثم ارتحلوا إلى المدينة  
النبوية ، وجاءت امرأة الغفارى الذى قتل يوم ساق رجال عيننة اللقاح ، وقتلوا  
زوجها فأخبرت النبي ﷺ أنها ندرت أن تنحر الناقة التي تركها إن نجاحتها  
الله تعالى عليها ، فقال رسول الله ﷺ — وقد تبسم — « بئس ما جزيتها  
أن حملك الله عليها ونجاك بها ، ثم تحريرتها . إنه لا نذر في معصية الله ولا  
فيما لا تملكون إنما هي ناقة من إبلى ، فارجعى إلى أهلك على بركة الله » .

نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة نتائج وعبرًا نجملها مع الأرقام الآتية :

- (١) بيان تسمية هذه الغروة بعروة ذى قرد ، وذلك لأن الماء الذى نزل  
به رسول الله ﷺ يقال له ماء ذو قرد .
- (٢) بيان فضل سلمة بن الأكوع وأى قتادة لقول الرسول ﷺ « خير  
فرساننا أبو قتادة ، وخير رجالنا سلمة بن الأكوع » .

---

(١) أى يسكنون اللbin بالعشى ، ويقال لهذا المشروب في هذا الوقت الغيوق .

- (٣) تأكيد عداوة عيينة بن حصن وبيان خبيثه .
- (٤) تقرير بطولة سلمة بن الأكوع وشجاعته .
- (٥) بطلاً نذر المعصية ، ونذر ما لا يملك .
- (٦) حلم الرسول ﷺ وكرمه وحسن سياساته ، وكمال أدبه ﷺ .
- وثالث أحداثها :

### غزوة بنى المصطلق من خزاعة أو المُرَيْسِع

سبب وقوع هذه الغزوة :

لهذه الغزوة سبب كغيرها من الغزوات وهو أن النبي ﷺ بلغه أن بنى المصطلق من خزاعة قد تجمعوا بقيادة الحارث بن أبي ضرار والد جويرية زوج النبي ﷺ ، وذلك بهاء يقال له المريسيع بناحية قديد وكذا سميت الغزوة بغزوة بنى المصطلق أو المريسيع ، فاستعمل النبي ﷺ على المدينة أبا ذر الغفارى ، وخرج إليهم رسول الله ﷺ في جمع من المهاجرين والأنصار ، ونازلهم بالمرسيع فهزم الله المشركيين ، وقتل من قتل منهم وأصاب رسول الله ﷺ سبايا كثيرة فقسمها بين المسلمين ، ومن بين السبايا جويرية أم المؤمنين رضى الله عنها ، وقد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شamas أو في سهم ابن عم له .

جويرية تكاتب مالكها :

ولما وقعت جويرية وهي بنت سيد الحى الحارث بن أبي ضرار طلبت من مالكها ثابت بن قيس أن يكتابها لتحرر ، وأتت النبي ﷺ تستعينه في كتابتها فقال لها : « هل لك في خير من ذلك ؟ » قالت : وما هو يارسول الله ؟ قال : « أقضى <sup>(١)</sup> عنك كتابك وأتزوجك » قالت : نعم يا رسول الله ،

(١) أقضى عنك أي أسدد ثمن المكاتبة الذي عليك مالكك وهو ثابت بن قيس .

ففعل أى تزوجها بعد سداد كتابتها وسمع المسلمون بتزوج رسول الله ﷺ بها فقالوا : أصهار رسول الله !! أى فكيف نملكون ؟ فعتقدوا ما لديهم من سباباً بني المصطلق فانتعق أكثر من مائة بيت من أهل بني المصطلق ، فكانت عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين تقول : ما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها !!

### فتنة أرادها ابن أبي ، ولكن الله سلم :

وما زال المسلمون معسكرين على المریسیع وإذا بصارخين أحدهما يقول : يا للأنصار !! والآخر يقول : يا للمهاجرين !! فزع الناس وإذا بهجاء الغفاری وهو أجیر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وسنان الجهنی حليف الخزرج يقتتلان على الماء ، فصرخ كل واحد بأحلافه غضب لذلك رئيس المنافقین عبد الله بن أبي بن سلول ، وعنه رهط من قومه من بينهم زید بن أرقم وهو غلام حدث السن ، فقال ابن أبي أو قد فعلوها !! قد كاثرنا في بلادنا . أما والله لعن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذل ، ثم أقبل على رهطه وقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتتموه بلا دكم وقادستوهم أموالكم ، ووالله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غيركم . ولما سمع زید مقالة ابن أبي هذه مشى إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما قال ابن أبي وكان عنده عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله مر به عباد بن بشر فيقتله ، فقال رسول الله ﷺ : « كيف إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه !! ولكن أذن بالرحيل » فارتخل في ساعة لم يكن يرتحل فيها ليقطع ما الناس فيه أى من التفكير في الفتنة . وهذا من الهدى النبوى الذى لا يُجارى فيه ، ولا يلحق به صلى الله عليه وآله .

وجاء أسيد بن حُضير فسلم على النبي ﷺ وقال يا نبى الله لقد رحت في ساعة لم تكن تروح فيها !! فقال له ﷺ : « أما بلغك ما قال عبد الله ابن أبي ؟ » قال : وماذا ؟ قال : « زعم إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعزّ

**منها الأذل** » قال أسيد فأنت والله تخرجه إن شئت فإنك العزيز وهو الذليل ، ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد مَنَ الله بك وإن قومه لينظُمُونَ له الخرز ليتوجهوه ، فإنه يرى أنك قد استتبته مُلْكًا .

وسمع ابن أبيِّ بالخبر فجاء يركض إلى رسول الله ﷺ ويحلف بالله ما قلت ما قال زيد ولا تكلمت به ، ولما كان ابن أبيِّ شريفاً في قومه ، قالوا يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أخطأ ، وأنزل الله سورة المنافقون : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ الخ ... .

#### موقف متحفظ :

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبيِّ وهو شاب صالح أحد الذين كانوا يكتبون الوحي لرسول الله ﷺ بلغه ما كان من أمر أبيه فأتى النبي ﷺ ، وقال يا رسول الله بلغنى أنك تريد قتل<sup>(١)</sup> أبي فإن كنت فاعلاً فمرني به فإنما أحمل إليك رأسه ، إني أخشى أن تأمر غيري بقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي بين الناس فأقتلته فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار . فأجابه الرسول ﷺ قائلاً : « بل نرقق به ونحسن صحبه ما بقى معنا » فكان بعد ذلك إذا أحدث حدثاً عاتبه قومه وعنفوه وتوعدوه .

#### أى الأمرين خير ؟

لما علم النبي ﷺ بما أصبح عليه قوم ابن أبيِّ بعد الذي حدث ، وهو أنهم أصبحوا إذا أحدث حدثاً سينا عاتبوه وعنفوه وتوعدوه ، وكفوا بذلك رسول الله ﷺ وأصحابه قال ﷺ لعمر بن الخطاب : « كيف ترى ذلك يا عمر ؟ أما والله لو قتلت يوم أمرتني بقتله لأرعدت<sup>(٢)</sup> له آناف لو أمرتها

(١) أى ارتحلت عائداً إلى المدينة .

(٢) أى أخذتها الحمية وغضبت لذلك .

اليوم بقتله لقتلته » فقال عمر : أمر رسول الله أعظم برقة من أمرى .

### لا عجب في غدر الكافر :

إنه لا ينبغي أن يتعجب من غدر الكافر ؛ لأن ظلمة الكفر عندما تغطي القلب تحجب عنه كل معنى للخير والفضيلة والمعروف ، فيصبح لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً .

وهذا مقيس بن صبابة الليثي كان قد قُتل أخوه هشام بن صبابة في هذه الغزوة ضربه رجل من الأنصار رهط عبادة بن الصامت بسهم في المعركة خطأً فمات فجاء مقيس اليوم يدعى الإسلام ويطالب بدم أخيه هشام بن صبابة الليثي فأعطاه الرسول ﷺ دية أخيه ، وأقام قليلاً عند رسول الله ﷺ ثم عَدَا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج إلى مكة مرتدًا وهو يقول :

حللت بها نذري وأدركت ثورني<sup>(١)</sup>

وكنت إلى الأصنام أول راجع

في ثلاثة أبيات المذكور ثالثها .

### حادثة الإفك :

عند عودة النبي ﷺ وأصحابه من غزوة بنى المصطلق وقرباً من المدينة نزل الرسول ﷺ منزلًا ليلاً ثم ارتحل ، وحدث في ذلك ما حدث ، ولترك لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها صاحبة القصة تحدثنا عنها بالتفصيل كما روى ذلك أصحاب السنن وأهل التفسير .

قالت رضى الله عنها : كان النبي ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فائيهـ

(١) بمعنى الثار ، ومقيس هذا أحد أربعة رجال أباح رسول الله ﷺ دماءهم وقال اقتلواهم ولو وجدتوهم متعلقين بأستار الكعبة لأنهم مرتدون ومن بدل دينه يقتل كفراً .

خرج سهمها خرج بها معه . فلما كان غزوة بنى المصطلق أقرع بين نسائه فخرج سهمى فخرج بي معه ، وكان النساء إذ ذاك يأكلن **العلق**<sup>(١)</sup> لم **يَهْجُّن**<sup>(٢)</sup> اللحم فيتقلن . و كنت إذا وصل بغيرى جلست في هودجي ، ثم يأتي القوم الذين يرحلون بغيرى فيحملون الهودج وأنا فيه فيضعونه على ظهر بغيرى ، ثم يأخذون برأس البعير ويسرون . قالت : فلما قفل رسول الله ﷺ من سفره ذلك وكان قريئاً من المدينة بات منزل بعض الليل ، ثم ارتحل هو والناس و كنت قد خرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي من **جزع**<sup>(٣)</sup> ظفار ، انسأّ من عنقى ولا أدرى فلما رجعت التمسّت العقد فلم أجده ، فرجعت إلى المكان الذي كنت فيه **التمسّه** فوجدته ، وجاء القوم الذين يرحلون بغيرى فأخذوا الهودج وهم يظنون أنّي فيه فاحتملوه على عادتهم وانطلقوا ورجعت إلى المعسكر ، وما فيه داع ولا مجيب أى ما فيه أحد فتلففت بجلبابي واضطجعت مكانى وعرفت أنّهم يرجعون إلى إذا افتقدونى ، فوالله إنى لمتضطجعة إذ مرّ بي صفوان بن المuttle السُّلْمَى و كان تخلف عن المعسكر لحاجته فلم يبيت مع الناس ، فلما رأى سوادى أقبل حتى وقف على فعرفنى ، وكان رآنى قبل أن يُضرب الحجاب ، فلما رآنى استرجع ، وقال : ما خلفك ؟ فما كلامته ثم قرب البعير وقال : اركبى فركبت وأخذ برأس البعير مسرعاً . فلما نزل الناس واطمأنوا طلع الرجل يقودنى ، فقال أهل الإفك في ما قالوا ، فارتاج المعسكر ولم أعلم بشيء من ذلك ثم قدمنا المدينة فاشتكى شکوى شديدة ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبيّ ولا يذكران لي منه شيئاً إلا أنّى أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه فكان إذا دخل على وأتى تمرضنى قال : « **كيف تيكم ؟** » لا يزيد على ذلك ، فوجدت في نفسي ما

(١) **العلق** : جمع علقة : ما يكفى به من العيش .

(٢) أى لم يسمّ لقلة اللحم في أجسامهن لقلة الأكل ..

(٣) **الجزع** : الخرز ، وظفار مدينة في جنوب اليمن نسب إليها الخرز .

رأيت من جفائه فاستأذنته في الانتقال إلى أمي لترضى فأذن لي ، وانقلت ولا أعلم بشيء مما كان حتى نهت<sup>(١)</sup> من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة .

قالت رضى الله عنها ، وكنا عرباً لا نت忤زد في بيوتنا هذه الكتف تعافها ونكرهها ، إنما كان النساء يخرجن كل ليلة فخرجت ليلة بعض حاجتي ومعي أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب ، وكانت أمها حالة أبي بكر الصديق ، فوالله إنها لتمشى إذ عثرت في مروطها فقالت تعس مسطح فقلت لها لعمر الله بعس ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً قالت : أو ما بلغك الخبر ؟ قلت وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذى كان ، فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى فرجعت فما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدى وقلت لأمي : تحدث الناس بما تحدثوا ولا تذكرينى لي من ذلك شيئاً !! فقالت لي : يا بُنية خففي عليك فوالله قل ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثُرْن وكتْر الناس عليها . قالت وقد قام رسول الله ﷺ فخطبهم ولا أعلم بذلك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ما بال رجال يؤذونى في أهلى ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت عليهم إلا خيراً ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، ولا يدخل بيته من بيته إلا وهو معى » . قالت وكان كبر ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج مع الذى قال مسطح وحمنة بنت جحش وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ، ولم تكن امرأة من نسائه تناصيني<sup>(٢)</sup> في المنزلة عنده غيرها ، فاما زينب فعصمتها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً ، وأما حمنة فأشاعت تضاربي لأنتها فشققت بذلك .

وتكلم أناس في المسجد حتى كادت تكون فتنة ، ونزل رسول الله ﷺ

(١) تمثلت للشفاء .

(٢) أى تسامينى وتريد أن تكون فى منزلتى عند رسول الله ﷺ .

فدخل على فدعا على بن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما في الأمر فقال على رضي الله عنه سل الجارية وهي بريدة ، فسألاها وضربها على فحلفت وما زالت تحلف أنها ما تعلم عن عائشة إلا خيرا ، وأنها ما كانت تعيب عليها شيئا إلا أنها كانت — أى بريدة — تعجن العجينة وتأمر عائشة بحفظها فتلام عنها فتأن الشاة فتأكلها .

ثم دخل على رسول الله ﷺ وعندي أبوابى وامرأة من الأنصار وأنا أبكي وهى تبكي فجلس فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال « يا عائشة » : وذكرت كلاماً وكيف كانت حالها إذ ذاك حتى قالت فقلت كا قال أبو يوسف ﴿ فَصَبَرَ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَنُ عَلَى مَا تَصْفُونَ ﴾ ، ثم قالت فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه فسجى بشوبه ووضعت وسادة من أدم<sup>(۱)</sup> تحت رأسه .

فاما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت وما باليت قد عرفت أنى بريئة ، وأن الله غير ظالم ، وأما أبوابى فوالذى نفس عائشة بيده ما سرّى عن رسول الله ﷺ حتى ظنت لخرجنى أنفسها فرقا<sup>(۲)</sup> من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس .

قالت ثم سرّى عن رسول الله ﷺ فجلس وإنه ليتحدى من وجهه مثل الجمان في يوم شاتٍ يجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول : « أبشرى يا عائشة قد أنزل الله براءتك » قالت : قلت الحمد لله ، ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك ، ثم أمر بمسطح ابن أثاثة وحسان ابن ثابت ومحنة بنت جحش وكانوا من أفعى بالفاحشة فضرروا حدّهم .

(۱) أى من جلد .

(۲) أى خوفا .

وروى أنها لما نزلت براءتها ، قال لها أبوها<sup>(١)</sup> ، احمدى رسول الله ﷺ  
قالت لا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي بِرَأْنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَقَدْ عَرَفْتَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نحملها كالتالي :

- (١) في تزوج رسول الله ﷺ بجويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق مبدأ : ( انزلوا القوم منازلهم ) إذ تزوجه ﷺ بها كان إكراماً لها ولأبيها لشرفهمما عند قومهما .
- (٢) بيان بركة جويرية إذ بزواجها انتفقت أكثر من مائة بيت من قومها .
- (٣) بيان نفاق وخبث ابن أبي عائشة الله تعالى ، وما أراده من الفتنة .
- (٤) تحلى الحكمة الحمدية والسياسة الرشيدة في إخماد نار الفتنة وقطع دابر الشر بالرحيل بالقوم وعدم الإذن في قتل ابن أبي بعد أن استوجب القتل بقوله : ما زال ابن أبي كبيشة يعيش في البلاد فساداً ، وهي كلمة صاحبها مرتد قطعاً ، إلا أن ابن سلول كافر ما آمن حتى يقال ارتد .
- (٥) مشروعية القرع والأخذ بها بدل مجرد التخيير لما فيها من تطيب النفوس .
- (٦) مشروعيةأخذ المجاهد امرأته معه للجهاد إذا كانت الظروف مواتية لذلك .
- (٧) بيان أن الحبيب ﷺ ما كان يعلم الغيب حتى يعلمه الله تعالى ، فكيف إذا بغره من يدعون علم الغيب والمكافحة تغري بال المسلمين وتضليل لهم لاستغلالهم .

(١) أبو بكر وأم رومان ، وأم رومان كنيتها وإلا فاسمها زينب رضي الله عنهم .

(٨) بيان ما تعرضت له أم المؤمنين من البلاء وصبرها عليه حتى كشف الله غمتها وفرج كربها وهكذا يتحقق مصداق قول الرسول ﷺ : « أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل » .

(٩) بيان براءة أم المؤمنين ، ولذا من شك في براءتها بعد نزول القرآن بذلك فقد كفر إما أن يراجع الإسلام وإلا فهو كافر من أهل النار .

(١٠) بيان إقامة حد القذف على من قذف مؤمناً أو مؤمنة بفاحشة ، إذ أقيم الحد على مسطح وحسان وحمنة فظهورهم الله تعالى بذلك ، ولم يقم الحد على ابن أبي لأنه كافر لا تطهيره الحدود .

(١١) استجابة أبي بكر لربه في قوله : ﴿ وَلَيَعْفُوا وَلَيُصْفَحُوا ﴾ إذ كان قد منع ابن خالته مسطحاً ما كان يقدمه له من طعام وكساء لما تورط في قذف أم المؤمنين ثم كفر أبو بكر عن يمينه ورد إلى مسطح ما كان يجريه عليه من النفقه بوصفه ابن خالته ، وهو مهاجر فقير .

(١٢) حرمة قذف المحسنات المؤمنات وكذا المحسنات المؤمنين ، وأنه من كبائر الذنوب ومحب للحد وهو ثمانون جلدة .

(١٣) تجلٍ<sup>(١)</sup> الكمال الحمدى ، في عدة مواقف من هذه الغروة بما فيه حادثة الإفك من ذلك ؛ حلمه وأناته ، صبره وكرمه ، حسن تدبيره لأموره وأمور أصحابه ، استشارته لأفراد آل بيته فيما يتعلق بهم دون غيرهم .

ورابع أحداثها :

### عمره الحديبية وبيعة الرضوان والصلح فيها

في ذى القعدة من سنة ست من الهجرة المباركة ، عزم الحبيب ﷺ

(١) تجلٍ ظهر والتجلٍ : الظهور .

على زيارة البيت الحرام فانتدب المؤمنين من حوله للخروج معه لأداء نسك العمرة في الشهر الحرام فخفف ناس ، وثقل آخرون ، وجل من ثقل كان من الأعراب النازلين حول المدينة .

وأحرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحرم من معه ملبيّن بالعمرّة ، وساروا في طريقهم إلى مكة وبلغ قريشاً خروج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، وكانوا ألفاً وأربعين إلة رجل ، وساقوا معهم الهدى وكان قرابة سبعين بعيراً ، وبذلك كان واضحًا أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يريد حرباً ، وإنما يريد قطعاً الاعتصار لا غير .

وَلَا وَصَلَ عَلَيْهِ عُسْفَانٌ لَقِيَهُ بَشْرٌ بْنُ سَفِيَّانَ الْكَعْبِيَّ فَقَالَ لَهُ : إِنْ قَرِيشًا  
قَدْ سَعَتْ بِمَسِيرِكَ فَخَرَجُوا مَعَهُمُ الْعَوْذَ<sup>(١)</sup> الْمَطَافِيلَ قَدْ لَبِسُوا جَلُودَ النَّمَارِ وَقَدْ  
نَزَلُوا بِذِي طَوْىٍ يَعاهِدُونَ اللَّهَ لَا تَدْخُلُهَا عَلَيْهِمْ أَبَدًا ، وَهَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ  
فِي خِيلِهِمْ .

ولما سمع رسول الله ﷺ قول بشر ، قال : « يا ويع قريش قد أكلتهم الحرب ، مادا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس فإن أصحابي كان الذى أرادوا وإن أظهروا الله دخلوا في الإسلام وافرين ، والله لا أزال أجاهدهم على الذى يعشى الله به حتى يظهره الله أو تفرد هذه السالفة<sup>(٢)</sup> » .

ثم عدل عن الطريق التي هم بها فتيمان وسلك الطريق التي ثبّط على  
الحاديّة وفجأة برّكت ناقته به ، فقال الناس خلأت<sup>(٣)</sup> ، فقال : « ما خلأت  
وما هو لها بحُلْقٍ ولكن حبسها حابس الفيل » أى عن مكة . ثم قال : « لا  
تدعوني قريش اليوم إلى خطبة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها »  
ولما اجتازوا المضائق بين الجبال الوعرة وانهوا إلى واد من أودية المنطقه ،

(١) العوذ : جمع عائز وهي النافع الحديث الناج ، والمطافيل : الإبل مع أولادها .

(٢) صفحة العنق كنایة عن الموت .

برکت (۳)

قال لهم عليه السلام : « قولوا نستغفر الله ونتوب إليه » فقالوا ذلك ، فقال : « والله إنها للحظة<sup>(١)</sup> التي عرضت على بنى إسرائيل فلم يقولوها » ، وقالوا « انزلوا » فقيل يا رسول الله ما بالوادى ماء ننزل عليه ، فأخرج عليه سهما من كناته وأعطاه رجلا من أصحابه فنزل به في قليب من تلك القلب الموجودة بالوادى فغزه فيه فجاش بالماء حتى ضرب الناس عنه بعطن<sup>(٢)</sup> أى نزلوا حوله يسقون ويشربون ويتواضعون كأنهم نزلوا حول نهر ماء .

ولما رأت خيل قريش عدول النبي عليه السلام عن الطريق إليهم عادوا إلى مكة .

#### وفد خزاعة :

ولما استقر النبي عليه السلام في المنزل الذي نزله جاءه وفد من خزاعة برئاسة بُدْبِيل بن ورقاء الخزاعي فكلموه وسألوه عن السبب الذي جاء به فأخبرهم بأنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمه ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان ، وعاد الوفد إلى قريش ك وسيط فقال لقريش : يا عشر قريش إنكم تجعلون على محمد إن مهدأ لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائراً هذا البيت فاتهموه وجهوه<sup>(٣)</sup> ، وقالوا : وإن كان جاء لا يريد قتالاً فهو والله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ، ولا تتحدث بذلك عنا العرب .

#### سفارة قريش :

وبعثت قريش سفيرها مكربل بن حفص بن الأخفيف ، ولما وصل ورأه النبي عليه السلام وهو يتقدم نحوه حتى قال عليه السلام : « هذا رجل غادر » ولما انتهى إلى رسول الله عليه السلام وكلمه قال له نحواً مما قال لبديل بن ورقاء وأصحابه فرجع

(١) احبط عن خطابانا .

(٢) العطن : مركب الإبل والجمع معاطن .

(٣) أى بالمرجوه .

السفير الغادر فبلغ قريشاً ما سمعه من رسول الله ﷺ ، فبعثت سفيراً آخر هو الحُلَيْس بن علقمة سيد الأحابيش ، ولما وصل ورآه النبي ﷺ قال : « إن هذا من قوم يتألهون<sup>(١)</sup> فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه » فلما رأى الهدى سيل عليه من عرض الوادي في ثلاثه ، وقد أكل أوباره من طول الحبس في محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى فقال لهم مرأى ، فقالوا : اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك !!

### غضبية صادقة :

ولما قالت له قريش ما قالت من اتهامه بالجهل قال لهم في غضب : يا معشر قريش والله ما على هذا حالفتكم ولا على هذا عاقدتكم ، أيصداً عن بيت الله من جاء معظماً له ؟! والذى نفس الحُلَيْس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرون بالأحابيش نفرة رجل واحد . فلما رأت قريش الجد من الحُلَيْس والغضب لله قال : مه<sup>(٢)</sup> ، كف عننا يا حُلَيْس حتى تأخذ لأنفسنا ما ترضى به ، يريدون تحقيق بعض الأهداف أو اشتراط بعض الشروط دفعاً للمعرة عنهم في نظرهم .

### سفير ثالث :

وبعثت قريش بعروة بن مسعود الثقفي ، إنما جاءهم فقال لهم يا معشر قريش إن قد رأيت ما يلقى منكم من تبعثونه إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم أنكم والد ، وأنكم ولد ، وقد سمعت بالذى نابكم فجمعت من أطاعنى من قومى ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى ، قالوا : صدقت ما أنت عندنا بعثهم ، فخرج حتى أتى النبي ﷺ فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد

(١) أى يعبدون .

(٢) اسم فعل يعني اسكت .

أجمعـت أوسـاب<sup>(١)</sup> النـاس ثم جـت بـهم إـلـى بـيـضـتك لـتفـضـها<sup>(٢)</sup> بـهـم ، لـنـها قـريـش قد خـرـجـت مـعـهـا العـوـذـ المـطـافـيلـ قد لـبـسـوا جـلـودـ التـورـ يـعـاهـدـونـ اللهـ لاـ تـدـخـلـهـا عـلـيـهـمـ عنـوـةـ أـبـداـ ، وـاـيمـ اللهـ لـكـائـنـ بـهـؤـلـاءـ قد اـنـكـشـفـوا عـنـكـ غـدـاـ ، وـأـبـوـ بـكـرـ الصـدـيقـ خـلـفـ رـسـولـ اللهـ عـلـيـهـ قـاعـدـ فـقـالـ : اـمـصـصـ بـظـرـ<sup>(٣)</sup> الـلـاتـ أـنـحـنـ نـكـشـفـ عـنـهـ ؟ فـقـالـ : مـنـ هـذـاـ يـاـ مـحـمـدـ ؟ فـقـالـ : « هـذـاـ اـبـنـ أـبـيـ قـحـافـةـ » فـقـالـ : أـمـاـ وـالـهـ لـوـلـاـ يـدـ كـانـتـ لـكـ عـنـدـيـ لـكـافـاتـكـ بـهـاـ ، وـلـكـ هـذـهـ بـهـاـ ، ثـمـ جـعـلـ يـتـناـولـ لـحـيـةـ رـسـولـ اللهـ عـلـيـهـ وـهـوـ يـكـلـمـهـ ، وـالـمـغـيرـةـ بـنـ شـعـبـةـ وـاقـفـ عـلـىـ رـأـسـ رـسـولـ اللهـ عـلـيـهـ فـجـعـلـ يـقـرـعـ يـدـهـ إـذـاـ تـنـاـولـ لـحـيـةـ رـسـولـ اللهـ عـلـيـهـ وـيـقـولـ اـكـفـ يـدـكـ عـنـ وـجـهـ رـسـولـ اللهـ عـلـيـهـ قـبـلـ أـنـ لـاـ تـصـلـ إـلـيـكـ ، فـيـقـولـ عـرـوـةـ وـيـحـكـ ، مـاـ أـفـظـعـكـ وـأـغـلـظـكـ فـبـسـمـ رـسـولـ اللهـ عـلـيـهـ فـقـالـ لـهـ عـرـوـةـ : مـنـ هـذـاـ يـاـ مـحـمـدـ ؟ فـقـالـ : « هـذـاـ اـبـنـ أـخـيـكـ المـغـيرـةـ بـنـ شـعـبـةـ » فـقـالـ : أـنـيـ غـدـرـ وـهـلـ غـسـلـتـ سـوـعـتـكـ إـلـاـ بـالـأـمـسـ . وـكـلـمـهـ رـسـولـ اللهـ عـلـيـهـ بـماـ كـلـمـ بـهـ مـنـ قـبـلـهـ ، وـأـنـهـ لـمـ يـأـتـ لـحـرـبـ وـإـنـماـ لـلـعـمـرـةـ فـقـطـ .

#### عودة السفير :

وعـادـ سـفـيرـ الـمـشـرـكـينـ عـرـوـةـ بـنـ مـسـعـودـ الثـقـفـيـ بـعـدـ أـنـ رـأـيـ بـأـمـ عـيـنـهـ مـاـ يـصـنـعـ أـصـحـابـ النـبـيـ عـلـيـهـ السـلـامـ بـيـنـهـمـ مـنـ التـقـدـيرـ وـالـتـعـظـيمـ رـأـيـ أـنـهـ لـاـ يـتوـضـأـ عـلـيـهـ إـلـاـ اـبـتـدـرـوـاـ وـضـوـءـهـ ، وـلـاـ يـبـصـقـ بـصـاقـاـ إـلـاـ اـبـتـدـرـوـهـ ، وـلـاـ يـسـقـطـ مـنـ شـعـرـهـ شـيءـ إـلـاـ أـخـذـوـهـ . فـعـادـ إـلـىـ قـرـيـشـ لـيـقـولـ لـهـمـ : يـاـ مـعـشـرـ قـرـيـشـ إـنـيـ قدـ جـتـ كـسـرـىـ فـيـ مـلـكـهـ ، وـقـيـصـرـ فـيـ مـلـكـهـ وـالـنـجـاشـيـ فـيـ مـلـكـهـ إـنـيـ وـالـلـهـ مـاـ رـأـيـتـ مـلـكـاـ فـيـ قـوـمـ

(١) أـخـلاـطـهـمـ وـكـذـاـ أـبـاـشـ بـعـنـيـ وـاحـدـ .

(٢) أـيـ لـكـسـرـهـ بـهـمـ كـاتـيـةـ عنـ دـخـولـ مـكـةـ بـالـقـوـةـ إـهـانـةـ لـأـصـحـابـهـ .

(٣) الـبـظـرـ شـيءـ كـحـلـمـةـ الـثـدـىـ وـهـذـاـ كـاتـيـةـ عنـ تـيـسـهـ مـنـ عـدـ نـصـرـةـ النـبـيـ عـلـيـهـ السـلـامـ إـذـ مـصـهـ لـثـدـىـ الـلـاتـ لـاـ لـبـنـ فـيـ فـهـوـ آيـسـ مـنـ الـاـنـقـاعـ بـهـ .

قط مثل محمد في أصحابه وقد رأيت قوماً لا يسلّمونه لشيء أبداً فرّوا رأيكم !!

### سفير النبي ﷺ :

ولما لم تنتج سفارات قريش شيئاً يذكر أرسل النبي ﷺ خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقرروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعه الأحابيش فخلوا سبيله حتى آتى رسول الله ﷺ .

### إساءة وإحسان :

لما فعلت قريش ما فعلت بسفير رسول الله ﷺ إليها حيث عقرت بعيره ، وأرادت قتلها ، ولم تقبل منه قولاً ولا رأياً ، وعاد إلى النبي ﷺ هارباً بنفسه . في هذه الأثناء تبعث قريش بأربعين مجرماً من مجرميها يرمون معسرك رسول الله ﷺ بالحجارة والنيل لعلهم يصيرون بعضاً من أصحاب رسول الله ﷺ فما فاعلوا به إلا إحسانهم بعض أفراد المعسكر الحمدى فالقُوا القبض عليهم وأتوا بهم أحياء أذلاء للنبي ﷺ فعفا عنهم وخلّى سبيلهم فتحقق وصفه في التوراة وأنه لا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يغفو ويصفح فصلى الله عليه وسلم ، وهكذا يتجلّ الإحسان الحمدى ، وتنكشف إساءة المشركين .

### سفارة أعظم :

ولم يكلّ الحبيب ﷺ ولم يملّ في سبيل تحقيق السّلم ، وإنحدار نار الحرب التي يشعّلها الكافرون ، فيدعون عمر بن الخطاب ليرسله سفيراً إلى قريش مرة ثانية إذ سبق له أن أرسل خراش بن أمية الخزاعي ، فيعتذر عمر لعدم قدرته على هذه المهمة فيقول : يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي ؛ إذ ليس بمكة من بنى عدى بن كعب أحد يمكعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغلظى عليها . واقتصر عمر على رسول الله ﷺ أن يرسل بدله عثمان بن عفان فقال ، ولكنني أدلّك على رجل أعزّ مني ، عثمان بن عفان ، فدعا رسول

الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمه .

ويمىشى عثمان سفيراً لرسول الله ﷺ إلى مكة ، وما إن دخل مكة حتى تلقاه أبیان بن سعید بن العاص فحمله بين يديه إعظاماً له لقرابته ، وأجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق به إلى أبي سفيان وأشراف قريش فبلغهم ما أرسل به وأذنوا له بالطوف بالبيت إكراماً له فأبى وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ ، واحتبسته<sup>(١)</sup> قريش عندها . إلا أنه قد أشيع أن قريشاً قتلت عثمان سفيراً رسول الله ﷺ إليها .

### بيعة الرضوان :

إنه بمجرد أن أشيع أن عثمان قد قتل قام رسول الله ﷺ في أصحابه معلناً عزمه على قتال المشركين فقال : لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا ﷺ الناس إلى البيعة ، وبايدهم تحت شجرة على أن لا يفرروا عند لقاء العدو ، فكانت هذه بيعة الرضوان ، ونزل فيها قول الله تعالى من سورة الفتح : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّسْكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتَحَّا قَرِيَّا﴾ .

ولم يختلف أحد عن هذه البيعة إلا الجد بن قيس أخوه بنى سلمة قال فيه حابر بن عبد الله لكأنه أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته قدضاً<sup>(٢)</sup> إليها يستتر بها من الناس . وكان أول من بايع في هذه البيعة أبو سنان الأسدى أخوه عكاشه ابن محسن ، وبaidu رسول الله ﷺ لعثمان فضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال هذه لعثمان .

(١) لم أغير على سبب هذا الحبس في قول أحد ، والظاهر أنه مجرد حبس ليقضي أياماً بينهم لا أنهم جسسوه متعمداً له من الرجوع إلى المعسكر الإسلامي .

(٢) أضباً إليها : لصق بها واستتر .

وبعد قليل من الوقت تبين أن عثمان لم يقتل ، وأن ما ذكر عنه باطل ؛ إذ جاء بعد الفراغ من البيعة بقليل ، والحمد لله .

### سفارة وهدنة :

ولما علمت قريش بالبيعة على قتالها خفت فأرسلت سفيرها سهيل بن عمرو طالب بالصلح إذ قالت له أئتم محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عame هذا حفاظاً لماء وجهها ؛ إذ قالوا : فوالله لا تتحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً ، وأتي السفير النبي عليه السلام فما إن رأاه مقبلاً نحوه حتى قال : « قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل » وانتهى سهيل إلى رسول الله عليه السلام ، وتلجم فأطال الكلام ، وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح ولم يبق إلا كتابة الوثيقة بالصلح الذي انتج الهدنة المباركة .

### عمر ينكر :

لما تمت المفاوضات وانتهت بالصلح ، وعمر يسمع ، أتى أبي بكر فقال : يا أبي بكر أليس برسول الله ؟ أى محمد عليه السلام قال : بلى أو لسنا بال المسلمين ؟ قال : بلى ، أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطي الدنيا<sup>(١)</sup> في ديننا ؟ فقال أبو بكر الزم غرزة<sup>(٢)</sup> فإنيأشهد أنه رسول الله ، فقال عمر وأناأشهد أنه رسول الله ، ثم أتى رسول الله عليه السلام وقال له نفس القول الذي قاله لأبي بكر ، فقال رسول الله عليه السلام : « أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ، ولن يضيعني » .

### توبه عمر :

روى أن عمر رضي الله عنه قال : ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق

(١) النذر والأمر الحسيس .

(٢) أى الزم أمره ولا تخالفه ، والغرز من الرجل كالركلاب من السرج .

من الذى صنعت يومئذ خافة كلامى الذى تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً .

### كتابة وثيقة الصلح ونصها :

ودعا رسول الله ﷺ على بن أبي طالب رضي الله عنه ليكتب وثيقة الصلح ، وقال : « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل مثل قريش وسفرها ، لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله ﷺ : « اكتب باسمك اللهم » فكتبتها ، ثم قال : « اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو » فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فقال رسول الله ﷺ : « اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها الناس ويكتف بعضهم عن بعض على أنه من أتقى حمداً من قريش بغير إذن وليه<sup>(١)</sup> رده عليهم ، ومن جاء قريشاً من مع محمد لم يردوه عليه . وأن يبتنا عيّة<sup>(٢)</sup> محفوفة ، وأنه لا إسلام ولا إغلال ، وأن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها دخل فيه » وفعلاً تواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده وتواثب بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم . « وأنك ترجع عن عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك تدخلها بأصحابك فأقمت بها ثلاثة معك

(١) هذه الفقرة من المعاهدة هي التي أثارت حفيظة عمر ، كما أن رفض سهيل بسم الله الرحمن الرحيم و محمد رسول الله مما أثار نفوس المسلمين وألمهم أشد الألم وهو مؤلم حقاً ولكن طاعة الله والرسول أولى والعاقبة الحسنة في ذلك .

(٢) يريد أن صدورنا منطوية على ما فيها فلا نبدى عداوة ولا نظهرها مدة المدنة لا إسلام ولا إغلال أى لا سرقة خفية ولا خيانة .

**سلاح الراكب : السيف في القرب لا تدخلها بغيرها** ، وشهد على الوثيقة عدد من المسلمين وأخر من المشركين ، وأصبحت سارية المفعول .

### أبو جندل يستصرخ :

ما زالت الوثيقة لم يجف حبرها حتى جاء أبو جندل ابن السفير المشرك سهيل بن عمرو يرسف في الحديد هارباً من المشركين فقام إليه أبوه فضربه في وجهه ، وقال يا محمد قد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يجيء هذا ؟ قال : « صدقت » ، فجعل ينתרه ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا عشر المسلمين أردد إلى المشركين كي يفتونى في دينى فاغتم لذلك المسلمين وكربوا ، وزادهم أسى وحزنا ، فقال الرسول ﷺ « يا أبو جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ومن معك من المستضعفين فرجاً ومحرجاً ، إنما عقدنا بيتك وبينهم صلحًا ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإننا لا نغدر بهم » .

### التحلل من الإحرام :

ولما فرغ الحبيب ﷺ من أمر المصالحة ، وكان من بند وثيقة الصلح أن يعود محمد رسول الله وأصحابه إلى المدينة على أن يعتمروا من العام القابل . ومن هنا أمر الناس بالتحلل من الإحرام ليعودوا إلى المدينة فكبر عليهم ذلك ولم يفعلوا ، فدخل على أم سلمة رضي الله عنها فقالت له : انحر هديك وتحلل فسوف يفعلون ما تفعل ، وكانت رضي الله عنها سديدة الرأى ، فنحر النبي ﷺ هديه وحلق رأسه وتحلل من إحرامه ، فما إن رأه أصحابه حتى فعلوا فحلق بعض وقصر بعض فقال ﷺ « يرحم الله المخلقين » قالوا والمقصرين يا رسول الله ، قال « يرحم الله المخلقين » قالوا والمقصرين يا رسول الله ، قال : « يرحم الله المخلقين » وفي الرابعة قال : « والمقصرين » ويسألونه قائلين لم ظهرت الترحيم للمخلقين أى قويته دون المقصرين ؟ قال : « لم يشكوا » .

وقف رسول الله ﷺ عائداً إلى المدينة مع أصحابه ، وأثناء مسيره نزلت عليه سورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ إلى آخر السورة ، وقد اشتملت على جل أحداث غزوة الحديبية مما تم فيها وما لحق بها من فتح خير وفوز المؤمنين بغنائم خير ، والبشرارة بعمره القضاء وتمامها على الوجه الأكمل بعد عام واحد من تلك الأيام ، وبذلك صدق الله رسوله رؤياه المبشرة له وللمؤمنين بدخولهم مكة آمين غير خائفين .

### آثار المصالحة :

ومن آثار المصالحة أن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قد هاجرت إلى المدينة بعد عقد المدنة بأيام هاربة من دار الكفر إلى دار الإسلام فلحق أخوها عمارة والوليد يطالبان بها بموجب عقد المدنة ، ولما كانت نصوص المدنة تتعلق بالرجال دون النساء ؛ لأن النساء لا يختارن ، أبي رسول الله ﷺ أن يردها إليهما ، وأنزل الله تعالى في ذلك قرآنًا هو قوله تعالى من سورة المحتسبة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عِلِّمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تُرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحْلُونَ لَهُنَّ﴾ الآية ... .

ومن آثار المصالحة أيضاً : أن أبو بصير هرب من مكة فبعثت قريش في طلبه رجلين فطالباه رسول الله ﷺ به فأعطاهما إياه بموجب بنود الانفاقية وقال له : « يا أبو بصير : إننا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومحرجًا ، فانطلق إلى قومك » فقال يا رسول الله أتردنى إلى المشركين يقتلونى في دينى ؟

فقال : « يا أبو بصير انطلق إلى قومك » إلى قوله « محرجاً » فانطلق أبو بصير مع الرجلين حتى نزلوا ذا الحليفة للاستراحة فنظر أبو بصير إلى

سيف المشرك وقال له : أتاذن لي أن أنظر إليه ؟ قال : نعم . فأخذه واستله من قرابه ثم ضرب به المشرك فقتله وهرب الثاني فلحق برسول الله ﷺ وأخبره بالحادث ، وجاء أبو بصير متوجهاً بالسيف وقال يا رسول الله وفت ذمتك وأدّى الله عنك أسلمتني يد القوم وأدى الله عنك وقد امتنعت بيديني أن أفن فيه ، أو يبعث بي ، فقال رسول الله ﷺ : « ويل أمه مسعاً حرب لو كان معه رجال » ثم خرج أبو بصير فاراً حتى أتى العيص من ساحل البحر طريق قوافل قريش إلى الشام ، وسمع به آخرون في مكة فهاجروا إليه فكونوا بذلك جيشاً مسلماً وأذاق قريشاً الأمررين بأخذ قوافلهم وقتل رجالهم فما كان منهم إلا أن كتبوا إلى رسول الله ﷺ يطلبون إليه ويسألونه بالرحم إلا آواهم وردهم إليه ، فآواهم رسول الله ﷺ ، وردهم إلى المدينة ، وهذا من الفرج والخرج الذي بشر به رسول الله ﷺ أبا بصير وأبا حندل قبله فكان والحمد لله .

### نتائج وعبر :

- إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نبيها كالتالي :
- (١) وجوب الاعتزار وحرمة البيت الحرام وتعظيمه .
  - (٢) بيان العزم الحمدى الذى لا يهن ، المتجلى في قوله : « والله لا أزال أجاهم على الذى يعنى الله به حتى يظهره الله ، أو تنفرد هذه السالفة » .
  - (٣) كلمة التوبة هي : نستغفر الله ونتوب إليه .
  - (٤) آية النبوة الحمدية المتجلية في جيشان الماء في البئر التي أدخل فيها سهم النبي ﷺ .
  - (٥) بيان كمال الخليص سيد الأحابيش في سفارته فقد كان لغضبه المشرف أثر طيب .
  - (٦) بيان مدى إجلال الصحابة للنبي ﷺ ، الأمر الذى أدهش سفير المشركين عروة بن مسعود فحذر لذلك قريشاً وقال : رُوا رأيكم !!!

- (٧) تجلّى الكمال الحمدى في عفوه عن الأربعين مجرماً الذين ألقى القبض عليهم حول المعسكر وهم يرمونه بالحجارة والنبل أيضاً ، وهو موقف مشرف كان له أثر طيب في اتفاقية الهدنة المباركة .
- (٨) بيان فضيلة عثمان في كونه لم يرض أن يطوف باليت دون رسول الله ﷺ ، وفي بيعة الرسول له وهو غائب .
- (٩) بيان فضل أهل بيعة الرضوان إذ هم في الدرجة الثانية بعد أهل بدر قال تعالى فيهم ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعِلْمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأُتْزَلَ الْسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتَحَا فَرِيَّا﴾ .
- (١٠) بيان فضل عمر بن الخطاب المتجلّى في توبيه الطويلة الأمد من أجل كلماته التي قالها وهي حق إلا أنها اصطدمت بصيغة شبه المعارضة في قضية عامة .
- (١١) من الحكمة أن يتنازل المرء عن أشياء لا تضر بأصل قضيته لتحقيق أشياء أعظم منها .
- (١٢) فضل على رضي الله عنه في كتابته الوثيقة وعدم اعتراضه على ما اعتبرض عليه فيها غيره من الأصحاب .
- (١٣) وجوب الوفاء بالعقود وحرمة العذر والخيانة .
- (١٤) وجوب المدى على من أحصر عن إتمام الحج أو العمرة ، وبعد نحر المدى يتحلل بحلق أو تقصير .
- (١٥) بيان حكم المهاجرات من النساء المؤمنات وأنهن لا يُرجعن إلى دار الكفر بعد خروجهن منها .

وخامس أحداثها :

### مجموعة السرايا الآتية

ا — سرية عكاشة بن محسن وكانت في ربيع أول من هذه السنة فقد خرج في أربعين رجلا فعلم بهم من خر جوا لهم فهربوا ، فطلبوهم هنا وهناك فلم يعثروا عليهم إلا أنهم عثروا على مائتي بعير فساقوها إلى المدينة وعادوا سالمين والحمد لله .

ب — سرية محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة بن سعد وكانوا عشرة فوارس ، فكمن العدو لهم وبيتهم فلما ناموا قتلواهم عن آخرهم إلا أمير السرية محمد ابن مسلمة فقد نجا وهو جريح رضى الله عنهم أجمعين .

ج — سرية أبي عبيدة عامر بن الجراح إلى ذي القصّة وكان أفراد السرية أربعين رجلا ، ولما علم المشركون بخروج السرية إليهم هربوا ووصلت السرية إلى مائتهم فلم تجد أحدا إلا رجلا واحدا ونعمما فساقوها النعم وأسلم الرجل فتركه النبي ﷺ .

د — سرية زيد بن حارثة بالحوم فأصاب امرأة من مزينة اسمها حليمة فدلتهم على محلة من محل بني سليم فأصابوا نعمما وشاء وأسرموا . وكان بين الأسرى زوج حليمة التي دلتهم على محلة العدو فوهبه رسول الله ﷺ لزوجته حليمة وأطلقها .

ه — سرية زيد بن حارثة أيضا إلى العيس وفها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع ، واستجار أبو العاص بزيتب فأجارته كما تقدم ، وردت إليه أمواله كلها حتى الشظاظ .

و — سرية زيد وأيضا إلى بني ثعلبة بالطرف على رأس خمسة عشر رجلا فهربوا منه ، وأصاب من نعمهم عشرين بعيرا وعادوا سالمين .

ز — سرايا زيد من غير ماذكر وهى ثلات . سرية إلى حسمى ، وثانية إلى وادى القرى ، وثالثة إلى أم قرفة .

ح — سرية كرز بن جابر الفهرى إلى العرنين الذين قتلوا راعى رسول الله ﷺ واستاقوا الإبل ، بعده رسول الله ﷺ في عشرين فارسًا وقد استردوا الإبل وجاءوا بالعرنين وهم الذين قتلوا بالحرقة وتركوا بها أياماً لأنهم أسلموا ثم ارتدوا وساقو إبل الصدقة وفيهم نزلت آية : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقْتَلُوا أَوْ يُصْلَبُوا﴾ الآية . و فعل بهم رسول الله ﷺ ذلك حكماً بقضاء الله تعالى فيهم .

### مکاتبة الرسول ﷺ

#### الملوك والرؤساء

وفي هذه السنة السادسة من الهجرة وبعد عقد الصلح مع قريش كاتب الرسول ﷺ الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام الدين الحق الذي أرسل به هداية الناس كل الناس أبيضهم وأصفرهم إلى ما يكملهم عقولاً وأخلاقاً ويسعدهم أجساماً وأرواحاً في الحياتين : الدنيا والآخرة .

فبعث ﷺ الرسل تحمل كتبه القيمة الكريمة إلى كل من كسرى ملك الفرس وقيصر ملك الروم ، والنحاشي ملك الحبشة ، والمقوقس ملك مصر . وأرسل شجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمرب الغساني ، وأرسل سليط ابن عمرو العامري إلى هودة بن علي الحنفي ، وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي أخي عبد القيس .

#### أسماء حاملى كتبه إلى الملوك :

- دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم .
- حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك مصر .

- عبد الله بن حداقة إلى كسرى ملك الفرس .
- عمرو بن أمية الضرماني إلى النجاشي ملك الحبشة .

### نماذج من كتبه

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

#### ا — كتابه إلى كسرى :

إلى كسرى ملك فارس : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . وأدعوك بدعابة الله ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة ليتذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . فأسلم تسلماً فإن أبىت فإن إثم المخوس عليك ».



صورة الخاتم النبوى

ولما بلغ الكتاب كسرى غضب وقال هجراً ومزق الكتاب ، ولما بلغ ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا عليه بأن يمزق الله ملكه واستجاب الله له ومزق ملكه .

#### ب — كتابه إلى قيسر :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » من محمد عبد الله رسوله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى أسلم تسلماً يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأرسين ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ سَوَاءٍ يَيْسَنَا وَيَنْكُمْ أَلَا تَعْبُدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ».



الخاتم النبوى

## ج — كتابه عليه السلام إلى المقوس :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الْمَقْوَسِ عَظِيمِ  
الْقَبْطِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى . أَمَا بَعْدَ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدُعَائِيَةِ الْإِسْلَامِ ،  
أَسْلَمْ تَسْلِمْ وَأَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرُكَ مَرْتَينِ ، فَإِنْ تَوْلِيتَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ إِثْمٌ أَهْلُ  
الْقَبْطِ ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ يَبْيَنُنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا  
الَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا  
فَقُولُوا اشْهُدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .



خاتمه عليه السلام

## د — كتابه إلى ملك الحبشة

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ عَظِيمِ الْجَبَشَةِ ،  
سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَا بَعْدَ فَإِنِّي أَهْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا  
هُوَ ، هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمَهِيمُ ، وَأَشْهُدُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مُرْيَمَ  
رُوحُ اللَّهِ وَكَلْمَتُهُ الْقَاهِرَةُ إِلَى مُرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ فَحَمِلَتْ بَعِيسَى مِنْ  
رُوحِهِ وَنَفَخَهُ . كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ  
لَهُ ، وَالْمَوَالَةُ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَنْ تَتَعَنَّى وَتَؤْمِنُ بِالَّذِي جَاءَنِي فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ  
عَلَيْهِ وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجْنُودَكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ بَلَغَتْ وَنَصَحتْ فَاقِلَّ  
نَصِيحَتِي وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى » .



الخاتم النبوى

### هـ — كتابه إلى الحارث الغساني بالشام :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شِنْر سلام على من اتبع الهدى ، وآمن به وصدق ، وإن أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يقى لك ملكك ». .



الخاتم :

### و — كتابه إلى ملك عمان :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعَبَاد<sup>(١)</sup> ابن الجلندي سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوكم بدعابة الإسلام أسلماً تسلماً فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين فإنكمما إن أقررتنا بالإسلام وليتكمما وإن أبینا أن تقرأوا بالإسلام فإن ملککما زائل . وخيل تحمل ساحتکما وتظهر نبوءتی على ملککما ». .



### ز — كتابه عليه السلام إلى هودة صاحب اليحامة :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هودة بن على سلام على من اتبع الهدى واعلم أن ديني سيظهر إلى متى الحف والحافظ فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك ». .



(١) في سيرة بن هشام عياد بالياء ولعله عباد بالياء كما كتبناها وعباد وأنجوه جيفر مما من الأرد وما مكان على عرب عمان .

## حـ — كتابه ﷺ إلى المنذر حاكم البحرين :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي سلام عليك فإني أشهد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل فإن من ينصح إنما ينصح لنفسه ، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي ، وإن رسلي قد أثروا عليك خيراً ، وإنى قد شفعتك في قومك فاترك المسلمين ما أسلمو عليه ، وغفرت عن أهل الذنب فا قبل منهم ، وإنك مهما تصلح فلم نزع لك عن عملك ، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية » .



الخاتم النبوى

## نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نوجزها في التالي :

(١) لما كان كسرى مجوسياً غير كتابى قدم رسول الله ﷺ اسم كسرى على اسم الله تعالى وقاية كا فعل سليمان عليه السلام إذ كتب : ﴿إِلَهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِلَهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فكتاب الرسول ﷺ إلى كسرى قال فيه : « إلى كسرى ملك فارس بسم الله الرحمن الرحيم » فقدم اسم كسرى وقاية لاسم الله تعالى . ولما كان الملوك الآخرون أهل كتاب قدم اسم الله تعالى لأنهم يؤمنون بالله ويعظمونه .

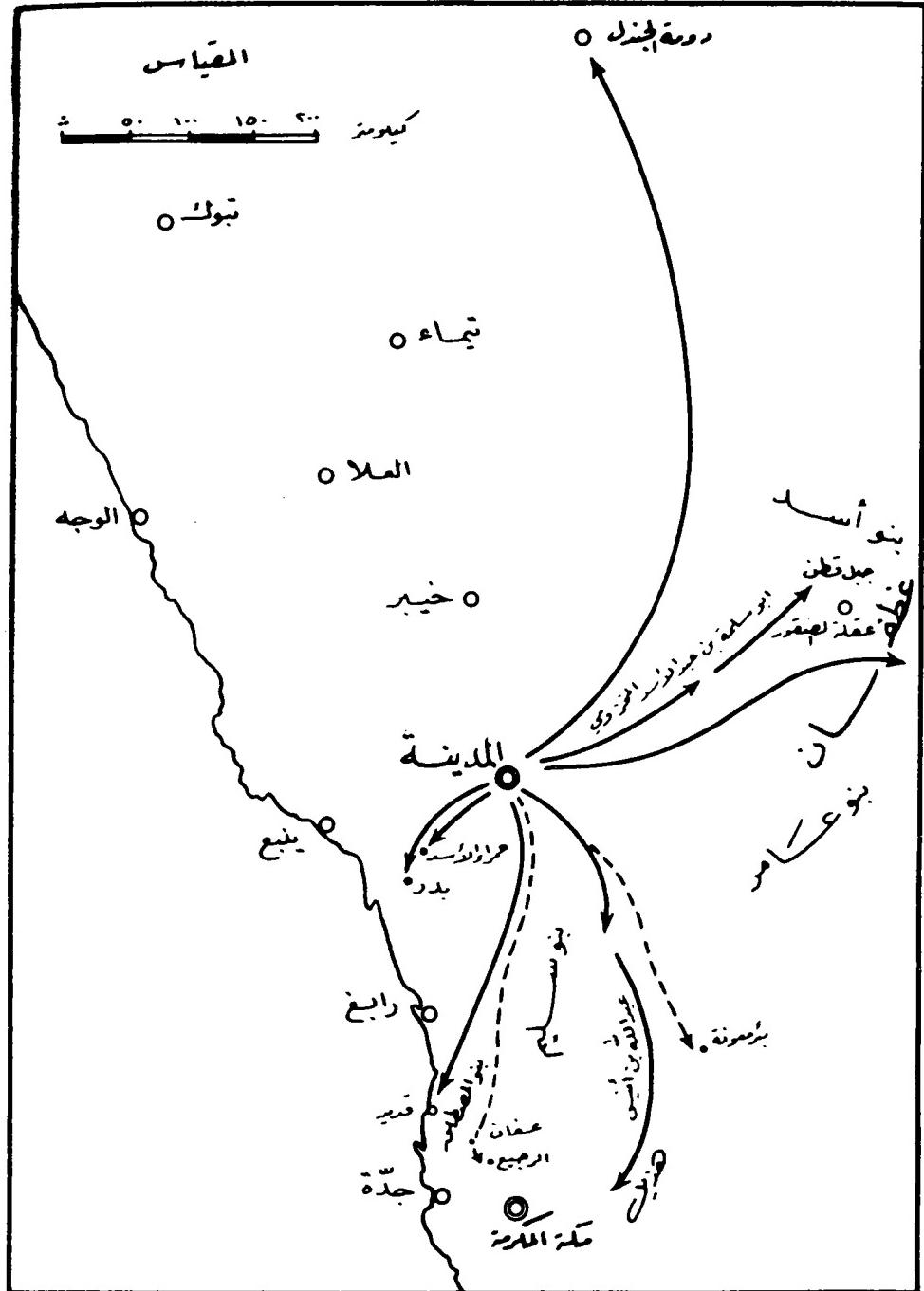
(٢) تنوّعت عبارات كتبه ﷺ بحسب مقام وحال من كتب إليهم وهذا من الحكمة التي هو أستاذها بلا منازع . قال تعالى : ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ .

(٣) سلك عليهما فـ كتبه مسلك : أنزلوا القوم منازلهم ، ولكل مقام مقال .

(٤) إقراره عليهما لـ من كتب لهم إن أسلموا على ملوكهم نابع من سياسة رشيدة لا يجاري فيها عليهما .

(٥) استعمل كلمة « يؤتک الله أجرك مرتين » في كتبه إلى أهل الكتاب أحـذاً من قول الله تعالى في خطاب أهل الكتاب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ أى يعطكم نصيـن من الأجر ؛ الأول لإيمانـهم برسوـلهم الأول ، والثانـي لإيمانـهم بـمحمد عليهـما .

(٦) جعلـه عليهـما اسم الله أعلى في الخاتـم واسمـه الأدنـي فيهـ من تعـظـيم الله وإـعـظـام اسمـه ما لا يـقـادـر قـدرـه ، فـصـلـى اللهـ عـلـيـهـ وآلـهـ وـصـحـبـهـ وـسلمـ تـسـليـماـ .



بيان موقع غزوات الشمال خيبر ودومة الجندي وتبوك

## أحداث السنة السابعة من هجرة الحبيب ﷺ

ودخلت السنة السابعة من هجرة النبي ﷺ وكان أول أحداثها :

### غزوة خيبر

خيبر مركز تجمع كبير لأعداء الإسلام وال المسلمين ؛ إذ عصابات الشر اليهودية كانت قد تجمعت فيها ، إن حرب الأحزاب كانت خيبر هي الرأس المفك فيها ، والطاعة الدافعة لها ، ولذا تعين غزوتها وتطهيرها من عصابات البشر بها .

ففي أول السنة السابعة في أواخر المحرم منها غزا رسول الله ﷺ خيبر ، فاستخلف على المدينة سباع بن عرفة الغطفاني ، وقيل نعيله بن عبد الله الليثي ، وخرج في ألف وأربعمائة مقاتل من بينهم مائتا فارس ، وسار بجيشه المظفر ماراً على عصري « جبل » حيث بني له فيه مسجداً ، ثم على الصهباء حتى نزل بالرجيع وهو واد كبير يقال له : الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ، إذ كانوا على وفاق معهم في حرب الرسول ﷺ .

ومن آيات النبوة الحمدية أنه ﷺ في مسيرة قال لعامر بن الأكوع عم سلمة بن عمرو بن الأكوع « خذ لنا من هناتك<sup>(١)</sup> اخذ<sup>(٢)</sup> لنا » فنزل وحداهم يقول :

والله لو لا الله ما اهتدينا      ولا تصدقنا ولا صلينا

(١) جمع هنة وهو لفظ يكتنى به عن شيء لا يعرف اسمه ، والمراد بها هنا أخبارك وأمورك في أسفارك .

(٢) أي أنشد الشعر على الإبل تحدوها به لتسير مسرعة .

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

قال رسول الله ﷺ «رحمك» فقال له عمر رضي الله عنه : هلاً أمعتنا به يا رسول الله ، وكان إذا قالها لرجل مات . فكانت نعيّا منه ﷺ لامر رضي الله عنه ، وكانت آية نبوته ﷺ .

وفعلا فقد خاض عامر المعارك ورجع عليه سيفه فكلمه<sup>(١)</sup> كلما شدیداً ، فمات متأثراً بذلك ، فقال بعض : إنما قتله سلاحه فعلم الرسول ﷺ بذلك فقال : «إنه لشهيد». وصلى عليه فصلى عليه المسلمون .

وسار رسول الله ﷺ بالجيش حتى أشرف على خير ، وقال لأصحابه : «قفوا» فوقفوا ودعا قائلاً : «اللهم رب السموات وما أطللن ، ورب الأرضين وما أفللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أدرین نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ، ونوعذ بك من شرها وشر أهلها ، وشر ما فيها» ثم قال : «أقدموا بسم الله»<sup>(٢)</sup> .

ونزل ﷺ بأصحابه خير ليلاً ، ولم يعلم أهلها بنزوله ، فلما أصبحوا وخرجوا بمساهمهم إلى أعمالهم الفلاحية ورأوا الرسول ﷺ وجيشه قالوا : محمد والخميس ، محمد والخميس<sup>(٣)</sup> وعادوا إلى حصونهم فدخلوها ، فقال النبي ﷺ «الله أكبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» . وأخذ يحاصرهم في حصونهم وياخذ أموالهم خارجها ، ثم أخذ يفتح الحصون حصناً بعد حصن ، وكان أول حصن افتحه حصن ناعم ، وعنه قتل محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة رضي الله عنهم ، إذ ألقى عليه رحى فقتله ،

(١) جرّه ، والكلم الجرح .

(٢) يشرع هذا الدعاء عند دخول أي بلد من البلاد .

(٣) الخميس الجيش الكبير .

ثم افتتح القَمُوص حصن بنى ألى الْحُقْيُق ، وأصاب منهم سبايا من بينهم صافية بنت حبي بن أحطط النضرى ، وكانت عند كنانة بن الريبع بن ألى الحقيق ، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه ، ولم يعلم بذلك دِحْيَة<sup>(١)</sup> فسألها إياها فأعلمه أنه اصطفاها لنفسه ، وأعطاه ابنتي عَمَّها ، وكثير السبى في أيدى المسلمين .

### خطبة تشرع حكيم :

ولما كثُر السبى بأيدي المسلمين مع جواز التسرى بالسبايا و كانوا قد أكلوا لحوم الحمر الأهلية لتوفرها في خير وعدم الحاجة إليها . خطب فيهم رسول الله ﷺ فضمن خطبه قواعد تشريعية هامة تتعلق بالسبى وغيره . قال ابن إسحق بن حنش الصناعي قال : غزونا مع رويفع بن ثابت الأنبارى المغرب ، فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جِرْبَة<sup>(٢)</sup> ، فقام فيها خطيباً فقال : يا أئمَّة الناس لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقوله فيما يوم خير آخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ، ولا يحل لامرئٍ يؤمِّن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنمًا حتى يُقسم ، ولا يحل لامرئٍ يؤمِّن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أزعجها<sup>(٣)</sup> ردَّها فيه ، ولا يحل لامرئٍ يؤمِّن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه<sup>(٤)</sup> ردَّه فيه » .

(١) لأنها كانت قد وقعت في سهمه عند القسمة فلذا أعطاها الرسول عوضاً عنها .

(٢) مدينة في الجنوب التونسي اليوم .

(٣) أهربها وضعفها .

(٤) أبلاه ومزقه .

ونادى منادٍ رسول الله ﷺ : إن الله ورسوله ينهيكم عن لحوم الحمر  
الأهلية فإنها رجسٌ .

### دُعْوَة نبُوَّيَّة مُسْتَجَابَة :

أثناء قتال الرسول ﷺ ليهود خير وفتح حصونهم أتاه بنو سهم من أسلَمْ  
وقالوا : يا رسول الله لقد جهدنا وما بآيدينا من شيء فلم يجدوا عند رسول  
الله ﷺ ما يعطِّيهِم إياه فقال داعيا : « اللهم إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ حَالَنَا ، وَأَنْ  
لِيَسْتَ بِهِمْ قُوَّةً ، وَأَنْ لِيَسْ بِيَدِي شَيْءٌ أَعْطِّيهِمْ إِيَاهُ فَافْتَحْ عَلَيْهِمْ أَعْظَمَ  
حَصُونَهُمْ غَنَاءً وَأَكْثَرَ طَعَامًا وَوَدْكًا » فَفَدَا النَّاسُ لِلقتال ففتح الله حصن  
الصعب بن معاذ ، وما بخیر حصن أكثر منه طعاماً وودكاً منه .

### آخِر حَصْنٍ يَفْتَحُ :

وَاصْلَحِيْبٌ فَتَحَ حَصُونَ خَيْرٍ حَصَنَا بَعْدَ حَصْنٍ وَانْتَهَى إِلَى آخِرِ  
حَصْنٍ وَهُوَ الْوَطِيعُ وَالشَّالِمُ فَحاَصِرُهُمْ بِضَعْعِ عَشَرَةِ لَيْلَةٍ ، وَأَثْنَاءَ ذَلِكَ كَانَتْ  
مَبَارَزَاتٍ مِنْهَا مَبَارَزةً مَرْحِبَ الْيَهُودِيَّ ، إِذْ خَرَجَ مِنَ الْحَصْنِ وَقَدْ جَمَعَ سَالِحَهُ  
وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ :

شاكى<sup>(١)</sup> السلاح بطل مجرّب  
إذا الليوث أقبلت تحرّب<sup>(٢)</sup>  
أن حملي للحمى لا يقرب  
فرد عليه على بن أبي طالب رضى الله عنه قائلاً :  
أنا الذي سمعتني أمي حيدرة كليب غابات شديد القسورة  
أكيلكم بالصاع كيل السندرة<sup>(٣)</sup>

(١) حاد السلام .

(٢) أي مغصبة .

(٣) السندرة : شجرة يصنع مكاييل عظام .

وقال : من ييارز ؟

قال رسول الله ﷺ : « من هذا ؟ » قال محمد بن مسلمة أنا له يا رسول الله ، أنا والله المотор الثائر قتل أخي بالأمس ، فقال : « فقم إليه . اللهم أعنه عليه » فتصاولا فترة ثم أمكن الله منه قتله محمد بن مسلمة استجابة الله دعوة نبيه ﷺ ، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يقول من ييارز ؟ فقال الزبير بن العوام أنا لك فقالت أمه صفيّة لا يا رسول الله يقتل ابتي ، فقال لها : « بل ابنك يقتله إن شاء الله » فاللتقيا فقتل الزبير ياسرا اليهودي ، وبعد المبارزة اقتل الناس ، وكانت الراية عند أبي بكر رضي الله عنه وشعارهم يومئذ : يا منصور أمت أمت فقاتل قتالا شديدا ، ثم وجّع فأخذها عمر رضي الله عنه فقاتل قتالا شديدا هو أشد من الأول ثم وجّع فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : « أما والله لاعطينها غدا رجالا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفار » فدعا رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه وهو أرمد فتفل في عينيه ، ثم قال : « خذ هذه الراية فامض بها ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك » فخرج يهرب بها حتى رکر الراية في رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال أنا على بن أبي طالب قال : علّوْثُمْ وما أنزل على موسى ، فما رجع حتى فتح الله على يديه ، ودخل المسلمين المدينة وبذلك انتهى فتح خير ، وأصبحت دار إسلام إلى اليوم والحمد لله رب العالمين .

مواقف يحسن أن تذكر وهي :

(١) لقد كان خروج النبي ﷺ إلى خير بإذن الله تعالى إذ وعد الله عزوجل المؤمنين غنائم خير عند رجوعهم من الحديبية في قوله من سورة الفتح : ﴿ وَعَدْكُمْ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً. تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ وهي صلح الحديبية ، والغنائم الكثيرة هي أموال خير .

(٢) كان عدد من استشهد في غزوة خيبر من المسلمين خمسة عشر رجلاً .

(٣) لما لم يق لليهود من حصن إلا الوطیع والسلام وقد فتحا عنوة سألوا رسول الله ﷺ أن يسیرهم في الأرض ويحقن دماءهم ويتركوا له الأموال فعل ، ثم صالحهم على أن يقو على مزارعهم وتخيلهم على أن لهم الشطر وللرسول والمؤمنين الشطر ، وأنه متى أراد إخراجهم أخرجهم ، فوافقوا على ذلك وأبقاهم .

(٤) بعد سقوط خيبر في يد المسلمين لم يقتل النبي ﷺ إلا ابني الحقيق لنكثهم وخيانتهم وكان أحدهما زوج صفية بنت حبي ، فأمر بلا أن يذهب بصفية إلى رحيله مع بعض نساء السنب فمرّ بهن على القتلى ، فبكين فتعجب رسول الله ﷺ على بلال وقال : « أنزعت الرحمة من قلبك يا بلال ؟ » وعرض رسول الله ﷺ على صفية الإسلام فأسلمت وتزوجها وجعل مهرها عتقها ، وبني بها في طريق عودته إلى المدينة ، وأولم عليها وليمة فاخرة ، ونظر الرسول ﷺ إليها فرأى في وجهها خضرة إثر ضربة فسألها فقالت كنت قد رأيت في منامي القمر زال من مكانه وسقط في حجري فقصصتها على زوجي ابن أبي الحقيق فلطم وجهي ، وقال تمنين هذا الملك بالمدينة ، وأنا والله ما كنت أذكر من ذلك شيئاً .

(٥) قسم النبي ﷺ خيبر بعد فتحها على ستة وثلاثين سهماً فكان لرسول الله ﷺ والمسلمين نصفها ، والنصف الباقي لمن نزل به من الوفود ونوائب المسلمين .

(٦) سمت النبي ﷺ زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم اليهودي إذ أهدت للرسول ﷺ شاة مصلبة فيها سمٌ فأكل منها بشر بن البراء فمات ، وسائل النبي ﷺ المرأة : « لم فعلت هذا ؟ » قالت أردت إن كنت ملكاً

استرحا منك وإن كنت نبياً لم يضرك فعفا عنها فأسلمت ، وقيل لما مات  
بشر قتلت به .

(٧) وصول جعفر بن أبي طالب وأصحابه معهم الأشعريون خير بعد  
فتحها فأسمهم لهم رسول الله ﷺ ، وما أسمهم لأحد غاب عن خير إلا هم  
لأنهم أدركوه فيها . وروى أن النبي ﷺ قبل جبهة جعفر ، وقال : « والله  
ما أدرى بأيّهما أفرح بفتح خير أم بقدوم جعفر ؟ » .

(٨) لما كان النبي ﷺ محاصرًا لبعض حصنون خير أتاه راع أسود فقال  
يا رسول الله اعرض على الإسلام فعرض عليه الإسلام فأسلم ، ثم قال يا  
رسول الله إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم وهي أمانة عندي فكيف أصنع  
بها ؟ قال : « اضرب في وجهها فإنها سترجع إلى رها » فأخذ الأسود حفنة  
من الحصى ورمى بها في وجهها ، وقال ارجعى لصاحبك فرجعت كأن سائقاً  
يسوقها حتى دخلت الحصن وتقدم الراعي إلى الحصن ليقاتل فأصابه حجر  
فمات فسجى ثوب وأعرض عنه النبي ﷺ فقيل له : لم أعرضت عنه يا  
رسول الله ؟ قال : « إن معه الآن زوجته من الحور العين » .

(٩) لما سمع أهل فدك بفتح خير نزل بهم الرعب فبعثوا إلى رسول الله  
ﷺ يصالحونه على الصفة من فدك فصالحهم على ذلك ، وكان ذلك لرسول  
الله ﷺ وحده لأنه في أفاءه الله عليه ، إذ لم يوجد علىه بخيل ولا ركاب ،  
وإنما بعث إليهم من خير محيضة يدعوهم إلى الإسلام فصالحوا وكان رئيسهم  
يوشع بن نون اليهودي .

#### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نوجزها فيما يلى :

- (١) جواز الحداء والأناشيد الحسنة الحالية من السوء والباء .
- (٢) بيان آية النبوة الحمدية في نعي عامر بن الأكوع قبل استشهاده

ودخوله المعركة .

(٣) استحباب قول : اللهم رب السموات السبع وما أطللن ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الرياح وما ذرين ورب الشياطين وما أضللن : نسألك من خير هذا البلد إلخ .. .

(٤) حرمة الغلول أى الأخذ من العنائم قبل قسمتها .

(٥) حرمة وطء المسببة قبل استبرائها .

(٦) بيان فضل علي بن أبي طالب ، وما فاز به من حب الله ورسوله .

(٧) بيان صدق وعد الله تعالى في غنائم خير إذ وعد المؤمنين بها فأنجزها لهم وله الحمد والمنة .

(٨) فضل صفية أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضها .

(٩) مشروعية تقبيل جبهة الإنسان إن كان أهلاً لذلك لصلاحه أو قربه .

(١٠) في مصالحة أهل فدك قبل غزوهم تقرير معنى حديث : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » .

وثاني أحداثها :

### غزوة وادي القرى

وبعد الفراغ من غزوة خير ومصالحة أهل فدك برئاسة يوشع بن نون على النصف من أموالهم ، وإقرارهم على العمل فيها كإقرار أهل خير ، قصد عليه السلام وادي القرى ليفتحها ، فحاصرها عدة ليالٍ وافتتحها عنوة ، وأثناء الحصار قتل مولاهم مدغم الذي أهداه إيهاب رفاعة بن زيد الجذامي ، أصابه سهم غرب <sup>(١)</sup> فقتله ، وقال بعض المسلمين هنيئاً له الجنة ، فقال رسول الله عليه السلام : « كلاً ، والذى نفس محمد بيده إن شملته الآن لتشتعل ناراً » وكان قد غلّها

(١) سهم غرب : هو الذى لا يعلم من رماه أو من أين أتاه .

من في المسلمين يوم خير ، وهنا سمعه رجل فجاء فقال يا رسول الله أصبت شراكين لنعلين لي كنت أخذتني ف قال له رسول الله ﷺ « يُعَذَّ لِكَ مُثْلَهُمَا مِنْ نَارٍ » .

وترك النبي ﷺ النخل والأرض في أيدي أهلها وعاملهم معاملة أهل خير وفدهك سواء بسواء وبقى الأمر في خير وفدهك ووادي القرى كما تركه رسول الله ﷺ إلى عهد عمر رضي الله عنه ثم نفذ عمر رضي الله عنه وصية رسول الله ﷺ وهي قوله : « لا يجتمع دينان في الجزيرة » فأجلى اليهود من الجزيرة إلى خارجها . وظهرت قبة الإسلام من رجم المشركين وكفر الكافرين من سائر الناس .

#### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا هي كالتالي :

- (١) مشروعية موافقة الغزو والفتح حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .
- (٢) حرمة الغلوال من الغنيمة ولو كان المأمور شراك نعل .
- (٣) لا يصح الجزم لأحد بأنه في الجنة أو في النار ، ولكن يرجى للمحسن ، ويختلف على المسئء من المسلمين .
- (٤) جواز الحلف بدون طلب واستحلاف وذلك لتأكيد الكلام وتقويته لفائدة المتكلم أو السامع .

#### ما تم من أمور هامة عند العودة من غزوة خير

لقد تمت أمور ذات بال والحبوب ﷺ في طريقه إلى المدينة من غزوة خير ووادي القرى ، ومن تلك الأمور الهامة ذات البال والشأن ما يلى :

ا — بناء النبي ﷺ على صفيه بنت حبي رضى الله عنها ، وكانت أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك هي التي أصلحتها وجملتها له ﷺ ، وبات في قبة له ، وبات أبو أيوب الأنباري خالد بن زيد متتوشحاً سيفه يحرس رسول الله ﷺ ، وهو معروض بصفية النصرية أم المؤمنين رضى الله عنها وأرضها .

ب — نام ﷺ مع أصحابه بالطريق وقال : « من رجل يحفظ عنا الفجر لعلنا ننام ؟ » فقال بلال : أنا يا رسول الله أحفظ عليك ، ونام رسول الله ﷺ ونام الناس وقام بلال يصل فصل ما شاء الله أن يصل ثم استند إلى بعيره واستقبل الفجر يرمّقه فغلبه عينه فنام فلم يوقظهم إلا مسُّ الشمس ، وكان الرسول ﷺ أول أصحابه هب من نومه ، فقال : « ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ » قال يا رسول الله أخذت بنفسى الذى أخذت بنفسك قال : « صدقت » ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير ثم أanax فتوضاً وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالاً فأذن وصلوا سنة الفجر ، ثم أقام بلال الصلاة فصلوا صلاة الصبح ، ثم أقبل ﷺ على الناس فقال : « إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتُوها فإن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ » .

ج — رضَّحَ النبِيُّ ﷺ للنساء من الغنيمة ولم يضرب لهن بسهم ، إذ كان قد حضر خير عدة نسوة من بنى غفار جهنَّمَ النبِيُّ ﷺ عند خروجه إلى خير فقلن له : يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا أى إلى خير فنداوى الجرحى ونعيين المسلمين بما استطعنا ، فقال ﷺ « على بركة الله » وحدثت إحدى هؤلاء النساء فقالت : فخرجنَا معه وكنت جارية حدثة فأردفني رسول الله ﷺ على حقيقة رحله قالت فوالله لنزل رسول الله ﷺ ونزلت عن حقيقة الرحل ، وإذا بها دمٌ مني ، وكانت أول حيضة حضرتها فتقبضت إلى النافقة واستحييت فلما رأى رسول الله ما بي ورأى الدم قال : « مالك ؟ لعلك نفسِتِ » قالت قلت : نعم ، قال : « فأصلحي من نفسك ثم خذى إماء من ماء فاطرحي فيه ملحًا ثم اغسلى به ما أصاب الحقيقة

من الدم ، ثم عودى لمركبك » قالت فلما فتح رسول الله خيراً رضخ لنا من الفيء ، ولم يسهم ، وأعطاني هذه القلادة التي في عنقى فوالله لا تفارقني أبداً .

د — احتال ونبح ، ذلك هو الحجاج بن علاط السُّلْمَى فقد كان من ذوى المال واليسار في مكة ، وأسلم في خير ولم يعلم المشركون بإسلامه ، فاستأذن الرسول ﷺ أن يذهب إلى مكة قبل وصول الخبر إليها بفتح النبي ﷺ وأصحابه لخير فأذن له ، واستأذنه أن يقول ما يقول فأذن له ، وكان أهل مكة يتطلعون إلى أخبار النبي ﷺ وأكثراهم يرغب في هزيمة النبي ﷺ ويقتل هو وأصحابه ، فخرج الحجاج يريد مكة واستحوث الخطى وأخذ السير فوصل مكة فأشاع أن محمدًا قد انهزم وأن اليهود قد عزموا على أن يأتوا به إلى مكة ليقتل بها فطار المشركون بالفرح وحزن العباس وآل الخبر فاتصل بالحجاج سرًا فأطلبه إنما أراد بهذا أن يجمع أمواله وينحرج بها ، لأن قريشاً لو تعلم بإسلامه لما سمحت له بإنحراف درهم واحد وجمع أمواله وقال إنه يريد أن يأتي خيراً ليشتري من فيه محمد وأصحابه قبل أن يسبقه التجار إلى ذلك ، وعند انصرافه من مكة قال للعباس إذا مضى على ثلات فأعلن الحقيقة وهي انتصار محمد ﷺ وأصحابه على اليهود وفتح خيراً بكل ما فيها . وفعلاً في اليوم الثالث ليس العباس حُلّة وَتَخلَّقَ أىٰ طَبِيبٍ وأخذ عصاً ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله التجلّد لحرّ المصيبة قال : كلام والله الذي حلفتم به لقد فتح محمد خيراً وترك عروساً على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها وأصبحت له ولا أصحابه ، قالوا : من جاءكم بهذا الخبر ؟ قال : الذي جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً فأخذ ماله وانطلق ليلحق بمحمد ﷺ وأصحابه فيكون معه . قالوا : يا عباد الله انفلت عدو الله !! ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك .

وثلاث أحداثها :

### سبع سرايا تُبعث إلى أنحاء مختلفة

إنه بعد أن عاد عليهما إلى المدينة ظافراً متصرّاً في أواخر ربيع الثاني أخذ يبعث بالسرايا سرية بعد أخرى ، لإبلاغ دعوة الله ، وتفتيت قوى الشر ، والضرب على أيدي الظالمين فكانت أول سرية بعثها :

### سرية أبي بكر الصديق

فقد بعث عليهما أبو بكر الصديق ومعه سلمة بن الأكوع إلى نجد حيث بنو فزارة فغزوا وأسروا من العدو ما شاء الله تعالى ووقع في الأسر جارية حسناً كانت في سهم سلمة فاستوهبها منه رسول الله عليهما وفادي بها أسرى من المسلمين كانوا بمكة موثقين .

وثاني سرية :

### سرية عمر بن الخطاب

إذ بعث به عليهما في ثلاثين رجلاً إلى ثُربة مِنْ أَرْضِ هَوَازِنْ ، وكان دليلاً من بنى هلال فكانوا يسرون الليل ، ويكمون النهار فبلغ الخبر هوازن فهربوا ووصلت السرية إلى ديارهم فلم يلقوا منهم أحداً فانصرفوا راجعين المدينة ولم يلقوا كيداً .

وثالث سرية :

### سرية بشير بن سعد الأنصاري

إذ بعث به عليهما في ثلاثين رجلاً إلى بني مرّة بمنطقة فدك فاستاقوا نعمهم فقاتلوا عاملاً أفراد السرية ، وصبر بشر يقاتل وحده قتال الأبطال حتى جاء جن الظلام فلجمأ إلى فدك وحده فبات عند يهودي من أهلها ، ثم كر

عائداً إلى المدينة وما شاء الله كان ولا قوة إلا بالله .

ورابع سرية :

### سرية غالب الكلبي

وبعث رسول الله ﷺ سرية غالب بن عبد الله الكلبي إلى الحرقات من جهةينة فصبا حومهم وكان في السرية أسامة بن زيد بن حارثة ففر رجل من القوم فلحقه هو ورجل من الأنصار فأدركه أسامة فقال الرجل<sup>(١)</sup> لا إله إلا الله فكف الأنصارى عنه وطعنه أسامة بحربته فقتله فلما قدموا إلى المدينة أخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال له : « يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » فقال أسامة إنما كان متعمداً<sup>(٢)</sup> فما زال الرسول ﷺ يكررها حتى قال أسامة تمنيت أنني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم وهذه الحادثة ينظر إليها من خلال قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَيِّلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَفْلَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْغُونَ عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ الآية فإنها تدل على نوع الحادث .. .

وخامس السرايا :

### سرية بشير<sup>(٣)</sup> بن سعد الأنصاري

وبعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد الأنصاري في ثلاثة رحلات إلى اليمين من أرض غطفان وذلك من أجل جمع من المشركين تجمعوا للإغارة على المدينة النبوية بإغراء وإمداد عيينة بن حصن الطاغية الظالم ، فساروا بهم يمشون الليل ويكتون النهار ، وبلغ ذلك الجمع مسيرة بشير بن سعد الأنصاري فهربوا فأصاب بشير وأصحابه نعماً كثيرة وأسرموا منهم رجلين قدموا بهما إلى النبي ﷺ فأسلموا وحسن إسلامهما .

(١) مرداس بن نهيك .

(٢) أى بقوله لا إله إلا الله ليحفظ نفسه من القتل .

(٣) هو والد النعمان بن بشير الصحابي الجليل .

وسادس السرايا :

### سرية عبد الله بن رواحة

وبلغ رسول الله ﷺ أن يسير بن رزام اليهودي يجمع غطفان ليغزوهم ببعث عبد الله بن رواحة في ثلاثين راكباً من بينهم عبد الله بن أنيس فأتواه بخبير فقالوا له إن رسول الله ﷺ أرسلنا إليك ليستعملك على خير حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً مع كل رجل رديفٌ من المسلمين فلما بلغوا قرفة نيار وهي من خيبر على ستة أميال ندم اليهودي فأهوى بيده إلى السيف ليضرب عبد الله بن أنيس ففطن له عبد الله فرجر بعيته ثم اقتحم عن بعيته يسوق القوم حتى إذا استمكن من يسir اليهودي ضرب رجله فقطعها فاقتحم يسir وفي يده مخراش من شوحيط فضرب به وجه عبد الله بن رواحة فشجه ، فانكفا كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله غير رجل واحد من اليهود أعجزهم هرّاً ولم يُصب من المسلمين أحد .

قدموا على رسول الله ﷺ فبصق في شجة عبد الله فلم تقع ولم تؤذه حتى مات رضى الله عنه .

سابع السرايا :

### سرية عبد الله بن حذافة

وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة على رأس سرية ، وأمر أفراد السرية أن يسمعوا لعبد الله وأن يطيعوا ، وسار حتى إذا كان في بعض الطريق نزل منزلًا وطلب من أفراد السرية شيئاً فأغضبوه فيه ، وهنا قال لهم اجمعوا لي حطباً فجمعوا ، فقال لهم أوقدوا ناراً فأوقدوا ، ثم قال لهم ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ قالوا : بلى ، قال فادخلوها ، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا إنما فررنا إلى رسول الله من النار ، وعندها سكن غضبه وطفئت النار ، فلما قدموا على النبي ﷺ ذكروا ذلك له ، فقال : « لو

دخلوها ما خرجوا منها ، إِنَّمَا الطاعة في المعروف » .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نوجزها كالتالي :

- (١) بيان قوة وصحة العزم الحمدى وعظم صبره على الجهاد وإبلاغاً للدعوة ربها عز وجل .
- (٢) مظاهر الحكمة الحمدية حيث تجلّت في مواطن كثيرة .
- (٣) لا ينقص من قيمة السرية ولا من أجرها إذا فرّ العدو ولم يتمكنوا منه أو يحصلوا منه على طائل .
- (٤) مشروعية مفادة الأسرى .
- (٥) لا يحل قتل من شهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله ولو اتهم بالتفيقية تخلصاً من القتل .
- (٦) بيان بركة رقيقة النبي ﷺ إذ شفى الله بها شجة عبد الله بن أنيس .
- (٧) وجوب طاعة أولى الأمر في المعروف دون المنكر .
- (٨) بيان أن المعصية لله والرسول إن كانت من كبائر الذنوب موجبة لدخول النار إلا أن يغفرها الله تعالى .

### ورابع أحداثها :

#### عمره القضاء

إنه بموجب صلح الحديبية الذي تم في السنة الفارطة خرج رسول الله ﷺ ومعه أصحابه رضوان الله عليهم بعد أن استعمل على المدينة عُوْيَفُ بْنُ الأَبْصَطِي ، وكان عدد المسلمين ألفين ما عدا النساء والصبيان ، ومن بين أفراد الدئلي ، هذا العدد من صد عن العمرة في السنة الماضية ، وذلك في شهر ذى القعدة من سنة سبع بناءً على بنود الاتفاقية القاضية بأن يرجع ﷺ وأصحابه من

الحادية فلا يدخلون مكة ولا يعتمرون على أن يعودوا في السنة القابلة فتحلّى  
لهم مكة ثلاثة أيام يعتمرون ثم يعودون لا يمسهم سوء ، وتسّمى هذه العمرة  
عمره القضاء أو القضية أو عمرة الصلح أيضا .

ولما قارب الرسول ﷺ دخول مكة أخلت قريش له مكة فلزموا بيوتهم  
وأندتهم ودخل رسول الله ﷺ راكباً على ناقته وخطامها يد عبد الله بن  
رواحة وهو ينشد ويقول :

خَلُوا بَنِي الْكَفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ  
أَعْرَفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبْلِهِ  
وَتَحْدَثُ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ فِي عَسْرَةٍ وَجَهَدَ  
وَشَدَّةٍ ، وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ذَلِكَ فِي نُفُوسِهِمْ حَتَّى هُمَا بِالْانْقِضَاضِ عَلَيْهِمْ ،  
وَعْلَمَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجَدَ وَاضْطَبَعَ أَصْحَابَهُ وَقَالَ لَهُمْ :  
« رَحْمَ اللَّهِ امْرَأُ أَرَاهُمُ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً » . ثُمَّ اسْتَلْمُوا الرَّكْنَ وَهَرَوْلُوا  
فِي الطَّوَافِ ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ فَرَأَتْ قَرِيشٌ بِأَمْ عَيْنِهَا مَظَاهِرَ الْقُوَّةِ فَذَهَبَ وَسَوَاسَهَا  
مِنْ نَفْسِهَا . وَبَقَى الاضطِبَاعُ وَالْهَرْوَلَةُ سَنَةً تَرْمِزُ إِلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ  
الْمُسْلِمُونَ دَائِمًا وَهُوَ الْقُوَّةُ ؛ لِإِحْقَاقِ الْحَقِّ وَإِبْطَالِ الْبَاطِلِ .

### زواج الحبيب ﷺ :

وَأَئْنَاءِ إِقَامَتِهِ ﷺ بِمَكَةَ تَزَوَّجُ مِيمُونَةَ بَنْتُ الْحَارِثَ أَخْتَ أَمِ الْفَضْلِ الَّتِي  
تَحْتَ الْعَبَاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَدْ وَكَلَتْ زَوْجُ أَخْتِهِ الْعَبَاسَ فَتَوَلَّتْ عَدْ نِكَاحِهَا  
وَأَصْبَحَتْ مِيمُونَةً أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَفِي الْيَوْمِ الْثَالِثِ بَعْثَتْ قَرِيشٌ رَجُلَهَا حَوَيْطَبَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمَعَهُ نَفْرٌ  
يَطْلَبُونَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَخْرُجَ بِنِهَايَةِ الْيَوْمِ الْثَالِثِ تَنْفِيذًا لِلْإِتْفَاقِيَّةِ ، فَقَالُوا  
لَهُ : إِذَا انْقَضَى أَجْلُكَ فَاخْرُجْ عَنَا .

## الكرم الحمدى :

ولما أبلغ حويط رسول الله ﷺ أمر قريش بالخروج قال لهم : « وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعتنا لكم طعاما فحضرتموه ؟ » فقالوا : لا حاجة لنا في طعامك ، فاخرج علينا ، فخرج عليه وترك أبا رافع مولاه لأجل ميمونة فإذا فرغ من جهازها أتاه بها وهو في سرف فبني بها هناك ، ثم انصرف عليه عائدا إلى المدينة في أول الحجة ، وتولى الحج هذا العام المشركون ونزل في عمرة القضاء قرآن هو قوله تعالى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمَقْصِرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعِلْمٌ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ومصداق ذلك فيما يلى :

(١) فتح خير وهو فتح قريب ، والفتح بعيد هو فتح مكة العام القابل سنة ثمان من الهجرة ، لأن كلمة فتحا قريبا تشير إلى فتح بعيد يأتي بعد الترثي .

(٢) دخولهم مكة في عمرة القضاء آمنين غير خائفين .

(٣) إذ بعد الفراغ من طوافهم وسعفهم منهم من حلق ومنهم من قصر ، فكان هذا تأويل رؤيا الرسول ﷺ التي رأها قبل الحديبة .

## نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرها هي كالتالي :

(١) مشروعية قضاء العبادة إذا فاتت لأسباب قاهرة حالت دون أدائها .

(٢) جواز الاعتمر في الأشهر الحرم ، وقد كان أهل الجاهلية يكرهونه .

(٣) مشروعية سنة الاضطباب والهرولة في طواف القدوم للعمره أو الحج .

(٤) بيان العلة في سنة الاضطباب والهرولة في الأشواط الثلاثة الأولى وهي إظهار القوة ، وأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

(٥) مشروعية الزواج في دار الحرب للقادر عليه .

(٦) نظراً إلى الخلاف في هل تزوج الرسول ﷺ ميمونة وهو حرم وبنى بها وهو حلال فإني أرى الخروج من الخلاف يكون بارتكاء أن النبي ﷺ خطب ميمونة وعقد عليها بمكة بعد تخلله من إحرامه في أول يوم دخل مكة ، ثم أمر مولاها أن يلتحقه بها بعد تجهيزها في سرف فبني بها هنالك فلم يخطبها ولم يعقد عليها ولم بين بها وهو حرم أبداً .

(٧) لطيفة في أن آخر من تزوج الرسول ﷺ من نسائه من ميمونة ، وأخر من مات من نسائه بعده ميمونة . وأنها رضي الله عنها بنى بها بسرف ، وماتت ودفت بسرف فمكان عرسها هو مكان دفتها فرضي الله عنها وأرضاها وجعل الجنة مأواها .

وخامس أحداها :

### سرية ابن أبي العوجاء

ولما رضي ﷺ من عمرة القضاء وذلك في شهر ذى الحجة بعث بسرية عليها ابن أبي العوجاء السُّلْمَى في خمسين فارساً بعثهم إلى بني سُلِيم ، وكان لهم عَيْنٌ<sup>(١)</sup> فذهب إليهم فأخبرهم بقدوم السرية عليهم لدعوتهم إلى الإسلام فتهيأوا للقتال ، ودفع دعوة الإسلام فلما انتهى إليهم رجال السرية ودعوهם إلى الإسلام رشقواهم بالنبيل ولم يسمعوا قوله ، وقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتم إليه فرمواهم ساعةً ، وجعلت الأمداد تتلاحق ، وتحدق بهم من كل جانب ، وقاتل أفراد السرية قتالاً شديداً حتى قتل عامتهم وأصيب أميرهم بجروح كثيرة إلا أنه تحامل حتى وصل المدينة مع من بقي معه من المسلمين .

---

(١) عين : جاسوس .

## نتائج وعبر :

إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا هي :

- (١) وجوب الدعوة إلى الله تعالى والتحمل والصبر في سبيلها .
- (٢) خطر العيون والجواسيس أيام الحروب ، ووجوب الحذر منهم .
- (٣) بيان شجاعة أصحاب الرسول ﷺ وسائر أهل إيمان وعظيم صبرهم وتحملهم .

## أهم أحداث هذه السنة غير الغزوات والسرايا

من أهم الأحداث والواقع عدا الغزوات والسرايا التي كانت في سنة سبع من الهجرة ما يلي :

- (١) رد النبي ﷺ ابنته زينب على زوجها أبي العاص بن الربيع .
- (٢) زواجه ﷺ بميمونة بنت الحارث الهملاية .
- (٣) قدوم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوس ملك الأقباط بمصر ومعه مارية القبطية أم إبراهيم ابن النبي ﷺ ، وسرين ، وقد أسلمتا في طريقهما إلى المدينة .
- (٤) قضاء الرسول ﷺ وأصحابه عمرتهم التي منعوا من إتمامها سنة ست من الهجرة .

## أحداث السنة الثامنة من هجرة الحبيب ﷺ

ودخلت السنة الثامنة من هجرة النبي ﷺ وكان أول أحداثها :

### سرية غالب

وبعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثي الكلبي إلى بني الملوح فلقيه في مسيرة الحارث بن البرصاء الليثي فأخذه أسيراً ، فقال : إنما جئت لأسلم . فقال له غالب إن كنت صادقاً فلن يضرك رباط ليلة وإن كنتم كاذباً استونقنا منك ووكل به بعض أصحابه ، وقال له إن نازرك فخذ رأسه ، وأمره بالمقام إلى أن يعود ، ثم ساروا حتى أتوا بطن الكديد فنزلوا بعد العصر ، وأرسلوا جندب بن مكث الجنبي ربيعة<sup>(١)</sup> لهم قال فقصدت تلا هناك يطلعني على الحاضر فانبطحت عليه فرأى رجل منبطحاً فأخذ قوسه وسهمين فرماني بأحدهما فوضعه في جنبي ، فنزعته ولم أتحرك ، ثم رماني بالسهم الثاني فوضعه في رأس منكى فنزعته ولم أتحرك ، فقال الرامي أما والله لقد خالطه سهامي ولو كان ربيعة لتحرك فأمهلناهم حتى راحت مواشיהם واحتلبو فشتنا عليهم الغارة فقتلنا منهم واستقنا منهم النعم ، ورجعنا سراعاً ، وأتى صريح القوم فجاءنا ما لا قبل لنا به حتى إذا لم يكن بيننا إلا بطن الوادي من قديد ، بعث الله من حيث شاء سحاباً ما رأينا قبل ذلك مطراً مثله ، فجاء الوادي بما لا يقدر أحد أن يجوزه ، فلقد رأيتهم ينظرون إلينا ما يقدر أحد أن يتقدم .

وكان شعارنا في هذه السرية : أمت أمت ، وكنا بضعة عشر رجلاً .

---

(١) ربيعة : الطليعة من الجيش .

## نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نجملها في الآتي :

- (١) بيان إنفاذ الرسول ﷺ أمر ربه عز وجل في إبلاغ دعوته بلا كليل ولا ملل ولا فور .
- (٢) بيان الصبر والتحمل في ذات الله عز وجل وأنه شعار المؤمنين الصادقين .
- (٣) مشروعية الغزو في سبيل الله ليعبد الله وحده فيكمل الناس ويسعدهم على عبادته تعالى .
- (٤) بيان إكرام الله تعالى لأوليائه بإنجائهم بالنصر والسيوف وبما شاء من أسباب .

## وثاني أحداثها :

### سرية شجاع

وبعث ﷺ شجاع بن وهب إلىبني عامر في أربعة عشر رجلا فأصابوا نعما ، فكان سهم كل واحد منهم خمسة عشر بعيرا .

## وثالث أحداثها :

### سرية عمرو بن كعب

وبعث ﷺ عمرو بن كعب الغفارى إلى ذات الأطلاع في خمسة عشر رجلا فوجد بها جمعاً كثيراً فدعاهم إلى الإسلام فأبوا أن يحييوا ، وقتلوا أصحاب عمرو ولم ينج إلا هو ، وكانت ذات الأطلاع هذه من ناحية الشام وهم من قضاة ورؤسهم يقال له : سلوس .

ورابع أحداتها :

## إسلام

### كل من خالد ، وعمرو وعثمان

إن في إسلام كل من خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن أبي طلحة العبدري نصراً كبيراً ، وفتحاً عظيماً للدعوة الإسلامية ؛ ولذا كان إسلامهم حدثاً هاماً في تاريخ الدعوة ، وقد تأخر إسلامهم إلى صفر من هذه السنة الثامنة .

وهذا بيان كيفية إسلامهم رضى الله عنهم يقول عمرو : لما انصرفنا عن الخندق قلت لأصحابي إنني أرى أمر محمد يعلو على منكراً ، وإن قد رأيت أن الحق بالنجاشي ، فإن ظهر على قومنا كنا عند النجاشي ، وإن ظهر قومنا على محمد فنحن من قد عرفوا . فقالوا له : إن هذا الرأي ، قال فجمعنا له أبي للنجاشي أذماً كثيراً هدية ، وخرجنا إلى النجاشي ، فإنما لعنه إذ وصل عمرو ابن أمية الضمرى رسولًا من النبي ﷺ في أمر جعفر وأصحابه ، فدخلت على النجاشي ، وطلبت منه أن يسلم إلى عمرو بن أمية لقتله تقرباً إلى قريش بمكة فلما سمع النجاشي كلامي غضب وضرب أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره أى النجاشي فخفته ، ثم قلت : والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألكه ، قال أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتيه موسى لقتله ؟ قلت أيها الملك أكذلك هو ؟ قال : ويحلك يا عمرو أطعه واتبعه فإنه والله على الحق ، وليظهرنّ على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنته ، فقلت فبایعني له على الإسلام ، فبسط يده فبایعه ثم خرجت إلى أصحابي وكتمتم إسلامي ، وخرجت عائداً إلى رسول الله ﷺ .

ولقيني خالد بن الوليد وذلك قبل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت

أين يا أبا سليمان؟ قال والله لقد استقام المسمى<sup>(١)</sup> إن الرجل لبي أذهب والله أسلِّمْ ، فحَتَّى متى؟؟ فقلت ما جئت إلا للإسلام ، فقدمنا على النبي ﷺ فتقدمنا خالد بن الوليد فأسلم ، ثم دنوت فأسلمت ، وتقدم عثمان فأسلم .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نجملها في الآتي :

(١) بيان فضل العلم الشرعي فإن النجاشي آمن بالنبي ﷺ لما له من علم بذلك .

(٢) بيان تدبير الله في خلقه ، وذلك واضح في تأخر إسلام خالد وعمرو وعثمان بن طلحة مع كمال عقوبهم وذكائهم ، وعظم دهائهم .

(٣) سماحة الإسلام إذ احتضن الثلاثة مع ما قاموا به ضده وما تصرفوا ضد أهله ومن مبادئه « التوبة تجُب ما كان قبلها ». .

### وخامس أحداثها :

#### سرية ذات السلاسل

وبعث الحبيب ﷺ عمرو بن العاص إلى أرض بلٍ وعدرة يدعون الناس إلى الإسلام وكانت أم عمرو من بلٍ فتأففهم بذلك رسول الله ﷺ فسار عمرو حتى وصل ماء جدام المسمى بالسلاسل ، وبه سميت هذه الغزوة « غزوة ذات السلاسل » فلما كان به خاف ، فبعث إلى النبي ﷺ يستمدّه فبعث إليه أبو عبيدة بن الجراح في جماعة من المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر ، وقال الحبيب ﷺ لأبي عبيدة : « لا تختلفوا أى أنت وأمير السرية عمرو بن العاص ». فخرج أبو عبيدة ومن معه فلما قدموا على عمرو ، قال عمرو

(١) أى تبين الطريق ووضح .

يا أبا عبيدة إنما جئت مددًا إلى فقال أبو عبيدة يا عمرو إن رسول الله ﷺ قال : « لا تختلفوا » فإن عصيتك أطعتك ، قال فأنَا أمير عليك قال : فدونك ، فصلَّى عمرو بالناس وبالمدد الذي بعث به رسول الله ﷺ . بلغ عدد أفراد السرية نحًّا من خمسةٍ وعشرين رجلاً فضرموا في المنطقة شرقًا وغربًا ودخلوا من فيها . وفي هذه السرية احتلَّ عمرو فلم يغتسل خوفاً من الموت لشدة البرد ، وإنما استنجى وتوضأً وتمَّ وصلٍ ، ولما سأله رسول الله ﷺ عن ذلك سكت فأقرَّ عمراً على فعله .

وسادسة أحداثها :

### سرية عمرو بن العاص

وبعث ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفر وعباد أبى الجُلْنَدِي بعمان فآمنا وصدقنا ، وأخذ الجزية من المحوس القاطنين بعمان .

وسبعة أحداثها :

### سرية الخبَط<sup>(۱)</sup>

وفي هذه السنة الثامنة من الهجرة بعث رسول الله ﷺ سرية جعل عليها أبا عبيدة بن الجراح ، وعدد أفرادها ثلاثة مقاتل وزودهم رسول الله ﷺ بجراب من التمر ووجهم نحوسا حل البحر ، ونفذ جراب التمر حتى كانوا يعطون منه قمرة تمرة ، وقال أحدهم : قلت في نفسي : ماذا تعنى هذه التمرة ؟ وما فقدتها عرفت قيمتها يومئذ ، وجاءوا حتى كانوا يضربون ورق الشجر فيسقط فيجمعونه ويبلونه بالماء ويأكلونه ؛ ولذا سميت هذه السرية سرية الخبَط ، ولما قربوا من البحر لاح لهم شيء كأنه كثيب رمل فدنسوا منه وإذا

(۱) ورق الشجر يخبط بالخبَط .

هو دابة من دواب البحر ميتة يقال لها : العنبر فأكلنا منه نحوًا من نصف شهر حتى سينا ، وكنا نفترف من عينها الدهن بالغراف ، ونصبنا ضلعين من أضلاعها . فكانت الراحلة تدخل تحتها ولا تمسها ، وتزودنا من لحمها . ولما وصلنا إلى المدينة وذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ قال : « هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه تطعمونا ؟ » فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه شيئاً فأكله .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نوجزها كالتالي :

- (١) موافقة الدعوة إلى الله تعالى وإبلاغ رسالته ﷺ إلى كافة الناس لإصلاحهم وإسعادهم في الدنيا والآخرة .
- (٢) بيان صبر الصحابة وتحملهم الشدائيد في ذات الله تعالى ما كانوا به مضرب المثل .
- (٣) بيان إكرام الله تعالى لأصحابه رسوله بأن ساق لهم العنبر فأكلوا نصف شهر منه .
- (٤) جواز أكل ميتة البحر .

- (٥) بيان تطهير رسول الله ﷺ لخواطر أصحابه وتزكية نفوسهم وذلك بأكله من لحم الحوت الميت . وهو القائل في البحر : « هو الطهور مأوه الحل ميته » .

### وثامنة أحداثها :

#### سرية أبي قحافة

وفي شعبان من هذه السنة وجه رسول الله ﷺ أبا قحافة ومعه عبد الله ابن أبي حدرد في رجال إلى الغابة حيث بلغ رسول الله ﷺ أن رفاعة بن

قيس قد جمع جموعاً ونزل الغابة يريد حرب رسول الله ﷺ . ولما بلغوا من الحاضر<sup>(١)</sup> مع غروب الشمس كمن كل واحد منهم في ناحية ، وكان لقوم رفاعة راع فابطاً عنهم فخرج رفاعة بن قيس في طلبه ومعه سلاحه ، قال عبد الله بن أبي حدرد فرميته بسهم فأصبت قواده فلم يتكلم فأخذت رأسه ثم شددت في ناحية العسكر وكبرت وكبر أصحابي فوالله ما كان إلا النجاء أى هرب أهل الحاضر طالبين النجاة لأنفسهم فأخذوا نسائهم وأولادهم وما خف عليهم من أموالهم ، واستقنا الإبل الكثيرة والغم فجئنا بها رسول الله ﷺ ورأس رفاعة ، قال عبد الله فأعطاني رسول الله ﷺ من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً وعدل بعير ، وعدل البعير بعشر من العنم .

وتاسعة أحداثها :

### سرية أبي قحافة إلى إضم

وفي هذه السنة أيضاً أغزى رسول الله ﷺ أبي قحافة إلى إضم ومعه معلم ابن جثامة فمر عليهم عامر بن الأضبيط الأشجعى على بعير له ومعه متاعه فسلم عليهم بتحية الإسلام ، فأمسكوا عنه ، وحمل عليه معلم بن جثامة فقتله وأخذ بعيره ومتاعه وما قدموا على رسول الله ﷺ وأخبروه الخبر ، ونزل قوله تعالى : من سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَنْقَلَ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَنَّكُمْ مُؤْمِنُونَ تَبَتَّعُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الَّذِيَا فَعِنَدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُثُمٌ مِّنْ قَبْلِ فَمَنْ أَنْهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَسِيبًا ﴾ .

(١) الحاضر : سكان الحاضرة أى المدينة أو القرية ، والمراد هنا منازل القوم الذي حضروا فيها .

وعاشرة أحداثها :

## غزوة مؤتة

هذه إحدى الغزوات العظيمة في الغزو الإسلامي : وكانت في جمادى الأولى من سنة ثمان فقد حدد الرسول ﷺ زمانها ومكانها وعين أمراءها فعيّن زيد بن حارثة مولاه أميراً عليها فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة .

وكان عدد أفراد هذه السرية ثلاثة آلاف مقاتل ، ولما عين الحبيب ﷺ زيداً أميراً ، وجد جعفر في نفسه وقال يا رسول الله : ما كنت أذهب أن تستعمل على زيداً فقال له رسول الله ﷺ « امض فإنك لا تدرى أى ذلك خير » وعندها بكى الناس وقالوا : هلا متعتنا بهم يا رسول الله ، وكان إذا قال فإن أصيب فلان فالأخير فلان أصيب كل من ذكره .

وتجهز الناس وودعهم رسول الله ﷺ والناس ، ولما ودع عبد الله بن رواحة بكى فقال له الناس ما يكيك ؟ فقال : ما بي حب الدنيا ولا صباية بكم ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية وهي : ﴿ وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَارْدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّمًا مَقْضِيًّا ﴾ فلست أدرى كيف لي بالصدر بعد الورود . فقال المسلمون صحبكم الله وردمكم إلينا صالحين . ولما تهيا القوم للخروج ، أتى عبد الله رسول الله ﷺ فودعه ثم قال :

أنت الرسول فمن يحرم نوافله<sup>(١)</sup> والوجه منه فقد أزرى<sup>(٢)</sup> به القدر  
فنبت الله ما آتاك من حسن في المسلمين ونصرًا كالذى نصروا  
إنى تفرست فيك الخير نافلة فراسة خالفت فيها الذى نظروا

(١) نوافله : عطياته وهباته .

(٢) أى قصر به .

ثم خرجوا وساروا حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ، ومائة ألف من العرب المنتصرة من لخم وجذام والقين وبيل . فأقام المسلمون بمعان ليتمنى ينظرون أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره الخبر ، وننتظر أمره ، فشجعهم عبد الله بن رواحة ، وقال : يا قوم والله إن الذي تكرهون للذى خرجمت تطلبون إنه الشهادة ، وما نقاتل بعدد ولا قوة ، ولا نقاتلهم إلا بهذا الدين ، فانطلقو فما هي إلا إحدى الحسينين فقال الناس صدق والله ، وساروا فتلتهم جموع الروم والعرب بقرية من البلقاء يقال لها : مشارف ، وانحصار المسلمين إلى قرية يقال لها مؤتة فالتحقى الناس عندها وكان على ميمنته المسلمين قطبة ابن قتادة العذرى ، وعلى ميسرتهم عبادة بن مالك الأنصارى فاقتتلوا قتلا شديدا ، فقاتل زيد برایة رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم أى مات ثم أخذها جعفر بن أبي طالب قاتل بها وهو يقول .

بـا حـذا الجـنة واقتـراـبـها طـيـة وبارـدا شـرابـها  
والرـوم رـوم قـد دـنا عـذـابـها عـلـى إـذ لـاقـيـتها ضـرابـها

ثم عقر فرسه وهو أول فرس عقر في الإسلام ، وقاتل حتى قطعت يده  
اليمني فأخذ الرأبة باليسرى ، وقاتل حتى قطعت يده اليسرى فاحتضن الرأبة  
بعضديه حتى قتل فوجد به بعض وثمانون رمية وضربة وطعنة في جوار الله  
تعالى ورضوانه وأخذ الرأبة عبد الله بن رواحة ثم تقدم فتردد بعض التردد  
ثم قال يخاطب نفسه .

أقسمت يا نفس لتنزلّه طائعة أو لتكرهّنه  
إن أجلب الناس وشدوا الرنه مالي أراك تكرهين الجنه  
قد طال ما كنت مطمنه هل أنت إلا نطفه في شنه  
ثم نزل على فرسه فجاء ابن عم له بعرق لحم فقال شد بهذا صلبك فله  
لقيت ما لقيت ! فأخذه فانهس منه نهسه ، ثم سمع الخطمه في ناحية العكس

فقال لنفسه وأنت في الدنيا !! ثم ألقاه وأخذ سيفه وتقى فقاتل حتى قتل ، فإلى رحمة الله ورضوانه واشتد عليهم الأمر وكان قطبة قد قتل قبل ذلك قتله مالك بن زافلة قائد العرب المتنصرة . ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم أخوبني العجلان وقال يا عشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا أنت قال : ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما أخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم ثم انحاز ، وانحiz عنده حتى انصرف الناس ، ثم أقبل بهم فافلا في طريقه إلى المدينة النبوية .

### إيجار النبي ﷺ بالواقعة :

وبالمدينة يخبر الحبيب ﷺ بجريان المعركة بالتفصيل كأنه يشاهدها عن كثب فيقول بعد أن رق المنبر ونادى بالصلوة جامعة : « باب خير ، باب خير ، باب خير . أخبركم عن جيشكم هذا الغازى إنهم لقوا العدو فقتل زيد شهيداً فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فسد على القوم حتى قتل شهيداً فاستغفر له ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة » وصمت حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان من عبد الله ما يكرهون ثم قال ﷺ : « فقاتل القوم حتى قتل شهيداً » ثم قال : « لقد رفعوا إلى الجنة على سرر من ذهب فرأيت في سرير ابن رواحة ازوراً عن سريري صاحبيه فقلت عم هذا ؟ فقيل مضيا وتردد بعض التردد ثم مضى » . ولما قتل ابن رواحة أخذ الراية ثابت بن أرقم الأنصاري ، وقال يا عشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم فاصطلحوا على خالد بن الوليد فقال رسول الله ﷺ : « ثم أخذ الراية سيف من سيف الله خالد بن الوليد فعاذ بالناس » فمن يومئذ سُمي خالد سيف الله . وقال رسول الله ﷺ : « مَنْ بَرَّ بِجَعْفَرٍ الْبَارِحةَ فِي نَفْرٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ لَهُ جَنَاحَانِ مُخْتَسِبٍ الْقَوَاعِمَ بِالدَّمِ » .

## امرأة جعفر تحدث :

وقالت أسماء بنت عميس زوج جعفر الطيار بن أبي طالب رضي الله عنهم أتاني النبي ﷺ وقد فرغت من اشتغالى وغسلت أولاد جعفر ودهنتهم فأخذهم وشتمهم ودمعت عيناه فقلت يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء؟ قال : « نعم أصيب هذا اليوم » ثم عاد إلى أهله فأمرهم أن يصنعوا لآل جعفر طعاماً ، فهو أول ما عمل في دين الإسلام ولما رجع الجيش ودنا من المدينة لقيهم رسول الله ﷺ فأخذ عبد الله بن جعفر فحمله بين يديه ، فجعل الناس يخثون التراب على الجيش ويقولون : يافرار يافرار ، ويقول الرسول ﷺ « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله ». .

## نتائج وعبر :

إن هذه القطعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نذكرها فيما يلى :

- (١) فضيلة الأمراء الثلاثة زيد وجعفر وابن رواحة .
- (٢) مشروعية توديع المسافر إلى سفر صالح كالجهاد والحج ونحوهما .
- (٣) عظم خشية عبد الله بن رواحة وخوفه من النار .
- (٤) بيان حقيقة كشف عنها ابن رواحة وهي أن المسلمين لا يقاتلون بعدد ولا قوة ، وإنما يقاتلون بالدين فإن كانوا صالحين مستقيمين انتصروا ، وإنكسروا .
- (٥) مشروعية مخاطبة النفس وترويضها على الطاعات .
- (٦) آيات النبوة الحمدية تتجلى في إخبار النبي ﷺ أهل المدينة بسير المعركة ووصفه لها كأنه يديرها ويشاهد سير القتال فيها ، ولم يختلط في شيء منها ولو قل ، ولم يكن يومئذ أخبار سلكية ولا سلكية ولا عرض تلفاز ولا فيديو فكان إخباره أعظم آية على أنه رسول الله ﷺ يتلقى الوحي من الله عز وجل .

- (٧) بيان فضل خالد ، وسبب تلقبيه بسيف الله .
- (٨) بيان تألم رسول الله ﷺ لموت الأمراء وخاصة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين .
- (٩) مشروعية صنع الطعام لأهل الميت لانشغالهم بالمصيبة وحزنهم على فقدتهم وأن أول طعام صنع لهذا الغرض هو ما صنعه الرسول ﷺ لآل جعفر فكان سنة قوله عملية .
- (١٠) مشروعية حمل الطفل الصغير وشميه وتقبيله رحمة به وشفقة عليه .

وحادى عشر أحداثها :

### غزوة الفتح فتح مكة

أسباب هذه الغزوة :

لقد ورد في اتفاقية الحديبية أن خزاعة دخلت في عقد الرسول ﷺ وبكر دخلت في عقد قريش ، وشاء الله عز وجل أن رجلا من خزاعة سمع رجلا من بكر ينشد شعراً في هجاء النبي ﷺ فضربه فشجه فهاج الشر بينهم ، وثارت بكر على خزاعة حتى بيتوهم بالوتير ، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح والدواب ، وقاتل معهم جماعة من قريش مختلفين ، منهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فانحازت خزاعة إلى الحرم لائذة به إلا أن بكرًا لم تخترم الحرم وقاتلت خزاعة به وقتلت منهم .

وبهذا كانت قريش قد نقضت العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ إذ أعانت بني بكر على خزاعة أحلاف النبي ﷺ . وعندئذ خرج عمرو بن

سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فوقف عليه ثم قال : منشدا  
قصيدة مطلعها :

اللهم إني ناشد محمدا حلف<sup>(١)</sup> أبيه وأينما الأئدا  
فوالداً كنا وكنت ولدا ثمت أسلمنا فلم نزع يدا  
إلى أن قال :

هم بيتوна بالوتير هجدا فقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله ﷺ : « قد نصرت يا عمرو بن سالم » وجاء بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة إلى النبي ﷺ فوافقه يغتسل فنادوه فقال : « يا ليكم » وخرج إليهم فأخبروه الخبر ثم انصرفوا راجعين إلى مكة أى أعلموه بالذى جرى من نقض قريش عهدها . وكان النبي ﷺ قد قال لأصحابه : « كأنى بأبي سفيان قد جاء ليجدد الهدنة خوفاً ويزيد في المدة » ومضى بديل في طريقه ، وإذا بأبي سفيان في عسفان في طريقه إلى المدينة وصدقت فراسة الحبيب ﷺ فقال أبو سفيان لبديل من أين أقبلت ؟ قال من خزاعة في الساحل وبطنه هذا الوادي ، قال أو ما أتيت محمدا ؟ قال : لا ، فقال أبو سفيان لأصحابه لما راح بديل انظروا بعر ناقته فإن جاء المدينة لقد علف النواء ، فنظروا بعر الناقة فرأوا فيه النوى . وواصل أبو سفيان سيره حتى أتى المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة زوج النبي ﷺ فلما أراد أن يجلس على فراش النبي ﷺ طوته عنه ، فقال أرغيت به عنى أم رغبت بي عنه ؟ فقالت : هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس عليه ، فقال : لقد أصابك بعدى شر ! ثم خرج حتى أتى النبي ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئاً ، ثم أتى أبا بكر فكلمه ليكلم له رسول الله ﷺ فقال : ما أنا بفاعل ،

---

(١) يذكر بحلف قدم كان بين عبد المطلب وخزاعة .

ثم أتى عمر فكلمه فقال : ما أنا بشافع لكم إلى رسول الله ﷺ ، ووالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به . ثم خرج حتى أتى علياً فكلمه في ذلك ، فقال له والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر لا نستطيع أن نكلمه فيه . فنادي فاطمة قائلاً : يابنت محمد هل لك أن تأمرى ابنك هذا يشير إلى الحسن وهو يومها غلام أن يجير بين الناس فيكون سيد العرب ؟ فقالت ما بلغ ابني أن يجير بين الناس ، وما يجير على رسول الله أحد . ثم التفت إلى علي ، وقال : أرى الأمر قد اشتدت على فانصختي قال إنك سيد كنانة فقم فأجر بين الناس والتحق بأرضك .

فقام أبو سفيان في المسجد وقال أيها الناس قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره وقدم مكة وأخبر قريشاً بما جرى له وما أشار به على عليه ، فقالوا : والله ما زاد على أن سخر منك !!

### التجهيز والإعداد لفتح مكة :

وعزم النبي ﷺ على غزو قريش لفتح مكة لقضى قريش المعاهدة نقضاً واضحاً صريحاً فتجهز وأمر أصحابه بذلك ، وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ». ولما علم حاطب بن أبي بلتعة بعزم الرسول ﷺ على المسير إلى قريش وذكر أهله وولده بمكة ، وأن لا ولٍ له بها يدفعون عن أهله وولده ، وعلم أن الله ناصر رسوله فكتب كتاباً إلى قريش يعلّمهم بما عزم عليه الرسول ﷺ ، وبعث بالكتاب مع امرأة من مزينة اسمها : كنود ، وتحمله وتركب راحلتها وتسيير ، وسبقها الوحي الإلهي إلى رسول الله ﷺ ، فأرسل النبي ﷺ على بن أبي طالب والزبير بن العوام لافتتاح الكتاب منها قبل وصولها إلى مكة فخرجوا في طلبها فأدركاهما وأخذوا الكتاب منها ، وهذه من استجابة الله تعالى دعوة رسوله ﷺ ، إذ قال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش » وأحضر حاطباً وقال له : « ما حملك على هذا ؟ » فقال : والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، وما بدللت ولا غيرت

ولكن لي بين أظهرهم أهل وولد ، وليس لي عشيرة فصانعهم عليهم . فقال عمر : دعني يا رسول الله أضرب عنقه فإنه قد نافق . فقال رسول الله ﷺ : « وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وأنزل الله تعالى في حاطب فاتحة سورة المتحنة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أُولَئِكُمْ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَةِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّيِّلُ ﴾ .

**المسيير إلى مكة :**

واستخلف النبي ﷺ على المدينة أبا رُهْمٍ كُلثوم بن حصن الغفارى ، وخرج في عشرة آلاف مقاتل ، وذلك لعشر مضيين من رمضان . وأثناء مسيره أدركه عبيدة بن حصن والأقرع بن حابس كلا لقيه العباس بن عبد المطلب بدأ الخليفة مهاجرًا فأمره أن يرسل رحله إلى المدينة ويعود معه ، ففعل وقال له أنت آخر المهاجرين وأنا آخر الأنبياء ، وصام ﷺ وصام أصحابه حتى بلغ ما بين عسفان وأمعج فأفطروا ، ولقيه في الطريق وهو نازل بنيق العقاب أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبد الله بن أبي أمية فالتقا الدخول عليه ﷺ فكلمته أم سلمة في شأنهما ، فقال : « لا حاجة لي بهما ، أما ابن عمى فقد هتك عرضي ، وأما ابن عمتي ، فهو الذي قال بمكة ما قال<sup>(١)</sup> » فلما سمعا ذلك وكان مع أبي سفيان ولد له يقال له جعفر ، فقال أبو سفيان والله ليأذن لي أو لاخذن ييد ابني هذا ثم لنذهب في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً فرق لهما رسول الله ﷺ فأدخلهما إليه فأسلمما ، وأنشد أبو سفيان في إسلامه واعتذاره قوله :

**لعمرك إني يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد**

(١) قال : لن ثؤمن لك حتى ترق في السماء ، ولن نؤمن لرقيقك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه .

لِكَالْمَدْجُحِ الْحَيْرَانِ أَظْلَمْ لِيَهُ  
وَهَادِ هَدَانِي غَيْرَ نَفْسِي وَنَالَنِي  
بَحْرُ الظَّهَرَانِ :

ونزل الحبيب الأحب والقائد الأعظم ﷺ بحر الظهران غير بعيد من مكة ونزل معه جيشه المظفر المقدر بعشرة آلاف مقاتل جلهم من المهاجرين والأنصار وباقיהם من جهينة ، وغفار ، ومزينة ، وسلم ، وتميم ، وأسد . وقيس .

ونظر العباس إلى قوة الجيش وقال : يا هلاك قريش ، والله إن باعثها رسول الله ﷺ في بلادها فدخلها عنوة إنه هلاك قريش إلى آخر الدهر ، ثم جلس على بعلة النبي ﷺ ، وقال أخرج لعلى أرى حطاباً أو رجلاً يدخل مكة الحاجة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيأتوه ويستأمونه ، وخرج يطوف في الأراك وإذا به يسمع صوت أبي سفيان وحكيم بن حرام وبديل بن الورقاء الخزاعي خرجوا يتৎحسسون الأخبار ويرقبون الأمور . ورأوا نيران المعسكر تشتعل ليلاً تضيء الساحة كلها وهي آلاف النيران فقال أبو سفيان ما رأيت نيراً أكثر من هذه ، فقال بديل هذه نيران خزانة ، فقال أبو سفيان خزانة أذل من ذلك أو أقل ، فقال العباس يا أبا حنظلة « كنية أبي سفيان » فقال : أبو الفضل ؟ قلت : نعم قال ليك فداك أبي وأمي ما وراءك ؟ قال هذا رسول الله ﷺ في المسلمين أتوكم في عشرة آلاف . قال : ما تأمرني ؟ قلت تركب معى فأستأمن لك رسول الله ﷺ ، فوالله لعن ظفر بك ليضربي عنقك ، قال العباس فركب معى فخرجت أركض به نحو رسول الله ﷺ فكلما مررت بنار من نيران المسلمين يقولون عم رسول الله على بعلة رسول الله حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب فقال : أبو سفيان : أى هذا أبو سفيان ، الحمد لله الذى أمكن متلك بغير عقد ولا عهد ، ثم اشتد نحو رسول الله ﷺ ، وركضت البعلة فسبقت عمر ، ودخل عمر على رسول الله ﷺ فأخبره وقال : دعنى

أضرب عنقه ، فقلت يا رسول الله إني قد أجرته ، ثم أخذت برأس رسول الله ﷺ وقلت : لا يناديه اليوم أحد دوني ، فلما أكثر عمر فيه قلت : مهلا يا عمر فوالله ما تصنع هذا إلا لأنك من بني عبد مناف ، ولو كان من بني عدى ما قلت هذه المقالة فقال مهلا يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسول الله ﷺ : « اذهب فقد آمناه حتى تغدو على به الغداة » فرجعت به إلى منزلتي وغدوت به على رسول الله ﷺ . فلما رأه قال : « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ » قال : بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنّي شيئاً ، فقال : « ويحك ألم يأن لك أن تعلم أن رسول الله؟ » فقال بأبي أنت وأمي أما هذه فقى النفس منها شيء ، قال العباس فقلت له ويحك تشهد بشهادة الحق قبل أن تضرب عنقك قال فتشهد وأسلم معه حكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء .

#### استعراض القوة للإرهاب :

وأمر الحبيب ﷺ العباس أن يذهب بأبي سفيان فيحبسه في طريق مرور الجيش الإسلامي ليرى بأم عينيه قوة الإسلام والمسلمين ، قال ﷺ : « اذهب بأبي سفيان فاحبسه عند خطم<sup>(١)</sup> الجبل بمضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله ، » قال العباس فقلت يا رسول الله إنه يجب الفخر فأجعل له شيئاً يكون في قومه فقال : « فليدخل مكة وليلق : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ». قال العباس فخرجت فحبسته أى أوقته عند خطم الجبل فمررت عليه القبائل فيقول : من هؤلاء؟ فأقول : أسلم ، فيقول

(١) خطم الجبل هو أنفه الخارج منه .

من هؤلاء؟ فأقول : جهينة ، فيقول : ما لي ولجهينة حتى من رسول الله ﷺ في كتيبة الحضرة<sup>(١)</sup> مع المهاجرين والأنصار في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق ، فقال : من هؤلاء؟ فقلت : هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار ، فقال : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً !! فقلت : ويحك إنها النبوة فقال : نعم إذن فقلت الحق بقومك سريراً فخذلهم . فخرج حتى أتى مكة ومعه حكيم بن حزام فصرخ في المسجد يا معاشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به . فقالوا فمه<sup>(٢)</sup> قال من دخل داري فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ثم قال يا معاشر قريش أسلموا تسلموا فأقبلت امرأته هند فأخذت بلحيته وقالت : يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق . فقال : أرسل لحيتي ، وأقسم لعن لم تسلمي لتضربي عنقك ، ادخل بيتك فتركته وذهبت .

### دخول القوات إلى مكة :

ومشى رسول الله ﷺ حتى وصل ذا طوى وقف على راحلته متوجراً بشقة بُرْدَحْبَرَة حمراء ، وفرق جيشه فأمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كدمي<sup>(٣)</sup> ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء « المعلاة » وسمع سعد بن عبادة يقول : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرماء ، فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة ما نؤمن أن يكون له في قريش صولة ، فقال رسول الله ﷺ لعلى بن أبي طالب « أدركه فخذ الرایة منه ، فكن أنت الذي تدخل بها » وأمر حالداً أن يدخل من الليط أسفل مكة في بعض الناس وكان خالد على الجنبية اليماني

(١) لكثرة الحديد وظهوره فيها قيل فيها الحضرة .

(٢) فمه : « ما » الاستفهامية حذفت منها ألف وزيدت فيها هاء السكت أى مما الذي تريد أن نصنه ؟

(٣) اسم جبل بمكة .

كما أن الزبير على الجنبة اليسرى ، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب ل麾ة بين يدي رسول الله ﷺ ، وأنه عليه تواضعه لربه لما رأى من إكرام الله تعالى له تكاد لحيته تمس واسطة الرجل تواضعًا لله تعالى فلم يدخل دخول الظلمة الفاتحين يكاد يطير بهم الزهو والخيلاء والكبر والصلف .

وقد أوصى أمراءه أن لا يقتلو إلا من قاتلهم ، وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو قد جمعوا ناساً بالخدمة ليقاتلوا فلما وصلهم المسلمون بقيادة خالد بن الوليد ناوشعهم شيئاً من القتال فقتل من المشوشين نحو من ثلاثة عشر رجلاً ، ثم انهزموا وقتل من المسلمين كرز بن جابر وحبش بن خالد بن ربيعة بسبب سلوكهما طريقاً غير طريق خالد الذي سلكه .

### من القبة إلى المسجد الحرام :

وكان قد ضربت للحبيب عليه قبة بالحجون ، وهو هوذا عليه يخرج منها في طريقه إلى المسجد الحرام وإلى جنبه الصديق يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح حتى بلغ البيت فطاف سبعاً على راحلته واستلم الحجر الأسود بمحجن كان بيده وكان حول البيت ثلاثة وستون صنماً فجعل يطعن بعود في يده وهي تساقط وهو يقول : « جاء الحق وذهق الباطل ، وما يدىء الباطل وما يعيده » .

وأمر بالصور والتماثيل التي داخل البيت فأخرجت ورميت هي وسائر الأصنام خارج المسجد الحرام ، ودخل عليه الكعبة وصلى فيها وكبر في سائر نواحيها ثم خرج فجلس في المسجد الحرام كالبدر في هاته والعيون إليه شاهقة والقلوب واجفة .

## مظاهر الكرم الحمدى :

ثم قام ﷺ على باب الكعبة ، وقال : « لا إله إلا الله وحده صدق وعده  
ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

الآن كل دم أو مأثرة أو مال يُدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة  
البيت وسقاية الحاج .

الآن وقتل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا فيه الديمة مغلظة مائة من  
الإبل أو أربعون منها في بطونها أولادها .

يا معاشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالأباء .  
الناس من آدم وأدم من تراب ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا  
خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ  
اللَّهِ أَئْنَاقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَسِيرٌ ﴾ ثم قال : « يا معاشر قريش ما ترون أني  
فاعل بكم ؟ » قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال : « اذهبوا فأنتم  
الطلقاء » فعفا عنهم بعد أن أمكنه الله تعالى منهم ، فضرب بذلك المثل في  
العفو والصفح على الجنة بعد القدرة عليهم والتمكن منهم .

## ال مجرمون الثانية :

لم يشمل ذلك العفو العام ثمانية مجرمين وأربع نسوة مجرمات .

فالرجال الثانية هم : عكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية بن خلف ،  
وعبد الله بن سعد بن أبي السرح ، وعبد الله بن خطل ، والمحورث بن نقيد  
ابن وهب ، ومقيس بن صبابة ، وعبد الله بن الزبيري . إذ كان هؤلاء أشد  
عداوةً وأذى لرسول الله ﷺ من غيرهم ، ولذا أمر بقتلهم قبل توبتهم ، وقد  
تاب وأسلم وحسن إسلامه كُلُّ من عكرمة ، وصفوان ، وعبد الله بن سعد  
ابن أبي السرح ، وعبد الله بن الزبيري وقتل الأربعة الباقون كفراً فإلى جهنم

وبعد القرار . وقال عبد الله بن الزبئري لما أسلم شعراً يعتذر فيه :  
 يا رسول الملك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بُورٌ  
 إِذْ أَبَارَى الشَّيْطَانَ فِي سُنْنِ الْغَيِّ  
 ومن مال ميله مشبورٌ  
 آمِنُ اللَّحْمَ وَالْعَظَامَ لِرَبِّى  
 ثم قلبي الشهيد أنت النذير

وأما النسوة : فهن هند بنت عتبة ، وسارة مولاة عمرو بن عبد المطلب ،  
 وقيتا عبد الله بن خطل . فأسلمت هند وحسن إسلامها وكذا إحدى  
 القيتين ، والاثنتان الآخران قتلتا كافرتين فإلى غضب الله وأليم عذابه .

### البيعة على الإسلام :

ثم جلس رسول الله ﷺ على الصفا للبيعة ، وعمر بن الخطاب تخته ،  
 وتقدم الرجال يبايعون رسول الله ﷺ على الإسلام ، فكان يبايعهم على السمع  
 والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا . ولما فرغ من بيعة الرجال جاءت النساء  
 للبيعة وكانت بينهن هند بنت عتبة متذكرة لما صنعت بمحزنة رضي الله عنه ،  
 فقال لهن : « تباينتى على أن لا تشركن بالله شيئاً » قالت هند إنك والله  
 لتأخذ علينا ما لا تأخذ على الرجال فسئلتك قال : « ولا تسرقن » قالت :  
 والله إن كنت لأصيب من مال أى سفيان اهنته<sup>(١)</sup> والهنة فقال أبو سفيان  
 و كان حاضراً أما مامضى فأنت منه في حلّ ، فقال رسول الله ﷺ « أهند ؟ »  
 قالت أنا هند فاعف عما سلف عفا الله عنك ، قال : « ولا تزنين » قالت :  
 وهل تزني الحرة ؟ قال : « ولا تقتلن أولادكن » قالت ربناهم صغاراً وقتلتهم  
 يوم بدر كباراً فأنت وهم أعلم فضحك عمر قال : « لا تأتين بهتان تفتريه  
 بين أيديكين وأرجلكين » قالت والله إن إيتان البهتان لقبع ، ولبعض التجاوز  
 أمثل . قال : « ولا تعصين في معروف » قالت ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد

(١) الشيء الصغير الذي لا يعرف له اسم .

أن نعصيك فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب : « بایعهنّ » واستغفر لهن رسول الله ﷺ إذ كان رسول الله ﷺ لا يمس النساء ولا يصافح امرأة ولا تمسه امرأة إلا امرأة أحلها الله له ، أو ذات حرم منه .

### الإنسان قبل الإيمان :

ولما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال وبيعة النساء كان قد آن أوان الظهر فأمر بلاً أن يطلع على سطح البيت الحرام ويؤذن ، وفريش فوق الجبال وسطوح البيوت ، فمنهم من يطلب الأمان ، ومنهم من أُمِنَ ، فلما أخذ بلاً في الأذان وقال أشهد أن محمداً رسول الله قالت جويرية بنت أبي جهل : لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلاً فوق الكعبة ، وقالت لقد رفع الله ذكر محمد ، وأما نحن فستصل ، ولكن لا نحب من قتل الأحبة . وقال خالد بن أسد لقد أكرم الله أبي فلم ير هذا اليوم ، وقال الحارث بن هشام ليتنى مت قبل هذا اليوم ، وقال غيرهم مثل قوله ، ولكنهم أسلموا وحسن إسلامهم ، فأشرقت نفوسهم بنور الإيمان وذهب ظلمة الكفر والجهل التي من جراءها قالوا ما قالوا من كلمات الكفر التي يرضى المؤمن أن يصلب ويقطع ولا يرضي أن يقولها أبداً .

### ذكريات فيها عبر وعظات :

(١) قالت أم هاني بنت أبي طالب رضي الله عنها لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فرَّ إلى رجلان من أهله من بنى مخزوم ، وكانت أم هاني عند هيبة بن أبي وهب المخزومي قالت فدخل على أخي على بن أبي طالب ، وقال : والله لأقتلنها فاغلقت عليها باب بيتي ، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة فوجده يغتسل من جفنة وإن فيها لأثر العجين وفاطمة بنته تستره بشوشه فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوسح به ثم صلَّى ثماني ركعات من الضحى ، ثم انصرف إلى فقال : « مرجحاً وأهلاً يا أم هاني ماجاء بك ؟ » فأخبرته خبر

الرجلين و خبر علیٰ فقال : « أجرنا من أجرت وأمّنا من أمنت ، فلا يقتلهما ». .

(ب) لما طاف ﷺ بالبيت دعا عثمان بن أبي طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة فدخل فيها وصلى وأخرج منها بعض الصور والتماثيل فقام إليه علیٰ بن أبي طالب ومفتاح الكعبة بيده فقال يا رسول الله ﷺ اجمع لنا العجابة مع السقاية صلى الله عليك . فقال رسول الله ﷺ : « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعى له ، فقال : « هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بُرّ ووفاء ». .

(ج) لما كان الحبيب ﷺ يطوف بالبيت يوم الفتح كان فضالة بن عمير ابن الملوح فكر في قتل النبي ﷺ وهو يطوف ، فلما دنا من الرسول ﷺ قال الرسول ﷺ : « أفضاله ؟ » قال : نعم فضالة يا رسول الله قال : « ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ » قال لاشيء كنت أذكر الله ، قال : فضحك النبي ﷺ ثم قال : « استغفر الله » ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحب إلىّ منه . قال فضالة فرجعت إلى أهل فمررت بأمرأة كنت أتحدث إليها ، فقالت : هلّم إلى الحديث فقلت : لا ، وانبعثت أقول :

قالت هلّم إلى الحديث فقلت لا  
يابنِ علیکَ اللہُ وَالإِسْلَامُ  
لو مارأیتَ حمداً وَقَبِيلَه  
بِالْفَتحِ يوْمَ تَكْسِرِ الْأَصْنَامُ  
لرأیت دین الله أصحي بینا  
وَالشَّرْكَ يَعْشِي وَجْهَهُ الْإِظْلَامِ

(د) لما دخل رسول الله ﷺ المسجد يوم الفتح وذلك يوم عشرين من رمضان أتى أبو بكر بوالده أبي قحافة يقوده فلما رأاه رسول الله ﷺ قال : « هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه !! » ، قال أبو بكر يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت فأجلسه النبي ﷺ بين يديه ، ثم مسح صدره ثم قال : « أسلم » فأسلم ، وقال لأبى بكر : « غيروا

هذا من شعره وجنبوه السواد » ، وكان شعر ألى قحافة أبيض كأن رأسه ثغامة<sup>(١)</sup> .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نذكرها فيما يلى :

- (١) بيان عاقبة نكث العهود وأنها وخيمة للغاية ، إذ قريش نكثت عهدها فحلت بها الهزيمة وخسرت كيانها الذى كانت تدافع عنه وتحميءه .
- (٢) تحجى النبوة الحمدية في العلم بالمرأة حاملة خطاب ابن ألى بلتعة إذ أخبر عنها وعن المكان الذى انتهت إليه في سيرها وهو روضة خاخ .
- (٣) فضيلة إقالة عثرة الكرام ، وفضل أهل بدر تحجى ذلك في العفو عن حاطب بعد عتابه .
- (٤) مشروعية السفر في رمضان وجواز الفطر والصيام فيه على حد سواء .
- (٥) مشروعية التعمية على العدو حتى ياغت قبل أن يكون قد جمع قواه فنسرع إليه الهزيمة وتقل الضحايا والأموات من الجانبين حقنا للدماء البشرية .
- (٦) بيان الكمال الحمدى في قيادة الجيوش وتحقيق الانتصارات الباهرة .
- (٧) مشروعية إرهاب العدو بإظهار القوة له وفي القرآن : ﴿ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ثُرِّهُونَ بِهِ عَذْوَ اللَّهِ وَعَذْوَكُمْ ﴾ .
- (٨) مشروعية إنزال الناس منازلهم تحلى هذا في إعطاء الرسول عليه السلام أبا سفيان كلمات يقولهن فيكون ذلك فخرًا له واعتزارًا . وهو من دخل دار ألى سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ينادي بها بأعلى صوته .

---

(١) واحدة الش GAM نبات جبلى أشد ما يكون ياخدا إذا أحمل .

(٩) بيان تواضع الرسول ﷺ لربه شكرًا له على آلائه وإنعامه عليه إذ دخل مكة وهو متطامن حتى إن لحيته لم تمس رحل ناقته تواضعًا لله وخشوعًا . فلم يدخل وهو الظافر المتصر دخول الظلمة الجبارين السفاكى الدماء البطاשين بالأبراء والضعفاء .

(١٠) بيان العفو الحمدى الكبير إذ عفا عن قريش العدو الألد ولم يقتل منهم سوى أربعة رجال وامرأتين إذ رفضوا الإسلام .

(١١) بيان الكمال الحمدى في عدله ووفائه تجلى ذلك في رد مفتاح الكعبة لعثمان بن أبي طلحة ولم يعطه من طلبه منه وهو على بن أبي طالب صهره الكريم .

(١٢) مشروعية كسر الأصنام والصور والتماثيل وإبعادها من المساجد بيت الله تعالى .

(١٣) تقرير مبدأ الجوار في الإسلام لقوله ﷺ : « أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت يا أم هانى » .

(١٤) وجوب البيعة على الإسلام وهي الطاعة لله ورسوله وأولى الأمر في المعروف وما يستطيع .

(١٥) آية النبوة تتجلى في علمه ﷺ بما أضمره الرجل من اغتيال الرسول ﷺ وهو يطوف .

(١٦) احترام الرسول ﷺ لأسرة الصديق وتكريمه لها ، والإكبار من شأنها إذ هي الأسرة الوحيدة التي أسلم كافة أفرادها آباء وأمهات وبنين وبنات .

(١٧) مشروعية صبغ الشعر بغير السواد سواء كان شعر لحية أو رأس .

## وثاني عشر أحداثها : غزوة خالد بنى جذيمة

ولما فتح الله تعالى على رسوله مكة بعث رسول الله ﷺ بعض السرايا حول مكة يدعون الناس إلى الإسلام ، ولم يأمرهم بالقتال ، وبعث خالد بن الوليد على رأس سرية داعيا ولم يأمره بالقتال فنزل على الغميساء « ماء من مياه جذمية » وكانت جذمية أصابت في الجاهلية عوف بن عبد عوف أبي عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة عم خالد بن الوليد ، كانوا أقبلوا تاجرين من اليمن فأخذت ما معهما وقتلتهما . فلما نزل خالد بسرية ذلك الماء أخذ بنو جذمية السلاح فقال لهم خالد ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا فوضعوا السلاح فأمرهم خالد فكتفوا ثم عرضوا على السيف فقتل منهم من قتل .

ولما انتهى الخبر إلى النبي ﷺ رفع يديه إلى السماء وقال : « اللهم إني أبدأ إليك مما صنع خالد » ثم أرسل على بن أبي طالب ومعه مال وأمره أن ينظر في أمرهم فودي<sup>(١)</sup> لهم الدماء والأموال حتى إنه ليدي ميلغة<sup>(٢)</sup> الكلاب وبقى معه من المال فضلة ، فقال لهم : هل بقي لكم مال أو دم لم يُود ؟ فقالوا : لا ، فقال إن أعطيكم هذه البقية احتياطاً لرسول الله ﷺ ففعل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال : « أصبت وأحسنت » .

واعتذر خالد بعد أن دار بيته وبين عبد الرحمن بن عوف كلام .. وكان أمر الله قدراً مقدوراً . فقد رأى هذا الحدث رسول الله ﷺ في رؤيا رآها قال : « رأيت كأني لقمت لقمة من حيس فقلذْذَث طعمها ، فاعترض في حلقي منها شيء حين ابتلعتها فأدخل على يده فنزعه » ، فقال أبو بكر الصديق رضي الله

(١) دفع لهم ديات أنفسهم ، وغرم لهم أموالهم .

(٢) إماء من خشب تشرب فيه الكلاب .

عنه يا رسول الله هذه سرية من سراياك تبعها فیأتك منها بعض ما تحب ،  
ويكون في بعضها اعتراض فتبعث علیاً فيسهّله .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نوجزها في الأرقام التالية :

- (١) وجوب مواصلة الدعوة إلى الإسلام بعد الفتح كما هي قبله .
- (٢) بيان خطأ خالد في اجتهاده فيما أقدم عليه ، ولما كان متاؤلاً عفا عنه ولم يؤاخذ .
- (٣) بيان أن رؤيا الأنبياء حق ، ومعرفة الصديق بتأويل الرؤيا .
- (٥) بيان فوز على بقول الرسول ﷺ : « أصبت وأحسنت » .

### حدثان هامان

#### عقيب الفتح

#### الأول : إسلام عباس بن مردارس :

كان لوالد عباس بن مردارس وثنٌ يعبده يسمى ضمار<sup>(١)</sup> . فلما حضره مردارس قال لولده عباس : أى بُنْيَ اعبد ضمار فإنه ينفعك ويضرك . فبينما عباس يوماً عند ضمار إذ سمع من جوف ضمار منادياً يقول :

قل للقبائل من سليم كلها أودى<sup>(٢)</sup> ضمار وعاش أهل المسجد إن الذي ورث النبوة والمهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدى أودى ضمار وكان بعد مرة قبل الكتاب إلى النبي محمد فمزق عباس ضمار ولحق بالنبي محمد ﷺ فأسلم وحسن إسلامه .

(١) ضمار على وزن حدام وقطام مبني على الكسر .

(٢) هلك .

## والثاني هدم خالد للعزى :

وفي الخامس الأواخر من شهر رمضان والنبي ﷺ بمكة بعث خالد ابن الوليد إلى العزى ليهدمها وهي عبارة عن بيت له سَدَنَةٌ ، تعظمه قريش وكتانة ومضر وهو بنخلة : مكان بين مكة والطائف ، ولما سمع سادن العزى بقدوم خالد إليها ليهدمها علق بها سيفه وقال يخاطرها :

أيا عَزْ شدِي شدَّةً لَا شَوْيْ لها

على خالد أَقْى القناع وشُمُرِي

فلما انتهى إليها خالد جعل السادن يقول : أعزَّى بعض غضباتك فخرجت امرأة سوداء حبيشية عريانة مولولة فقتلها خالد وكسر الصنم وهدم البيت الذي كان فيه ، ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره بالذى صنع فقال ﷺ : « تلك العزى لا تبعد أبداً » .

وهدم عمرو بن العاص سواعداً وكان برهاط لهذيل ، فلما كسر عمرو الصنم أسلم سادنه ، وهدم سعد بن زيد الأشهلي مناة بالمشلل .

## وثالث عشر أحداثها :

### غزوة هوازن

وانسلخ شهر رمضان بانتهاء فتح مكة المكرمة ، وما زال الرسول ﷺ بها حتى بلغه أن هوازن لما سمعت بفتح مكة جمعها مالك بن عوف النصري من بني نصر بن معاوية بن بكر ، وكانتا خائفين من أن يغزوهم رسول الله ﷺ بعد فتح مكة . وقالوا : لا مانع له من غزونا ، فمن الرأى أن نغزوه قبل أن يغزونا واجتمع إليه ثقيف يقودها قارب بن الأسود بن مسعود سيد الأحلاف ذو الحمار سُبُّيع بن الحارث ، وأخوه الأحمر بن الحارث سيد بني مالك ولم يحضرها من قيس عيلان إلا نصر وجشم وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال ، ولم يحضرها كعب ولا كلاب وفي جسم دريد بن الصُّمَّة شيخ كيس ذو رأى .

## رأى صائب لم يقبل :

فلما أجمع مالك بن عوف المسير إلى حرب رسول الله ﷺ جمع مع الرجال المقاتلين النساء والأطفال والأموال ، ولما نزلوا أو طاس قال دريد بن الصمة بأى وادٍ أنتم ؟ قالوا بأوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ، ولا سهل دهس مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ويuar الشاء ، وبكاء الصغير ؟ قالوا : ساق مالك مع الناس ذلك ، فقال يا مالك إن هذا اليوم له ما بعده ما حملك على ما صنعت ؟ قال سُقْتُهم مع الناس ليقاتل كل إنسان عن حريمه وما له . فقال دريد : راعى ضائِنَ والله ، هل يرد المهزوم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل سيفه ورحمه ، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك ، ثم قال ، ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا لم يشهدها أحدٌ منهم ، قال غاب الجد والحد ، لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب ، ووددتم لو أنكم فعلتم ما فعلتم ثم قال يا مالك : ارفع من معك إلى عليا بلادهم ، ثم الق الصباء<sup>(١)</sup> على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك .

فقال مالك ، والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كبرت وكبر علمك ، والله لتطيعتنى يا عشر هوازن أو لأنكشن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى ، ولم يقبل رأى دريد . ثم قال مالك أيها الناس إذا رأيتم القوم فاكسرموا جفون سُيوفكم ، وشدوا عليهم شدة رجل واحد .

## عيون ترى الملائكة :

وبعث مالك عيوناً له يأتونه بالخبر فرجعوا إليه ، وقد تفرقوا أو صاحهم وذهبت عقوتهم فقال : ما شأنكم ؟ قالوا رأينا رجالاً يضاً على خيل بلق فوالله

(١) جمع صالح : الملائكة إلى دين غير دين آبائه يريد بذلك المسلمين .

ما تمسكنا أَنْ حَلَّ بِنَا مَا تَرَىٰ ، وَلَمْ يَنْهِهِ ذَلِكُ عَنْ وَجْهِهِ ، وَلَمْ يَنْهِهِ عَنْ عَزْمِهِ  
عَلَى قَتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَالرِّجَالُ الَّذِينَ رَأَيْتُمُ الْعَيْنَ هُم  
الْمَلَائِكَةُ ، إِذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرُوهَا﴾ أَىٰ لَمْ يَرَهَا أَصْحَابُ  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ يَخْضُرُونَ الْمَعرَكَةَ .

### خروج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هَوَازِنَ

وَلَا يَلْغَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ هَوَازِنُ مِنْ حَرْبِهِ وَالتَّصْدِيِّ لَهُ ،  
إِذَا كَانَ قَدْ أُرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَدْرَدِ الْأَسْلَمِيِّ إِلَى هَوَازِنَ لِيُنْظَرَ مَا هُمْ  
عَلَيْهِ ، فَذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ وَدَخَلَ بَيْنَهُمْ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ بِهِ ، وَتَعْرَفُ إِلَى كُلِّ مَا  
قَامُوا بِهِ وَأَجْمَعُوْا عَلَيْهِ وَأَقَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُمْ خَبْرَهُمْ . فَأَجْمَعَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
الْمَسِيرَ إِلَيْهِمْ وَبَلَّغَهُ أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أَمْيَةَ عَنْهُ أَدْرَعَ وَسْلَاحَ ، وَكَانَ لَمْ يَسْلِمْ  
بَعْدَ فَاسْتِعْارِ مِنْهُ مائَةً دَرْعًا بِمَا يَصْلِحُهَا مِنَ السَّلَاحِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى مَكَّةَ عَتَابَ  
ابْنَ أَسِيدٍ وَخَرَجَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، أَلْفَانَ مِنْ مُسْلِمَةِ الْفَتْحِ وَعَشْرَةَ آلَافَ  
مِنَ الْجَيْشِ الْفَاتِحِ ، وَلَا سَارُوا قَالَ قَائِلٌ : لَنْ نَغْلُبَ الْيَوْمَ مِنْ قَلَةٍ . وَفِي هَذَا  
يَقُولُ تَعَالَى : ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذَا أَغْبَجْتُكُمْ كَثُرَ ثُكُّمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ .

### طلب جاهلي مرفوض :

وَأَنْتَاءَ مَسِيرِ الْجَيْشِ إِلَى حَنِينَ مَرَوَا بِشَجَرَةِ مِنَ السَّدْرِ خَضْرَاءَ كَبِيرَةَ ، فَنَادَى  
رَجَالٌ مِنْ مُسْلِمَةِ الْفَتْحِ يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لِلْمُشْرِكِينَ ذَاتَ  
أَنْوَاطٍ وَهِيَ شَجَرَةٌ كَبِيرَةٌ يَزُورُونَهَا كُلَّ سَنَةٍ وَيَقِيمُونَ عَنْهَا يَوْمًا وَلِيلَةً وَيَعْلَقُونَ  
بِهَا أَسْلَحَتِهِمْ تِبْرَكًا وَيَذْبَحُونَ عَنْهَا . فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :  
«الله أَكْبَرُ ، قَلْمَنْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيدهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى» ﴿اجْعَلْ  
لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ﴾ قَالَ إِلَكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿هُ﴾ ثُمَّ قَالَ : «إِنَّهَا السَّنَنُ ،  
لَتَرْكِبُنَّ سَنَنَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» وَرَفَضَ طَلَبَهِمُ الْجَاهِلِيَّةُ ، وَلَمْ يَعْنِهِمْ لَأَنَّهُمْ  
حَدَّيْشُ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ وَسَارُوا حَتَّىٰ اسْتَقْبَلُوا وَادِيَ حَنِينَ فَانْخَدَرُوا فِيهِ وَهُوَ وَادٍ

أجوف<sup>(١)</sup> خطوط<sup>(٢)</sup> انحداراً وهم في عمایة<sup>(٣)</sup> الصبح ، وكان المشركون قد سبقوهم إلى الوادي فكمروا لهم في شعابه وأحنائه<sup>(٤)</sup> ومضائقه ، وقد أجمعوا وتهيأوا وأعدوا فما رأى المسلمين إلا الكتائب قد شدّوا عليهم شدة رجل واحد وانشمر<sup>(٥)</sup> الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد ، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليدين ، ثم قال : « أَيُّهَا النَّاسُ هَلْمَوْا إِلَيْنِي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » قالها ثلاثة ، ثم احتملت الإبل بعضها على بعض في معركة عجيبة إلا أنه قد بقى مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته منهم أبو بكر وعمر وعلى والعباس وابنه الفضل ، وأبو سفيان بن الحارث ، وربيعة ابن الحارث ، وأيمان بن أم أيمن ، وأسامي بن زيد .

وكان في مقدمة هوانن رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رايته على رمحه لمن وراءه فاتبعوه فتصدى له على بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله وأراح الناس منه .

### شماتة ذوى الضغائن :

ولما رأى مرضى النفوس من مازالت عداوة الإسلام كامنة في نفوسهم من أسلم من أيام قلائل لما رأوا هزيمة المسلمين لم يتمالكوا حتى قالوا المهر ، فقال أبو سفيان بن حرب لن تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزلام معه في كناته وصرخ جبلة بن العتبيل قائلاً : ألا بطل السحر ، فقال له صفوان بن أمية وهو مشرك بعد ، إذ مازال في المدة التي أعطاه الرسول إليها ينظر في أمر

(١) متسع .

(٢) منحدر .

(٣) ظلامه قبل أن يتبيّن .

(٤) جوانبه .

(٥) انقضوا وأنهزموا .

نفسه إما أن يسلم أو يهاجر أو يعدم ، قال لأخيه جبلة اسكت فض الله فاك  
فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن ،  
وقال شيبة بن عثمان اليوم أدرك ثارى من محمد ، وكان أبوه قد قتل بأحد  
بشركاً ، وفعل أراد أن يقتل رسول الله ﷺ فلما أقبل عليه تغشى فؤاده  
شيء فلم يقدر على ما عزم عليه .

**ودارت المعركة :** وكان العباس مع النبي ﷺ آخذاً بمحكمة بغلته الدليل  
وهو عليها ، وكان العباس جسماً شديداً الصوت فقال له النبي ﷺ : « يا  
عباس اصرخ يا معاشر الأنصار ، يا أصحاب الشجرة » ففعل فأجا به : لبيك  
لبيك حتى إن الرجل يريد أن يثنى بعيده فلا يقدر فيأخذ سلاحه ثم ينزل  
عنه ، ويؤمّن<sup>(١)</sup> الصوت فاجتمع على رسول الله ﷺ مائة رجل فاستقبل بهم  
ال القوم وقاتلهم وهو يقول :

« أنا النبي لا كذب      أنا ابن عبد المطلب »

« الآن حمى<sup>(٢)</sup> الوطيس واقتيل الناس قتلاً شديداً » وقال ﷺ لبغلته  
الدليل « ألبدى دلدل » فوضعت بطنها على الأرض وأخذ حفنة من تراب  
فرمى بها في وجوه المشركين فكانت المزية ، فما رجع الناس من فروا بعيداً  
إلا والأسرى في الجبال عند رسول الله ﷺ ، وأنشدت امرأة مسلمة قائلةً :  
غلبت خيل الله خيل اللات      وخيله أحق بالثبات  
ولما انهزمت هوازن قتل من ثقيف وبني مالك سبعون رجلاً . فأما  
الأحلاف من ثقيف فلم يقتل منهم غير رجلين : لأنهم أسرعوا الهرب فنجوا  
وقصد بعض المشركين الطائف ومعهم مالك رئيس حربهم واتبعتهم خيل رسول  
الله ﷺ فقتلت بعضهم ، وكان بعض المشركين بأوطاس فأرسل إليهم رسول

(١) أي يستقبله .

(٢) هذه الجملة أول من قالها رسول الله ﷺ .

الله عليه السلام أبا عامر الأشعري في رجال ، أرسلاهم إلى المنزهين المتوجهين إلى أو طاس فناوشوه بالقتال ، فرمى أبو عامر سهم فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري وهو ابن عمّه فقاتلهم حتى فتح الله على يديه فهزهم ، وظفر المسلمين بالغنائم والسبايا فساقوا في السبي الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى فقالت لهم والله إن لاخت صاحبكم من الرضاعة فلم يصدقوها حتى أتوا بها النبي عليه السلام فقالت له إن اختك قال : « وما علامة ذلك ؟ » قالت عضة عضضتها في ظهرى وأنا متوركتك فعرفها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه وخبرها فقال : « إن أحببت فعندى مكرمة محيبة وإن أحببت أن أمعنك وترجعى إلى قومك » قالت بل تتعنى وترددنى إلى قومي ففعل عليه السلام ، وأمر عليه السلام بالسبايا والأموال فجمعت إلى الجعرانة<sup>(١)</sup> ، وجعل عليها بديل بن ورقاء الخزاعى ، واستشهد بعينين أئمّة بن عبيدة وزيد بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب وغيرهما .

### أباء ذات خطر متفرقة :

وحدثت خلال غزوه هوازن أمور ذات بال إلا أنها متفرقة نذكرها هنا إجمالاً للفائدة وهي :

(١) أمر أم سليم وهو أن النبي عليه السلام التفت فرأى أم سليم بنت ملحان ، وكانت مع زوجها أبي طلحة وهي حازمة وسطها يبردما ، وإنها لحامل بعد الله بن أبي طلحة ، ومعها جمل أبي طلحة وقد خشيت أن يعزها أبي يعلبها الجمل فأدانت رأسه منها فأدخلت يدها في خزامتها مع الخطام فقال لها رسول الله عليه السلام « أم سليم ؟ » قالت : نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهن لذلك أهل . فقال رسول الله عليه السلام « أويكفي الله يا أم سليم » . وكان معها خنجر ، فقال لها أبو طلحة

(١) حلقة من شعر تحمل في أنف البعير .

ما هذا الحجر معك يا أم سليم ؟ قالت حجر أخذته إن دنا مني أحد من المشركين بعجتة<sup>(١)</sup> به ، قال أبو طلحة ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرّميمصاء ؟

### (ب) أمر أبي قادة عجب :

إنه قالرأيت يوم حنين رجلين يقتتلان مسلماً وكافراً ، وإذا رجل مشرك يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم . فأتيته فضربت يده فقطعتها واعتنقني يده الأخرى فوالله ما أرسلني حتى وجدت الدم فكاد يقتلني لولا أن الدم نزفه فسقط فضربته وأجهضني عنه القتال أى شغلنى عنه فلم أسلبه ومر به رجل من أهل مكة فسلبه فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم قال رسول الله ﷺ : « من قتل قيلاً فله سلبه » فقلت يا رسول الله والله لقد قتلت قيلاً ذا سلب فأجهضني عنه القتال فما أدرى من استلبه ؟ فقال رجل من أهل مكة صدق يا رسول الله ، وسلب ذلك القتيل عندي فأرضه<sup>(٢)</sup> عنى من سلبه ، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لا ، والله لا يرضيه منه تعمد إلىأسد منأسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلبه ، اردد عليه سلب قتيله . فقال رسول الله ﷺ : « صدق اردد عليه » . فقال أبو قادة فأخذته منه فبعثه فاشترى بثمنه مخرفاً<sup>(٣)</sup> فإنه لأول مال اعتقدته<sup>(٤)</sup> .

### (ج) وامر دريد بن الصمة أ عجب :

وذلك أن ربيع بن رفيع أدرك دريد بن الصمة وهو على راحلته فأخذ بخطام الراحلة يقودها يظن أن عليها امرأة فأناخ الراحلة فإذا بالراكب رجل كبير

(١) شقت بطنه .

(٢) بأن يعطيه بعضًا ويقى بعضًا .

(٣) المحرف عدد من التحيل لا يتجاوز العشرة .

(٤) أى ملكه بعقد شرعى .

السن أعمى ، والربيع بن رفيع لا يعرفه فسأله ؟ من أنت ؟ فقال دريد وماذا تريدى مني ؟ قال : أقتلك ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيع بن رفيع الشلمي ، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً ، فقال له يغى ما سلحتك به أملك ، خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل ثم اضرب به ، وارفع عن العظام ، واحفظ عن الدماغ فإني كنت كذلك أضرب الرجال ثم إذا أتيت أملك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصّمّة فُرُبَّ والله يوم قد منعت فيه نساءك ، فلما رجع وأخبر أمّه بقتله إِيَاه قالت أما والله لقد أعتق أمها لك ثلاثة .

#### نتائج وعبر :

إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا هي كالتالي :

- (١) تقرير مبدأ حكيم وهو أن الرأى الصائب السديد من ذى الخبرة والتجربة يقدم على الشجاعة مهما كانت ، وحتى عن القوة مهما عظمت .
- (٢) آية النبوة الحمدية تتجلّى فيما شاهده عيون المشركين من الملائكة عليهم السلام .
- (٣) مشروعية استعمال العيون « الجوايس » في الحروب لمعرفة قوة العدو ، وما عزم عليه .
- (٤) حرمة الإعجاب بالنفس أو العمل أو القوة إذ ترتب على ذلك هزيمة المؤمنين في أول لقائهم لعدوهم .
- (٥) وجوب الحذر من التبرك غير الشرعي فإنه يؤدى إلى الشرك بالله تعالى .
- (٦) بيان الفرق بين من رسم الإيمان في قلبه ، وبين من لم يرسم ، فإن الأخير سرعان ما يظهر جهله وظلمه .
- (٧) مشروعية إكرام الإخوة من الرضاعة .
- (٨) بيان فضل أم سليم امرأة ألى طلحة لواقفها المشرفه .

(٩) بيان حصافة رأى دريد بن الصمة وشجاعته الفذة وهو على جاهليته ،  
فكيف لو آمن وأسلم !!

ورابع عشر أحداثها :

### حصار الطائف

إنه بعد الفتح ، والنصر على هوازن وثقيف بخنين<sup>(١)</sup> وأوطاس ، وقد لاذت ثقيف ومن معها بالطائف حيث تحصنوا به وجمعوا فيه ما يحتاجون إليه إن طال الحصار بهم تبعهم رسول الله ﷺ وأصحابه فحاصرتهم بمدينة الطائف الحصينة واستعمل في ذلك الحصار دبابة ومنجيقاً بإشارة سلمان الفارسي ، ومع هذا فلم يتيسر فتح الطائف ، لأن المشركين استعملوا سلوك الحديد الخمامه وضربوا بها الدبابة فخرج منها رجالها وتعرضوا لنبل المشركين الذي صبوه عليهم من الحصون كالمطر قتل من المسلمين رجال ، وأمر النبي ﷺ بقطع أعتابهم لعلهم يفكرون الحصار فلم يجد ذلك فيهم .

وأثناء الحصار نزل بعض الرقيق من الحصون فأعتقدهم النبي ﷺ منهم أبو بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة ، وكثيراً بأبي بكرة لنزوله من الحصن بيكرة وطالت مدة الحصار فاستشار النبي ﷺ بعض رجاله من ذوى الرأى فقال نوافل بن معاوية الدؤلى يا رسول الله هم كثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك ، فأذن بالرحيل بعدما أقام بضعاً وعشرين يوماً .

ولما كان ﷺ سائراً إلى الطائف وانتهى إلى نجرة الرُّغاء أمر بقتل رجل من بني ليث قصاصاً لأنه قتل رجلاً من هذيل فكان أول دم أقىده به في الإسلام ولما رجع الناس قال رجل من المسلمين يا رسول الله ادع على ثقيف فقال : « اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم ». 

---

(١) واد وكذا أوطاس واد أيضاً .

واستشهد من المسلمين بالطائف اثنا عشر رجلاً سبعة من قريش وخمسة من الأنصار من بينهم عبد الله بن أبي بكر الصديق ، مات بالمدينة متأثراً بجراحاته وذلك بعد وفاة النبي ﷺ .

### أحداث يحسن ذكرها :

وتحلل حصار الطائف أحداث نجمل ذكرها فيما يلى :

(١) أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وهو حاصر الطائف : « إني رأيت أئمَّةً أهديتُ لى قبة ملوءة زبداً فنقرها ديك فهراق ما فيها » فقال أبو بكر ما أظن أئمَّةً تدرك منهم يومك هذا ما تريد ، فقال رسول الله ﷺ : « وأنا لا أرى ذلك » .

(٢) لما أسلمت الطائف طالب أهل العبيد الذين نزلوا من الحصن على رسول الله ﷺ أيام الحصار فأعتقهم طالبوا بردهم إلى سيادتهم أئمَّةً ذلك رسول الله ﷺ وقال « أولئك عتقاء الله » .

(٣) لما حاصر النبي ﷺ ثقيفاً ضربت له قيتان إحداهم لروجه أم سلمة رضي الله عنها والثانية للأخرى ، وكان ﷺ يصلى بين القبتين ، فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلى رسول الله ﷺ عمرو بن أمية بن وهب مسجداً ولعله هو مسجد ابن عباس اليوم .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نجملها في الآتي :

(١) بيان مدى ما كان عليه رسول الله ﷺ من الحزم والعزم في إنفاذ أمر الله تعالى .

(٢) مشروعية استشارة ذوى الرأى ، وعدم الاستبداد بالرأى مع وجود ذوى الرأى السديد .

(٣) مشروعية استعمال أحدث الأسلحة وأجداها في الحرب لاحقاق الحق وإبطال الباطل . بأن لا تكون فتنة ويعبد الله وحده لا شريك له .

(٤) مشروعية إقامة الحدود في غير دار الإسلام إذا كان هناك أمن وعدم خوف .

(٥) استجابة دعوة الرسول ﷺ وهي آية من آيات نبوته ، إذ هدى الله تقيناً وأتى بهم .

(٦) مشروعية قص الرؤيا على العبد الصالح ، ومشروعية تأويلها .

(٧) بيان فضيلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وبيان مدى ما كان يلقى من الرسول ﷺ من التقدير والاحترام .

وخامس عشر أحداثها :

### قسمة غنائم حنين

ولما رحل ﷺ من الطائف أتى الجعرانة حيث إن المال والسببي محبوسان بها ، وقبل الشروع في قسمة الغنائم جاء وفد هوازن يعلن إسلامه ، ويطلب سبيه وأمواله فقالوا يا رسول الله إنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك فامنن علينا من الله عليك ، وقام زهير المكتنى بأبي صرد<sup>(١)</sup> فقال يا رسول الله إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاقي كن يكفلنك ، ولو أنا ملحنًا أى أرضعننا للحارث بن أبي شمر ، أو للنعمان بن المنذر ، ثم نزل منا مثل الذي نزلت به رجونا عطفه وعائدهه علينا وأنت خير المكفولين وأنشد يقول :

امن رسول الله في كرم فإنك المرء نرجوه وندخر  
امن على نسوة قد عاقها قدر ممزق شملها في ذهرها غير

(١) من بنى سعد بن بكر الذين أرضعوا رسول الله ﷺ .

وعندئذ خَيَرُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فَانحَتَارُوا نِسَاءِهِمْ وَأَبْنَاءِهِمْ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَا مَا كَانَ لِي وَلِبْنِي عَبْدُ الْمَطْلَبِ فَهُوَ لَكُمْ » ثُمَّ قَالَ : « فَإِذَا صَلَّيْتُ بِالنَّاسِ فَقُولُوكُمْ : إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا فَسَأُعْطِيكُمْ وَأَسْأَلُكُمْ » .

فَلَمَّا صَلَّى الظَّهَرُ بِالنَّاسِ فَعَلُوكُمْ مَا أَمْرَهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا كَانَ لِي وَلِبْنِي عَبْدُ الْمَطْلَبِ فَهُوَ لَكُمْ » ، وَقَالَ الْمَهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ .

وَقَالَ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ مَا كَانَ لِي وَلِبْنِي تَمِيمٍ فَلَا ، وَقَالَ عَيْنَةُ بْنُ حَصْنٍ مَا كَانَ لِي وَلِفَزَارَةٍ فَلَا ، وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ مَا كَانَ لِي وَلِسَلِيمٍ فَلَا ، فَقَالَ بَنُو سَلِيمٍ مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ عَبَّاسٌ وَهَتَمْمُونٌ !!

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ قَمْسَكَ بِحَقِّهِ مِنَ السَّبِيْلِ فَلَهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سَتْ فَرَائِضٍ مِنْ أَوْلَى فِي نَصِيْبِهِ . فَرَدُوكُمْ بِالنَّاسِ أَبْنَاءِهِمْ وَنِسَاءِهِمْ » .

### وَغَابَ مَالِكٌ :

وَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ قَائِدِ الْخَاسِرَةِ فَقَيْلَ إِنَّهُ بِالْطَّائِفِ فَقَالَ « أَخْبِرُوهُ أَنَّهُ إِذَا أَتَانِي مُسْلِمًا رَدَدْتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ » فَأَخْبِرُوهُ فَجَاءَ سِرِّاً فَأَسْلَمَ وَحْسِنَ إِسْلَامَهُ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، وَمَائَةَ بَعِيرٍ وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى قَوْمِهِ ، وَعَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ تَلْكَ الْقَبَائِلِ ، وَكَانَ لَهُ عَمَلٌ مُشْكُورٌ حِيثُ ضَيَّقَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِالْإِغْرَافِ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَسْلَمُوهُ ، وَقَالَ شَعْرًا يَمْدُحُ فِيهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا نَصْهُ :

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمُثْلِهِ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بِمُثْلِهِ مُحَمَّدٌ أَوْفِي وَأَغْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا اجْتَدَى وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرُكَ عَمَّا فِي غَدِ

وإذا الكتبة عرّدت أنيابها  
بالسمّهِيّ<sup>(١)</sup> وضرب كلّ مهند  
وسط الهباء<sup>(٢)</sup> خادر<sup>(٣)</sup> في مُرصد  
فكانه ليث على أشباله  
مطالبة النبي الكريم :

ولما رد النبي عليه السبابا ركب على بعيره فاتبعه الناس يقولون يا رسول الله أقسم علينا الفيء حتى اضطروه إلى شجرة من شدة الزحام عليه فلخص رداوه بأغصان شجرة ، فقال : « رذوا على ردائِي أيها الناس فوالله لو كان لي عدد شجر تهامة نعم لقسمته عليكم ، ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا » ثم رفع وبرة من سمام بعير وقال : « ليس لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس وهو مردود عليكم » .

ثم أعطى المؤلفة قلوبهم وهم أشراف الناس يتألفهم على الإسلام ، فأعطى أبا سفيان بن حرب ومعاوية ابنه ، وأعطى حكيم بن حرام ، والعلاء بن حارثة التقى ، والحارث بن هشام وصفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو وحويطب ابن عبد العزى ، وعيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، ومالك بن عوف النصرى أعطى كل واحد منهم مائة بعير ، وأعطى دون المائة رجالا آخرين ، وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها فزاده حتى رضى .

### من لا يعطي خيراً من يعطي :

ولما شاهد العطاء رجل فقال يا رسول الله أعطيت عينية والأقرع وتركت جعيل بن سراقة فقال رسول الله عليه السلام : « والذى نفسي بيده جعيل خير من طلائع<sup>(٤)</sup> الأرض رجالاً كلهم مثل عينية والأقرع ولكن أتألفهم ، ووكلت

(١) الرُّحْ .

(٢) الغبار .

(٣) الخادر الأسد في عرينه .

(٤) طلائع الأرض ما يملؤها حتى يطلع فوقها ويزيد .

جعيلاء إلى إسلامه» .

### موجدة الأنصار :

ولما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من أموال لقبائل قريش وهوازن وتميم ، ولم يُعطِ الأنصار شيئاً وجدوا في أنفسهم حتى قال قائل منهم ، لقَيَ رسول الله قومه !! وأخبر سعد بن عبادة رسول الله ﷺ بذلك فقال له : « فأين أنت يا سعد » قال : أنا من قومي ، قال « فاجمع قومك لي » فجمعهم فأتاهم رسول الله ﷺ فقال : « ما حديث بلغنى عنكم ؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله بي ؟ وفقراء فأغناكم الله بي ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم بي ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، والله ولرسوله المن والفضل فقال : « ألا تجيئوني ؟ » قالوا : بماذا نجيئك ؟ فقال : « والله لو شئتم لقلتم فصدقتم : أتيتكم مُكذّباً فصدقناك ، وخدولاً فصرناك ، وطريداً فآوبناك وعائلاً فواسيتناك . أوجدتم يا معاشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة<sup>(١)</sup> من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ، والذى نفسى بيده لولا الهجرة لكتت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس شيئاً وسلكت الأنصار شيئاً سلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » فبكى القوم حتى أخضلوا<sup>(٢)</sup> لحامهم بالدموع ، وقالوا رضينا برسول الله قسماً وحظاً وتفرقوا فعادوا إلى رحامهم .

### واعتبر الحبيب ﷺ :

وكان شهر القعدة قد دخل فأحرم رسول الله ﷺ والمسلمون معه من الجعرانة وأمر بيقايا الفيء فسبقت إلى مجنة فحبست بها وهي بناحية مَرْ الظهران

(١) بقلة خضراء ناعمة شبة بها زهرة الدنيا ونعمها بجامع النظر وسرعة الزوال .

(٢) أخضلوا لحامهم أي بلوها من الدموع .

ودخل مكة مليّاً بعمره فطاف وسعي وخلق وتحل واستخلف على مكة عتاب ابن أسيد وجعل له راتباً هو درهم كل يوم ، وخلف معه معاذ بن جبل يعلم الناس الدين ويفقههم فيه ، وخطب عتاب الناس في مكة فقال أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقني رسول الله ﷺ درهماً كل يوم فليست بي حاجة إلى أحد . وعاد الحبيب بأصحابه من المهاجرين والأنصار إلى المدينة فوصلها لست ليال بقين من القعدة .

وبقي أهل الطائف على شركهم إلى شهر رمضان من سنة تسع من هجرة الحبيب ﷺ .

#### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا هي الآتية :

- (١) لحسن القول وطيب الكلام أثر في نفس من قيل فيه كسنة عامة قلما تتخلّف .
- (٢) تقرير مبدأ من طالب بمحكمة فليكن البادى بها فإنه يعطهاها .
- (٣) بيان جفاء وغلظة بعض الأعراب بعدهم عن الحضارة فلم يتربّضوا .
- (٤) بيان الكمال الحمدي في خلقه ومرءته فهى بذلك مضرب المثل وفي القرآن الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ تَحْلِيقٍ عَظِيمٍ﴾ من سورة (القلم) .
- (٥) مظاهر الكمال الحمدي في حسن السياسة والتدبير الأمر الذي لا يجارى فيه قط .
- (٦) فضل جعيل رضى الله عنه وأرضاه وهنئاً له بما أولاه الله وشرفه به رسول الله .
- (٧) فضيلة الأنصار ، وبيان ماحباهم الله به من حب الحبيب ﷺ ، ودعائه لهم ولأبنائهم وأبناء أبنائهم وهم أهل القرون الثلاثة المفضلة أى الصحابة والتابعون وتابعو التابعين ، وتابعوهم إلى ثلاثة قرون .
- (٨) مشروعية الاعتصار في الشهر الحرام ، وبيان أن الجعرانة ليست من الحرم .

- (٩) مشروعة كفالة رزق العامل للدولة .
- (١٠) مشروعة تولية الولاة وتعيين المعلمين والمفهدين للناس في دينهم .

### أهم أحداث سنة ثمان من هجرة الحبيب ﷺ

من أبرز الأحداث التاريخية في سنة ثمان غير السرايا والغزوات ما يلي إزاء النقاط السوداء :

- تزوج الرسول ﷺ بفاطمة بنت الصحاح الكلابية واستعاذه من الرسول ﷺ ففارقها فوراً .
- ولد إبراهيم ابن النبي ﷺ من جاريته مارية القبطية ، ودفع إلى أم بردة بنت الأنصارية فكانت مرضعته عليه السلام .
- بعث الرسول ذات أطلاح من الشام إلى نفر من قضاة يدعوهם إلى الإسلام ، ومعه خمسة عشر رجلاً فدعاهم إلى الإسلام فلم يحيوه ، وقتلوا المسلمين إلا أميرهم كعباً فإنه نجا وعاد إلى المدينة .
- بعث النبي ﷺ عبيدة بن حصن إلى بني العبر من تميم فأغار عليهم وسبا منهم نساءً وكان على عائشة رضي الله عنها عنق رقبة من ولد إسماعيل نذرتها نذراً فقال لها رسول الله ﷺ : « هذا سبُّ بني العبر يقدم علينا فنعطيك إنساناً تعْتَقِينه » فجاءت وأعطتها فأعتقته ، ودل هذا على أن بني تميم من ولد إسماعيل .
- بعث الرسول ﷺ جرير بن عبد الله البجلي في مائة وخمسين رجلاً إلى ذى الخلصة وهى بيت لشум ، وبجبلة فيها نصبٌ يعبد يقال له : الكعبة اليهانية ، فأتاها فحرقها بالنار وكسرها ، ولما بلغ الخبر النبي ﷺ بارك على خيل أحمس ورجالها خمس مرات .

## ودخلت السنة التاسعة من هجرة الحبيب عليه السلام

وكان أول أحداثها :

### إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمي

إن كعب بن زهير كان شاعرًا كأبيه زهير بن أبي سلمي صاحب المعلقة وكان كعب قد هجا النبي عليه السلام فكتب إليه أخيه بحير وقد أسلم وحسن إسلامه كتب إليه يخبره بأن النبي عليه السلام قد أمر بقتل كل من هجوه وأذوه من الشعراء ، إلا أنه من جاء مسلماً تاباً يغفو عنه ويسامحه ، وعليه فأنصح لك أن تأتي النبي عليه السلام بالمدينة وتسلم فتنجو ، وإنما فانبع من نفسك حيث تجد مكاناً للنجاة ، وأن من بقي من الشعراء في قريش ابن الزبرى ، وهيبة ابن أبي وهب ، وقد هربوا في كل وجه ، لكن كعباً لم يأخذ بنصيحة أخيه وقال :

فهل لك فيما قلت وبمحك هل لك  
على أي شيء غير ذلك دللك  
عليه ولم تدرك عليه أحداً لكا  
ولا قائل إما عثرت : لعنة لك  
فأنهلك المؤمنون منها وعلّك  
ألا أبلغ عن بحير رساله  
فيين لنا إن كنت لست بفاعل  
على خُلُقٍ لم ثُلُفْ أَمَا ولا أبا  
فإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعُلْ فَلَسْتَ بَآسْفٍ  
سقاك بها المؤمنون كأساً رؤية

ولما بلغ ببحير ما قاله كعب أخبر به رسول الله عليه السلام فغضب عليه وأهدى ذمه فكتب بذلك بحير إلى كعب ، وقال إذا أتاك كهانى هذا فأسلم وأقبل على رسول الله عليه السلام فإنه لا يأخذ مع الإسلام بما كان قبله ، فأسلم كعب وجاء حتى أتاه راحله بباب المسجد ورسول الله عليه السلام مع أصحابه قال كعب فعرفه بالصفة فخطب الناس إليه فأسلمت وقلت : الأمان يا رسول الله هذا مقام العائد بك قال : « من أنت؟ » فقلت : كعب بن زهير قال : « الذي يقول »

ثم التفت إلى أبي بكر فقال : « كيف قال » : فأنسد أبو بكر الآيات التي  
أوها :

ألا أبلغوا عنى بجيرا رسالة

فقال كعب ما هكذا قلت يا رسول الله ، إنما قلت :

سقاك أبو بكر بكأس روية  
فأنهلك المؤمنون منها وعلّكـا

فقال رسول الله ﷺ : « مأمون والله » ، فتجهمته الأنصار وأغلظت له  
القول ولانت له قريش وأحببت إسلامه ، فأنسد رسول الله ﷺ قصيده التي  
أوها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول<sup>(١)</sup> متيّم إثرها لم يُفَد مكبول<sup>(٢)</sup>  
فلما انتهى إلى قوله :

وقال كل خليل كنت آمله  
نبيت أن رسول الله أوعدني  
في فتية من قريش قال قائلهم  
زالوا مازالوا نكس<sup>(٣)</sup> ولا كشف<sup>(٤)</sup>  
لا يقع الطعن إلا في نحورهم  
والمالم عن حياض الموت تهليل<sup>(٥)</sup>

(١) متبول : أسلمه الحب .

(٢) مكبول : مقيد .

(٣) جمع نكس : الرجل الضعيف .

(٤) جمع أكشف : الذي لا ترس له .

(٥) جمع أميل الذي لا سيف له .

(٦) تهليل يعني تأخر .

ونظر رسول الله ﷺ إلى قريش فأوْمَأَ إِلَيْهِمْ أَنْ اسْمَعُوا حَتَّىٰ قَالَ :  
 يَمْشُونَ مَشَى الْجَمَالِ الزَّهْرِ<sup>(١)</sup> يَعْصِمُهُ ضَرَبَ إِذَا عَرَدَ السُّودُ التَّنَابِيلِ<sup>(٢)</sup>  
 يَعْرُضُ بِالْأَنْصَارِ لِغَلَظَتِهِمُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَأَنْكَرَتْ قَرِيشُ قَوْلَهُ ، وَقَالُوا  
 لَمْ تَمْدُحْنَا إِذَا هَجَوْتُمُ ، وَلَمْ يَقْبِلُوا ذَلِكَ مِنْهُمُ ، وَعَظِيمُ الْأَنْصَارِ هَجَوْهُ  
 فَشَكُوكُهُ فَقَالَ يَمْدُحُهُمْ :

مِنْ سَرِّهِ كَرْمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزِلُّ فِي مَنْقَبٍ<sup>(٣)</sup> مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ  
 الْبَادِلِينَ نَفْوَهُمْ وَدَمَاءَهُمْ يَوْمَ الْهِيَاجِ وَسُطُوهَةَ الْجَبَارِ  
 يَتَطَهَّرُونَ كَأَنَّهُ نَسْكٌ لَهُمْ بَدِمَاءِ مَنْ قُتِلُوا مِنَ الْكُفَّارِ  
 فِي آيَاتِ كَثِيرَةٍ وَعِنْدَهَا كَسَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بِرْدَةً كَانَتْ عَلَيْهِ .

وَلَمَّا كَانَ زَمْنٌ مَعَاوِيَةً بَعَثَ إِلَيْهِ يَطْلَبُ شَرَاءَهَا مِنْهُ فَأَبَىٰ ، وَقَالَ مَا كُنْتَ  
 لِأَوْثَرِ بَثُوبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا ، فَلَمَّا مَاتَ كَعْبَ اشْتَرَاهَا مَعَاوِيَةُ مِنْ أُولَادِهِ  
 بِعِشْرِينَ أَلْفِ دَرْهَمٍ ، وَبَقِيتِ تِلْكَ الْبَرْدَةُ زَمِنًا طَوِيلًا يَتَوَارَثُهَا الْخَلْفَاءُ وَلَعْلَهَا  
 الْآنَ فِي مَتْحُفِ الْآثارِ بِتَرْكِيَا .

#### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نجملها كالتالي :

- (١) حب المدح وكراهيَةِ الذم فطريّي في الإنسان ، فهو كما قيل :  
 يهوى الشَّاءُ مِبْرَزٌ وَمَقْصُرٌ حب الشَّاءُ طبيعةُ الإنسان
- (٢) ذكاء كعب يتجلّى في إسلامه وإيتائه النبي ﷺ ومعرفته بالصفة بدون

(١) الزهر : البيض .

(٢) جمع تنبيل وهو القصير . وعَرَدْ يعني فَرْ وَهَرْب .

(٣) جماعة الخيل .

سؤال عنه ، وفي سرعة بداعته حيث يمدح ويعرض وينصب ويرضى في الجلسة الواحدة .

(٣) مشروعية مدح الرسول ﷺ وفضيلته إذا خلا من الغلوّ الحرم الذي نهى عنه ﷺ .

(٤) بيان تنافس الصحابة ومن بعدهم في الآثار الحمدية ، وحق لهم ذلك حتى إن البردة اشتريت بعشرين ألف درهم .

(٥) تحلى الكرم الحمدى في عفوه عن كعب وكسوته . بردته بعد إهداره دمه .

وثاني أحداثها :

### غزوة تبوك

غزوة تبوك<sup>(١)</sup> تعتبر من أعظم مغازي الحبيب ﷺ وذلك لصعوبة الظرف الذي وقعت فيه ، إذ هو ظرف جدب وجماعة وشدة حرّ ، وبعد مكان وشقة ، وكثرة عدو وقوة ، ولم يكن هناك نفير عام في غزوة غير هذه ، ولم يكن الرسول القائد الأعظم ﷺ ليحدد اتجاهه في غزوة من الغزوات إلا في هذه .

كل هذا أو غيره جعل غزوة تبوك من أعظم الغزوات ، ويدل على ذلك ويشهد له الآيات العديدة من سورة التوبه كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلِمُ إِلَى الْأَرْضِ﴾ في آيات عديدة ، وآخر تلك الآيات قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَحَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ الآيات . وسمى جيشها بجيش العسرة إذ بلغت العسرة يومها أشدّها .

---

(١) تبوك اسم عين يقال لها تبوك .

## أسباب هذه الغزوة :

إن السبب الرئيسي في هذه الغزوة الصعبة أن النبي ﷺ بلغه أن هرقل ملك الروم ، ومن معه من العرب المتصرّة من قبائل لخم وجذام قد أجمعوا المسير إلى الحجاز لحرب محمد ﷺ والمسلمين مبادرة منهم له حتى لا يكون هو الذي يغزوهم بعد أن ذاقوا مرارة غزوة مؤتة التي جلبوا لها مائتي ألف مقاتل ، ولم يتمكنوا من إبادة ثلاثة آلاف مقاتل لا غير ، بل ولا حتى هزيمتهم والحمد لله .

## التبعة العامة :

وأعلن الحبيب ﷺ لأول مرة عن قصده فلم يورّ ولم يعمّ كما كان قبل يورى ويعمى على العدو ، بل أمر الناس بالجهاز ، وأعلمهم أنه يريد غزو الروم وأعلن التبعة العامة . وتجهز أقوام وتباطاً آخرون ، فأنزل الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ آفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَلَقْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ \* إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَدِلُّ فَوْمًا غَيْرُكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿آفِرُوا حِفَاً وَثَقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .

## جمع المال لخوض المعركة :

ولما كان المال ضروريًا للتجهيز الكامل من رجال وسلاح وكراع أمر الحبيب القائد الأعظم ﷺ بجمع الأموال ، وتسابق الصالحون في هذا الميدان فأنفق أبو بكر الصديق كل ما يملك ، وأنفق عمر بن الخطاب نصف ما يملك ، وأنفق عثمان نفقة قال فيها رسول الله ﷺ : « اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض » إنه جهز جيش العسرة وحده أو كاد إذ أنفق ألف دينار وألف بعير . وحمل رجال من أهل اليسار والغنى واحتسبوا أجراهم على الله تعالى .

### اعتذار كاذب :

ووجه النبي ﷺ الدعوة رسميًا إلى الجد بن قيس لضلوعه في النفاق فقال : « ياجد هل لك في جlad بنى الأصفر ؟ ». فقال : يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي أنه مامن رجل أشد عجبًا بالنساء مني ، وإن أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر . فأعرض عنه النبي ﷺ وقال : « قد أذنت لك » وفيه نزل قوله تعالى من سورة التوبة : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ آتَنَا لِيٰ وَلَا يَقْسِطُ إِلَّا فِي الْفِسْتِهِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ فقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ تلويع بكفرهم ، وذلك لرغبتهم بأنفسهم عن نفس رسول الله ﷺ .

### اعتذار مردود :

وجاء نفر من غفار وهم أعراب في الباية حول المدينة يعتذرون عن التخلف فلم يغفر لهم رسول الله ﷺ ولم يأذن لهم في التخلف . وقد كبار المافقين عن الاعتذار ، وعن الخروج مع رسول الله ﷺ والمؤمنين ، وفي هؤلاء وأولئك نزل قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَغْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيِّصِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

### تختلف من غير شك :

وقد تختلف أناس عن الخروج إلى تبوك لا رغبة بأنفسهم عن نفس رسول الله ﷺ ولكن غلبتهم نفوسهم لصعوبة الظرف لا سيما وقد آن أوان الرطب وظلال الأشجار في آخر الصيف . فاعتذروا بعد عودة الرسول ﷺ ، وقبل عذرهم وتاب الله عليهم . وأرجأ توبه ثلاثة منهم امتحانًا لهم ، لأنهم من كبار الصحابة وخيرتهم وهم كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، حتى ذاقوا مراة المقاطعة التي أعلنتها رسول الله ﷺ ، فمحضوا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجاً من

الله إلا إلَيْهِ ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِتَوَبُّوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ .

### البَكَاءُونَ :

إِنَّمَا سَبْعَةَ رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ الصَادِقِ وَالْإِسْلَامِ الْحَسَنُ كَانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ  
وَفَقْرٍ فَلَمْ يَجِدُوا زَادًا وَلَا رَاحَةً ، وَعَزَّ عَلَيْهِمُ التَّخْلِفُ فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
يُكَوِّنُ وَقَالُوا : احْمَلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَكَيْفَ نَتَخَلَّفُ ، فَلَمْ يَجِدْ رَسُولُ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ فَرَجَعُوا إِلَى بَيْوَتِهِمْ يَكُونُونَ ، فَكَادَتْ أُعْنِيهِمْ تَفِيضُ مِنَ  
الدَّمْعِ حَزَنًا ، وَفِيهِمْ نَزْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لَيْسَ عَلَى الْضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى  
وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفَقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحَّوْا لِهِ وَرَسُولُهُ مَا عَلَى  
الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ \* وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَثْوَكُتُمُ  
قُلْتُ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَغْيَنَتُمْهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا لَا  
يَجِدُونَ مَا يَنْفَقُونَ﴾ .

### مسير الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وَاسْتَخَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَدِينَةِ سَبَعَ بْنَ عُرْفُطَةَ ، وَعَلَى أَهْلِهِ عَلَى  
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَرْجَفَ الْمَنَافِقُونَ ، وَقَالُوا مَا خَلَفَ عَلَيْنَا إِلَّا اسْتِقْدَامٌ لَهُ ، فَسَمِعَ  
ذَلِكَ عَلَى فَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَامِلًا سَلَاحَهُ ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ الْمَنَافِقُونَ ،  
فَقَالَ : « كَذَبُوا إِنَّا خَلَفْنَاكُمْ لَمَا وَرَأَيْنَا فَارِجَعْ فَاقْحُلْفَنِي فِي أَهْلِ وَأَهْلِكَ ،  
أَمَا تَرْضِي أَنْ تَكُونَ مِنِّي بَنْزِلَةً هَارُونَ مِنْ مُوسَى ؟ إِلَّا إِنَّهُ لَا نَبِيَ بَعْدِي »  
فَرَجَعَ عَلَى ، وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى جَلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ .

### المُشَبِّطُونَ :

وَقَبْلَ مَسِيرِ الحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَغَهُ أَنَّ جَمَاعَهُ مِنَ الْمَنَافِقِينَ يَجْلِسُونَ فِي بَيْتِ أَحَدِهِمْ  
وَهُوَ سُوْلِيمُ الْيَهُودِيُّ يَبْطِئُونَ النَّاسَ عَنِ الْخَرْجِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَقُولُونَ  
لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرَّ ، تَزَهِيدًا فِي الْجَهَادِ ، وَتَشْكِيكًا فِي الْحَقِّ ، وَإِرْجَافًا بِرَسُولِ  
اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ فِيهِمْ قَوْلَهُ : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرَّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُ

حَرُّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٩﴾ وأمر الرسول ﷺ طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه أن يحرق عليهم بيت سُويفٍ ففعل طلحة فاقتصر الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله ، واقتصر أصحابه فأفتقروا ، وفي هذا يقول الضحاك :

كادت — وبيت الله — نار محمد يشيط بها الضحاك وابن أبيرق  
وطلحت وقد طبقت كِيس<sup>(١)</sup> سُويق  
سلام عليكم لا أعود لثلها  
أخاف ومن تشمل به النار يُحرق

أبو خيثمة يفوز :

وتتأخر عن المسيرة أبو خيثمة ، وكان له زوجتان وجاءهما يوماً فوجد كل واحدة منها قد رشت بالماء عريشها وبردت الماء له ، وصنعت الطعام فلما رأى ذلك أبو خيثمة قال على الفور أيكون رسول الله ﷺ في الحر والربيع ، وأبو خيثمة في الظلّ و الماء البارد مقيم ما هذا بالنصف أى بالإنصاف ، والله ما أحل عريشاً منها حتى أحق برسول الله ﷺ فهياً زاده وخرج إلى ناضجه « جمله » فركبه ، وجرى وراء رسول الله ﷺ فأدركه في تبوك ، ورأى الناس من بعيد فقالوا يا رسول الله راكب مقليل فقال رسول الله ﷺ : « كن أبا خيثمة » فقالوا هو والله أبو خيثمة ، وأن رسول الله ﷺ وأخبره بخبره فدعا له فثار بدعة الحبيب ﷺ وقال : أبو خيثمة في قصته هذه شعراً هذا نصه :

لما رأيت الناس في الدين نافقوا أتيت التي كانت أَعْفَ وأَكْرَمَا  
وبايَعْتُ باليمني يدي لحمد فلم اكتسبْ إثْمًا ولم أغش محرماً

(١) الكيس : البيت الصغير ، وطبقت بمعنى علوت .

تركت خضيئاً عل العريش وحرمة<sup>(١)</sup>  
وكنت إذا شك المنافق أسمحت<sup>(٤)</sup>  
إلى الدين نفسي شطره حيث يمما

### من أعلام النبوة :

ولما مرَّ النبي ﷺ بالحجر وهي ديار ثمود وهو في طريقه إلى تبوك نزل بها واستقى الناس من بعراها فلما زاحوا قال رسول الله ﷺ : « لا تشربوا من مائتها شيئاً ولا تتوضأوا منه للصلوة ، وما كان من عجبن عجتّموه فاعلغوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجنَ أحدكم الليل إلا ومعه صاحب له » ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ إلا أنَّ رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته مخالفًا أمر رسول الله ﷺ بعدم الخروج وحده فخنق في طريقه ، وخرج الآخر في طلب بعير له مخالفًا أمر رسول الله ﷺ فاحتملته الريح حتى طرحته في جبال طيء ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : « ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه » ثم دعا للذى أصيب بخنق الجنّ فشفى ، وأما الآخر الذى وقع في جبال طيء فإن طيئاً أهدته لرسول الله ﷺ بعد عودته للمدينة . فكانت هذه آية من آيات النبوة الحمدية .

وآخرى فقد كان رجل من المنافقين معروفاً بالنفاق يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار ولما مرَّ رسول الله ﷺ بديار ثمود غطى وجهه بشوبه واستحث السير ، وقال لأصحابه « لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفاً أن يصيكم مثل ما أصابهم » .

---

(١) جماعة النخل .

(٢) جمع صفى ، كثير الحمل .

(٣) اسود .

(٤) انقادت .

وأصبح الناس ولا ماء معهم فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ فدعا ربّه فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس وأخذوا حاجتهم من الماء فكانت آية من آيات النبوة وقيل لذلك المنافق ويحك هل بعد هذا شيء أى من الشك في نبوة محمد ﷺ فقال : سحابة مارة !

وثالثة : ونزل الرسول ﷺ والمؤمنون متزلاً فضلّت راحلة النبي ﷺ فخرج أصحابه يطلبونها . وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه يقال عمارة ابن حزم وكان عقيباً<sup>(١)</sup> بدريراً ، وكان في رحله زيد بن الصبيط القييقاعي ، وكان منافقاً فقال وهو في رحل عمارة ، وعمارة عند رسول الله ﷺ : أليس محمد يزعم أنهنبي ويُخبركم عن خبر السماء وهو لا يدرى : أين ناقته ؟ فقال النبي ﷺ وعمارة عنده : « إن رجلاً — يعني ابن الصبيط المنافق — قال هذا محمد يخبركم أنهنبي ويُزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ؟ وإلى والله ما أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلني الله عليها وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزماتها فانطلقوا حتى تأتوني بها » فذهبوا فجاءوا بها فكانت آية من آيات النبوة الحمدية . ورجع عمارة من عند رسول الله ﷺ إلى رحله فقال والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله ﷺ آنفًا عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكل ذى وكم ذكره قال زيد بن الصبيط ، فقال رجل من كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ ، قال زيد والله هذه المقالة قبل أن تأتي فأقبل عمارة على زيد يجأر عنقه أى يطعن بيده في عنقه ويقول إلى عباد الله إن في رحل لداهية وما أشرع أخرج أى عدو الله من رحل فلَا تصحبني .

ورابعة : ويضى رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك ويختلف عنه الرجل

(١) أى من أهل بيعة العقبة .

فيخبر بذلك فيقول : « دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أرا حكم الله منه » وتلوم أبو ذر على بعيره أى تمهل وتمكّث فلما أبضاً عليه أخذ متعاه فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع آثار رسول الله ﷺ ماشياً على رجليه ومتاعه على ظهره ، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله ، فنظر ناظر من المسلمين فقال يا رسول الله إن رجلاً يمشي على الطريق وحده ، فقال رسول الله ﷺ « كن<sup>(١)</sup> أباذر » فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله إنه هو والله أبو ذر ، فقال رسول الله ﷺ : « رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده ». .

وتمضي الأيام والأعوام ، وينفي أبو ذر إلى الربذة ويحضره الموت هناك وليس معه إلا امرأته وغلامه ، وقبل موته أوصاها إذا مات أن يغسلاه ويكتفناه ويضعاه على الطريق ، وأول ركب يمر عليكم قولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه ، وفعلاً فعلاً به ذلك وجاء عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عمّار فلم ير عهم إلا والجنازة على قارعة الطريق كادت الإبل تطؤها ، وقام إليهم الغلام فقال هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينوا على دفنه فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول : صدق رسول الله ﷺ : تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك . ثم نزل هو وأصحابه فواروه التراب فكانت آية من آيات النبوة المحمدية .

**و الخامسة :** بواد المشقق في طريق تبوك ماء يخرج من وشل<sup>(٢)</sup> قدر ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة فقال رسول الله ﷺ : « من سبقنا إلى ذلك الوادي فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه » إلا أن منافقين سبقو إليه فاستيقنوا ما فيه فلما أتاه رسول الله ﷺ ، وقف عليه فلم ير فيه شيئاً من الماء ، قال :

(١) كن كما لفظ الأمر ومعناه الدعاء أى اسألوا أن يكون أباً ذر .

(٢) الوشل صخرة في جبل أو واد يقطر منها الماء قليلاً قليلاً

« من سبقنا إليه؟ » قيل له يا رسول الله فلان وفلان فقال : « أعلم أنهم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتىه » فلعنهم صلوات الله عليه دعا عليهم ، ثم نزل فوضع يده تحت الوشن فجعل يصيب في يده ما شاء أن يصب ثم نضحه به ومسحه بيده ، ودعا صلوات الله عليه بما شاء الله أن يدعوه به فانخرق من الماء كما يقول من سمعه ما إذا له حسّاً كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فكانت هذه آية من آيات النبوة الحمدية .

### المقام المبارك :

وانهى مسيرة الحبيب صلوات الله عليه بنزوله بتبوك وأقام بها بضع عشرة ليلة إلى عشرين ، وكان يقصر الصلاة ، ويجمع الظهر مع العصر ، والمغرب مع العشاء تخفيفاً على أصحابه ، وحتى لا يوقعهم في حرج أو مشقة ، ولم يتم الصلاة خلال هذه المدة لأنه لم تحدد مدة إقامته وإنما يتنتظر الأمر من ربه تعالى ، فإذا أمره بالإقامة أقام وإذا أمره بالمسير سار . وقد استشار أصحابه في التقدم إلى الشام والمسير إلى بلاد الروم فقال له عمر إذا كنت أمرت بالمسير فسر ، فقال صلوات الله عليه : « لو أمرت ما استشرتكم فيه » فقال عمر يا رسول الله إن للروم جموعاً كثيرة وليس بها أحد من أهل الإسلام ، وقد دنوت منهم وأفرغتهم دونك ، لو رجعت هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله لك في ذلك أمراً ، فانصرف رسول الله صلوات الله عليه عائداً إلى المدينة ، ولم يلت كيداً فقد نصره الله بالرعب مسيرة شهر فلم يخرج إليه الروم ، ولم يقربوا من ساحته خوفاً وفزعًا منه صلوات الله عليه بعد أن عزموا على حربه وغزوه في عقر داره .

### خطبة نبوية جامعة :

ولما أصبح رسول الله صلوات الله عليه بتبوك خطب خطبة عظيمة جامعة هذا نصها :

حمد الله تعالى ، وأثنى عليه بما هو أهلها ثم قال : « أما بعد فإن أصدق

الحديث كتاب الله ، وأوثق الغرئي كلمة<sup>(١)</sup> التقوى ، وخير الملل ملة<sup>(٢)</sup> إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد عليه السلام ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص القرآن ، وخير الأمور عواز منها<sup>(٣)</sup> ، وشر الأمور محدثتها ، وأحسن الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير الأعمال مانفع ، وخير الهدى ، ما اتبع ، وشرّ العمى عمى القلب ، واليد العليا<sup>(٤)</sup> خير من اليد السفلی وما قلّ وكفى خير ما كثر وأهلى ، وشر العذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيمة ، ومن الناس من لا يأني الجمعة إلا دبراً ، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً ، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الراد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله ، وخير ما وقر في القلب اليقين ، والارتياح من الكفر ، والنهاية من عمل الجاهلية ، والغلول من حر جهنم ، والسكركي من النار ، والشعر من إبليس ، والحرمر جماع الإثم وشر المال مال الظالم ، والسعيد من وعظ بغيرة ، والشّقي من شقى في بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع ، والأمر إلى آخره ، وملاك العمل خواقه ، وشر الروايا روايا الكذب ، وكل ما هو آت قريب ، وسبابة المسلم فسوق ، وقاتله كفر ، وأكل حمه<sup>(٥)</sup> من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتآل على الله يكذبه ، ومن يغفر يغفر له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، ومن يتغى السمعة يسمع الله به ، ومن يتصرّ يغفر الله له ، ومن يعص الله يعذب » ثم استغفر ثلاثة .

(١) هي لا إله إلا الله محمد رسول الله .

(٢) هي أن يعبد الله وحده بما شرع ، ولا يشرك في عبادته أحداً .

(٣) أي الفرائض لحديث « ما تقرب إلى عبد شئ أحب إلى ما افترضت عليه » .

(٤) أي صاحب اليد العليا وهي المتصدق خير من صاحب اليد السفلی وهو المتصدق عليه .

(٥) أي بالغية .

## إيجابيات نبوية :

وأثناء إقامته عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتبوك اخذ خطوات إيجابية عظيمة وموقفة والله الحمد وهي :

(ا) إثباته بحثة بن رؤبة صاحب أيلة ومصالحته على جزية مقدارها ثلاثة دينار ، وكتب له بذلك كتاباً هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذه آمنة من الله و محمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة سفههم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل الين ، وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يجول ماله دون نفسه ، وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن ينعوا ماء يردونه ، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر » .

(ب) أتاه أهل جرباء وأذرح وهو بلدان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام فأعطوه الجزية وكتب لهم بذلك كتاباً هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرح و جرباء إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد النبي وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة ، والله كفيل بالنصح والإحسان لل المسلمين » .

(ج) بعث عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد في أربعينات وعشرين رجلاً إلى أكيدر بن عبد الملك الكندي ، وكان ملكاً في دومة الجندي التي هي حصن وقرى من قريات وادي القرى ، وحصنه يقال له مارد وهو حصن أكيدر الخاص به ، وقال خالد لرسول الله عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف لي به في وسط بلاد كلب وأئمار وأنا في أناس قليل ؟ فقال رسول الله عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ستلقاه يصيد الوحش — أو قال

البقر — فأخذوه » فخرج خالد ومن معه فلما بلغوا قريباً من حصنه ، وكانت ليلة مقمرة صائفة ، وأكيدر على سطح له في الحصن ومعه امرأته فبات البكري يحك بقرونها بباب الحصن ، وأشرقت امرأته على باب الحصن فقالت : ما رأيت كالليلة فمن يترك هذه الليلة ؟ قال لا أحد ، فنزل فأمر بفرسه فأسرج له وركب معه نفر من أهل بيته ومعه أخوه حسان فخرجوا من حصنه بمطاردهم ، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ فاستأسر أكيدر ، وامتنع حسان فقاتل فقتل وهرب من كان معه ودخلوا الحصن وكان على أكيدر قيادة مخصوص بالذهب ، فاستتبه خالد منه ، وبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه ، قال أنس رأيت قيادة أكيدر حين قدم به على رسول الله ﷺ فجعل المسلمون يلمسونه ويعجبون منه فقال رسول الله ﷺ : « أتعجبون من هذا ؟ لناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا ». .

ثم إن خالداً قدم بأكيدر إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فحقن دمه ، وصالحه على الجزية فرجع إلى قريته وبقي بها ، وكان نصراينياً فلم يسلم ، وقتل كافراً حيث حاصره خالد على عهد أبي بكر الصديق لقضيه العهد فهلك كافراً مشركاً .

### حدث هام :

لا شك أن أحداثاً كثيرة وقعت في ذهاب الحبيب ﷺ إلى تبوك وفي مجئه منها وقد ذكرنا طرفاً منها للعظة والاعتبار ، وهذا حديث هام وقع في طريق العودة : إنها مؤامرة دنية قام بها أدniاء سفلة منافقون إياهم إثنا عشر منافقاً من شر المنافقين تواطأوا على قتل رسول الله ﷺ ، وذلك يضايقه في عقبة في الطريق حتى يسقط من راحلته فيهلك ، وفعلاً لما وصل إلى العقبة وكان حذيفة ابن اليمان آخرًا بخطام ناقته ﷺ ، وعمار بن ياسر يسوقها ، وإذا باشني عشر راكباً قد اعترضوا ناقة رسول الله ﷺ قال حذيفة رضي الله عنه فأنبأه

رسول الله ﷺ فصرخ فيهم فولوا مدبرين وفهم نزل قول الله تعالى : من سورة التوبة ﴿ وَهُمُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ ودعا عليهم رسول الله ﷺ فأصابتهم الدُّبُلية<sup>(١)</sup> وهي خراج يخرج في الظهر فيظهر على القلب فيهلك صاحبه ولا ينجو أبداً .

### ياليتني كنت صاحب الحفرة :

إن صاحب هذه الأمنية هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وصاحب الحفرة هو عبد الله ذو التجادين ، ذلك المؤمن الذي كان ينماز في إيمانه ويأبى عليه قومه الإسلام حتى اضطروه إلى أن يهاجر ويترك أهله وقومه في بجادة وهو ثوب غليظ كالكساء ولما وصل المدينة وقارب أن يرى رسول الله ﷺ قسم بجادة قسمين فاترر بنصفه وارتدى بنصفه الآخر فقيل له ذو التجادين قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قمت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فرأيت شعلة من نار ناحية المعسكر فاتبعتها فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو التجادين المزنى قد مات ، وإذا هم قد حفروا له رسول الله ﷺ في حضرته وأبو بكر وعمر يديليانه إليه وهو يقول : « أدنينا إلى أحاكما » فدللياه إليه فلما هياه لشقه قال : « اللهم إني أmissit راضيا عنه فارض عنه ». قال عبد الله بن مسعود فقلت : ياليتني كنت صاحب الحفرة !!

### مسجد الضرار :

مسجد الضرار . عبارة عن وكر مؤامرات أقيم لمناولة رسول الله ﷺ وال المسلمين بالمدينة بناه اثنا عشر رجلا من كبار المنافقين ، ولما فرغوا منه أتوا النبي ﷺ وهو يتوجه لغزوة تبوك ، وطلبوا منه أن يأتיהם ويصلّى لهم فيه

---

(١) ويروى الدبلة ، والدببة اليوم خاتم العرس ، ولذا يكره استعماله للاسم وأنه من عادات النصارى .

لأخذ الصبغة الشرعية وإنهم لكاذبون ، إلا أن الرسول ﷺ اعذر لهم بقوله : « إني على جناح سفر ، وحال شغل » أو كما قال « ولو قدمنا إن شاء الله لأنفسكم فصلينا لكم فيه ». .

وَلَمَّا غَزَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ تِبُوكَ وَعَادَ وَوَصَّلَ إِلَى ذِي أَوَانَ وَنَزَلَ بَهَا وَهِيَ عَلَى سَاعَةٍ مِّنَ الْمَدِينَةِ أَتَاهَا خَبْرُ الْمَسْجِدِ إِذْ نَزَلَ فِيهِ قُرْآنٌ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ آتَحُدُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الْآيَةُ .

فَدُعَا اللَّهُ عَلَيْهِ اثْنَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ هُمَا مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُمُ أَخُو بْنِ سَالِمٍ بْنِ عَوْفٍ وَمُنْعِنَ بْنِ عَدَى أَخُو بْنِ الْعَجْلَانَ . فَقَالَ : « انطَلِقا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّامِنِ أَهْلَهُ فَاهْدِمَاهُ وَحرِقَاهُ ». وَفَعَلَا أَتِيَاهُ فَهَدَمَاهُ وَحرَقَاهُ ، وَتَفَرَّقَ أَهْلُهُ عَنْهُ وَتَرَكُوهُ لِلنَّارِ تَلَهِّمُهُ .

عُوْدَ مبارك واستقبال حافل :

ولما دنا رسول الله ﷺ من المدينة عائداً من تبوك خرج أهل المدينة لاستقباله والجواري ينشدن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا ما دعا الله داع

وَهُنَا قَالَ عَلَيْهِ الْمُبَارَكَةُ : « إِنَّ بِالْمَدِينَةِ رِجَالًا مَا سَرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًّا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبْسَمٌ الْعَذْرُ » قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ قَالَ : « نَعَمْ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ». .

الرہط المتخلف :

ولما دخل رسول الله ﷺ المدينة وذلك في رمضان وأعلام النصر عاليه  
خفاقة وسر المؤمنون والمؤمنات بعوده الحبيب سالمًا منتصراً ظافرًا أتى المسجد

فصل ركعتين . وجاء المخالفون من المنافقين يختلفون ويعتذرون طالبين الصفح والغفران عنهم وصفح لكن الله عز وجل لم يغدرهم ، وكذا رسوله ﷺ إذ لا عذر لهم ولم يقدر بهم إلا نفاقهم وسوء ظنهم ، وفيهم نزل قول الله تعالى من سورة التوبة : ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ - أَى لَنْ نَصْدِقْكُمْ - فَذَبَّاَنَا اللَّهُ مِنْ أَهْجَارِكُمْ ﴾ وقوله : ﴿ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

هذا وهناك ثلاثة من صالح المؤمنين تختلفوا عن المسير مع رسول الله ﷺ لا شكا ولا نفاقا ولكن كسلا وتسويفا وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربع ، وهلال بن أمية رضي الله عنهم ، أعلن الرسول الحبيب ﷺ مقاطعتهم وهجرانهم حتى ينزل الله حكمه فيهم بتعذيبه ، أو بالتوبه عليهم ، وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ وَآخِرُونَ مُرْجَحُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذَّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ودامت مقاطعتهم وهجر الناس لهم مدة خمسين يوما ثم تاب الله عليهم وأنزل في توبتهم قوله : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى الَّذِي وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَتَبُعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادُ يَرِيقُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ \* وَعَلَى الْثَّالِثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُوا أَنَّ لَا مُلْجَأً مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِتَوْبَوْا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْتَّوَابُ الْرَّحِيمُ ﴾ .

**نتائج وعبر :**

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نجملها في الآتي :

- (1) مشروعية إعلان التبعية العامة والتغير التام ولا يحل يومئذ لأحد التخلف إلا أن يكون من أهل الأعذار ، أو يتختلف بإذن الإمام الخاص .

- (٢) مشروعية افتتاح اكتتابات عامة لجمع المال للجهاد في سبيل الله تعالى .
- (٣) قد يقصر المحتد ، ويتأخر المقدم كما قيل : لكل جواد كبوة ، ولكل سيف نبوة .
- (٤) بيان رفع الحرج على ذوى الأعذار كالعمى والعرج والمرض والعجز الملل .
- (٥) من آيات الإيمان ومظاهره لدى المؤمنين البكاء الصادق عن العجز عن السير .
- (٦) بيان أن المثبطين عن الجهاد والمرجفين بين صفوف المؤمنين لم يكونوا مؤمنين .
- (٧) بيان فضيلة ألى خيضة وألى ذر ، وذى العجاذين وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين .
- (٨) بيان خمس آيات للنبوة المحمدية وأعلام لها .
- (٩) حرمة الضحك وعدم البكاء أو التباكي عند المرور بديار المعدبين .
- (١٠) مشروعية قصر الصلاة في السفر ، وجواز الجمع فيه .
- (١١) مشروعية عقد الإمام الصلح مع المشركين إذا دعت الضرورة إلى ذلك .
- (١٢) بيان بطولة خالد بن الوليد وشدة بأسه في الحرب .
- (١٣) بيان فضيلة على وألى بكر وعمر رضى الله عنهم أجمعين .

وثالث أحداثها :

## غزوة طيء ، وإسلام عدى

وبعث رسول الله ﷺ علياً في مائة وخمسين رجلاً من بينهم خمسون فارساً  
بعث بهم إلى ديار طيء حيث يوجد بها صنم يقال له (الفلس) وكان معهم  
راية سوداء ولواء أبيض ولما انتهوا إلى ديار طيء شنوا الغارة على محلة آل  
حاتم الطائلي فتمكنوا من هدم الصنم ، ومن أخذ سبي وشاء ونعم ، وكان  
من بين السبي فاطمة أخت عدى بن حاتم الطائلي . أما عدى أخوها فقد فرّ  
إلى الشام بمجرد أن سمع ببعث السرية إلى دياره وكان على الصنم سيفان يقال  
لأحد هما مخدوم ، وللآخر رسوب فأخذهما على رضي الله عنه كاً وجد في خزانة  
عدي ثلاثة أسياف وثلاثة أدراج ، واستعمل على السبي أبا قتادة وعلى الأموال  
عبد الله بن عتيك ، وقسم الغنائم في الطريق ، وعزل الصنم لرسول الله ﷺ ،  
ووصل بنت حاتم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة النبوية ، وكان من أمرها ما  
حدث به أخوها عدى فلنستمع إليه :

قال عدى وهو يقص قصة إسلامه جاءت خيل رسول الله ﷺ — يعني  
سرية على — فأخذوا أختي وناسي فأتوا بهم رسول الله ﷺ فقالت أختي  
يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوارد فامن على من الله عليك !! فقال:  
« ومن وافقك ؟ » قالت عدى بن حاتم ، قال : « الذي فرق من الله ورسوله »  
فمن عليها ، وإلى جانبه رجل قائم وهو على بن أبي طالب قال : سليه حملانا  
فسألته فأمر لها به وكساها وأعطها نفقة ، قال عدى و كنت ملك طيء آخذ  
منهم المربع<sup>(١)</sup> ، وأنا نصراني ، فلما قدمت خيل رسول الله ﷺ هربت إلى  
الشام من الإسلام ، وقلت أكون عند أهل ديني ، فبينما أنا بالشام إذ جاءت

(١) المربع : ربع الغنيمة الذي كان يأخذ الرئيس في الجاهلية .

أختي وأخذت تلومني على تركها وهرني بأهلي دونها ، ثم قالت لي : أرى أن نلتحق بمحمد سريعاً فإن كاننبياً كان للسابق فضله ، وإن كان ملكاً كنت في عزٍّ وأنت أنت ، قال : أى حاتم فقدت على رسول الله ﷺ فسلمت عليه وعرفته نفسي فانطلق بي إلى بيته ، فلقيته امرأة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً فكلمته في حاجتها ، فقلت : ما هذا بملك ، فقال لي : « ياعدى إنك تأخذ المربع وهو لا يحل في دينك ، ولعلك إنما يمنعك من الإسلام ما ترى من حاجتنا وكثرة عدونا ، والله ليفيضن المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، والله لتسمعن بالمرأة تسير من القadesية على بعيدها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله ، والله لتسمعن بالقصور البيض من بابل وقد فتحت » قال فأسلمت فقد رأيت القصور البيض وقد فتحت ورأيت المرأة تخرج إلى البيت لا تخاف إلا الله ، والله لتكون الثالثة أى ليفيض المال حتى لا يقبله أحد .

قال حاتم ودخلت عليه ﷺ وهو يقرأ هذه الآية من سورة التوبه : ﴿إِنَّهُمْ هُوَ الظَّاهِرُونَ إِنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ فقلت : إنهم لم يعبدوه قال : « بلى ، إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهם في ذلك فتلk عبادتهم إياهم ». .

#### نتائج وعبر :

إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا تذكر إزاء الأرقام الآتية :

- (١) مشروعية هدم الأصنام وغزو أهلها ليدخلوا في الإسلام ليكملوا ويسعدوا .
- (٢) بيان جهل المشركين وضلالهم في تعليقهم السلاح على أصنامهم لتدفع به عن نفسها .
- (٣) بيان الكرم الحمدى ، وتقرير مبدأ أكرموا عزيز قوم ذل .

- (٤) آية النبوة المحمدية المتجلية في تحقيق ما أخبر به من الغيب .
- (٥) بيان أن طاعة العلماء والحكام في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم هي عبادة لهم إن كان ذلك بغير إكراه .

**ورابع أحداثها :**

### قدوم عروة بن مسعود الشففي على رسول الله ﷺ

عروة بن مسعود من عظماء رجالات ثقيف وهو الذي عنده المشركون في مكة بقوتهم : ﴿ لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْبَيْنِ عَظِيمٍ ۝﴾ الذي حكاه القرآن عنهم في سورة الزخرف .

والرجل الثاني هلك بيدر وهو أبو جهل الذي يكتونه بأئم الحكم ويسمونه عمرو بن هشام .

وفد عروة بن مسعود على رسول الله ﷺ في هذه السنة سنة تسع وفدي مسلماً وذلك بعد أن رأى قريشاً قد دخلت في الإسلام بعد فتح وهزيمة هوازن وثقيف وكان رجلاً عاقلاً فهداه الله إلى الإسلام ، فلما أتى النبي ﷺ وأسلم قال للنبي ﷺ أرجع إلى قومي وأدعوه إلى الإسلام ، فقال له النبي ﷺ : «إنهم قاتلوك» فقال عروة إنني أحب إليهم من أبكارهم ، ورجا أن يوافقوه لمنزلته فيهم فلما رجع إلى الطائف ديار قومه صعد إلى علية له وأشرف منها عليهم وأظهر الإسلام ودعاهم إليه رموه بالنبل فأصابه سهم فقتله ، وقبل وفاته قيل له ما ترى في دمك ، قال كرامة أكرم مني الله بها ، وشهادة ساقها إلى ، ليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله مع رسول الله ﷺ فادفوني معهم ، فلما مات متأثراً بجراحاته دفنه معهم رضي الله عنه .

ولما بلغ الخبر النبي ﷺ قال فيه : «إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه ، إذ دعاهم إلى خير فقتلوه» .

## نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نذكرها كالتالي :

- (١) بيان علم من أعلام النبوة الحمدية في إخباره عروة بأن قومه قاتلوا فكان كما أخبر .
- (٢) بيان فضل الدعوة إلى الله تعالى وما تتطلبه من أذى وما يلزم صاحبها من الصبر والتحمل .

(٣) بيان فضل عروة بن مسعود رضي الله عنه إذ ألحقه الرسول ﷺ بصاحب يس وهو حبيب بن النجار عليه السلام .

## وخامس أحداثها :

### قدوم وفد ثقيف

وبعد قدوم الحبيب ﷺ وفي رمضان قدم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ وقد سبق أن النبي ﷺ لما كان محاصرًا لهم قيل له : ادع الله عليهم يا رسول الله فقال : « اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم » هذا سبب لقادتهم ، وأخر هو أنهم رأوا أن من يحيط بهم من العرب قد نصبوا لهم القتال وشنوا عليهم الغارات ، وكان أشدهم في ذلك مالك بن عمرو النضرى ، فلا يخرج منهم مال إلا نهب ولا إنسان إلا أخذ ، فلما رأوا عجزهم اجتمعوا وأرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير والحكم بن عمرو بن وهب وشرحبيل بن غيلان وهؤلاء من الأحلاف ، وأرسلوا من بنى مالك عثمان بن أبي العاص وأوس ابن عوف ونمير بن حرشة فخرجوا حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأنزل لهم في قبة في المسجد فكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ يرسل إليهم ما يأكلون مع خالد ، وكانوا لا يأكلون طعاما حتى يأكل خالد منه حتى أسلموا .

## شروط مرفوقة :

واشترط رجال وفدي ثقيف لإسلامهم شروطاً هي كالتالي :

(١) أن لا يهدم النبي ﷺ طاغيهم وهي الات إلا بعد ثلاث سنوات فأبى عليهم ذلك ﷺ ، وكان قصدهم من هذا الشرط حتى يسلّموا إذا هي ثركت من سخط سفهائهم ونسائهم ، وتنازلو إلى شهر واحد فلم يقبل منهم ولو ساعة من نهار .

(٢) أن يغفيم من الصلاة ككل فأبى وقال : « لا خير في دين لا صلاة فيه » ، فقالوا نصلِّ ولكن لا تُجْبَى أى لا نركع بل نخر من القيام إلى السجود فقال ﷺ : « لا خير في صلاة لا ركوع فيها » أو كما قال ﷺ . ولما أسلموا أمر عليهم عثمان بن عمرو بن أبي العاص وكان أصغرهم سنًا لما رأى من حرصه على الإسلام والتفقه في الدين ، ثم رجعوا إلى بلادهم ، وأرسل ﷺ معهم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب هدم الطاغية فتقدّم المغيرة فهدّمها ، وقام قومه من بني متعب دونه خوفاً أن يرمي بهم كما رمى عروة بن مسعود من قبل ، ولما أخذ في هدمها خرج نساء ثقيف حُسْرًا<sup>(١)</sup> ي يكن ، وأخذن حلبيها .

## قضاء ديون من مال الطاغية :

كان للطاغية مال كثير مودع فيها فلما هدمها المغيرة وأبو سفيان بأمر رسول الله ﷺ وأخذ ما لها اتصل برسول الله ﷺ أبو ملّح بن عروة بن مسعود وطلب منه أن يقضى ديناً كان على والده عروة من مال الطاغية فأجابه الرسول ﷺ لذلك وعندها قال قارب بن الأسود ، وعن الأسود يا رسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان شقيقان فقال رسول الله ﷺ : « إن الأسود

(١) أي حاسرات الرؤوس ليس عليهن غطاء .

مات مشركاً » فقال قارب يا رسول الله لكن تصل مسلماً ذا قرابة يعني نفسه ، إنما الدين على ، وأنا مطالب به ، فأمر رسول الله عليه السلام أبو سفيان أن يقضى دين عروة والأسود معًا من مال الطاغية ففعل .

### عهد لابن أبي العاص :

لما أسلم وفد الطائف وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لصفات كمال فيه كتب لهم بذلك كتاباً . ومن جملة ما ورد فيه قوله عليه السلام : « يا عثمان تجاوز في الصلاة وقدر الناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير والصغير وهذا الحاجة » .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرنا نوجزها كالتالي :

(١) بيان آية نبوية وهي استجابة دعوته عليه السلام في ثقيف إذ هداهم الله وأتى

٣٦ :

(٢) بيان احترام النبي عليه السلام للوفود وإكرامهم قبل أن يتبيّن إصرارهم على شركهم وكفرهم .

(٣) مشروعية إبطال كل شرط يتناقض مع مراد الله تعالى وشرعه بين خلقه ، وهكذا كل شرط يجعل حراماً أو يحرم حلالاً فهو شرط باطل في أي عقد أو اتفاقية .

(٤) بيان أعظم أركان الدين بعد التوحيد وهو الصلاة وأعظم أركانها الركوع والسجود .

(٥) بيان ضعف النساء العقل ، وبيان مدى تعلقهن بالشرك وأسبابه لجهلهن وضعفهن .

(٦) مشروعية قضاء الديون من بيت مال المسلمين إذا رأى الإمام ذلك .

وسادس أحداثها :

## قدوم الوفود على الحبيب ﷺ

إن الوفود التي بدأت في هذه السنة التاسعة تتوافد على رسول الله ﷺ في دار نبوته المدينة الطيبة الطاهرة تعلن عن ولائها لله ورسوله وعن رضاها بالإسلام ودخولها فيه وفود كثيرة ذكر منها كل مؤرخ للإسلام طرفاً مما تهأله ولم يأت عليها أحد كلها وذلك لكثرتها .

والسبب الظاهر لهذا الحدث الكبير الذي هو كثرة الوفود في هذه السنة بالذات هو دخول قريش زعيمة العرب في الإسلام ، ففتح مكة ثم الطائف وغزو الروم في تبوك لم يبق لأحد التفكير في غلبة صاحب الرسالة والانتصار عليه بحال من الأحوال .

فلهذا أخذت وفود القبائل العربية تتوافد من اليمن والشمال والشرق والغرب وقد أخبر تعالى بهذا في قوله : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ وَالْفَتحُ وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ .

فقوله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ هو الانتصارات التي تحفقت لرسول الله ﷺ في بدر وحراء الأسد والأحزاب والحدبية وخبير وغيرها ، والفتح هو فتح مكة والطائف ، والطائف وإن لم تفتح عنوة فقد جاء وفدها وسلم زمام قيادتها للقائد الأعظم الحبيب محمد ﷺ فهو فتح وأى فتح ؟  
وقوله تعالى : ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ يعني الوفود في هذه السنة .

وها هي ذى أهم الوفود مع ذكر بعض مميزاتها وأحداثها :

(١) وفد بني أسد : وكانوا أقوياء أشداء يسكنون شمال شرق الحجاز وعدد رجال هذا الوفد عشرة ، وقالوا لما وفدوا على رسول الله ﷺ : أتیناك قبل أن ترسل إلينا رسولًا يمدون بهذا على رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَىٰ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِإِيمَانِ إِنْ كُثُمْ صَادِقِينَ ﴾ من سورة الحجرات .

وسائلوا رسول الله ﷺ عن العيافة<sup>(١)</sup> والكهانة وضرب المحسى ، فنهاهم عن ذلك .

(٢) وفد يلى : وقد نزلوا على أحد البلوين بالمدينة وهو رُؤيْفع بن ثابت البلوي فلما رأهم قال الحمد لله الذي هداكم إلى الإسلام فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار .

وقبل أن يودعوا رسول الله ﷺ قال له أبو الضبيّب شيخ الوفد يا رسول الله إني رجل في رغبة من الضيافة فهل لي في ذلك أجر ؟ قال : « نعم ، وكل معروف صنعته إلى عنّي أو فقير فهو صدقة ». وقال الرجل يا رسول الله كم وقت الضيافة ؟ قال : « ثلاثة أيام ما كان بعد ذلك فصدقة ولا يحل للضيف أن يقيم عدك حتى يحرجك » .

ثم ودعوا رسول الله ﷺ بعد أن أجازهم<sup>(٢)</sup> .

(٣) وفد قيم : وقد كان عدد أفراده يزيد عن العشرة أنفار وكلهم من أشراف بني تميم وعلى رأسهم عطارد بن حاجب بن زراره بن عدس التميمي ، ومن بينهم الأقرع بن حابس والمحجوب والزبرقان بن بدر بن يزيد أحد بنى دارم بن مالك ، وعيينة بن حصن وقد كان عيينة والأقرع شهداً مع النبي

(١) العيافة : زجر الطير والتفاول بأسمائها وأصواتها ومرّها .

(٢) أي أعطاهم جواز من مال أو متاع إكراما لهم .

عليه السلام فتح مكة وحنينا والطائف .

جفاء هذا الوفد وسوء أدبه :

ودخلوا المسجد النبوي ونادوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وراء حجراته : بلفظ الجفاء وسوء الأدب قائلين : يا محمد يا محمد اخرج إلينا فأذوا بذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصياحهم ورفع أصواتهم فخرج إليهم فقالوا : يا محمد جعناك نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قد أذنت خطيبكم فليقل » فقام رئيس الوفد عطارد بن حاجب فقال : الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عدداً وأيسره عدداً فمن مثلنا في الناس ؟ ألسنا رؤوس الناس وأولى فضلهم ؟ فمن فاخرنا فليعده ما عدنا ، وإنما لو نشاء لأكثروا الكلام ولكننا نحيانا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنما نعرف بذلك ، أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمّا أفضل من أمرنا ثم جلس ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لثابت بن قيس : « أجب الرجل » فقام ثابت فقال :

الحمد لله الذي له ما في السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يك شيءٌ قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولاً ، أكرمههم نسباً وأصدقهم حدثاً ، وأفضلهم حسباً فأنزل عليه كتابه وأئمنه على خلقه فكان خيرة الله تعالى من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان فآمن به المهاجرون من قومه وذوى رحمة أكرم الناس نسباً وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعالاً ، ثم كان أول الخلق استجابة له حين دعاه نحن ، فتحن أنصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه في الله أبداً وكان قتله علينا يسيراً . والسلام عليكم .

ثم قالوا يا رسول الله أذن لشاعرنا فأذن له فقام وهو الزبرقان بن بدر فقال :

نَحْنُ الْكَرَامُ فَلَا حُنْيٌ يُعَادِلُنَا  
مِنَ الْمُلُوكِ وَفِينَا تَنصَبُ الْبَيْعُ<sup>(١)</sup>  
فِي ثَمَانِ آيَاتٍ .

وكان حسان بن ثابت غائباً فدعاه الرسول ﷺ ليجيب شاعرهم فحضر  
أوجاب قائلاً :

إِنَّ الدَّوَائِبَ مِنْ فَهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ	قَدْ بَيَّنُوا سَنَةً لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ
أَوْ حَارَبُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَايِهِمْ نَفَعُوا	قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَّوا عَدُوَّهُمْ

فِي ثَلَاثَةِ عَشَرَ بَيْتًا .

وما لا شك فيه أن فرقاً كبيراً بين خطيب المشركين وشاعرهم ، وبين  
خطيب المسلمين وشاعرهم ؟ إذ شتان ما بين من في قلبه ظلمة الشرك والكفر ،  
وبين من في قلبه نور الإيمان وحكمة الإسلام والإحسان ، لذا لما فرغ حسان  
قال الأقرع بن حabis إن هذا الرجل مؤتى<sup>(٢)</sup> له ؛ خطيبهم أخطب من  
خطيبينا وشاعرهم أشعر من شاعرنا ، ثم أسلموا وفيهم نزل قول الله تعالى من  
سورة الحجرات : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادِونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْجُحُورِ إِنَّكُمْ هُمْ لَا  
يَعْقِلُونَ \* وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تُخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ أَعْفُوهُمْ  
رَحِيمٌ﴾ .

(٤) وقد وفد عبد القيس : وهي قبيلة كبيرة ينسبون إلى عبد القيس  
ابن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وفدوا على رسول  
الله ﷺ فقال لهم : « من القوم ؟ » قالوا : من ربيعة ، قال : « مرحباً بالوفد  
غير خزايا ولا ندامى » ؛ فقالوا يا رسول الله إن بيننا وبينك هذا الحى من كفار

(١) البيع جمع بيعة مواضع الصلاة .

(٢) أى موقن .

مضر ، وإنما لا نصل إليك إلا في الشهر الحرام فمرنا بأمر فصل نأخذ به ومن وراءنا ، وندخل به الجنة ، فقال : « أَمْرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ ، آمْرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ، أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ ؟ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصُومُ رَمَضَانَ ، وَأَنْ تَعْطُوا مِنَ الْمَغْنِمِ الْخَمْسَ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ : الدَّبَاءِ وَالْحَنْتَمَ<sup>(١)</sup> وَالنَّفِيرِ وَالْمَزْفَتِ فَاحْفَظُوهُنَّ وَادْعُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِكُمْ » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا شَجَرَ عبدٌ قَيْسٌ : إِنْ فِيكُ خَصْلَتِينِ يَجْهِمُهَا اللَّهُ : الْحَلْمُ وَالْأَنَّةُ » .

(٥) وَقَدْ وَفَدَ بْنِ حَنِيفَةَ : وَمِنْ بَيْنِهِمْ مُسِيلِمَةُ الْكَذَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَنْ مُسِيلِمَةً خَلْفُوهُ فِي رَحْلَتِهِ فَلَمْ يَشْرُفْ بِمُقَابَلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَنَّهُمْ أَسْلَمُوا وَأَمْرُهُمْ بِجَوَازِهِ ، وَذَكَرُوهُ لَهُ فَأَمْرَرَ لَهُ بِمَثَلِ مَا أَمْرَهُمْ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَأَعْطَوْهُ مُسِيلِمَةَ الَّذِي أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

فَلَمَّا قَدِمَ الْيَامَةُ ارْتَدَ عَدُوَّ اللَّهِ ، وَادْعَى النَّبُوَّةَ وَتَبَّأَ كَذِبًا ، وَأَنْذَدَ يَسْجُعَ وَيَقُولُ . مَضَاهِيًّا بِقُولِهِ الْقُرْآنَ . لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْحَبْلِيِّ ، أَخْرَجَ مِنْهَا نَسْمَةً تَسْعَى مِنْ بَيْنِ شَعَافِ وَحْشًا . وَوَضَعَ عَنْهُمُ الصَّلَاةَ وَأَبَاحَ لَهُمُ الْخَمْرَ وَالرِّزْنَاءَ إِلَى آخرِ هَرَائِهِ الْعَقْنَ . وَبَعْثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكِتَابٍ جَاءَ فِيهِ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى مُسِيلِمَةَ الْكَذَابِ . سَلامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى . أَمَا بَعْدَ فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » رَدًّا عَلَى كِتَابِهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَصَهُ : مِنْ مُسِيلِمَةَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ أَمَا بَعْدَ فَإِنِّي قَدْ أَشْرَكْتُكُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَيْسَ قَرِيبُكُمْ قَوْمًا يَعْدِلُونَ .

(٦) وَقَدْ وَفَدَ مُلُوكُ حَمِيرَ : وَهُمُ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ كُلَّالٍ ، وَنَعِيمٍ

(١) الْحَنْتَمُ : كُلُّ أَسْوَدٍ أَوْ أَخْضَرٍ .

ابن عبد كلال ، والنعمان قيل ذى رعين ، ومعاfer وهمدان يبلغونه إسلام أقوامهم ، وكان رسولهم إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو مالك بن مرّة الراهاوي بعث به زرعة ذو يزن إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكتب إليهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتاباً هذا نصه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ النَّبِيِّ إِلَى الْخَارِثِ بْنِ كَلَّالَ وَإِلَى نَعِيمَ بْنِ عَبْدِ كَلَّالٍ وَإِلَى التَّعْمَانَ قِيلَ ذَى رُعَيْنَ ، وَمَعَافِرَ وَهَمَدَانَ . أَمَا بَعْدُ ذَلِكُمْ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ بِنَا رَسُولُكُمْ مُنْقَلِّبًا مِنْ أَرْضِ الرُّومِ فَلَقِينَا بِالْمَدِينَةِ فَبَلَغَ مَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ ، وَخَبَرَ مَا قَلَمْ ، وَأَنْبَأَنَا بِإِسْلَامِكُمْ وَقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكُمْ بِهَذَا إِنْ أَصْلَحْتُمْ أَطْعَمْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَقْمَمْتُ الصَّلَاةَ وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَعْطَيْتُمْ مِنَ الْعَنَاءِ خَمْسَ اللَّهُ وَسَهْمَ نَبِيِّهِ وَصَفِيهِ ، وَمَا كَتَبْتُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الصَّدَقَةِ » . وَبَيْنَهُمْ صَدَقَةُ الزَّرْعِ وَالْإِبْلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ . ثُمَّ قَالَ : « فَمَنْ زَادَ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَمَنْ أَدْىَ ذَلِكَ وَأَشْهَدَ عَلَى إِسْلَامِهِ وَظَاهَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ مَا لَهُمْ ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ ، وَمَنْ كَانَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّتِهِ فَإِنَّهُ لَا يَرِدُ عَنْهَا ، وَعَلَيْهِ الْجُزِيَّةُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ ذَكَرِهِ كَانَ أَوْ أَنْتَ ، حَرَّاً أَوْ عَبْدًا دِينَارًا وَأَفِ منْ قِيمَةِ الْمَعَاافِرِ<sup>(١)</sup> أَوْ عَوْضَهِ ثِيَابًا فَمَنْ أَدْىَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ، وَمَنْ مَنَعَهُ فَإِنَّهُ عَدُوُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » .

(٧) وَقَدْمَ وَفَدَ بَهْرَاءَ : مِنَ الْيَمَنِ الْجَنُوبِيِّ ، وَكَانَ مَكْوُنًا مِنْ ثَلَاثَةِ عَشَرَ رَجُلًا ، وَنَزَلُوا عَلَى الْمَقْدَادِ بْنِ عُمَرَ ، وَأَقَامُوا بِالْمَدِينَةِ أَيَّامًا تَعْلَمُوا فِيهَا الْفَرَائِضَ ، وَوَاجِبَاتِ إِسْلَامِهِ ثُمَّ دَعَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمْرَهُمْ كَغَيْرِهِمْ بِجَوَافِرٍ فَأَخْذَوْهَا وَانْصَرَفُوا إِلَى دِيَارِهِمْ .

(٨) وَقَدْمَ وَفَدَ عُذْرَةَ : وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ حَمْزَةُ بْنُ النَّعْمَانَ ،

(١) الْمَعَاافِرُ : ثِيَابٌ مِنْ ثِيَابِ الْيَمَنِ .

ولما شرفووا بالمشول بين يدي رسول الله ﷺ سألهم قائلا : « من القوم ؟ » فقال متكلّمهم : من لا تذكر نحن بنو عذرة إخوة قصيٌّ لأمه ، نحن الذين عضدُوا قصيًّا وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر ، ولنا قرابات وأرحام ، فقال رسول الله ﷺ : « مرحبا بكم وأهلا ، ما أعرفني بكم » فأسلموا وبشرهم رسول الله ﷺ بفتح الشام وهرب هرقل إلى ممتنع من بلاده . ونهاهم عن سؤال الكهنة ، وعن الذبائح التي كانوا يذبحونها وأخبرهم أن ليس عليهم إلا الأضحية ، ثم أجازهم رسول الله ﷺ وانصرفوا إلى بلادهم .

(٩) وقدم وفد ذى مرّة : وكان مكونا من ثلاثة عشر رجلا ورئيس الوفد الحارث بن عوف ، فسألهم رسول الله ﷺ قائلا : « كيف البلاد ؟ » قالوا والله إننا لمستون<sup>(١)</sup> فادع الله تعالى لنا ، فقال الحبيب ﷺ : « اللهم اسقهم الغيث » ، ثم أقاموا أياماً ، وأجيزوا بجوائز رسول الله ﷺ ، ثم عادوا إلى بلادهم فوجدوها قد أمطرت في ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله ﷺ .

(١٠) وقدم وفد سعد بن بكر : وكان رئيسهم ضمام بن ثعلبة فتقدم فسائل رسول الله ﷺ أسئلة انتظمت قواعد الدين وكثيراً من الواجبات والحرمات فأسلم وما قفل راجعا إلى قومه ليبلغهم دعوة الله تعالى قال رسول الله ﷺ : « لئن صدق ذو العقيقتين<sup>(٢)</sup> دخل الجنة » ، فلما قدم على قومه اجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به قوله : بست اللات والعزى ، فقالوا محدرين له : اتق البرص والجذام والجتون أى أن تصيبك من أجل ذمك للات والعزى ، وهو إهانة عندهم ، فقال ضمام ويحكم إنهم لا يضران ولا ينفعان ، وإن الله قد بعث محمداً رسولاً ، وأنزل عليه كتاباً ، وقد استنقذكم به مما كنتم فيه ، وظهر لهم إسلامه ، فما أمسى في ذلك اليوم رجل مشرك ، ولا امرأة

(١) أصابتهم سنة الجدب والقطح .

(٢) غديرتين من الشعر لأنه كان أشعر أى كثير الشعر .

مشركة ، فما سمع بواحد قوم كان أبرك ولا أفضل من ضمام بن ثعلبة .

(١١) وقدم وفد الأزد : قال سُوئيد بن الحارث الأزدي وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ فلما دخلنا عليه وقلمناه فأعجبه مارأى من سمعنا وزينا قال : « ما أنتم ؟ » قلنا مؤمنون فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم ؟ » قلنا خمس عشرة حصلة ؛ خمس منها أمرتنا بها رسلك ؛ وأن نؤمن بها وخمس أمرتنا أن نعمل بها ، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فتحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً ، فقال رسول الله ﷺ : « ما الخمسة التي أمرتكم بها رسلى أن تؤمنوا بها ؟ » قلنا أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت . قال : « وما الخمسة التي أمرتكم أن تعملوا بها ؟ » قلنا أمرتنا أن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونخج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، فقال : « وما الخمسة التي تخلقتم بها في الجاهلية ؟ » قالوا : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضا بمرّ القضاء ، والصدق في مواطن اللقاء ، وترك الشماتة بالأعداء ، فقال رسول الله ﷺ : « حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » ثم قال : « وأنا أزيدكم خمساً فيما لكم عشرون حصلة إن كتم كلامي ، فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكون ، ولا تنافسوا في شيء أنت عنه غداً تزولون ، واتقوا الذي إليه ترجعون ، وعليه تعرضون ، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون » ، وانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ وحفظوا وصيته وعملوا بها .

(١٢) وقدم وفد طيء : وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيء وعلى رأسهم زيد الخيل فلما انتهوا إلى رسول الله ﷺ كلموه وعرض عليهم ﷺ الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم ، وقال رسول الله ﷺ : « ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلارأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل

فإنه لم يلغ كل ما كان فيه » ، ثم سَمَاه زيد الخير ، وقطع له <sup>فيه</sup><sup>(١)</sup> وأرضين معه ، وكتب له بذلك كتابا ، فخرج من عند رسول الله <sup>صلوات الله عليه</sup> راجعا إلى قومه فقال رسول الله <sup>صلوات الله عليه</sup> : « إن ينج زيد من حمى المدينة » ، فإنه قال <sup>(٢)</sup> ... قال وقد سماها رسول الله <sup>صلوات الله عليه</sup> غير الحمى وغير أم حَلْدم ، فلم يثبته . فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له : فردة أصابته الحمى بها فمات ، ولما مات عمدت أمرأته إلى ما كان معه من كتبه التي قطع له رسول الله <sup>صلوات الله عليه</sup> فحرقتها بالنار .

#### عبر ونتائج :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نجملها في الآتي :

وفد بنى أسد : حرمة العيافة ، والكهانة وضرب الحصى .  
 من مات على غير دين الإسلام فهو في النار .  
 وفند بلي : فضل الضيافة وأنها ثلاثة أيام ، وكل معروف صدقة .  
 وفند تيم : الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه .  
 الإيمان اعتقاد وقول وعمل ، وفضل الحلم والأناة .  
 وفند عبد القيس : بيان ردة مسليمة الكذاب وادعائه الكاذب في النبوة .  
 وفند بنى حنيفة : بيان أصول الدين ، وحكم الجزية ، ومن تؤخذ ،  
 وبيان مقدارها .

مشروعية قول مرحباً وأهلاً .

وفد عذرنة : بيان آية النبوة الحمدية إذ أخبرهم بغيب فكان كما أخبر <sup>صلوات الله عليه</sup> ليس على المسلم ذيئح تذبح إلا الأضحية .

(١) اسم مكان شرق سلمى أحد جبل طيء .

(٢) أي لم يكتب الرواى لعدم معرفة اللفظ ولعله أم كُلبة .

وفد ذى مرّة : فيه بيان آية النبوة إذ دعا لهم رسول الله ﷺ بالغيث فسقوا في نفس اليوم .

وفد سعد بن بكر : فيه بيان كرامة ضمام وفضله إذ أسلمت قبيلته كلها بدعوته . فيه بيان أن لكل قول حقيقة ، ويبيان عشرين خصلة هي جماع الخير كله .

وفد طيء : فضل زيد الخير وفوزه برضاء رسول الله ﷺ عنه وتعديل اسمه بزيد الخير .

وسابع أحداها :

### حج أبي بكر الصديق بالناس

وفي أواخر شهر القعدة من هذه السنة تسع خرج أبو بكر الصديق بإذن رسول الله ﷺ أميراً على الحج ومعه عشرون بدنة لرسول الله ﷺ وله هو خمسون بدنة ، وكان في ثلاثة رجال من أهل المدينة ، فلما كان بذى الخليفة « آبار على » على سبعة أميال من المدينة أرسل رسول الله ﷺ في أثره على بن أبي طالب ، وأمره بقراءة سورة براءة على المشركين ، فعاد أبو بكر إلى رسول الله ﷺ بالمدينة وقال يا رسول الله أنزل في شيء ؟ قال : « لا ، ولكن لا يبلغ عنى إلا أنا أو رجل مني ، ألا ترضى يا أبي بكر أنك كنت معى في الغار ، وصاحبى على الحوض ؟ » قال بلى يا رسول الله ، فسار أبو بكر أميراً على الموسم ، فأقام الناس الحج وحجت العرب والكافر على عادتهم في الجاهلية . وعلى رضى الله عنه يؤذن ببراءة ، فنادى يوم الأضحى قائلاً : لا يمحّن بعد العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله إلى مُدته . ورجع المشركون ، فلام بعضهم بعضاً ، وقالوا : ما تصنعون ، وقد أسلمت قريش فأسلموا .

نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعواجزها فيما يلى :

(١) فرض الحج يسقط بالعجز ، وهو على التراثي لا على الفور ؛ إذ لم يحج مع أئمّة بكر سوى ثلاثة رجال ، مع وفاة الرجال والنساء بالمدينة يومئذ .

(٢) مشروعية تعيين أمير للحج .

(٣) فضيلة كل من أئمّة بكر وعلى رضى الله عنهم .

(٤) مشروعية سوق الهدى ، وإرساله مع تخلف المُدّى عن الحج .

(٥) حرمة دخول الحرم على المشركين والكافرين ، ووجوب ستّر العورة في الطواف .

(٦) شرف مركز قريش بين العرب ، إذ العرب تبع لها .

### أهم أحداث السنة التاسعة

#### من هجرة الحبيب ﷺ

لقد وقعت في هذه السنة أحداث تاريخية هامة يحسن ذكر طرف منها إزاء النقاط السوداء الآتية :

● بعث الرسول ﷺ جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الخلصة فهدمها .

● فيها توفى إبراهيم ابن الرسول ﷺ وهو ابن ثمانية عشر شهراً ودفن بالبقاء .

● فيها طلع جبريل على النبي ﷺ والناس حوله في المسجد في صورة رجل وسأل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان ، وعن أمارات الساعة .

● فيها بعث النبي ﷺ المصدقين<sup>(١)</sup> إلى كافة أنحاء البلاد التي أسلم أهلها .

(١) جبة الزكوات .

- فيها توفيت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب رضي الله عنهنّ .
  - فيها توفى رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول ، وصلى عليه الرسول ﷺ ، ثم نهاده الله عن الصلاة على المنافقين مطلقاً بقوله : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَا كَانَ أَبْدًا وَلَا تُقْمِدْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ من سورة التوبة .
  - فيها توفى النجاشي وصلى عليه الرسول والمؤمنون بالمدينة صلاة الغائب رحمه الله رحمة واسعة .

ودخلت السنة العاشرة  
من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم

وكان من أول أحداثها :

بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد  
إلى بني الحارث بن كعب بن جران

فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى رَأْسِ سَرِيَّةٍ ،  
بَعْثَهُ إِلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بِنْجَرَانَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى إِلْسَامٍ ثَلَاثًا  
فَإِنْ أَجَابُوا أَقَامُ فِيهِمْ وَعَلَمُهُمْ شَرَاعِ إِلْسَامٍ ، وَإِنْ لَمْ يَفْعُلُوهُمْ قَاتِلُهُمْ .

فخرج رضي الله عنه إليهم منفداً لأمر رسول الله عليه ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا وأسلموا فاقام فيهم يعلمهم ، وكتب إلى رسول الله عليه كتاباً يعلمه فيه بإسلامهم .

ولما قضى فترة تعليمهم عاد إلى المدينة ومعه وفد منهم من بين أفراده قيس ابن الحصين بن يزيد بن قييان ، ويزيد بن عبد المذان وغيرهما ، فقدموا على رسول الله ﷺ ، ثم عادوا إلى ديارهم ، وأرسل إليهم رسول الله ﷺ عمرو ابن حزم يعلمهم شرائع الإسلام ، ويأخذ صدقاتهم « زكواتهم » وكتب معه كتاباً ، وتوفي رسول الله ﷺ وعمرو بن حزم على نجران .

## نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا هي كالتالي :

- (١) وجوب الدعوة إلى الإسلام .
- (٢) وجوب تعلم من دخل في الإسلام شرائع الإسلام .
- (٣) وجوب نصب الولاية في البلد الذي يدخل في الإسلام أو ذمة المسلمين .

وثاني أحدهما :

### وصول وفد نصارى نجران إلى الحبيب ﷺ

وفي هذه السنة العاشرة وصل وفد نجران على رأس الوفد العاقد والسيد يريدون مباهلة رسول الله ﷺ ليهلك من لم يكن على الحق في دعواه ، إذ هم يدعون أن عيسى عليه السلام ابن الله — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً — وأن المسيحية دين الله والرسول محمد ﷺ يقول : عيسى عبد الله ورسوله ، والدين عند الله الإسلام .

وفعلاً خرج رسول الله ﷺ ومعه على وفاطمة والحسن والحسين فلما رأوهم خافوا ، وقالوا هذه الوجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزهاها ، ولم يباهلوه وصالحوه على ألفي حلة ثمن كل حلة أربعون درهماً ، وعلى أن يضيروا رسول الله ﷺ ، وجعل لهم ذمة الله تعالى وعهده أن لا يفتتوا في دينهم ولا يعشروا ، وشرط عليهم إلا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به . وفيهم نزل نيف وثمانون آية من سورة آل عمران ، وفيها آية المباهلة ، وبيان حقيقة عيسى وأنه عبد الله ورسوله ، ولم يكن ابن الله ، ولا بآله مع الله ؛ إذ قص عليهم نشأة عيسى ابتداءً من جدته حنة إلى ولادة مريم له صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم تسليماً كثيراً .

## نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نوجزها فيما يلى :

- (١) هروب نصارى نجران من المباهلة دليل على نبوة محمد ﷺ . وصحة دينه الإسلام ، وبطلان المسيحية وألوهية عيسى عليه السلام .
- (٢) مشروعية إقرار أهل الكتاب على دينهم وإن كان باطلًا لنسخه بالإسلام .
- (٣) حرمة أكل الربا والتعامل به حتى على أهل الذمة من يهود ونصارى .

وثالث أحداثها :

### قدوم وفود عديدة

### على الرسول ﷺ

والسنة العاشرة كالناسعة كانت سنة وفود أيضاً وها هي ذي قائمة بأسماء تلك الوفود ، وبعض أحواها :

- (١) وفد سلامان : في شوال وكانوا ستة عشر نفراً ، وعلى رأسهم حبيب المسلمين فأسلموا وشكوا إلى رسول الله ﷺ جدب بلادهم وقحطها ، فدعاهم رسول الله ﷺ ، ثم أمر لهم بجوائز فأخذوها وودعوا الحبيب ﷺ ورجعوا إلى بلادهم فوجدوها قد أمطرت في نفس الوقت الذي دعا لهم فيه ، وفي نفس الساعة بالضبط فكانت آية نبوته ﷺ .
- (٢) وفد غسان في رمضان من هذه السنة .
- (٣) وفد عامر في شهر رمضان منها أيضًا .

- (٤) وفد الأزد : وكان يتألف من بضعة عشر رجلاً على رأسهم صرد ابن عبد الله فأسلموا وأمر النبي ﷺ صردًا على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد المشركين معه من المسلمين . فسار صرد الأزد إلى مدينة حرشن

وفيها قبائل من اليمن فيهم خثعم فحاصرهم قریباً من شهر فامتنعوا منه فرجع حتى كان يجبل يقال له كشر فظن أهل جرش أنه منهزم فخرجوا في طلبه فأدركوه فعطف عليهم فقاتلهم قتالاً شديداً ، وقد كان أهل جرش قد بعنوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ ينظران حاله فبينما هما عنده إذ قال : « بأى بلاد الله كشر ؟ وإن بدن الله لتحر عنده الآن » فقال لهما أبو بكر أو عثمان وبحكم ما ينعي لكما قومكما فسألاه أن يدعو الله يرفع عنهم ، ففعل فقال : « اللهم ارفع عنهم » فخرجا من عنده إلى قومهما فوجداهم قد أصيروا ذلك اليوم في تلك الساعة التي ذكر فيها رسول الله ﷺ حالم وخرج وفد جرش إلى رسول الله ﷺ فأسلموا .

(٥) وفدي مراد : مع فروة بن مسیک المرادي على رسول الله ﷺ مفارقاً للملك كندة ، وقد كان قبيل الإسلام بين مراد وهдан وفقة<sup>(١)</sup> ظفرت فيها هدان وأكثروا القتل في مراد ، وكان يقال لذلك اليوم يوم الرزم<sup>(٢)</sup> ، وكان رئيس هدان الأجدع بن مالك وفي ذلك يقول فروة :

وإن نزلت فغلابون قدما وما إن طبنا جن ولكن كذلك الدهر دولته سجال فيينا ما يُسرّ به ويُرضى إذا انقلبت به كرات دهر ومن يغبط برتب الدهر منهم	وإن نَزَمْ فَغِلَابُونَ قَدْمَا مَنِيَانَا وَدُولَةَ آخَرِينَا تَكُرْ صَرْوَفَهُ حِينَا فَحِينَا وَلَوْ لُبِسَتْ غَضَارَتَهُ <sup>(٣)</sup> سَنِينَا فَأَلْفَى لِلأَلْيَ غَبْطَوَا <sup>(٤)</sup> طَحِينَا يَجْدُ رِيبَ الرَّمَانَ لِهِ خَوْنَا
---	--

---

(١) معركة حرب .

(٢) موضع .

(٣) طراونه ونعمته .

(٤) استحسنت حالم .

فُلُو خَلْدُ الْمُلُوكِ إِذَا خَلَدْنَا      وَلَوْ بَقَى الْكَرَامُ إِذَا بَقَيْنَا  
 فَأَفْنَى ذَاكِمَ سَرَوَاتٍ<sup>(۱)</sup> قَوْمٌ      كَمَا أَفْنَى الْقُرُونُ الْأُولَى  
 وَلَا تَوَجَّهُ فَرْوَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

لَا رَأَيْتَ مُلُوكًا كَنْدَةً أَعْرَضْتَ      كَالرِّجُلِ خَانِ الرِّجَلِ عِزْقُ نِسَائِهَا<sup>(۲)</sup>  
 قَرَبْتَ رَاحْلَتِي أُمَّةً مُحَمَّدًا      أَرْجُو فَوَاضِلَّهَا وَحْسَنَ ثَرَائِهَا  
 فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُ قَائِلاً : « هَلْ سَاءَكُمْ مَا أَصَابَ قَوْمَكُمْ  
 يَوْمَ الرَّذْمِ ؟ » قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ ذَا يُصِيبُ قَوْمَهُ مُثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمِي  
 يَوْمَ الرَّذْمِ وَلَا يُسُوءُهُ ذَلِكُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ : « أَمَا إِنْ ذَلِكَ لَا  
 يُزِيدُ قَوْمَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا خَيْرًا » وَاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَرَادِ وَزِيَادِ  
 وَمَذْحِجِ كُلُّهَا ، وَبَعْثَ مَعَهُ خَالِدَ بْنَ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ عَلَى الصَّدَقَةِ فَكَانَ مَعَهُ  
 فِي بَلَادِهِ حَتَّى تَوَفَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(۶) إِرْسَالُ فَرْوَةَ بْنِ عُمَرَ الْجَذَامِيِّ : رَسُولًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْلَمُ  
 بِإِسْلَامِهِ وَبَعْثَ مَعَهُ بَغْلَةً بِيَضَاءِ أَهْدَاهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ فَرْوَةُ عَامِلاً  
 لِلرُّومَ عَلَى مَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْعَرَبِ ، وَكَانَ مُنْزَلَهُ بِمَعْنَانَ فِي أَرْضِ الشَّامِ ، وَلَا بَلَغَ  
 الرُّومَ إِسْلَامَهُ طَلْبَهُ فَأَسْرَوْهُ وَجَبَسُوهُ لِيُقْتَلُوهُ فَلَمَّا اجْتَمَعَتِ الرُّومُ لِصَبْرَهُ عَلَى مَاءِ  
 هُمْ يَقَالُ لَهُ « عِفْرَى » بِفَلَسْطِينِ قَالَ :

أَلَا هَلْ أَنِّي سَلَمَى بِأَنْ خَلِيلَهَا      عَلَى مَاءِ عِفْرَى فَوْقَ إِحدَى الرَّوَاجِلِ  
 عَلَى نَاقَةٍ لَمْ يَلْقَعْ الْفَحْلُ أَمَّهَا      مَشَدَّبَةً أَطْرَافَهَا بِالْمَنَاجِلِ  
 فَلَمَّا قَدَمُوهُ لِيُصْلِبُوهُ قَالَ :

(۱) أَشْرَافُهُمْ .

(۲) عَرْقٌ مُسْتَبْطَنٌ فِي الْفَخْذِ وَهُوَ مَقْصُورٌ نِسَاءً ، وَمَدَ لِلْوَزْنِ لَا غَيْرَ .

بلغ سَرَّةَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّى سِلْمٌ لِرَبِّي أَعْظُمُى ، وَمَقَامِي  
ثُمَّ ضَرَبُوا عَنْهُ وَصَلَبُوهُ فَمَاتُ شَهِيدًا مِنْ أَجْلِ إِسْلَامِهِ اللَّهُ وَجْهُهُ وَقَلْبُهُ .

(٧) قدوم وفد زيد : على رسول الله ﷺ برئاسة عمرو بن معديكرب  
وكان النبي ﷺ قد استعمل على زيد ومراد فروة بن مسيك في هذه السنة ،  
وذلك قبل قدوم عمرو عليه ، فلما عاد عمرو من عند رسول الله ﷺ إلى  
بلاده أقام في بني زيد ، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتد عمرو وقال حين  
ارتدى :

وَجَدْنَا مَلِكَ فَرُوَّهُ شَرِّ مَلِكٍ      حَمَارًا سَافَ<sup>(١)</sup> مِنْخِرَهُ بَشَفِرٍ<sup>(٢)</sup>  
وَكَتَبَ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عَمِيرَ      تَرِي الْحَوَلَاءَ<sup>(٣)</sup> مِنْ حَبَّتْ وَغَدَرِ

(٨) قدوم وفد عبد القيس : على رسول الله ﷺ ، وفيهم الجارود بن  
عمرو ، وكان نصرايني فأسلم هو ومن معه ، وكان الجارود حسن الكلام ،  
نهى قومه عن الردة بعد موت الرسول ﷺ لما ارتدوا مع الغرور المنذر بن  
النعمان ، وقد كان النبي ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة بعثه  
إلى المنذر بن ساوي العبدى فأسلم وحسن إسلامه ، ثم هلك بعد وفاة النبي  
ﷺ وقبل ردة أهل البحرين ، والعلاء يومها أمير على البحرين من قبل رسول  
الله ﷺ .

(٩) قدوم وفد كندة : برئاسة الأشعث بن قيس وكانوا ستين راكبا فقال  
الأشعث نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار فقال النبي ﷺ : « نحن بنو

(١) ساف أى شم .

(٢) التفر من البهام كالرحم من النساء .

(٣) الحولاء : جلدة ماوتها أخضر تخرج مع الولد شبه المهجو بها دناءة قداره . لعنة الله عليه .

النصر بن كنانة لا نقفوا أَمَّا ، ولا ننتهي من أَبِيَا » ، فقال الأشعث ، والله لا أسمع رجلاً يقولها إلا ضربته ثمانين ، ولما دخلوا على رسول الله ﷺ كانوا قد رجلوا جُمَّهُم<sup>(١)</sup> وتكحّلوا عليهم جُبْ<sup>(٢)</sup> العبرة وقد كفّوها بالحرير فقال لهم رسول الله ﷺ : « ألم تسلّموا؟ » قالوا بلى ، قال : « فما بال هذا الحرير في أعناقكم؟ فشقّوه منها وألقوه ». .

(١٠) قدوم وفد محارب .

(١١) قدوم وفد عبد عَبْس .

(١٢) قدوم وفد صَدِيف : وآفوا رسول الله ﷺ في حجة الوداع .

(١٣) قدوم وفد الرهاوين : وهم بطن من مِذْحَج .

(١٤) قدوم وفد خولان : و كانوا عشرة أنفار .

(١٥) قدوم وفد بني عامر : بن صَعْصَعَةَ فِيهِمْ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ وَأَرْبَدُ ابْنُ قَيْسٍ وَجَبَارُ بْنُ سُلَمَى بْنُ مَالِكٍ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَكَانَ عَامِرُ يَرِيدُ الْغَدَرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِهِ قَوْمُهُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا فَأَسْلِمْ فَقَالَ : لَا أَتَبْعِي عَقِبَ هَذَا الْفَتَى ، ثُمَّ قَالَ لِأَرْبَدٍ إِذَا قَدَمْنَا عَلَيْهِ فَإِنِّي شَاغِلُهُ عَنْكَ فَأَعْلَمُهُ بِالسِّيفِ مِنْ خَلْفِهِ .

فَلَمَّا قَدِمُوا جَعَلَ عَامِرٌ يَكْلُمُ النَّبِيَّ ﷺ يَشْغُلُهُ لِيَفْتَكُ بِهِ أَرْبَدٌ أَرْبَدُ شَيْئًا ، فَقَالَ عَامِرٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ لِأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْكَ خِيلًا وَرِجَالًا ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ اكْفُنِي عَامِرًا » ، فَلَمَّا خَرَجُوا قَالَ عَامِرٌ لِأَرْبَدٍ لَمْ تَقْتُلْهُ؟ قَالَ : كَلِمًا هَمْتُ بِقَتْلِهِ دَخَلْتُ بَيْنَيْ وَبَيْنَهُ حَتَّىٰ مَا أَرَى غَيْرَكَ أَفَأَضْرَبْكَ بِالسِّيفِ؟ وَرَجَعُوا فَلَمَّا كَانُوا بِعْضَ الْطَّرِيقِ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَامِرٍ بْنِ الطَّفِيلِ الطَّاعُونَ فَقَتْلَهُ وَإِنَّهُ لَفِي بَيْتِ امْرَأَةٍ سَلُولِيَّةٍ . فَمَاتَ وَجَعَلَ

(١) جمع جمة : الشعر في مقدمة الرأس .

(٢) جمع جهة : من الشياط معروفة تصنّع في البن .

يقول : يا بني عامر أغدّة كغدّة البعير وموت في بيت سُلوليَّة ، وأرسل الله على أربد صاعقة فأحرقه ، وكان أربد بن قيس أخا للبيه بن ربيعة لأمه .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نجملها كالتالي :

- (١) من آيات النبوة الحمدية استجابة دعائه ﷺ في موطين مرتين .
- (٢) حرمة لبس الحرير على الرجال ووجوب سرعة الامتثال لأمر الله رسوله .
- (٣) آية النبوة الحمدية في نزول الصاعقة بأربد ، والطاعون بابن الطفيلي لعنة الله عليه .

### ورابع أحداثها :

#### إرسال النبي ﷺ علیاً إلى اليمن وإسلام همدان

وفي هذه السنة العاشرة من هجرة الحبيب ﷺ بعث النبي ﷺ على بن أبي طالب إلى اليمن ، وقد كان أرسل فيه خالد بن الوليد إليهم يدعوهم إلى الإسلام فلم يُحييه فأرسل علیاً وأمره أن يُفْعِل<sup>(١)</sup> خالداً أو من شاء من أصحابه فعل ، وقرأ على كتاب رسول الله ﷺ على أهل اليمن فأسلمت همدان كلها في يوم واحد ، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : « السلام على همدان » ، ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فسجد شكرًا لله تعالى .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا هي الآتية :

---

(١) أى يأمره بالرجوع إلى المدينة .

(١) فضيلة همدان إذ أسلموا في يوم واحد وسلم عليهم رسول الله ﷺ ثلثاً .

(٢) مشروعية سجود الشكر عند حصول النعمة .

(٣) فضيلة على بن أبي طالب إذ هدى الله على يديه ما لم يهد على يد خالد رضي الله عنهما معاً .

وخامس أحداثها :

### بعث النبي ﷺ أمراء على الصدقات

إن شأن الزكاة في الدولة الإسلامية عظيم فهي من جهة حد فاصل بين الكفر والإيمان ، ومن جهة أخرى فإن مصالح الدولة والأمة قائمة على المال ، والزكاة هي المورد الثابت لذلك ، فمن هنا كان النبي ﷺ يختار الأكفاء لهذه المهمة . وها هي ذى قائمة بأسماء المصدقين أى جبأة الزكاة وجماعتها ، وسميت الزكاة صدقة ؛ لأنها تدل على صدق إيمان مؤديها .

(١) المهاجر بن أمية بن المغيرة بعثه إلى صناعة فخرج عليه العنسى وهو بها .

(٢) زياد بن لبيد الأنباري بعثه إلى حضرموت .

(٣) عدى بن حاتم الطائى بعثه إلى طبيء ، وأسد .

(٤) مالك بن نوريرة بعثه إلى بني حنظلة .

(٥) الزبرقان بن بدر

بعثهما إلى بني سعد بن زيد مناة بن تميم .

(٦) وقيس بن عاصم

(٧) العلاء بن الحضرمي بعثه إلى البحرين .

(٨) علي بن أبي طالب بعثه إلى نجران ليجمع الزكاة والجزية من نصارى نجران ، واستخلف رضي الله عنه على الجيش الذي كان معه رجالاً من أصحابه

وسيقهم إلى النبي ﷺ بحكة حاجاً حجة الوداع ، فعمد الرجل المستخلف إلى الجيش فكساهم كل رجل حلّة من البر<sup>(١)</sup> الذي مع على ، فلما دنا الجيش خرج على ليتلقاهم فرأى عليهم الحلل فنزعها عنهم ، فشكوا الجيش إلى رسول الله ﷺ فقام النبي ﷺ خطيباً فقال : « أهـ الناس لا تشكوا إلى علياً فهو الله إنه لأخشن في ذات الله أوفي سبيل الله من أن يُشكى » .

نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نوجزها كالتالي :

- (١) أهمية الزكاة وجباتها والتأمـر عليها في الإسلام ودولته الرشيدة .
- (٢) مشروعيةأخذجزية على أهل الكتاب .
- (٣) مشروعيةالمبادرة إلى تغييرالمنكر ، إذ نزع على ما كان قد كـاه خليفته أفراد الجيش بدون إذنـ الأمير .
- (٤) فضلـ علىـ إذـ أخبرـ النبيـ ﷺـ أنهـ أخـشنـ فيـ ذاتـ اللهـ أوـ سـيـلـهـ منـ أنـ يـُـشكـىـ ،ـ وـتـقـبـلـ الشـكـوىـ فـيـهـ .

وسادسـ أحـدـاثـهاـ :

## حجـةـ الـودـاعـ والـبـلـاغـ

هـذاـ الحـدـثـ ذـوـ أـهـمـيـةـ كـبـرـىـ لـاـ بـيـنـ الـحـبـبـ ﷺـ فـيـ حـجـتـهـ هـذـهـ مـنـ شـرـائـعـ وـأـحـكـامـ وـآدـابـ ،ـ وـسـمـيـتـ حـجـةـ الـودـاعـ لـأـنـ قـوـلـهـ ﷺـ فـيـهـ :ـ «ـ لـعـلـ لـاـ أـلـقـاـكـمـ بـعـدـ عـامـيـ هـذـاـ»ـ كـانـ مـشـعـراـ بـالـوـدـاعـ ،ـ وـكـذـلـكـ كـانـ ،ـ إـذـ لـمـ يـعـشـ بـعـدـهـ ﷺـ إـلـاـ بـضـعـةـ شـهـورـ وـتـوـفـاهـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ ،ـ وـتـسـمـيـ أـيـضاـ حـجـةـ الـبـلـاغـ ،ـ لـأـنـ الرـسـولـ

---

(١) الثيابـ منـ الـكتـانـ .

بلغ فيها الكثير من الأحكام ، إنه لما دخل شهر القعدة أخذ الرسول ﷺ يتجهز وأمر الناس بالجهاز كذلك معلمًا لهم أنه يريد الحج ، ولما بقي خمس ليال من شهر القعدة استعمل ﷺ على المدينة أبا دجانة أو سباع بن عرفة الغفارى ، وخرج وخرج المسلمون معه وهو لا يريد إلا الحج ، فلما كان بوادي العقيق على سبعة أميال من المدينة نزل عليه جبريل عليه السلام بالسلام من رب العالمين ، فقال له : « إن ربك يقرئك السلام ويقول لك : إنك بالوادى المبارك فَصَلِّ فِيهِ وَقُلْ عُمْرَةُ فِي حَجَّةٍ » وخير أصحابه بين الإفراد والتنوع والقراران فمنهم من أهل بحث ، ومنهم من أهل عمرة ، ومنهم من أهل بحث و عمرة ، وساروا حتى إذا بلغوا سرفاً حيث جاءت عائشة رضي الله عنها العادة الشهرية فبكى وطمأنها الحبيب ﷺ بقوله : « هذا شيء كتبه الله على بنات آدم فافعل يا عائشة كل ما يفعله الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت حتى تطهرى » ، ثم أمر من لم يسوق الهدى أن يجعل حجه عمرة تخفيضاً عليهم ورحمة بهم و benign يأتي بعدهم .

ولما دخل مكة طاف بالبيت وسعى ولم يتحلل لسوقه الهدى ، وبقى بعض أصحابه مفردين وليس معهم هدى فلم يتحلوا فأمرهم بالتحلل ، وقال مُرْعَبًا لهم : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى ، وجعلتها عمرة » فحلوا من إحرامهم ، وسألوه : هل هذا لعامنا هذا خاصة أى التحلل بالعمرة ؟ فقال : « لا بل لأبد الأبد » ، أى يجوز لأى مسلم يأتي مفرداً بالحج وليس معه هدى أن يفسخ الحج إلى عمرة .

ومكثوا بمكة محلين حتى يوم التروية فأحرموا بالحج وخرجوا إلى منى وباتوا بها وبعد صلاة الصبح من يوم عرفة ( تاسع الحجة ) خرجوا إلى عرفة وعلم أثناء ذلك الناس مَنَاسِكُهُمْ وَسَنَّ حَجَّهُمْ ، وخطب خطبة عرفة لم يسمع مثلها في طولها ولما استملت عليه من الشرائع والهدى . وهذه جل فقراتها فلتقرأ ولْيُوقَفْ عند كل جملة منها فإتها كواكب هدى تصيء للMuslim الْذُجْجِي . فقد

حمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهل و قال :  
«أيها الناس اسمعوا قولي : فإني لا أدرى لعل لا ألقاكم بعد عامٍ هذا  
بهذا الموقف أبداً .

أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت . فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائمنه عليها ، وإن كلَّ ربا موضوع ، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا ظلمون ولا ظلمون قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كلِّه . وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مستوضعاً في بني ليث ، فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية .

أما بعد أيها الناس فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ولكن أن يُطْعَن فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرن من أعمالكم فاحذروه على دينكم . أيها الناس إن النسيء زيادة في الكفر يصل به الذين كفروا ، يجعلونه عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله . وإن الزمان قد استدار كهيته يوم خلق السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند اللهاثا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواالية ، ورجب مصر<sup>(١)</sup> الذي بين جمادى وشعبان .

أما بعد أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقاً وهن عليكم حقاً ، لكم عليهن أن لا يُوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة ميبة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجرونهن في المضاجع وتضرنوهن

---

(١) قبل إنما قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرم رمضان وتسميه رجباً فبين عليه أنه رجب مصر لا رجب ربيعة .

ضربياً غير مبرح<sup>(١)</sup> فإن انتهين فلهم رزقهن وكسوتهم بالمعروف واستوصوا  
بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما  
أخذتموهن بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس  
قولي ، فإني قد بلغت . وقد تركت فيكم ما إن اعتصتم به فلن تضلوا أبداً ،  
أمرأ بيّنا كتاب الله وسنة نبيه .

أيها الناس اسمعوا قولى واعقلوه تعلم أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن  
ال المسلمين إخوة ، فلا يحل لأمرىء من أخيه إلا ما أعطاوه عن طيب نفس  
منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟ !!! .

قال الناس : اللهم نعم فقال رسول الله ﷺ : « اللهم فاشهد ».  
« أيها الناس إن الله قد أدى إلى كل ذى حق حقه ، وإنه لا تجوز وصية  
لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر ، ومن أدعى إلى غير أخيه أو تولى غير  
مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ». .

وإنه ﷺ بعد أن زالت الشمس وصلى بالناس وخطبهم أتى جبل عرفة فوقف  
في سفحه وقال : « وقف هنا وعرفة كلها موقف » ، ولما غربت الشمس ،  
ركب إلى مزدلفة ، فوصلها بعد العشاء جمعاً ، وبات بها ، ولما طلع الفجر ،  
صلى الصبح ، ووقف على جبل قرح وقال : « وقف هنا ، ومزدلفة كلها  
موقع » ، ولما أسفر جداً أتى الجمرة فرمها ثم المنحر ثم قال : « نحرت  
هذا هنا ومني كلها منحر » ، ثم أفض من يومه وعاد إلى مئى ، فبات بها ثلاثة  
ليال يرمي الجمرات الثلاث بعد زوال كل يوم ، يبدأ بالصغرى ، ويختتم بالكبرى  
وخطب أيام مني وعلم كل ما الأمة في حاجة إليه إلى يوم الدين ، ولذا كانت  
هذه الحجة تسمى حجة البلاغ كما تسمى حجة الوداع ؛ لأنه ﷺ ودع أمه  
فيها إذ لم يحج بعدها ، فصلى الله عليه وسلم يوم ولد ، ويوم دعا وجاهد ، ويوم  
حج واعتبر . ويوم ودع ويوم مات فالتحق بالرفيق الأعلى في جنة عرضها  
السموات والأرض .

---

(١) أي غير شديد فلا يكسر عضواً ولا يشنن جارحة .

## نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نسجلها إزاء الأرقام الآتية :

- (١) وقوع حجة الوداع بعد تطهير الحرم من الشرك والشركين دال على حصاد جهاد دام نيًّا وعشرين سنة ، وفي هذا عبرة لمن يعتبر .
- (٢) بيان أن وادي العقيق مبارك ، وأنه ميقات أهل المدينة إذ ذو الحليفه على شاطئه الأئمين .
- (٣) مشروعية الإهلال بأى نسك من الأنساك الثلاثة . الإفراد ، والمتبع ، والقران .
- (٤) بيان أن الحائض لا يمنعها الحيض من الإحرام ، إذ تفعل كما يفعل الحاج إلا أنها لا تطوف حتى تظهر وتفتسل .
- (٥) من مظاهر الرحمة الحمدية الإذن بفسخ الحج إلى عمرة ، تيسيرًا وتسهيلاً على الأمة .
- (٦) مشروعية الحرص على مخالفه اليهود والنصارى والشركين ؛ إذ كان المشركون يعدون الاعتمار في أشهر الحج من أفجر الفجور ، وكانوا يقولون : إذا برأ الدبر ، وعفا الآخر ، وانسلخ صفر ، حلت العمرة لمن اعتمد ، فلذا أمر النبي ﷺ أصحابه بالتحلل والاعتمار ولما تردد أصحابه في ذلك غضب حتى أذعنوا لأمره وتحللو رضى الله عنهم .
- (٧) بيان باقي المناسك عمليًّا ؛ إذ كان يقول : « حجوا كمارأيتمني أحج ». .
- (٨) الإعلان عن حقوق المسلم ، وأنه محرم الدم والمال والعرض .
- (٩) الإعلام عن تحريم الظلم والربا ، وكل عادات الجاهلية .
- (١٠) الإعلان عن حقوق النساء ، والأمر بالاعتراف بها وأدائها ، وكذا حقوق الزوج على زوجته .

(١١) تحريم الوصيّة للوارث ، وتقدير قانون التوارث كما في القرآن الكريم .

(١٢) حرمة النبني والانتساب إلى غير الموالى .

(١٣) تقرير أن الولد ينسب إلى من ولد على فراشه ، وأن العاهر لا حق له فيه ، وإنما له الرجم بالحجارة إذا اعترف بالرفيق .

### ودخلت السنة الحادية عشرة من هجرة الحبيب ﷺ

وكان أول أحداثها :

بعث جيش أسامة  
إلى الشام

إن آخر بعث في الجهاد الحمدى هو بعث أسامة بن زيد الحبّ بن الحبّ رضى الله عنهما .

ففى المحرم وبعد العودة من حجة الوداع رأى النبي ﷺ أن يبعث بعثاً إلى الشام وأن يكون أسامة بن زيد الشاب الذى لم يتجاوز من العمر ثمانى عشرة سنة هو قائداً لهذا الجيش الذى عقد لواهه رسول الله ﷺ ، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء ، والداروم من أرض فلسطين . وتكلم بعض طاعنًا فى أسامة لصغر سنّه فأجابهم رسول الله ﷺ بقوله : « إن تعطعوا فى إمارة أسامة فقد طعنتم فى إمارة أبيه من قبل » ، وذلك لكون كل من زيد وأسامة ولده مولى وليس بسيد .

وتجهز الناس للخروج ، وفي هذا الجيش كبار المهاجرين والأنصار كأئمّة يكرون وعمر وغيرهما ، وبينما الناس في التجهيز والإعداد للخروج إذا برسول الله ﷺ يتدائى مرضه الذى قبض . فوقف الجيش في انتظار شفاء الحبيب ﷺ ، ولم يمض إلا أسبوع واحد ويقبض رسول الله ﷺ ، ويلتحق بالرفيق

الأعلى ، ويقى جيش أسامة في انتظار ما يحدث بخصوصه ، وولى أمر المسلمين أبو بكر وأنفذ جيش أسامة كما أراد رسول الله ﷺ وأحبّ ، وذلك نزول من الصديق على رغبة الحبيب في تنفيذ ما يحب فرضي الله عن أبي بكر ما أرضاه وأوفاه فاللهم اجعل الجنة مأواناً ومأواه .

### نتائج وعبر :

إن هذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبرًا نوجزها في الآتي :

- (١) بيان مواصلة الرسول ﷺ الجهاد حتى آخر يوم من حياته .
- (٢) جواز إسناد قيادة الجيوش إلى الشاب الكفاء المقتدر إذا كان في قيادته ذو الرأى والمشورة من كبار السن من كهول وشيوخ .
- (٣) بيان أن الطبع البشري لم يتبدل فقد طعن في إمارة زيد وإمارة أبيه وفي حضرة الرسول ﷺ .
- (٤) بيان كمال أبي بكر الصديق ، وصادق وده وعظيم طاعته لرسول الله ﷺ حياً وميتاً وذلك بإنفاذ جيش أسامة وفي أصعب الظروف وأشدّها حلوكة .

## خاتمة الجهاد الحمدى بيان عدد غزواته ﷺ وسراياته

لقد غزا ﷺ ستًا أو سبعة وعشرين غزواً في خلال سنوات هجرته العشر . باشر القتال بنفسه في تسع غزوات منها ، وهي : بدر الكبرى ، وأحد ، والحندق ، وقرية ، والمصطلق ، وخير ، والفتح ، وحنين ، والطائف ، وباق الغزوات أعدها وحضرها إلا أنه لم يباشر القتال فيها بنفسه وإنما بواسطة

أصحابه رضوان الله عليهم وهي : ودان وهى الأبواء ، ثم بُواط ، ثم العُشيرة ، ثم بدر الأولى ، ثم غزوة بنى سليم ، ثم غزوة السويف ، ثم غزوة غطفان ، ثم غزوة نجران بالحجاز ، ثم حراء الأسد ، ثم بنى النضير ، ثم ذات الرّقان ، ثم بدر الآخرة ، ثم غزوة دومة الجندل ، ثم غزوة بنى حيان ثم غزوة ذى قَرْد .

وأما سراياه عليه السلام فقد بلغت نحوًا من خمس وثلاثين سريّة وبعًا وقد مرت هذه السرايا والبعوث ، وتلك الغزوات مفصلة واحدة بعد أخرى في سنوات الهجرة العشر المباركة ، والحمد لله أولاً وآخرًا .

وآخر أحداثها وأجلها :

مرض الحبيب عليه السلام  
وفاته

بداية مرضه عليه السلام :

في أوائل شهر ربيع الأول ، وفي يوم الأربعاء بالذات بدأ وجع الحبيب عليه السلام فأصابه صداع وحمى . وقبل هذه البداية المؤلمة ببعض الأيام خطب عليه السلام الناس فنعي إليهم نفسه وهم لا يشعرون . إذ صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله وقال : « إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبد ما عند الله ». فبكى أبو بكر فعجب الناس من بكائه . بكى لأنه فهم أن الخير هو رسول الله عليه السلام ، وقال عليه السلام : « إن من أمن الناس على في صحبه وماله أبو بكر ، ولو كنت متخدًا خليلاً لاختدت أبو بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يقين في المسجد بباب إلا سد إلا باب أبي بكر » .

وفي جوف الليل يوقظ رسول الله عليه السلام مولاه أبو مويهية ويقول : « يا أبو مويهية إن قد أمرت أن استغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معى » ، فلما وقف بين أظهرهم قال : « السلام عليكم يا أهل المقابر ليشنكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه . أقبلت الفتنة كقطع الليل المظلم يتبعوها آخرها . الآخرة شر من الأولى » . ثم أقبل على أبي مويهية وقال : « يا أبو مويهية إن قد أتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة فحيّرت بين ذلك وبين لقاء ربِّي والجنة » ، فقال له أبو مويهية بأني أنت وأمّي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها والجنة ، فقال : « لا والله يا أبو مويهية لقد اخترت لقاء ربِّي والجنة » . ثم استغفر عليه السلام لأهل البقيع ثم انصرف . فبدأ برسول الله عليه السلام وجمعه الذي قبض فيه ، إذ دخل على عائشة بعد رجوعه من البقيع

فوجدها تشكو صداعاً وتقول : وارأساه ! فقال : « بل أنا والله يا عائشة وارأساه !! » ثم قال لها : « وما ضرك لومت قبل فقمت إليك وكفتلك ، وصليت عليك ودفتلك » فقالت عائشة والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك . قالت عائشة رضي الله عنها فتبسم رسول الله ﷺ و تمام به وجعه ، وهو يدور على نسائه حتى استعز به وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه فاستأذنها أن يمرض في بيتي فأذن له .

### في بيت عائشة :

وبعد أن أذن له أمهات المؤمنين في أن يُمرض في بيت عائشة رضي الله عنها خرج عليه يمشي بين رجلين من أهله هما العباس وعلى وهو عاصب رأسه خط قدماه حتى دخل بيت عائشة رضي الله عنها ، ثم حمى عليه واشتد به الوجه ، فقال : « هريقوا على سبع قرب من ماء حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم » ، قالت عائشة فأقعدناه في مخضب لحصة بنت عمر ثم صب عليه الماء حتى طفق يقول : « حسبكم حسبكم !! » ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم ، ثم ازداد مرضه فقال : « مروا أبي بكر فليصل بالناس » فقالت عائشة إن أبي بكر إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء ، فمِر عمر فليصل بالناس ، وكررت عليه عائشة القول فكرر الإجابة حتى قالت عائشة لحصة ، قولى له : إن أبي بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس ، فقالت له عائشة : « مَهْ إِنْكَنْ لَأْتَنْ صَوَاحِبَ يُوسُفَ ، مَرُوا أَبَا بَكْرَ فَلِيُصْلِي بَالنَّاسَ » ، فقام أبو بكر يصلى بالناس ، ووجد النبي ﷺ من نفسه خفة فخرج بين رجلين العباس وعلى لصلاة الظهر فلما رأه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه أن لا يتأخر ، وقال للرجلين : « أجلساني إلى جنبه » ، فأجلساه إلى جنب أبي بكر ، فكان أبو بكر يصل وهو قائم بصلوة رسول الله ﷺ وهو قاعد والناس يصلون بصلوة أبي بكر .

وفي مرضه هذا قال لعائشة : « ما زلت أجد ألم الطعام<sup>(١)</sup> الذي أكلت  
بخير فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم » .

ولما كان يوم الخميس قبل وفاته عليه عليه الله تعالى بأربع ليال اجتمع عنده ناس من  
 أصحابه فقال : « ائتوني بكتف<sup>(٢)</sup> ودواة أكتب لكم كتاباً لن تصلوا بعده  
أبداً » ، فتذارعوا عنده وأخذدوا يردون عليه ، فقال : « دعوني في الذي أنا  
فيه خير مما تدعوني إليه » ، وأوصاهم بثلاث : فقال : « أخرجوا المشركين  
من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم » ، وسكت عن  
الثالثة .

ولما كان يوم الاثنين الذي قبض فيه عليه الله تعالى ، والناس في صلاة الصبح وأبو  
بكر يصلى الناس لم يفجأهم إلا رسول الله عليه الله تعالى يكشف ستراً حجرة عائشة  
فينظر إليهم وهو صفوف في الصلاة ، ثم تبسم يضحك ، فنكص أبو بكر  
على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله عليه الله تعالى يريد أن يخرج إلى الصلاة ،  
وهم الناس أن يفتتوا في صلاتهم فرحاً برسول الله عليه الله تعالى ، فأشار إليهم بيده  
أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستار ، وانصرف الناس وهو يرون  
أن النبي عليه الله تعالى قد أفاق من وجعه فرجع أبو بكر إلى أهله بالسنج . ودخل  
عبد الرحمن بن أبي بكر وفي يده سواك وأنا مستندة رسول الله إلى صدرى  
فرأيته ينظر إليه ، وعرفت أنه يحب السواك فقلت آخذنه لك ؟ فأشار أن نعم ،  
فتناولته فاشتد عليه ، فقلت ألينه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم فلبيته بأمره فاستن  
به ، وهو مستند إلى صدرى ، وبين يديه ركوة ماء فجعل يدخل يده في الماء  
فيمسح بها وجهه ويقول : « لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرات » وآخر

(١) يعني عليه الله تعالى الشاة المسمومة التي قدمت له بخير وأكل منها فلم تضره في ذلك الوقت . واستمر  
الداء كاماً حتى ظهر في هذه الأيام ، وقد مات أحد أصحابه لما أكل منها كما تقدم في فتح خير ،  
والأخير عرق في الإنسان إذا انقطع هلك صاحبه .

(٢) عظم الكتب يكتب عليه .

كلمة قالها<sup>(١)</sup> : « اللهم الرفيق الأعلى » .

ومن سفهى وحداثة سنّى أن رسول الله ﷺ قد قبض في حجري ، ثم وضع رأسه على وسادة ، وقامت ألسنة<sup>(٢)</sup> مع النساء وأضرب وجهي . وكانت تقول رضى الله عنها . إن من نعم الله على أن رسول الله ﷺ توف في بيته وفي يومي وبين سحرى<sup>(٣)</sup> ونحرى ، وأن الله جمع بين ريقى وريقه ؛ لأن ليكثُر له السواك فاستاك به .

وتوفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة المباركة ، وفي مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة .

في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع ولد فيه وأوحى إليه فيه ، ووصل دار الهجرة فيه وتوفي فيه ، ولذا كان يصومه ﷺ ويقول : « يوم الاثنين ولدت فيه وأوحى إلى فيه » .

#### اشتداد الكرب وكمال الصديق :

وما أن علم الناس بوفاة الرسول ﷺ حتى طاشت عقوفهم ، وعمتهم الحيرة وأقعدهم الدهشة وأظلمت الحياة في وجوههم حتى أن عمر على جلالته قام يحلف للناس بأن الرسول ما مات حتى جاء أبو بكر من السنح فدخل على رسول الله ﷺ فوجده مسجّى في ثوب حِيرَة فكشف عن وجهه وقبله وبكي ، ثم قال : بأبي أنت وأمي طبت حيًّا وميتًا ، والذى نفسى بيده لا يذيقك الله الموتى أبداً ، ثم خرج وعمر يكلم الناس ، فقال : اجلس يا عمر

(١) آخر جاه في الصحيحين .

(٢) تلطم خذتها من شدة الواقعة .

(٣) أى ورأسه ﷺ بين ثغرة نحرها وهو سَحْرُها ونهاية حلقتها وهي منتهى الذقن .

فأئنَّ أَنْ يَجْلِسَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَتَرَكُوا عُمْرًا . فَحَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَثْنَا عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَمَا بَعْدَ فَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، وَقَالَ عَزْ وَجْلُهُ : ﴿ إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ ﴾ وَقَالَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَقْتَ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلَ أَفَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَغْقَابِكُمْ ﴾ ، فَشَجَّ النَّاسُ يَكُونُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَاللَّهُ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٌ فَتَلَقَّاهَا النَّاسُ مِنْهُ كُلَّهُمْ ، فَمَا أَسْمَعَ بَشَّارًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتَلَوَّهَا .

### غسل الحبيب وكفنه ودفنه :

وَلَمَّا فَرَغَ الصَّدِيقُ وَفَرَغَ الْأَصْحَابُ مِنَ الْبَيْعَةِ ، وَبَوْيَعَ لَأْنِي بَكْرُ الصَّدِيقِ بِالْخَلَافَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ عَلَى أُمِّهِ أَقْبَلُوا عَلَى تَجْهِيزِ الْحَبِيبِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَوَلَّ غَسْلَهِ أَلَّا يَبْلُغَهُ وَهُمْ عَلَى بَنِي طَالِبٍ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَالْفَضْلُ وَقَمْ أَبْنَا الْعَبَّاسِ ، وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَشَقْرَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ وَوَلَدَاهُ يَقْلِبَانَهُ ، وَأَسَامَةُ وَشَقْرَانُ يَصْبَانُ الْمَاءَ وَعَلَى يَغْسِلِهِ يَبْدِئُهُ فَوْقَ ثِيَابِهِ ، فَلَمْ يَفْضِ يَدُهُ إِلَى جَسْدِهِ الطَّاهِرِ قَطْ فَلَمْ يَرِدْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ مَا يَرِى مِنَ الْمَيِّتِ ، وَكَانَ عَلَى يَغْسِلِهِ يَقُولُ بَأْنِي أَنْتَ وَأَمِّي مَا أَطْبِيكَ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَكَفَنَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ ، ثَوَيْنِ صُحَارِيَّيْنِ وَبَرْدِ حِبْرَةَ أَدْرَجَ فِيهَا إِدْرَاجًا .

وَمِنْ آيَاتِ نِبَوَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا هَلْ يَغْسِلُونَهُ كَمَا يَغْسِلُ الرِّجَالَ بَأْنَ يُجَرَّدُ مِنْ ثِوَبِهِ ، فَأَخْذُهُمُ النَّوْمُ وَهُمْ كَذَلِكَ ، وَإِذَا بَهَاتَ فَيَقُولُ : غَسَّلُوا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَلَيْهِ ثِيَابَهُ فَفَعَلُوا ، وَلَا أَرَادُوا دَفْنَهُ اخْتَلَفُوا فِي مَوْضِعِ دَفْنِهِ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ يَقُولُ : « مَا قَضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حِيْثُ قَبَضَ » . فَرَفَعَ فَرَاشَهُ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَحَفَرَ فِي مَوْضِعِهِ ، وَذَلِكَ بَأْنَ حَفَرَ لَهُ أَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ لَهُدَا ، ثُمَّ دَخَلَ النَّاسُ أَرْسَالًا يَصْلُونَ عَلَيْهِ فَرَادِيَ

الرجال ، ثم النساء ، ثم الصبيان ، ثم العبيد ، وما فرغوا من الصلاة عليه دفن عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك ليلة الأربعاء ، وكان الذي نزل في قبره على بن أبي طالب ، والفضل وقتم ابن العباس وشقران ، وأثناء ذلك قال أوس بن حولي الأنباري لعلى : أنشدك الله وحظنا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أى أن تأذن لي في النزول إلى قبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأذن له بالنزول في القبر معهم فنزل ، وسووا عليه التراب ورفعوه مقدار شبر عن الأرض .

وقبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعمره ثلات وستون سنة ، ولم يختلف من متاع الدنيا ديناراً ولا درهماً ، بل مات ودرعه مرهونة في كذا صاعاً من شعير ، فصلى الله عليه وسلم يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً .

### **بكاءً ودموع على فراق الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

لا أحب أن أثير شجون المؤمنين والمؤمنات ، ولا أن أهيج نفسي بالبكاء الذي لا يجدى ؛ بل يجدى إذ يطفئ نار أحشاء تلتهب ، ولكن كيف أو أصل الحديث والقلب جرث ، والعين تذرف والدموع منهمر فلذا نكتفى بتسجيل دالية حسان بن ثابت شاعر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنها تعبر عن حزن وألم ودموع كل مؤمن ومؤمنة في هذه الحياة .

قال رضى الله عنه وأرضاه :

منير وقد تعفو الرسوم وتهمد بها منبر المادى الذى كان يصعد وربع له فيه مصلى ومسجد من الله نور يستضاء ويُوقَد أتاها البلى فالآى منها تجدد	بطيبة رسم للرسول وَمَعْهَد ولا تمحي الآيات من دار حرمة وواضح آثار وساق معلم بها حجرات كان ينزل وسطها معارف لم تطمس على العهد آيتها
--	--

وقبراً بها واراه في التُّرب ملحدٌ  
 عيونٌ ومثلاها من الجفن تسعده  
 لها محصيًّا نفسى فنفسى تبلد  
 فظللت لآلة الرسول تعدد  
 ولكن لنفسى بعد ما قد توجد  
 على طلل القبر الذى فيه أَحمد  
 بلادُ ثوى فيها الرشيد المسدد  
 عليه بناءً من صفيح منضدٌ  
 عليه وقد غارت بذلك أَسعد  
 عشية علوة الثرى لا يوسمدُ  
 وقد وهنت منهم ظهورُ وأعضدَ  
 ومن قد بكته الأرض فالناس أَكمدَ  
 رزية يوم مات فيه مُحَمَّدٌ  
 وقد كان ذا نورٍ يغور وينجدُ  
 وينقذ من هول الخزايا ويرشدَ  
 معلمٌ صدق إن يطيعوه يسعدوا  
 وإن يحسنو فالله بالخير أجودُ  
 فمن عنده تيسير ما يتشددُ  
 دليلٌ به نهج الطريقة يقصدُ  
 حريص على أن يستقيموا ويهتدوا  
 إلى كنفِ يحنو عليهم ويهدُ  
 إلى نورهم سهمٌ من الموت مقصدُ  
 يسكيه حقُّ المُرسَلاتِ ويحمدُ  
 لغيبة ما كانت من الوحي تعهدُ

عرفت بها رسم الرسول وعهده  
 ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت  
 تذكرن آلاء الرسول وما أرى  
 مفجعةً قد شفَّها فقد أَحمدَ  
 وما بلغت من كل أميرٍ عشيره  
 أطلالت وقوفاً تذرف العين جهدها  
 فبوركت يا قبر الرسول وبوركت  
 وبورك لحدٍّ منك ضمن طيباً  
 تهيل عليه الترب أَيدٍ وأعينٌ  
 لقد غيبوا حلمًا وعلمًا ورحمةً  
 وراحوا بحزنٍ ليس فيهم نبيهم  
 يكون من تبكي السماوات يومه  
 وهل عدلت يوماً رزية هالكِ  
 تقطع فيه منزل الوحي عنهم  
 يدل على الرحمن من يقتدى به  
 إمامٌ لهم يهدِّهم الحق جاهداً  
 عفوًّ عن الزّلات يقبل عذرهم  
 وإن ناب أمرٌ لم يقُوموا بحمله  
 فيناهم في نعمة الله بينهم  
 عزيزٌ عليه أن يجوروا عن الهدى  
 عطوفٌ عليهم لا يُشنّي جناحه  
 فيناهم في ذلك الثور إذ غدا  
 فأصبح محموداً إلى الله راجعاً  
 وأمست بلادُ الحرم وحشاً بقاعها

إلى أن قال :

ولا أعرفنك الدهر دموعك يجمد  
على الناس منها ساقٌ يتغمد  
لفقد الذى لا مثُلُه الدهر يوجد  
ولا مثُلُه حتى القيامة يفقد

فبَكَى رَسُولُ اللهِ يَا عَيْنَ عِبْرَةٍ  
وَمَالِكٌ لَا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي  
فِجُودُهِ عَلَيْهِ بِالدَّمْوعِ وَأَغْوَلِي  
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلُ مُحَمَّدٍ

إلى أن قال :

من الناس إِلَّا عازبُ العُقْلِ مُبَعِّدٌ  
لَعْلَىٰ بَهْ فِي جَنَّةِ الْخَلْدِ أَخْلَدٌ  
وَفِي نَيْلِ ذَاكِ الْيَوْمِ أَسْعَىٰ وَأَجْهَدٌ

أَقُولُ وَلَا يُلْقَى لِقْوَلِي عَائِبٌ  
وَلَيْسَ هُوَأَنِي نَازِعًا عَنْ ثَانِيَهِ  
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِذَاكِ جَوَارِهِ

### الذات الحمدية

إن الحبيب صلوات الله وسلامه عليه بشر إلا أنه أكمل البشر وأفضلهم ،  
واهب كماله وفضله هو الله جل جلاله ، وتعالى جده . وعظم سلطانه .  
ومن هنا كان الكمال الحمدى ، ذاتاً وصفات عطاء إلهياً لا يسامى رسول  
الله فيه ، ولا يقوى القلم على رسم حقيقته ، ولم ينحطىء من قال في هذا  
الشأن .

وما مثلوا صفاتك لله ساس إلا كما مثل النجوم المساء

وقد وصف الحبيب محمدًا صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض من أصحابه ومواليه وأئمَّةٍ بيته ، وكل  
واصف لم يعد الحقيقة بل لم ينته إليها ، وذلك لعجزه وعدم قدرته على رسم  
الصورة الحقة للذات الحمدية .

وبناء على هذا الذى قلنا فإننا نكتفى بوضع رسم أمام القارئ كأن قد  
رسمه أعلم أصحابه به ، وأصدقهم بجنابه ؛ لأنَّه فرع دوحته ، وبعل ابنته ،  
وأبو حَسَنِيه ؟ هو على بن أبي طالب رضى الله عنه وأرضاه إذ يقول :

## الرسم الكريم محمد الحبيب عليه السلام

كان رسول الله عليه السلام ليس بالطويل ولا  
القصير ، فخم الرأس واللحية ، شن<sup>(١)</sup>  
الكفين والقدمين ، ضخم الکراديس<sup>(٢)</sup> ، إذا  
مشريا وجهه حمرة ، طويل المسربة<sup>(٣)</sup> ، إذا  
مشى تكفاً تكفوأ كأنما يتحط من صبب<sup>(٤)</sup> ،  
لم أر قبله ولا بعده مثله ، وكان أدعج<sup>(٥)</sup>  
العينين ، سبط الشعر ، سهل الخدين ، ذا  
وَفْرَة ، كان عنقه إبريق فضة .

وإذا التفت التفت جميما ، كان العرق في  
وجهه المؤلئ الرطب لطيب عرقه وريحه .  
وخاتم النبوة بين كتفيه ، وهو بضعة لحم  
ناشرة<sup>(٦)</sup> حوها شعر طيب جميل .

كانت تلك صورة رسول الله عليه السلام رسماً أبلغ أصحابه بياناً وأفضلهم  
لساناً ، ومن أصدقهم لهجة ، وأكثرهم تحريراً للحقيقة والصواب ، فلو أراد  
المصورون اليوم وقد لعنهم الله على لسان رسوله ، لو أرادوا أن يرسموا صورة  
لمثل رسول الله عليه السلام والله ما قدروا ولو اجتمعوا لذلك ، ولكنوا كاذبين ،

(١) أي مثل لحم الكفين والقدمين .

(٢) ألواح الأكاف .

(٣) شعر الصدر .

(٤) أي الانحدار .

(٥) أسود العينين .

(٦) أي مرتفعة .

وملعون من كذب على رسول الله ﷺ فيما تخيلوه ورسموه . وبلغني وأنا أكتب هذه الرسالة في السيرة الحمدية العطرة أن منظمة مّا في بلد مّا رسمت صورة في شكل تمثال وقالوا : هذا محمد ﷺ فَكَرَّ عليها رجال سفارة خادم الحرمين الشريفين فهدموها وحطموها فجزاهم الله خير الجزاء ، وحفظ الله خادم الحرمين وحكومته التي تذهب عن الإسلام ، وتدفع عن حرمات شرائعه أصولاً وفروعاً أميناً .

### أسماء الذات الحمدية

إن لكل ذات اسمًا أو أسماء تعرف بها من بين سائر الذوات ، وهذا أمر مقرر في جميع الشرائع ، ومستقر في النفوس ، وملازم للفطرة ، ومقبول لدى العقول وبقدر شرف الذات وسموها وكما لها تكثر أسماؤها وصفاتها ، حتى تحمل عن الحصر: فإن الله تعالى مائة اسم إلا اسمًا ، وقد ذكرت في القرآن متفرقة وذكرت في السنة مجملة .

وأما الحبيب ﷺ فإن له خمسة أسماء ، وليس هذا لغيره من سائر إخوانه الأنبياء فضلاً عن دونهم ، وقد جاء ذكر أسمائه الخمسة في حديث مالك في موطنه وهي : محمد ، وأحمد ، والمتفق ، والعاقب ، والحاشر .

وأما صفاتاته ﷺ مثل نبى الرحمة ، ونبى الملجمة ، ونبى التوبة فهى كثيرة جدًا ويطول ذكرها ، وقد كتب قدر منها في الجدار القبلي لمسجده ﷺ . وما كان ينبغي أن تكتب أسماؤه وصفاته على الجدران والحيطان ، وإنما على ألواح الذهب ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

مَالَهُ عَلَاقَةٌ  
بِالذَّاتِ الْمُحْمَدِيَّةِ  
كَالزَّوْجَاتِ وَالْأُولَادِ وَالْمَوَالِيِّ  
وَالْمَتَّلِكَاتِ لِهِ كَالْمَرَاكِبِ وَأَنْوَاعِ السَّلَاحِ

(١) أَزْوَاجُهُ عَلَيْهِ الْبَشَّارَةُ :

أجمل ابن الكلبي كما ذكر ذلك ابن الأثير القول في زوجات الرسول ﷺ  
فقال : تزوج النبي ﷺ خمس عشرة امرأة ودخل بثلاث عشرة منهن ، وجمع  
بين إحدى عشرة منهن ، وتوفى عن تسع منهن رضي الله عنهم .

وتفصيل ذلك كالتالي :

تزوج رسول الله ﷺ أول من تزوج خديجة بنت خويلد ، وكانت قبل  
تحت عتيق بن عائذ بن عبد الله بن مخزوم فمات عنها وتزوجها بعده أبو هالة  
ابن زراره بن النباش التميمي ، فولدت له هند بن أبي هالة ، ثم مات عنها  
فتزوجها رسول الله ﷺ وهي أم أولاده كافة إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية  
جاريته التي أهداها إياه الملك الموقوس ملك القبط وهو بالمدينة النبوية .

ثم تزوج عائشة بنت أبي بكر الصديق وكانت صغيرة السن فلم يبن<sup>(١)</sup>  
بها حتى هاجر إلى المدينة وهاجرت أسرتها الكريمة . ثم تزوج عائشة بمكة سودة  
بنت زمعة وهي ثيب ؛ إذ كانت تحت السكران بن عمرو أخي سهيل بن  
عمرو ، وكان قد هاجر إلى الحبشة فتنصر ومات بها كافرا ، فزوجه بها والدها  
زمعة بن قيس ، وخطبتها له خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فدخل  
بها بمكة وأصدقها أربعين ألف درهم .

(١) بني بها عائشة وعمرها تسعة سنين ومات عنها وعمرها ثمان عشرة سنة .

ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وكانت قبله تحت حُنَيْسٍ بن حداقة السهمي وأمهرها عليه السلام أربعمائة درهم ، ثم تزوج أم سلمة بنت أبي أمية المخرومية وكانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد شهيد أحد رضي الله عنه . ثم تزوج زينب بنت خزيمة أم المساكين ، وكانت عند الطُّفَيْلِ بن الحارث بن عبد المطلب ، وماتت عند رسول الله عليه السلام ولم يمت في حياته من نسائه عليه السلام إلا هي وخدجية قبلها . ثم تزوج جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية من بنى المصطلق ، وكانت عند مالك بن صفوان المصطلقى ولم تلد له شيئاً ، ثم تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب وكانت عند عُبيدة الله بن جحش وهو من مهاجرة الحبشة وتنصر ومات بها فأرسل النبي عليه السلام إلى النجاشي فخطبها عليه وتزوجها وهي بالحبشة وتولى عقد نكاحها خالد بن سعيد بن العاص ، ودفع مهرها النجاشي ، وكان أربعمائة دينار واسم أم حبيبة رملة . ثم تزوج زينب بنت جحش وكانت عند زيد بن حارثة مولاها ، فزوجه الله تعالى بها ، وبعث في ذلك جبريل ، فكانت رضي الله عنها تفخر على نساء رسول الله عليه السلام وتقول : أنا أكرمنهن ولِيَا وسفيراً ، وهي أول من توفى من زوجات الرسول عليه السلام بعد وفاته ، فقد توفيت في خلافة عمر رضي الله عنهم وأرضاهما ، ثم تزوج صفية بنت حمی بن أخطب النضرية وكانت قبله عند سلام بن مشكم فماتت عنها وخلفه عليها كنانة بن الريبع بن أبي الحقيق فقتل في خير ، ثم أعتقها رسول الله عليه السلام وتزوجها لأنها كانت من سبى خير ، ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهاشمية وكانت قبله تحت عمير بن عمرو الثقفي ثم تزوجها بعد عمير أبو زهير بن عبد العزى ، ثم تزوجها رسول الله عليه السلام بعده ، وهي خالة عبد الله بن عباس رضي الله عنها تزوجها رسول الله عليه السلام في عمرة القضاء عقد عليها بحكة بعد التحلل من العمرة ، وبني بها سرفاً . كما تقدم بناؤه في عمرة القضاء . ثم تزوج شراف بنت خليفة الكلبي وتوفيت قبل أن يبني بها وهي أخت دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه . ثم تزوج امرأة

من بنى كلاب وتوفيت قبل البناء بها ، ثم تزوج الشتباء بنت عمرو الغفارية فلما مات ابنه إبراهيم قالت : لو كان نبياً ما مات ولده فطلقها ، ثم تزوج عربة بنت جابر الكلابية فلما قدمت عليه عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استعادت بالله منه ففارقها وقال : « منيع عائذ الله ». ثم تزوج العالية بنت ظبيان فبني بها ثم فارقها وردها إلى أهلها لعلة كانت بها .

المذكورات هن النسوة اللاتي تزوجن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكرناهن تفصيلا لا إجمالا . وأما السّرارى<sup>(١)</sup> فلم يكن له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سوى مارية بنت شمعون القبطية وريحانة بنت زيد القرطية أو النصرية .

وما ينبغي أن يقال هنا ويعلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتزوج بكرًا فقط إلا عائشة رضى الله عنها ، وكان زواجه بها إكراماً لوالدها الصديق الوفى والأخ الصادق الأخوة الذى آزره منذ اللحظات الأولى في دعوته وحمل رسالته . وبهذا يتبيّن بوضوح لدى العقول والبصائر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتزوج امرأة من نسائه الثلاث عشرة الالائى بني هنّ مجرد الرغبة في الاتصال الجنسي ، وإنما كان لأهداف سامية وغايات شريفة لم يسم إليها غير الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقد تزوج خديجة بعد رغبتها في الزواج منه لتكون قاعدة دعوته ، وأمينة سيره ، ومأوى نفسه عند اشتداد الحوف به وحلوكة الأيام والليالي عليه . وتزوج أم حبيبة وأم سلمة وسودة وميمونة وأم المساكين وهن أرامل مرملات إيواءً هن لما فقدن أزواجهن ، ولما أصابهن من عذاب واضطهاد في ذات الله تعالى .

وزوجه ربّه تبارك وتعالى زينب بنت جحش وهو كاره لذلك خاشر من أن يقول الناس : محمد تزوج امرأة زيد الذي تبنّاه . وتزوج حفصة بنت عمر الشيب إكراماً لعمر وتحقيقاً لرغبته في أن تكون بنته في بيت النبوة الطاهر

(١) جمع سرية : الحجارة يسرى بها مالكها ، وإن ولدت تكون أم ولد فلا يحل بيعها كاريحة أم إبراهيم .

وتصبح حفصة بنت عمر من أمهات المؤمنين . وإذا لم يكرم رسول الله ﷺ  
عمر بن الخطاب من أصحابه فمن يكرم إذا ؟

وتزوج صفية وجويرية مسحًا لدموعهما وإذهاباً لحزنهما لموت زوجيهما  
في معركة قتال دارت بين رسول الله ﷺ وبين رجالهما .

وهكذا ما تزوج رسول الله ﷺ لغير الله ، ولا بدون إذن من الله ورضاه .  
إلا قاتل الله الطاعنين في الكمال الحمدى ، وقطع ألسنة الجاهلين ببغوات أعداء  
الإسلام من يهود ونصارى ومجوس ومشركين الذين يهرون بما لا يعرفون .

#### (ب) أولاده ﷺ :

إن النبي ﷺ مثله مثل غيره من أنبياء الله ورسله إذ كانت لهم أزواج ،  
وكان لهم أولاد من بنين وبنات وهذا من الكمال لا من النقصان قال تعالى :  
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا (١) رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ و قال تعالى  
في خطابه إياه ﷺ ﴿ فَبِهَدَاهُمْ (٢) آتَيْدُهُمْ ﴾ . ومن هنا تزوج رسول الله  
ﷺ ما سبق بيانه من النساء الالئ شرفهن الله تعالى بصحبة نبيه وخليله محمد  
ﷺ إلا أنه لم يُنجب من نسائه إلا اثنتان هما خديجة بنت خويلد الأسدية  
القرشية ، ومارية بنت شمعون القبطية المصرية ، فخدیجہ أنجبت من الذکور :  
القاسم ، وعبد الله والطیب أو الطاهر وماتوا صغاراً لم يبلغ الحدث منهم أحد ،  
وماتوا ودفنا بمکة قبل الهجرة ، وأنجب من الإناث زینب ، ورقیة وأم كلثوم ،  
وفاطمة وكلهن کبرن وتزوجن . فزینب تزوجت من أبي العاص بن الربيع ،  
ورقیة وأم كلثوم تزوجهن عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة ، وتوفاهن الله  
تعالى عنده ، وفاطمة تزوجها على بن أبي طالب رضی الله عنه وأنجبت الحسن

(١) من سورة الرعد .

(٢) من سورة الأنعام واقتده زیدت فيه هاء السکت .

والحسين وهم أصل الأشراف في العالم الإسلامي إلى اليوم وبعد اليوم إذ بارك الله تعالى في نسلهما كرامة الله لآل البيت .

ومارية القبطية أختت إبراهيم ومات هو ورضيع لم يفطم بعد ودفن بالبقيع كما دفت كل من أم كلثوم ورقية بالبقيع وكذا فاطمة رضي الله عنها .

هؤلاء هم أبناء النبي ﷺ وبناته فعلى جميعهم السلام .

#### (ج) موالى الحبيب ﷺ :

إن المراد من الموالى أولئك الأرقاء الذين عتقهم رسول الله ﷺ وشرفوا بخدمته يوماً من الدهر ، وهذه قائمة بأسمائهم :

- زيد بن حارثة الكلبي وولده أسامة بن زيد وهم الحبّ وابن الحبّ رضي الله عنهم .
- ثوبان ويُكتنى بأبي عبد الله أصابه من السرّاء ، سكن حمص بعد وفاة رسول الله ﷺ ومات بها .
- شقران واسمه صالح قيل إنه من الحبشة وقيل من الفرس ، وغالب الظن أنه من الفرس الذين كانوا يسكنون اليمن من بقايا الجيوش التي دخلت اليمن من الفرس في الجاهلية قبل الإسلام كما تقدم بيانه في هذه الرسالة .
- أبو رافع واسمه إبراهيم القبطي كان لآل العباس فأسلم ووهبه العباس لرسول الله ﷺ فأعتقه وزوجه فأنجب أولاداً وكان ينتحت القِداح ، وكان كاتباً ، واستكتبه على رضي الله عنهم .
- سلمان الفارسي الأصبهاني كان ملوكاً في آخر أيامه قبل الإسلام ليهودي فكاتب اليهودي وأعانه رسول الله ﷺ حتى عتق .
- سفينية<sup>(١)</sup> وكان لأم سلمة فأعتقته واشتطرت عليه خدمة رسول الله

(١) يسمى سفينية لأنه كان في سفر فكان الرجل إذا أعبا يرمي عليه درعه أو سيفه فيحمل ذلك =

**عليه السلام** مدة حياته ، فقبل بالشرط ونفذه ، فخدم رسول الله **عليه السلام** وشرف بذلك وباليتها كنت أنا وأمي وأولادى خدمًا لرسول الله **عليه السلام** مدة حياته .

- أئسَةٌ ويُكْنَى أباً مَسْرُوحَ وهو من مولدى السراة ، وكان يأذن<sup>(۱)</sup> على رسول الله **عليه السلام** إذا جلس ، توفي في حياة أبي بكر رضي الله عنه .

- أبو كبِشة واسمه سُلَيْمَان اشتراه الرسول **عليه السلام** وأعتقه وشهاد بدراً والمشاهد كلها وتوفى يوم استخلف عمر رضي الله عنه .

- رُؤْيْفَعُ ويُكْنَى أبو مويَّهْ كان من مولدى مزينة اشتراه النبي **عليه السلام** وأعتقه .

- رَبَاحُ الْأَسْوَدُ ، وكان يأذن على رسول الله **عليه السلام** في المجلس وهو الذي أخذ الإذن لعمر حتى دخل على رسول الله أيام آلى من نسائه .

- فضالة اليماني نزل الشام .

- مِدْعَمُ ، قُتِلَ بِوَادِي الْقَرَى بِسَهْمٍ عَاثَرَ أَيْ بِسَهْمٍ لَا يُعْرَفُ مِنْ رَمَاهُ بِهِ .

- أبو ضُمَيْرَةٍ قيل كان من الفرس أصابه رسول الله **عليه السلام** في بعض الواقع وأعتقه .

- يسار و كان نوبياً أصابه رسول الله **عليه السلام** في بعض غزواته فأعتقه وهو الذي قتل العرنيون الذين أغروا على إغاثة النبي **عليه السلام** .

- مهران مولاه حدث عن النبي **عليه السلام** .

- حُنَيْنُ مولى رسول الله **عليه السلام** وهو جد إبراهيم بن عبد الله بن حنين كان يخدم رسول الله **عليه السلام** ويوضئه ثم وحبه رسول الله **عليه السلام** لعمه العباس فأعتقه .

- زيد أبو يسار راوي حديث<sup>(۲)</sup> : « من قال : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي

= فقال له رسول الله **عليه السلام** : « أَنْتَ سَفِينَةٌ » فلقب بسفينة .

(۱) يعني يستأذن في الدخول من أراد أن يدخل على رسول الله **عليه السلام** ، وفي الكلام لم أر أداً أن يكلمه **عليه السلام** .

(۲) رواه أبو داود والترمذى ووصفه بالقراءة .

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيْمَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفرانٌ لِهِ ، وَإِنْ كَانَ فَرْ منَ الرَّحْمَنِ .

• كركرة كان على ثقل النبي ﷺ في بعض غزوته ومات وهو غالٌ عبادة فقال النبي ﷺ هو في النار .

• كيسان راوی حدیث : « إِنَّ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيٍّ أَنْ نَأْكُلَ الصَّدْقَةَ » وراه البعوى .

• أبو بكرة نويف النفقى تولى بيكرة من حصن الطائف فأعنته رسول الله ﷺ مع عبد كانوا معه ، وطلب أهل الطائف بهم بعد إسلامهم فلم يردهم رسول الله إليهم وقال : هم عتقاء الله .

(د) إماء رسول الله ﷺ :

وكان للحبيب ﷺ إماء كثيرات منهن :

• بركة أم أيمن وأم أسامة بن زيد فازت بمحضانة النبي ﷺ مع والدته آمنة كان قد زارها أبو بكر وعمر بعد وفاة رسول الله ﷺ فبكـتـ أمـاـهـمـاـ فـقاـلاـ لـهـاـ :ـ أـمـاـ تـعـلـمـيـ أـنـ مـاـ عـنـ اللـهـ خـيـرـ لـرـسـوـلـ اللـهـ ؟ـ فـقـالـتـ :ـ بـلـ وـلـكـنـ أـبـكـيـ لـأـنـ الـوـحـىـ قـدـ انـقـطـعـ مـنـ السـمـاءـ فـجـعـلـاـ يـكـيـانـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـمـ أـجـمـعـينـ .ـ

• خولة خادمة<sup>(۱)</sup> رسول الله ﷺ .

• رضوى بنت كعب .

• ريحانة بنت شمعون القرظية أو النصرية .

• سانية مولا رسول الله ﷺ .

• سلمى أم رافع امرأة أبي رافع .

---

(۱) ويقال خادم وهو أفعى ، وخادمة أقرب إلى فهم الناس اليوم .

- ميمونة بنت سعد روى عنها أصحابه الستة .
- عنقودة أم مليح الحبشيّة جارية عائشة كان اسمها عيّنة فسماها رسول الله عنقودة .
- أم عياش بعثها رسول الله ﷺ مع ابنته تخدمها حين زوجها عثمان رضي الله عنه .
- ميمونة بنت أبي عيسى راوية حديث : « ضعى يدك اليمنى على فؤادك فامسحيه وقولي : بسم الله ، اللهم داوى بدوائك ، واشفني بشفائك وأغنى بي فضلك عن سواك » حيث طلبت دعوة من رسول الله ﷺ يسكن بها قلبها وتطمئن بها نفسها ، فقال لها رسول الله ﷺ : « قولي » الحديث ... هؤلاء مواليه وهم خدمه أما مواليه وخدمه من الأحرار<sup>(١)</sup> فأفضل الصحابة كأبي بكر الصديق فقد خدمه واعتبر بخدمته ، فلذا من خدمه من أصحابه لا يقلون عن عدد المولى من خدمه بل هم أكثر<sup>(٢)</sup> . فصل اللهم على نبيك وصفيك وخيرتك من خلقك محمد وعلى الله وصحبه ومواليه ومن آمن به واهتدى بهداه إلى يوم الدين .

(ه) كتابه ﷺ :

إن من صفات الكمال الحمدى الأمية إذ بها نعت في الكتب الأولى .  
ومعناها :

أنه لا يقرأ في كتاب ولا يكتب ، إذ لو كان كذلك لارتبا المبطلون فكانت الأمية صفة كمال له دون غيره من سائر الناس .

(١) من أشهر من خدم رسول الله ﷺ من الأحرار أنس بن مالك الأنصاري قال خدمت رسول الله ﷺ عشر سنوات ما قال لي في شيء فعلته لم فعلته ؟ ولا في شيء تركته لم تركه ؟ وذلك لكمال خلقه ﷺ .

(٢) اختلف في عدد الصحابة وهم ما بين الستين ألفا إلى ١٢٠ ألفا .

ومن هنا كان لابد من كتاب يكتبون له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوحي النازل إليه من ربّه تعالى وغير الوحي مما لا بد من كتابته كالوثائق والعقود السياسية وكمراسلة الملوك والرؤساء ، لإبلاغ دعوة الله عز وجل . وللحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتاب كثيرون هذا طرف منهم :

- أبو بكر الصديق .
- عمر بن الخطاب .
- عثمان بن عفان .
- علي بن أبي طالب .
- خالد بن سعيد .
- أبيان بن سعيد .
- العلاء بن الحضرمي .
- أبي بن كعب وهو أول من كتب له بالمدينة .
- زيد بن ثابت ، وقد أمره أن يتعلم العبرانية<sup>(١)</sup> فتعلمها كتابة وقراءة في نصف شهر لا غير .
- عبد الله بن سعد بن أبي السرح ، ثم ارتد وعاد إلى الإسلام يوم الفتح وحسن إسلامه .
- حنظلة الأسيدي .
- الزبير بن العوام حواري رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وابن عمته .
- خالد بن الوليد المخزومي صاحب المواقف البطولية في الجهاد .
- ثابت بن قيس بن شماس .
- عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

---

(١) لغة اليهود الدينية والسياسية .

- عبد الله بن أرقم بن أبي الأرقم الخزومي .
- عبد الله بن زيد بن عبد ربه صاحب رؤيا الأذان .
- محمد بن سلمة الأنباري .
- معاوية بن أبي سفيان ، وكان يكتب بين يدي رسول الله ﷺ .
- المغيرة بن شعبة الثقفي راوى حديث المسح على الحففين .

(و) أسماء خيله ﷺ :

إن تسمية الدواب من إنسان وحيوان وغيرهما أمر مقرر في الشرع والعقل إذ لا نعرف الذات إلا بسمة أي علامة تدل عليها ، ومن ذلك كان تسمية الأشياء .

وللحبيب ﷺ خيل يركبها للجهاد عليها لا للفخر والمباهة ؛ إذ ذلك شأن أبناء الدنيا . وأما الحبيب ﷺ فقد كان أرق البشر فكرا وأرجحهم عقلا وأصفاهم ذهنا وأطهرهم روحًا وأزكاهم<sup>(١)</sup> نفسها ، فكيف يكون للدنيا ابنًا وهي بئس الأم . ومن خيول النبي ﷺ التي عرفت بأسمائها ما يلى :

- السَّكْبُ وهو أول فرس ملكه ، وغزا غزوة أحد عليه ، وسُمِّي بالسَّكْب لأنَّه كثير الجُرْيِ .
- مُلاح .
- المُرْتَبَر .
- اللَّحِيفُ أهداه إليه ربيع بن أبي البراء .
- الظَّرْبُ أهداه إليه فروة بن عمرو الجذامي .
- الورد أهداه إليه تميم الداري فوهبه ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

---

(١) لا فرق بين الروح والنفس إلا تلوين العبارة للبيان .

• اللزار أهداء إليه المقوقس كأهداه مارية والبلغة « الدلدل » .

(ز) أسماء بغال الحبيب ﷺ :

لقد كان للنبي ﷺ بغلتان الأولى الدلدل وهي بغلة بيضاء أهداها إليه المقوقس ملك القبط ، وهي أول بغلة رؤيت في الإسلام والثانية « فضة » أهداها إليه قهروة بن عمرو فوهبها ﷺ إلى أبي بكر الصديق وكان له حمار واحد يقال له عفور أو عفير أهداه إليه المقوقس ملك القبط .

(ح) أسماء إبله ولقاحه ومنائحة ﷺ :

أما الركائب من الإبل فلم يكن لها ﷺ سوى القصوى ويقال لها العضباء والجذعى أيضاً أخذها من أبي بكر بأربعمائة درهم . وهاجر عليها من مكة إلى المدينة ، وبقيت معه مدة طويلة . وأما اللقاح فكان له عشرون لقحة ترعى بالغابة وهي التي أغار عليها العرنيون ومنهن الحسناء والسمراء والعريس والسعدية والبغوم<sup>(١)</sup> ، واليسيرة والرئا ، ومهرة ، والشقراء كان يأتي لبنيها أهلة كل ليلة .

وأما المنائح<sup>(٢)</sup> فقد كان لها ﷺ سبع منائح من الغنم وهي . عجوة ، وزمم ، وسقيا ، وبركة ، وورسة ، وأطلال ، وأطراف . كما له سبع أعزز كان يرعاهن أمين بن أم أمين مولا رسول الله ﷺ .

(ط) أسماء سلاح الحبيب ﷺ :

من أشهر سلاحه ﷺ سيفه « ذو الفقار » الذي غنمته يوم بدر ، وكان لنبيه بن الحجاج ، وغنم من بنى قينقاع ثلاثة أسياف ، هي القلى ، والبatar ،

(١) البغام : صوت الإبل .

(٢) جمع منيحة : الشاة تعطي لأجل لبنيها .

والخيف ، وكان له سيف يُدعى المخدم وآخر يسمى رسوب ، وكان له بمكة سيفان قدم بهما المدينة وحمل أحدهما معه إلى بدر وهو القصب .

وأما الرماح والقسى فقد كان له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة رماح ، وثلاثة قسى إحداها تسمى الروحاء والثانية البيضاء والثالثة الصفراء .

وأما الدروع فقد كان له ثلاثة دروع الأولى تسمى الفضة غنمها من بنى قينقاع والثانية تسمى ذات الفضول ، كانت عليه يوم أحد مع الفضة والثالثة الصعدية . وكان له ثُرُس واحد فيه تمثال رأس كبش فكرهه لذلك فأصبح وقد أذهبه الله تعالى عنه ، وكان له قضيب يُسمى المشوق .

هذا ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى نظراً إلى ما صبح من قول على وخبر الصحابة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات ولم يترك ديناراً ولا درهماً ، وأن درعه مرهونة في ثلاثين صاعاً من شعير أن جميع ما ذكر من العبيد والإماء والحيوان والسلاح قد انجز التصدق به قبل موته ، وهو كذلك ، وكيف وقد قال :

« إننا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة »

### الخصائص المحمدية

إن للحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصائص اختصه الله تعالى بها لكماله الذاتي والروحي لم تكن لغيره من أفراد أمته . وهذا طرف منها :

(١) النبوة : فليس لأحد بعده أن يدعها ، أو تكون له بحال لأن الله تعالى ختم بنبوتهسائر النبوات وبرسالتهسائر الرسالات قال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَحَائِمَ الْبَيْنِ ﴾ من سورة الأحزاب فمن ادعى النبوة معه كمسيلمة الكذاب أو بعده فهو كاذب كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل كفراً .

(٢) الوحي : فليس لأحد بعده أو معه أن يدعى أنه أوحى إليه بكلذا أو يوحى إليه في كلها لا بقطة ولا مناماً ، لا باللقاء في الروع ، ولا بهتاف ملك

فضلاً عن رؤية الملك والتلقى عنه ، وذلك لانقطاع الوحي بموت النبي ﷺ ولكمال الشريعة وتمامها ، وعدم حاجتها إلى إكمال أو إتمام ، فمن أدعى الوحي ، وإن قل فهو كافر يعامل معاملة مدعى النبوة .

(٣) نوم العينين دون القلب : فهذا من خصائصه ﷺ ، إذ هو الذي تنام عينيه ولا ينام قلبه ، خصوصية أخبر بها له ﷺ فلم تكن لغيره فمن ادعاهما فهو كاذب مفتر لا تقبل منه دعوه .

(٤) إباحة الله تعالى له نكاح أكثر من أربع زوجات : وعدم إباحة ذلك لغيره من سائر رجالات أمته ؛ إذ قال : ﴿إِنَّا أَخْلَقْنَا لَكَ أُرْوَاجَكَ الْأَلَّاهِيَّةَ أَجْوَرَهُنَّ وَمَا مَلَكُتْ يَمِينَكَ﴾ و كان تحته تسع نسوة يوم نزلت هذه الآية . هذا له ولأمته قال تعالى : ﴿فَأَنْكِحُوهَا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مُشْتَى وَثَلَاثَ وَرْبَاعٍ﴾ فلم يحل لهم أكثر من أربع ، فكانت الزيادة على الأربع من خصائص النبي ﷺ .

(٥) وصال الصيام : إذ من خصائصه ﷺ موافقة الصوم فيصوم يومين متتاليين لا يفطر إلا في نهاية اليوم الثاني ، ولم يؤذن لأحد من أمته في ذلك وقد قيل له في ذلك فقال : «إنى لست كأحدكم ؛ إنى أتيت عند ربى يطعنى ويسقينى» رواه الشيخان ، والإطعام والسكنى هنا معنويان على حد قوله في المريض : «لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فإن الله يطعمهم ويسقينهم» .

(٦) حرمة أكل الصدقة : ويشاركه في هذه الخصوصية آل بيته دون سائر أفراد أمته فإنه يحل لأى فقير ومحاج أن يأكل الصدقة ويطلبها إن احتاج إليها إلا رسول الله ﷺ وأل بيته .

(٧) قيام الليل : فإنه ﷺ كان يقوم الليل على سبيل الوجوب لقوله تعالى : ﴿فَمَنْ أَلَّلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ و قوله : ﴿وَمَنِ اللَّيْلَ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾

بخلاف أفراد أمته فقيام الليل ليس واجباً على أحد منهم ، وإنما يقومونه تطوعاً ونافلة لا غير .

(٨) عدم إرثه ﷺ : فما تركه كان صدقة ، فلم ترث فاطمة نصفها ، ولا أزواجه أمهات المؤمنين ثمنهن ، ولا العباس العاصب ما أبقيت الفرائض ، بل قال ﷺ : « إنما معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة » وقوله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ ذَاوَدَ ﴾ فليس المراد منه إرث المال بل النبوة والملك ؛ إذ لا يخير تعالى في مقام الإنعام والتكريم بأن ولداً ورث والداً فيما ترك من مال إن هذا أمر معلوم بين سائر الناس ، ولا فضل فيه لأحد على آخر .

(٩) هبة النكاح : وهي من خصائصه ﷺ فايما امرأة وهبت نفسها للنبي ﷺ له أن يتزوجها بدون مهر يقدمه لها ، ولم يكن هذا لأحد من أفراد أمته قط إذ لابد للنكاح من مهر معجلاً أو مؤجلاً ، إلا ما كان لرسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلَّهِ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَكِحَهَا حَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . ومن لم تهب له نفسها فعليه أن يدفع لها مهراً ، وقد أمهراً الكثير من نساءه أربعمائة درهم .

(١٠) حرمة نكاح نسائه بعده : وليس هذا لأحد سواه قال تعالى : ﴿ الَّبِيُّ أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ فلا يحل لمؤمن أن يتزوج امرأة من نساء النبي اللاتي توف عنهن بخلاف أفراد أمته من علماء وصلحاء وكلهم أولياء فلا يحل لأحدهم أن يمنع امرأته من الزواج بعده إلا أن تشاء هي ذلك فلها ما شاءت ما شاء الله تعالى لها ذلك .

## المعجزات الحمدية

إن المراد من المعجزات : ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله فيكون ما يأتي به النبيّ معجزاً لغيره من سائر الناس ، بحيث لم يقدروا عليه أفراداً أو جماعات لأنّه خارج عن طوق البشر واستطاعتهم ، فإن قُرْنَ بالتحدي كان المعجزة الخاصة بالأنبياء ، وإن لم يقرن بتحدي فهو كرامة يكرّم الله تعالى بها من يشاء من أوليائه وصالحي عباده . إذ الفرق بين المعجزة والكرامة أن المعجزة تكون مقرونة بالتحدي غالباً والكرامة خالية من ذلك ؛ لأنّ المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى : « صدقوا النبيّ فيما يخبر به عنّي » ، فالمعجزة مثبتة للنبيّة مقررة لها ؛ إذ بها يعرف النبيّ الحق من المدعى الكاذب .

ولفظ المعجزة غير وارد في القرآن الكريم ، وإنما الوارد لفظ الآية ؛ لأنّ الأصل في الآية العلامة الدالة على الشيء ، إذ يقول الإنسان لأخيه : فلان يقول لك أعطني كذا أو كذا ، فيقول له : ما آية ذلك أى ما علامته أنه قال أعطه كذا أو كذا ؟ فيريه خاتمه أو كتابه أو سيفه أو أى شيء خاص به فيكون ذلك آية وعلامة على صدق ما ادعاوه وطالبه .

ومن القول الشائع عند الناس قولهم : لا نبيّ إلا بالمعجزات ، ولا ولـي إلا بالكرامات وهو قول في الجملة صحيح ..

هذا وللحبيب محمد ﷺ معجزات أكرمـه الله تعالى بها ، وصدق رسالته بمثلها بلغت الألف معجزة ، هكذا قرر أهل العلم إن لم تكن أكثر من ذلك وهذا نحن نورد ما يحضرنا منها :

وأولى تلك المعجزات أو الآيات :

## القرآن الكريم

لأنه كلام الله تعالى أوحاه إليه فدل ذلك على نبوته ، وصدقه في رسالته ؛ لأن القرآن الكريم معجز بمحروفة وكلماته وتراسيمه ، ومعانيه ، وأخبار الغيوب التي وردت فيه ، فكانت كما أخبر ، كما هو معجز بالأحكام الشرعية والقضايا العقلية التي لا قبل للبشر بمثلها ، مع التحدى القائم إلى اليوم بأن يأتي الإنس أو الجن متعاونين بمثله قال تعالى موحده ومتزلاه : ﴿ قُلْ لَّئِنْ آجْمَعُتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ من سورة الإسراء ، وتحدى العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان على أن يأتوا عشر سور مثله فما استطاعوا قال تعالى : ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرَ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾ وتحداهم بسترة واحدة من مثله فقال : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ ذُوْنِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعُلُوا وَلَنْ تَفْعُلُوا ﴾ نفي لقدرتهم على الإتيان بسترة مثل القرآن في مستقبل الأيام ، وقد مضى حتى الآن ألف وأربعين سنة وسبعين سنة ، ولم يستطع الكافرون أن يأتوا بسترة من مثله . وبهذا كان القرآن معجزة خالدة باقية ببقاء هذه الحياة ، ولذا سيخلد الإسلام ويقى إلى نهاية الحياة ، لأن معجزته باقية كذلك .

وثانية المعجزات :

## انشقاق القمر

فقد روى أحمد والبخاري ومسلم في صحيحهما أن أهل مكة سألوا رسول الله عليه صلواته أن يريهم آية فأراهم القمر شقين . قال مطعم انشق القمر على عهد رسول الله عليه صلواته فصار فرقتين ، فرقة على هذا الجبل ، وفرقه على هذا الجبل ، فقالوا سحرنا محمد وأنزل الله تعالى مصداق ذلك وهو قوله تعالى : « أَقْرَبَتِ

السَّاعَةِ وَأَشْقَى الْقَمَرُ وَإِنْ يَرُوا آيَةً يُغَرِّضُوْا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌ وَكَذَّبُوا  
وَأَتَبْعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌ<sup>(١)</sup> من سورة القمر .

### وثالثة المعجزات :

#### نزول المطر بدعائه

لقد أحملت البلاد ، وأصابها قحط شديد فدخل<sup>(٢)</sup> رجل المسجد ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب فاستقبل الرجل النبي ﷺ وقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله لنا يغيثنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : « اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا » ، قال أنس : والله ما في السماء من سحاب ولا فرقة ولا شيء ، وما بيننا وبين سلع<sup>(٣)</sup> من بيت ولا دار فطلعت من وراءه سحابة مثل الترس ، فلما توسيطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت ، والله ما رأينا الشمس سِنَّا . ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله الرجل ، وقال يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ادع الله يمسكها فرفع رسول الله ﷺ يديه ، ثم قال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام<sup>(٤)</sup> والجبال ومنابت الشجر ». قال أنس فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس .

فهذه المعجزة وهي نزول المطر بدعائه ﷺ قد كررت مرات عديدة وهي معجزة سماوية كان شفاق القمر لا دخل لغير القدرة الإلهية فيها ، وهي آية نبوته ﷺ ولكررة تكرار هذه الآية كانوا يرددون قول أبي طالب فيه : وأيضاً<sup>(٥)</sup> يُسْتَسْقَى الغمام بوجهه ثمال اليتامي عصمة للأرامل

(١) رواه البخاري وغيره .

(٢) جبل داخل المدينة النبوة اليوم .

(٣) جمع أكمة تل صغير أو كدية من تراب .

(٤) أى رسول الله ﷺ .

ورابعة المعجزات :

## نوع الماء من بين أصابعه

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ

ومن معجزات الحبيب ﷺ الدالة على نبوته وصدق رسالته نوع الماء من بين أصابعه الشريفة ، فقد قال أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ :رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر ، والتمس الناس الوضوء<sup>(١)</sup> ، فلم يجدوه فأتى رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ يَدَهُ في ذلك الإناء ، وأمر الناس أن يتوضأوا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه ، فوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم . قال قتادة : قلت لأنس كم كنتم ؟ قال زهاء ثلاثة رجال .

فهذه معجزة ظاهرة ؛ إذ ليس في طرق البشر أن يأتوا بمثلها ؛ إذ لم تجر سنة الله في الكون أن الماء ينبع من بين أصابع الإنسان مهما كان إلا أن تكون آية تدل على صدق نبوة من ادعاهما . فقد كانت هذه آية نبوته ﷺ ؛ إذ وقعت في سوق المدينة العاصمة وحضرها وشهادها قرابة الثلاثة رجال من أصدق الرجال وأذكائهم ، وأنقاهم .

وخامسة المعجزات :

## فيضان ماء بئر الحديبية<sup>(٢)</sup>

ومن معجزاته ﷺ أنه لما كان بالحدبية هو وأصحابه سنة ست من الهجرة وكان الحديبية بئر ماء فنزحها أصحابه بالسقي منها حتى لم يبق فيها ما يملأ كأس ماء وكانوا ألفاً وأربعمائة رجل ، وخفقوا العطش فشكوا ذلك إليه ﷺ

(١) الوضوء بفتح الواو الماء يتوضأ به .

(٢) مكان يبعد عن مكة بحوالي عشرين ميلاً .

فجاء فجلس على حافة البئر فدعا بماء فجئ به إلىه فمضمض منه ، ومح ما تضمض به في البئر فما هي إلا لحظات ، وإذا البئر فيها الماء فأخذوا يسقون فسقوه ولاؤا أوانيهم وأدوات حمل الماء عندهم وهم كما تقدم ألف وأربعين رجل وهم أهل بيعة الرضوان الذين رضي الله عنهم وأنزل فيهم قوله تعالى من سورة الفتح : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَأْتُوكُم مِّنْهُمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَلَنُزِّلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَآتَاهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا﴾ ففيضان الماء من بئر جافة لا ماء بها حتى سقى منها أهل معسكر بكماله لم يكن إلا آية نبوية صادقة تنطق قائلة أن صدقوا محمدا فيما جاءكم به ودعواكم إليه فإنه رسول الله إليكم حقاً وصادقاً .

#### وسادسة المعجزات :

### قدح لبن روى فاما من الناس

ببركته ﷺ

روى البخارى رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه القصة التالية :

قال : والله إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل ما سأله إلا ليستبعنى <sup>(١)</sup> فلم يفعل ، فمر عمر رضي الله عنه فسألته عن آية من كتاب الله تعالى ما سأله إلا ليستبعنى فلم يفعل ، فمر أبو القاسم ﷺ عرف ما في وجهى ، وما في نفسي فقال : « أبا هريرة » قلت له : ليك يا رسول الله فقال : « الحق » واستأذنت فأذن لي فوجدت لينا في قدح ، قال : « من أين لكم هذا اللبن ؟ » فقالوا أهداه لنا فلان أو آل فلان قال : « أبا هرر » ، قلت

(١) يستبعنى : طلب مني أن أتبعه .

ليك يا رسول الله ، قال : « انطلق إلى أهل الصفة فادعهم لي » قال — أى أبو هريرة — وأهل الصفة أضياف الإسلام لم يأowوا إلى أهل ، ولا مال ؛ فإذا جاءت رسول الله هدية أصاب منها وبعث إليهم منها ، وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم ، ولم يصب منها . قال أبو هريرة وأحزنني ذلك و كنت أرجو أن أصيّب من اللبن شربة أتقوى بها بقية يومي وَلَيْلَتِي ، وقلت أنا الرسول فإذا جاء القول كنت أنا الذي أعطّيهم ، وقلت ما يبقى لي من هذا اللبن ؟ ولم يكن من طاعة الله ورسوله بُدٌ فانطلقت فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم فأخذنا مجالسهم من البيت ثم قال : « يا أبا هريرة خذ فأعطّهم » فأخذت القدر فجعلت أعطّيهم فأخذ الرجل القدر فيشرب حتى يروي ، ثم يرد القدر حتى أتيت على آخرهم ودفعت إلى رسول الله ﷺ فأخذ القدر فوضعه في يده وبقي فيه فضلة ، ثم رفع رأسه ونظر إلى وابسم ، وقال « أبا هريرة » ، فقلت ليك رسول الله ، قال : « بقيت أنا وأنت » فقلت : صدقتك يا رسول الله قال : « فاقعد فاشرب » قال فقعدت فشربت ، ثم قال لي : « اشرب » فشربت فما زال يقول لي اشرب فأشرب حتى قلت : لا ، والذى بعثك بالحق ما أجد له فـ مسلكاً ، قال : « ناولنى القدر » فرددته إليه فشرب من الفضلة .

وهكذا تجلى هذه المعجزة وهى آية النبوة الحمدية ؛ إذ قدح لبن لا يروى ولا يشبع جماعة من الناس كلهم جياع بحال من الأحوال ، فكيف أرواهم وأشبعهم ؟ إنها المعجزة النبوية ! وآية أخرى للكمال الحمدى أن يكون ﷺ هو آخر من يشرب من ذلك القدر الذى شرب جماعة من الناس .

وهنا يقال : ما بال الذين يتقرّرون من شرب السؤر ويرفضونه في كبراء ونحوه أيضاً أن يصابوا بمرض من ذلك ؟ أين هم من هذا الكمال الحمدى ؟ إنهم بعيدون كل البعد ذاهبون في أودية الأوهام حيث لا يسمعون ولا يصرون .

واسعة المعجزات :

## امتلاء عكة سمن

بعد فراغها

روى الحافظ أبو يعلى عن أنس بن مالك خادم رسول الله عليه السلام أنه قال : كانت لأمّي أم سليم شاة فجَمِعَتْ من سمنها في عكة فملأت العكة ثم بعثت بها ربيبة فقالت : يا ربِيَّة أبلغِي هذه العكة رسول الله عليه السلام يأْتِدُمُ بها ، فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله عليه السلام فقالت يا رسول الله هذه عكة سمن بعثت بها إليك أم سليم قال : « أفرغوا لها عكتها ». فأفرغت العكة ودفعت إليها قالت : فانطلقت بها ، وجئْتْ وأم سليم ليست في البيت فعلقت العكة على وتد ، فجاءت أم سليم فرأَتْ العكة ممتلئة تقطر ، فقالت : يا ربِيَّة أليس أمرتك أن تنطلقي بها إلى رسول الله عليه السلام ؟ فقالت : بلى قد فعلت فإن لم تصدقيني فانطلقي فسلِّي رسول الله عليه السلام فانطلقت ومعها ربيبة فقالت يا رسول الله إني بعثت معها إليك بعكة فيها سمن قال : « قد فعلت قد جاءت » قالت : والذى بعثك بالحق ، ودين الحق إنها ممتلئة تقطر بسمنا . قال أنس فقال رسول الله عليه السلام : « يا أم سليم أتعجبين إن كان الله أطعْمَك كُما أطعْمَتْ نَبِيَّه ، كُلِّي وأطعْمِنِي » قالت فجئْتُ إلى البيت فقسمت في قَعْبَ لَنَا ، وكذا أو كذا وتركت فيها ما ائْتَدْمَنا به شهراً أو شهرين .

فهذه إحدى المعجزات الحمدية ؛ إذ ليس مما جرت به سنة الله في الخلق أن يمتلء الإناء سمنا بعد إفراغه منه ، ويرى ذلك رأى العين وينتفع به .

وثامنة المعجزات :

## الطعام القليل يشبع العدد الكبير

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الحوع ، فهل عندك من شيء ؟ قالت : نعم ، فأخرجت أفراداً من شعير ، ثم أخرجت خماراً لها فلقت الخبز بيشه ، ثم دسته تحت يدي ولاشتني بيشه ، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ ، قال : فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس ، فقامت عليهم فقال رسول الله ﷺ : « أرسلك أبو طلحة ؟ » فقلت : نعم ، قال : « بطعم ؟ » قلت : نعم ، فقال رسول الله ﷺ لمن معه : « قوموا » فانطلق ، وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة : أيام سليم قد جاء رسول الله ﷺ والناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت : الله ورسوله أعلم . فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله ﷺ : « هل يا أم سليم ما عندك ؟ » فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت ، وعصرت أيام سليم عكة فآدمته ، ثم قال رسول الله ﷺ ما شاء أن يقول ، ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ، ثم قال : « ائذن لعشرة » فأكل القوم كلهم ، وال القوم سبعون أو ثمانون رجلاً . ثم قال : « ائذن لعشرة » فأكل القوم كلهم ، وال القوم سبعون أو ثمانون رجلاً . أليست هذه من أعظم المعجزات ؟ بل وربى إنها لمن أعظم المعجزات ؟ إن أفراداً عدداً حملها غلام تحت إبطه يطعم منها ثمانون رجلاً ويشعرون كل واحد منهم شيئاً لا مزيد عليه ، إن لم تكن هذه معجزة فما هي المعجزات إذا يأتُرى ؟

## وتسعة المعجزات :

### تكثير الطعام

إن معجزة تكثير الطعام والشراب قد تكررت فبلغت عشرات المرات ، وفي ظروف مختلفة ، ومناسبات عديدة ، منها ما تقدم ، ومنها هذه . فقد قال أبو هريرة رضي الله عنه : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة غزراها — « وهى غزوة تبوك » — فأرملي<sup>(١)</sup> فيها المسلمين واحتاجوا إلى الطعام فاستأذنوا رسول الله ﷺ في نحر الإبل فأذن لهم ، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إبلهم تحملهم وتبلغهم علوهم ينحرونها ؟ ادع يا رسول الله بغيرات<sup>(٢)</sup> الزاد فادع الله عز وجل فيها بالبركة ، قال : « أجل » فدعا بغيرات الزاد فجاء الناس بما بقى معهم فجُمعت ثم دعا الله عز وجل فيها بالبركة ودعاهم بأوعيهم فملأوها وفضل كثير ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنى عبد الله ورسوله ومن لقى الله عز وجل بها غير شاك دخل الجنة » .

فهذه معجزة ظاهرة في تكثير الطعام القليل حتى أصبح كثيراً وهي كما قدمنا واحدة من عشرات المعجزات في تكثير الطعام والشراب .

## وعاشرة المعجزات :

### توفية دين جابر الذي استغرق كل ماله

فقد روى البخاري رحمه الله تعالى في دلائل النبوة الحمدية قصة جابر الآتية : فقال : حدثنا أبو نعيم وساق السند إلى جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنهما فقال : إنّ أبي توفى وعليه دين فأتيت

(١) نفذ زادهم واحتاجوا إلى الطعام .

(٢) بغيرات الزاد : بقياها .

النبي ﷺ فقلت إن ألى ترك دينا ، وليس عندي إلا ما يخرج نخله ، ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه ، فانطلق معى لكيلا يفحش على الغرماء فمشى حول بيدر<sup>(١)</sup> من بيادر التمر فدعا ، ثم آخر ، ثم جلس عليه فقال : « انزعوه » فأوفاهم الذى لهم ، وبقى مثل ما أعطاهم . وهكذا بعد أن كان الدين قد استغرق كل التمر ولسين عدة أيضًا ، وفي التمر الموجود كل الديون ، وبقى التمر في البيادر مثل ما سددت به الديون الكثيرة ، وذلك ببركة وجود الرسول ﷺ بين البيادر ودعائه بالبركة فيها ، فباركها الله عز وجل فوفت الديون وزادت . فكانت آية النبوة والمعجزة الظاهرة التي يبعث بها الأنبياء ، ويكرم الله تعالى بها الأولياء متى شاء وهو على كل شيء قادر .

#### وحادية عشرة العجزات :

##### انقياد الشجر له

صلوات الله  
عليه

روى مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سرنا مع النبي ﷺ حتى نزلنا واديًّا أفيح<sup>(٢)</sup> فذهب رسول الله ﷺ يقضى حاجته فأتبعته بإداوة فيها ماء ، فنظر فلم ير شيئاً يستتر به وإن شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق إلى إحداهما فأخذ بعض من أغصانها وقال : « انقادى على بإذن الله » فانقادت معه كالبعير المخشوش<sup>(٣)</sup> الذي يصانع قائدته حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بعضًا من أغصانها وقال : « انقادى على بإذن الله » فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائدته حتى إذا كان بالمتتصف فيما بينهما لاعم بينهما أى جمعهما ، وقال : « الشما على بإذن الله » فالتأمنتا ،

(١) الموضع الذى يجمع فيه التمر .

(٢) أى واسعًا رحًا .

(٣) الذى جعل فى أنفه الخشاش وهو العود يجعل فى عظم أنف الجمل ليقاد .

قال جابر : فخرجت أحضر<sup>(١)</sup> خافة أن يحس بقربى منه فيبعد ، فجلست أحدث نفسي فحانت مني التفاتة ، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبل وإذا الشجرتان قد افترقا ، وقامت كل واحدة منها على ساق إلى آخر الحديث ...

فهذه إحدى المعجزات الخارقة للعادة التي لا تكون إلا لنبى من الأنبياء عليهم السلام ؛ إذ كون الشجرة تستجيب وتنقاد مطيعة لأمر رسول الله ﷺ هو أمر خارق للعادة لم تجربه سنن الله تعالى في الكون ، وبذا كانت معجزة للحبيب ﷺ .

### وثانية عشرة المعجزات :

#### حنين الجذع شوقا إليه

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فقد روى أحمد رحمه الله عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع نخلة فقالت امرأة من الأنصار وكان لها غلام نجار : يا رسول الله إن لي غلاماً نجراً أفارمه أن يتخذ لك منيراً خطب عليه ؟ قال : « بلى » ، فاتخذ له منيراً فلما كان يوم الجمعة خطب ﷺ على المنبر فإنَّ الجذع الذي كان يقوم عليه كأنَّ الصبي ، فقال النبي ﷺ : « إن هذا بكى لما فقد من الذكر ». وفي رواية البخاري فصاحت النجدة « جذع النخلة » صياح الصبي ، ثم نزل ﷺ فضممه إليه يعن أنين الصبي الذي يسكن ، قال : « كانت تبكي « النخلة » على ما كانت تسمع من الذكر عندها » فحنين الجذع شوقا إلى سماع الذكر وتأملما لفراق الحبيب الذي كان يخطب إليه واقفا عليه وهو جماد لا روح له ولا عقل في ظاهر الأمر ، وحسب علم الناس بالحمدادات آية من أعظم الآيات الدالة على نبوة الحبيب ﷺ وصدق

(١) أى أغثتو بشدة .

رسالته وهي معجزة كبرى على مثلها آمن البشر لعجزهم على الإتيان بمثلها .

### وثالثة عشرة المعجزات :

#### تسبيح الحصى في يديه وسلام الشجر عليه

روى الحافظ أبو بكر البهقى رحمه الله تعالى عن سويد بن يزيد السُّلْمى قال سمعت أبا ذر الغفارى رضى الله عنه يقول : لا أذكر عثمان إلا بخير بعد شيء رأيته ، وبين ذلك الخبر الذى رآه فقال : كنت رجلاً أتبع خلوات رسول الله ﷺ ، فرأيته يوماً جالساً وحده فاغتنمت خلوته فجئت حتى جلست إليه ، ف جاء أبو بكر فسلم عليه ثم جلس عن يمين رسول الله ﷺ ، فجاء عمر فسلم وجلس عن يمين أبي بكر ، ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر ، وبين يدى رسول الله ﷺ سبع حصيات فأخذهن في كفه فسبّحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النخل<sup>(١)</sup> ثم وضعهن فخرسن أى سكتن ، ثم أخذهن فوضعهن في كف أى بكر فسبّحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النخل ، ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبّحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النخل ، ثم وضعهن فخرسن .

قال النبي ﷺ : « هذه خلافة النبوة » .

فهذه المعجزة ذات شطرين الأول تسبيح الحصى في أيدي الراشدين والثانى الخلافة فعلًا قد اخضرت في الصديق والفاروق وذى النورين ، ثم اضطررت .

---

(١) أى جذع النخل الذى حن حزناً على فراق الرسول ﷺ والذى يسمعه من الرسول وهو يخطب فوقه .

## ورابعة عشرة المعجزات :

### سلام الحجر عليه

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فقد روى مسلم وأحمد بسنده عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إِنِّي لَأَعْرِفُ حِجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يَسْلَمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أَبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الآن » ، فسلام الحجر وهو جماد أمر خارق للعادة ، معجز للبشر أن يأتوا بمثله ، فلذا هو آية النبوة الحمدية ومعجزة من معجزات الحبيب ﷺ .

## وخامسة عشرة المعجزات :

### سجود البعير له

وشكواه إليه

روى النسائي وأحمد بسندهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون<sup>(١)</sup> عليه ، وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره<sup>(٢)</sup> ، وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا إنه كان لنا جمل نسنى عليه ، وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش الزرع والنخل ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « قوموا » فقاموا فدخلوا الحائط<sup>(٣)</sup> . والجمل في ناحية ، فمشى النبي ﷺ نحوه ، فقال الأنصار : إنه صار مثل الكلب<sup>(٤)</sup> ، وإننا نخاف عليك صولته ، فقال : « ليس على منه بأس » ، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ قبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه ، فأخذ

(١) يستخرجون الماء من البئر بالسنني عليه .

(٢) أي منعهم من استخدامه في السنني عليه .

(٣) البستان وقيل فيه حائط لأنه محاط بالجدران .

(٤) أي الذي به داء الكلب .

رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل . فقال له أصحابه يا رسول الله هذه بيمه لا تعقل تسجد لك ونحن أحق أن نسجد لك ، فقال : « لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » .

كما روى مسلم أن النبي ﷺ دخل يوما مع بعض أصحابه حائطا من حيطان الأنصار ، فإذا جمل قد أتاه فجرجر وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله ﷺ سراته وذرفاه فسكت . فقال ﷺ : « من صاحب الجمل؟ » فجاء فئي من الأنصار قال هو لي يا رسول الله . فقال له ﷺ : « أما تتقى الله في هذه البيمة التي ملكها الله لك إنه شكا إلى أنك تحييه وتديبه » أى تواصل العمل عليه بدون انقطاع .

أليست هذه آية من آيات النبوة ومعجزة من عظيم معجزاتها؟ بلى . ولذا كان الكفر بنبوة محمد ﷺ من أقبح الكفر وأسوأه ، ولا يكون إلا من جهل كامل ، أو حسد قاتل ، أو خوف فوات منافع مادية طائلة ، كما كان شأن الجهال من الأمم والشعوب وحسد اليهود ، وخوف رجال الكنيسة من زوال سلطانهم الروحي ، وما يترب عليه من فقدانهم المال والرئاسة الروحية على الشعوب المسيحية .

#### وسادسة عشرة المعجزات :

#### شهادة الذئب برسالته

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ

فقد روى أحمد رحمه الله تعالى في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : عَذَّا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبها الراعي فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذئبه فقال : ألا تتقى الله ، تنزع مني رزقاً ساقه الله إلى . فقال يا عجبي ذئب يكلمني كلام الإنس ! فقال : الذئب : ألا أخبرك

بأعجب من ذلك ؟ محمد بشر يخبر الناس بأنباء ما قد سبق ، قال فأقبل الراعي يسوق غنمته حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره فأمر النبي ﷺ فنودي الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للراغب : أخبرهم فأخبرهم ، فقال رسول الله ﷺ « صَدَقَ وَالذِّي نَفْسُهُ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَكُلُّ السَّبَاعَ إِلَّا نَسْ » . وشراك نعله ، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده .

فهذه آية من آيات النبوة الحمدية ، ومعجزة من معجزاته بكل شطريها : الأول الذي فيه كلام الذئب للراغب ، والثاني الذي فيه إخبار غريب لم يكن فكان اليوم ، فعدبة السوط ظاهرة في تلفون الشرط ، وتتكليم الفخد وشراك النعل ظاهرة كذلك في آلات التسجيل الصغيرة التي يستعملها رجال المخابرات بمهارة خاصة .

#### وسبعين عشرة المعجزات :

#### توقير الوحش له ﷺ واحترامه

فقد روى أحمد بن سنه عن مجاهد قال قالت عائشة رضي الله عنها : كان لآل رسول الله ﷺ وحش<sup>(۱)</sup> فإذا خرج رسول الله ﷺ لعب واشتدى وأقبل وأدبر ، فإذا أحس برسول الله ﷺ قد دخل ربع فلم يترمّم أى لم يتحرك ما دام رسول الله ﷺ في البيت كراهيّة أن يؤذيه ( بحر كاته ) .

فككون الحيوان الوحشى يسكن فلا يتحرك مدة ما هو ﷺ في البيت ، وإذا خرج لعب فأقبل وأدبر كعادة الحيوان في ذلك آية من آيات النبوة الحمدية ومعجزة ؛ إذ مثل هذا لا يقع لغير النبي ﷺ . وإن قال قائل : إن الإنسان في إمكانه تربية الحيوان على سلوك معين قلنا هناك فرق بين التربية وبين

(۱) حيوان برى غير مستأنس .

عدمها ، فالرسول ﷺ ما كان ربي هذا الحيوان ولا كان له به أدنى صلة ، وإنما الحيوان لهم احترام النبي ﷺ وتقديره ، فكان إذا أحس بدخول الرسول البيت سكن وریض وترك الترميم ، وإذا خرج ﷺ من البيت لعب فأقبل وأدبر حسب فطرته التي فطره الله تعالى عليها ، فكان سلوكه الخاص آية من آيات النبوة الحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأذكى التحية والتسليم .

### وثامنة عشرة المعجزات : احترام الأسد مولاه ﷺ

فقد روی عبد الرزاق صاحب المصنف أن سفينۃ مولی رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم ، أو أسر في أرض الروم ، فانطلق هارباً يلتمس الجيش ، فإذا هو بأسدٍ فقال له : يا أبا الحارث « كنیة الأسد » إن مولی رسول الله ﷺ كان من أمری کیت وکیت فأقبل الأسد يصبعصه حتى قام إلى جنبه كلما سمع صوته أهوى إليه ، ثم قام يمشي إلى جنبه فلم يزل كذلك حتى أبلغه الجيش ، ثم همهم ساعة ، قال فرأیت أنه يودع ثم رجع إلى عنی وتركني .

فهذه وإن كانت كرامۃ لسفینۃ مولی رسول الله ﷺ ، فإنها معجزة نبویة ؛ إذ الأسد لأن جانبه ورق لسفینۃ وما شاهد حتى وصل به إلى الجيش بعد أن قال له يا أبا الحارث إنى فلاں مولی رسول الله ﷺ ، فكان ما فعله الأسد من احترام سفينۃ من أجل رسول الله ﷺ ، فلذا عدت هذه من المعجزات الحمدیة .

وتسعة عشرة المعجزات :

## نطق الغرالة ووفاؤها

لله ﷺ

فقد روى أبو نعيم الأصبهاني في كتابه دلائل النبوة قصة الغرالة هذه ، فقال : عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال مَرَّ النبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قومٍ قد اصطادوا ظبيّة فشدوها على عمود فساطط ، فقالت : يا رسول الله إني أخذت ولِي خِشْفَان<sup>(١)</sup> فاستأذن لِي أرضعهما وأعود إليهم ، فقال النبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أين صاحب هذه ؟ » فقال القوم نحن يا رسول الله قال : « خلوا عنها حتى تأتي خشفيها ترضعهما وترجع إليكم » فقالوا من لنا بذلك ؟ قال : « أنا » ، فأطلقوها فذهبت فأرضعت خشفيها ثم رجعت إليهم ، فأوثقوها فمر بهم رسول الله ﷺ فقال : « أين صاحب هذه ؟ » فقالوا : هذا يا رسول الله ، فقال : « تبيعونها ؟ » فقالوا : هي لك يا رسول الله فقال : فخلوا عنها فأطلقوها فذهبت .

فنطق الغرالة ووفاؤها له ﷺ آية من آيات النبوة المحمدية ومعجزة من معجزاته الموجبة للإيمان به وطاعته ومحبته ﷺ .

(١) الخشف ولد الغزال الصغير .

المعجزة الموفقة عشرین :

## خروج الجن من الصبي بدعائه ﷺ

فقد قال أَحْمَد رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَسَاقَ سِنَدَهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : إِنْ امْرَأَ جَاءَتْ بُولْدَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ بَهْ لَمَّا ، وَإِنَّهُ يَأْخُذُهُ عِنْدَ طَعَامِنَا فَيَفْسِدُ عَلَيْنَا طَعَامَنَا ، قَالَ فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدْرَهُ وَدَعَا لَهُ فَشَعَّ<sup>(۱)</sup> ثَعَّةً فَخَرَجَ مِنْهُ مُثْلَ الْجَرْوِ الْأَسْوَدِ يَسْعَى .

فَهَذِهِ إِحْدَى الْآيَاتِ النَّبُوَيَّةِ ، إِذْ بَمْسَحِهِ ﷺ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِ الصَّبِيِّ الْمَصَابِ وَالدُّعَاءِ لِهِ خَرْجِ الْجَنِّ مِنْهُ ، وَشَفَى فَلَمْ يَرْ بَأْسًا بَعْدَ ذَلِكَ .

المعجزة الحادية والعشرون :

## شفاء الضرير بدعائه ﷺ

فقد روی أَحْمَدَ بِسْنَدِهِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حَنْيفٍ : أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَعافِنِي فَقَالَ : « إِنْ شَتَّ أَخْرَتْ ذَلِكَ فَهُوَ أَفْضَلُ لِآخْرَتِكَ ، وَإِنْ شَتَّ دُعَوْتُ لَكَ » قَالَ : لَا ، بَلْ ادْعُ اللَّهَ لِي قَالَ : فَأَمْرُهُ أَنْ يَتَوَضَّأْ وَيَصْلِي رَكْعَتَيْنِ ، وَأَنْ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتُوَجِّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدَ إِنِّي أَتُوَجِّهُ بِكَ فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضِي ، يَا اللَّهُمَّ شُفْعُهُ فِي » فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَبَرَأَ .

فَشَفَاءُ هَذِهِ الْضَّرِيرِ بِعُودَةِ بَصَرِهِ إِلَيْهِ ، بِسُؤَالِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ ، وَمَا عَلِمَهُ

(۱) ثَعَّةٌ : قَاءٌ أَوْ سَعْلٌ مَرَّةٌ وَاحِدَةٌ .

من صلاة ودعاء آية من آيات النبوة المحمدية ، ومعجزة من معجزاته عليه ﷺ وأله وصحبه وسلم .

### المعجزة الثانية والعشرون :

#### شفاء على رضى الله عنه بتفاله عليه ﷺ

ففي الصحيح قال عليه ﷺ في غزو خير : « لأعطي الرأبة غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يده » ، فلما أصبحوا نادى علياً فقالوا : مريض يا رسول الله يشكو عينيه فقال « ائتوه به » فأتى به ففتح في عينيه بقليل من ريقه عليه ﷺ فبراً لتوة ولم يمرض عينيه بعد قط .

فكانت آية من آيات النبوة المحمدية ، ومعجزة من معجزاته الدالة على نبوته وصدق رسالته عليه ﷺ وأله وصحبه وسلم تسلیماً .

### المعجزة الثالثة والعشرون :

#### رد عين قتادة بعد تدليها

إذ في أحد أصيب قتادة بن النعمان في عينه حتى سقطت وتدللت على وجنته<sup>(١)</sup> فردها عليه ﷺ بيده الشريفة فبرئت على الفور ، وكانت أحسن منها قبل .

فهذه معجزة ، إذ ليس في استطاعة أى طبيب أو غيره أن يرد عيناً سقطت بضررها حتى تدللت على الوجنة فبراً لتوها ، وتكون أحسن منها قبل إصابتها وسقوطها .

---

(١) الوجنة : أعلى الخد وها وجنتان يعني ويسرى .

المعجزة الرابعة والعشرون :

## شفاء الصبي بفضل سورة

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

روى ابن أبي شيبة أن امرأة من خثعم أتت النبي ﷺ بصبيّ به بلاء لا يتكلّم . فأتى النبي ﷺ فمضمض فاه ، وغسل يديه ، ثم أعطاها إيمان وأمرها سقيه ومسحه به ففعلت فبرئ الولد وعقل عقلًا يفضل به عقول الناس فهذه آية من آيات النبوة الحمدية ومعجزة ظاهرة التي لا يقدر عليها البشر .

المعجزة الخامسة والعشرون :

## تحول جذر<sup>(١)</sup> الخطب سيفاً

لقد انكسر سيف عكاشه بن محسن يوم بدر فأعطاه النبي ﷺ جذر خطب فقال له : « اضرب به » فانقلب في يده سيفاً صارماً طويلاً أبيض شديد المتن ، فقاتل به ، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد عكاشه في قتال أهل الردة . فكانت هذه آية من آيات النبوة الحمدية ، ومعجزة خارقة للعادة مقررة لنبوته ورسالته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

المعجزة السادسة والعشرون :

## صدق إخباره بالغيب

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فقد روى أبو داود بسنده في أم ورقة بنت نوفل ، أن رسول الله ﷺ لما غزا بدرا قالت له : يا رسول الله ائذن لي في الغزو معك أمرض مرضًا كعل الله يرزقني بالشهادة ، فقال لها : « قرّى في بيتك فإن الله يرزقك

(١) الجذر : عود غليظ من أصل الشجرة والخطب : ما ي sis من أغصان الشجر .

**الشهادة** » ، فكانت تسمى الشهيدة ، وكانت قد قرأت القرآن ، فاستأذنت النبي ﷺ أن تتخذ في بيتها مؤذناً يؤذن لها ، وكانت قد دبرت غلاماً لها وجارية فقاما إليها بالليل فغمّاها في قطيفة لها حتى ماتت ، وذهبها ، فأصبح عمر فطلبها فجيء بها فصلبها عمر رضي الله عنه فكان أول من صلب بالمدينة .

فهذا إخبار بغيض ، فكان كما أخبر ﷺ ، فكان آية نبوته ﷺ ومعجزة من معجزاته فصلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً .

ومن آيات النبوة والمعجزات الحمدية صدق أخباره الغيبية الآتية :

أول خبر : قوله ﷺ في الحسن رضي الله عنه : « إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فتتین عظيمتين » . فكان الأمر كما أخبر ﷺ فقد أصلح به بين من كان مع الحسن وبين من كان مع معاوية رضي الله عنهم أجمعين .

وثاني خبر : قوله ﷺ « اثبّت(١) أحد فإنما عليك نبیٌ وصديق وشهيدان » ، فكان كما أخبر ﷺ ، فمات أبو بكر بمرض أصابه ، وقتل عمر في المحراب شهيداً ، وقتل عثمان في داره شهيداً ، فرضي الله عنهم أجمعين .

ثالث خبر : قوله ﷺ لسراقة بن مالك وقد خرج في ملاحقة ﷺ يوم هجرته حيث أعطت قريش جوائز لمن يأتيها بمحمد ﷺ . قال له : وقد ساخت قوائم فرسه في الأرض متربين قال له : « كيف بك إذا ألبست سواري كسرى؟ » فلما أتى بهما عمر رضي الله عنه ألبسهما إياه وقال « الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة » ، فهذا غريب مغض وقد تم كما أخبر به ﷺ ، فكان آية نبوته ومعجزتها التي لا يقدر عليها أحد من عباد الله إلا نبیٌ أوى المعجزات .

---

(١) لأنه لما صعدوا عليه رجف بهم .

ورابع خبر : قوله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تقتل فتى دعواها واحدة » وقد وقع هذا كما أخبر ، فقد اقتل على معاوية رضي الله عنهما بجيشهما في صفين ، ودعواهما واحدة . فكان ما أخبر به ﷺ كما أخبر فهي آية نبوته ﷺ ومعجزة التي على مثلها آمن البشر .

وخامس خبر : قوله ﷺ « إن هذا قبر أبى رغال ، وإن معه غصنا من ذهب ». فحفروه فوجدوه كأبى رغال ﷺ . وذلك حين كان ذاهبا إلى الطائف ، فكان هذا الخبر آية نبوته ﷺ ، ومعجزة من معجزاته الدالة على نبوته .

وسادس خبر : قوله ﷺ لخباب بن الأرت وقد جاء يشكوا إليه ما يلقى المؤمنون من كفار قريش ، يطلب منه أن يستنصر الله تعالى لهم . قال له وقد أحمر وجهه ﷺ أو تغير لونه : « لقد كان من قبلكم تحفر له الحفرة ، ويُجاء بالمشار فيوضع على رأسه ، فيشق نصفين ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب ما بين صناعه إلى حضرموت ما يخشى إلا الله والذئب على غنميه » ، وقد تم هذا كأبى رغال ﷺ . فكان آية نبوته ومعجزتها التي لا يقدر عليها أحد إلا الله جل جلاله ، وعظم سلطانه .

واسابع خبر : قوله ﷺ « منعت العراق ذهّمها وفقيزها ، ومنعت الشام مدّها ودينارها ، ومنعت مصر أردها ودينارها ، وعدتم من حيث بدأتم ». فهذا الخبر قد وقع كما أخبر ﷺ ؛ فقد منعت العراق ، ومنعت الشام ، ومنعت مصر ، ما كانوا يؤدونه إلى أهل الحجاز من خراج وغيره ، وعاد أهل الحجاز كما بدأوا فمسّهم الجوع ، ونالهم التعب بعد ما أصابهم من رغد العيش وسعة الرزق . فكان هذا آية النبوة الحمدية ومعجزة على مثلها آمن البشر .

وثامن خبر : قوله ﷺ « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يؤتى الله ملكه من يشاء ». فهذا الخبر من أنباء الغيب ؛ إذ كانت خلافة أبي بكر ستين

وأربعة أشهر إلا عشر ليال ، وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام ، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة إلا اثنى عشر يوماً ، وكانت خلافة على خمس سنوات إلا شهرين ، وتكمل الثلاثين كان بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما ، إذ كانت نحوها من ستة أشهر ، ثم نزل عليها لمعاوية عام أربعين من الهجرة . ومصدق هذا في قوله عليه السلام : « إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فتنين » . فهذا الخبران من دلائل نبوته عليه السلام .

وتاسع خبر : قوله عليه السلام في عثمان رضي الله عنه : « افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه » . وذلك في حديث الصحيح ونصه : إن النبي عليه السلام دخل حائطا « بستانًا » فدلّى رجليه في القف<sup>(١)</sup> فقال أبو موسى وكان معه : لأكوننّ اليوم بباب رسول الله عليه السلام ، فجلست خلف الباب فجاء رجل فقال : افتح قلت من أنت ؟ قال أبو بكر ، فأخبرت رسول الله عليه السلام ، فقال : « افتح له وبشره بالجنة » ، ثم جاء عمر فقال كذلك ، ثم جاء عثمان فقال : « ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه » . وهذا الخبر من أنباء الغيب الدالة على نبوته عليه السلام .

وعاشر خبر : قوله عليه السلام لفاطمة رضي الله عنها : « إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل عام مرة ، وإنه عارضني العام مرتين ، وما أرى ذلك إلا لاقراب أجل » . فبكت ثم سارّها فأخبرها بأنها سيدة نساء أهل الجنة ، وأنها أول أهله لحوّا به . فكان كآخر إذ ماتت بعده ستة أشهر ، ولم يمت قبلها من آل البيت أحد ، فكان هذا الخبر آية نبوته عليه السلام .

وحادى عشر خبر : قوله عليه السلام لنسائه : « كيف بإحداكن تنبّع عليها كلاب الحواب » . وكان ذلك كآخر ، فقد خرجت عائشة رضي الله عنها

(١) القف : الدكّة تجعل حول البئر يجلس عليها وتدل الأرجل في الماء المستخرج من البئر .

تريد الصلح بين على ومعاوية رضى الله عنهمَا في وقعة الجمل ، فلما بلغت مياه بنى عامر ليلاً نبحث الكلاب ، فقالت رضى الله عنها : أى ماء هذا ؟ قالوا : ماء الحوائب ، فقالت : ما أظنتى إلا راجعة . فقال بعض من كان معها : بل تقدمين فيراك المسلمين فيصلح الله ذات بینهم . قالت : إن رسول الله ﷺ قال لنا ذات يوم : « كيف بإحداكم تبيع عليها كلاب الحوائب » . فهذا الخبر الصادق قد وقع كما أخبر به قبل وقوعه بکذا سنة ، فكان كما أخبر فهو إذا آية النبوة ، ومعجزة الحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً .

وثاني عشر خبر : قوله ﷺ في حديث أَمْرَى بن ياسِرَ قال : قال رسول الله ﷺ لعَلَى حِينَ ولِي غَزْوَةَ الْعَشِيرَةِ : « يَا أَبَا تَرَابٍ أَلَا أَحَدُكُمْ بِأَشْقَى النَّاسِ رَجُلٌ ؟ » قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : قَالَ : « أَحِيمَرُ ثُمُودُ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلَى عَلَى هَذِهِ – يَعْنِي قَرْنَهُ – حَتَّى يَلِلْ أَى بَالَّدْمِ هَذِهِ أَى حَيْتِهِ » . فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ ﷺ ، فَقَدْ ضَرَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنَ مُلْجَمٍ أَحَدَ الْخَوَارِجِ عَلَيْهِ بِالْكَوْفَةِ فَقُتِلَ عَلَى نَحْوِ مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ فَكَانَ هَذَا مِنْ دَلَائِلِ نَبَوَتِهِ ﷺ ، وَمِنْ مَعْجزَاتِهِ الَّتِي رَافَقَتْ حَيَاةَ ﷺ .

وثلاث عشر خبر : قوله ﷺ . « سِيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بُعْثَةٌ إِلَى السَّنَدِ وَالْهَنْدِ » ، فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ ﷺ ، فَقَدْ حَدَثَ أَبُو هَرِيْرَةَ رضى الله عنه فقال : حدثني خليلي الصادق المصدق رسول الله ﷺ قال : « يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بُعْثَةٌ إِلَى السَّنَدِ وَالْهَنْدِ » ، فَإِنْ أَدْرَكَهُ فَاسْتَشْهِدْتَ فَذَاكَ ، وَإِنْ أَنَا رَجَعْتُ فَأَنَا أَبُو هَرِيْرَةَ الْمَحْدُثُ قَدْ أَعْتَقْنِي مِنَ النَّارِ .

فهذا الخبر الصادق قد وقع كما أخبر ﷺ فقد غزا المسلمون الهند أيام معاوية سنة أربع وأربعين ، ثم توالي الغزو والفتح كما أخبر ﷺ . فكان آية النبوة الحمدية والمعجزة النبوية الدالة على صدق الحبيب ﷺ في نبوته ورسالته .

ورابع عشر خبر : قوله ﷺ في سهيل بن عمرو : « عَسَى أَنْ يَقُومْ مَقَامًا

يسرك يا عمر ». وذلك يوم صلح الحديبية حيث غضب عمر رضي الله عنه من تعنت سهيل ، وكان مثلاً لقريش يومئذ فقال له ﷺ : « عسى أن يقوم مقاماً يسرك يا عمر » ، وكان الأمر كما أخبر ﷺ ؛ إذ مات الرسول ﷺ واضطربت البلاد ونجم الكفر ، ووقف سهيل بن عمرو رضي الله عنه بباب الكعبة بمكة فخطب فتبت أهل مكة وقوى بصائرهم فحفظ لهم الله من الردة بسببه وهو موقف سرّ عمر والمؤمنين . وكان آية نبوته ﷺ ، ومعجزة من معجزاته .

وخامس عشر خبر : قوله ﷺ : « ستفرق هذه الأمة على ثلات وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة في الجنة » وسئل عنها فقال : « هم الذين يكونون على ما أنا عليه اليوم وأصحابي » . وقال : « إنها ستكون أنماط<sup>(١)</sup> ويغدو أحدهم في حلة ، ويروح في أخرى ، وتوضع بين يديه صحفة<sup>(٢)</sup> وترفع أخرى ، ويسترون بيوتهم كا تستر الكعبة » . وقال : « أنتم اليوم خير منكم يومئذ ، وإنتم إذا مشوا المُطِيَّطاء<sup>(٣)</sup> ، وخدمتم بنات فارس والروم رد الله بأسمهم بينهم ، وسلط شرارهم على خيارهم » .

فهذا القول النبوي الشريف الجزء الأول منه كان كما أخبر ، حيث بلغت فرق هذه الأمة ثلاثة وسبعين فرقة كما أخبر . فكان آية النبوة الحمدية . والجزء الثاني وهو قوله : إنها ستكون ، وإن ضعف سنته فقد صح واقعاً ، فقد بسط الله الرزق على أمّة الإسلام بعد وفاة نبيها ﷺ ف كانوا كما وصف في كثير من البلاد والأوقات ، وقد حدث ما في الخبر من وعيد إذ جعل تعالى بأسمهم بينهم وسلط عليهم شرارهم في أكثر من زمان ومكان ، والله المستعان .

(١) الأنماط جمع نمط البسط والفرش النفيسة .

(٢) أي صحفة الطعام .

(٣) أي التبغثر في المشى .

كانت تلك أربعين معجزة للحبيب ﷺ ، وقد تقدم في ثنايا سيرته العطرة عشرات الآيات والمعجزات ، ولقد صدق من قال إن المعجزات الحمدية قد بلغت الألف معجزة . والمراد من إيرادها تقوية إيمان المؤمنين ، ودعوة غيرهم إلى الإيمان به ﷺ نبياً ورسولاً تجب متابعته وتحتم طاعته وتلزم محبته من أجل النجاة من الخسران ، والفوز بالمحفرة والرضوان ، في دار السلام مع مواكب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ؛ إذ قال تعالى ، وقوله الحق من سورة النساء من كتابه الكريم ، ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا \* ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيًّا ﴾ .

### الأخلاق الحمدية

التي فيها  
أسوة للمؤمنين

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ من سورة القلم .  
وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ من سورة الأحزاب .

فقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ شهادة من الله تعالى له ﷺ بأنه على أكمل الأخلاق وأتمها وأرفعها وأفضلها ، بحيث لا يدان فيها بحال من الأحوال .

وشاهد آخر في قوله ﷺ : « أَدْبَنِي رَبِّي فَأَحْسِنْ تَأْدِيبِي » .  
وفي قوله : « بَعْثَتْ لَأَنْتُمْ صَالِحُ الْأَخْلَاقِ » .  
وفي قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ

يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴿٤﴾ إِعْلَامٌ مِّنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أُوجِبَ عَلَيْهِمْ مِّنِ الْإِقْدَاءِ بِرِسُولِهِ الَّذِي كَمَلَهُ خَلْقًا وَخَلَقَهُ ، وَشَرْفُهُ أَصْلًا وَمُحْتَدًا ، وَرَفِعَهُ مَنْزَلَةً وَقَدْرًا ، حَتَّى لَا تَأْنِفَ النُّفُوسُ فِي اتِّبَاعِهِ وَالْإِقْدَاءِ بِهِ فِي كُلِّ مَا هُوَ فِي استِطاعَتِهِ التَّحْلِيَّ بِهِ ، وَالتَّقْرِبُ إِلَى رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَ بِاتِّبَاعِهِ وَالْإِقْدَاءِ بِهِ فِيهِ .

وَمِنْ هَنَا كَانَ الْكَمَالُ الْمُحَمَّدِيُّ ضَرِيبَيْنِ : ضَرِيبًا لَمْ تُشَرِّعْ أَسْوَةً فِي لَعْجَزِ الْمَرْءِ عَنْ كَسْبِ مُثْلِهِ وَذَلِكَ كَشْرُفُ الْأَصْلِ ، وَجَمَالُ الذَّاتِ ، وَعَلُوُّ الْقَدْرِ ، وَالاَصْطِفَاءُ لِلرِّسَالَةِ ، وَتَلْقَى الْوَحْيُ الْإِلَهِيُّ . وَضَرِيبًا مَأْمُورًا بِالْإِقْدَاءِ بِهِ فِيهِ ، وَالْمَنَافِسَةُ فِي تَحْصِيلِ أَكْبَرِ قَدْرِهِ مِنْهُ ، وَالْمَسَابِقَةُ إِلَيْهِ ، وَالْجَدْدُ فِي الْطَّلْبِ لِلظَّفَرِ بِهِ ، وَالْحَصُولُ عَلَيْهِ . وَهُوَ مَا سَنَدَكُرْ جَمَالًا صَالِحةً مِنْهُ ، سَائِلِيْنَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنَا التَّحْلِيَّ بِهِ ، وَالْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ عَلَيْهِ ، اللَّهُمَّ آمِينَ .

### الآدَابُ الْمُحَمَّدِيَّةُ

لَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ تَعَالَى يَتَجَمَّلُ بِالآدَابِ التَّالِيَّةِ وَيَتَحَلُّ بِهَا وَهِيَ :

أَوْلًا : غَضَ الْطَّرْفَ فَلَا يَتَبَعَ نَظَرُهُ الْأَشْيَاءُ ، وَكَانَ جَلَ نَظَرُهُ الْمَلَاحِظَةُ ، فَلَا يَحْمَلُقُ إِذَا نَظَرَ ، وَنَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ .

ثَانِيًا : إِذَا مَشَى مَعَ أَصْحَابِهِ يَسْوَقُهُمْ أَمَامَهُ فَلَا يَتَقْدِمُهُمْ ، وَيَدِأُ مِنْ لَقِيهِ بِالسَّلَامِ .

ثَالِثًا : إِذَا تَكَلَّمَ يَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلْمَ ، كَلَامُهُ فَصْلٌ ، لَا فَضُولٌ وَلَا تَقْصِيرٌ ؛ أَئِي عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ ، فَلَا زِيَادَةُ عَلَيْهَا وَلَا نَفْصَانُ عَنْهَا . وَهَذَا مِنْ الْحَكْمَةِ وَكَانَ يَقُولُ : « مِنْ حَسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » وَيَقُولُ : « مِنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلِيَقْلِ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمَتْ » . وَيَدِأُ كَلَامَهُ وَيَخْتَمُهُ بِأَشْدَاقِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْمَعَ مُحَدِّثَهُ وَيُفْهَمَهُ لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةِ ، طَوْبِيْلُ السُّكُوتِ .

**رابعاً** : متواصل الأحزان ، دائم الفكر ، ليست له راحة ، دمت الحُلُق ،  
ليس بالجاف ولا المهين ، يعظم النعمة وإن دقت ، لا يذم منها شيئاً ولا يمدحه .

**خامساً** : لا تغضبه الدنيا وما كان لها ، فإذا تُعرض للحق لم يعرفه أحد ،  
ولم يقم لغضبه شيء حتى يتصر له ، ولا يغضب لنفسه ولا يتصر لها .

**سادساً** : إذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غض طرفه ، جُل ضَحِّكه  
التبسم ، ويفتر عن مثل حب الغمام .

**سابعاً** : إذا تكلم تكلم ثلاثة ، وإذا سلم سلم ثلاثة ، وإذا استأذن استأذن  
ثلاثة ؛ وذلك ليعقل عنه ويفهم مراده من كلامه نظراً إلى ما وجب عليه من  
البالغ .

**ثامناً** : كان يشارك أصحابه في مباح أحاديثهم ؛ إذا ذكروا الدنيا ذكرها  
معهم ، وإذا ذكروا الآخرة ذكرها معهم ، وإذا ذكروا طعاماً أو شراباً ذكره  
معهم .

**تاسعاً** : كان إذا جلس نصب ركبته واحتسي بيديه ، وإذا جلس للأكل  
نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى .

**عاشرًا** : كان لا يعيي طعاماً يقدم إليه أبداً ، وإنما إذا أعجبه أكل منه ،  
وإن لم يعجبه تركه . هذه الآداب بجملة ، وكلها يمكن الاقتداء به فيها ، وهو  
غاية الطلب ، وبغية أولى الأرب .

## الأُخْلَاقُ الْمُحْمَدِيَّةُ

إِنَّ لِذَوِي الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ مَنْزِلَةٌ عَالِيَّةٌ . فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيفَ « أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ أَخْلَاقًا ». « إِنَّمَا أَحْبَبَكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا » .

وَسَأَلَ عَلَيْهِ أَنَّهُ عَنِ الْبَرِّ ، قَالَ : « حَسْنُ الْخَلْقِ » وَسَأَلَ عَنِ الْأَعْمَالِ أَفْضَلَ فَقَالَ : « حَسْنُ الْخَلْقِ » .

وَمِنْ هَذَا كَانَ اِكْتَسَابُ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ خَيْرًا مِنْ اِكْتَسَابِ الْذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ ، وَالْأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ . وَالطَّرِيقُ إِلَى ذَلِكَ هُوَ الْاِتِّسَاءُ بِالنَّبِيِّ الْحَبِيبِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذَا هُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي بَابِ الْأَخْلَاقِ ؛ وَلَذَا كَانَ إِيمَانُنَا لِلْأَخْلَاقِ الْمُحْمَدِيَّةِ فِي آخِرِ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ بَابِ حَمْلِ الْمُسْلِمِ عَلَى اِكْتَسَابِ تِلْكَ الْأَخْلَاقِ الْمُحْمَدِيَّةِ الْفَاضِلَةِ ، وَدَفْعًا لَهُ عَلَى التَّجَمُّلِ وَالتَّحْلِيَّةِ بِهَا ؛ لِيَكُمْلَ بِهَا وَيَفْضُلَ وَيُشَرِّفَ عَلَيْهَا ، بَعْدَ أَنْ عُرِفَ صَاحِبِهَا ، وَعُرِفَ كُلَّاتِهِ الْذَّاتِيَّةُ وَالرُّوحِيَّةُ ، وَقُوَّى إِيمَانِهِ بِهِ نَبِيُّ وَرَسُولُهُ تَعَبُّرُ طَاعَتِهِ وَمَتَّابِعَتِهِ وَتَعْظِيمَهِ وَمَحْبَّتِهِ وَتَوْقِيرِهِ .

وَهَذِهِ غَاذِجٌ مِنْ تِلْكَ الْأَخْلَاقِ فَلَنْ نَنْتَظِرْ إِلَيْهَا ، وَلْنُوَطِّنْ النَّفْسَ عَلَى اِكْتَسَابِهَا وَالتَّحْلِيَّةِ الصَّادِقَةِ بِهَا .

## الْكَرْمُ الْمُحَمَّدِيُّ

إِنَّ الْكَرْمَ الْمُحَمَّدِيَّ كَانَ مَضْرِبَ الْأَمْثَالِ ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ لَا يَرْدَدُ سَائِلًا وَهُوَ وَاحِدٌ مَا يَعْطِيهِ . فَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ حَلَّةً كَانَ يَلْبِسُهَا ، فَدَخَلَ بَيْتَهُ فَخَلَعَهَا ثُمَّ خَرَجَ بِهَا فِي يَدِهِ وَأَعْطَاهَا إِيَّاهَا . فَقَى صَحِيفَ الْبَخَارِيِّ وَمُسْلِمَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَيْئًا قَطْ فَقَالَ لَا . وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَيْئًا عَلَى إِسْلَامٍ إِلَّا أَعْطَاهُ ، سَأَلَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنِمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فَأَقَى الرَّجُلُ قَوْمَهُ

فقال لهم يا قوم أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخاف الفقرة . إن كان الرجل ليجيء إلى رسول الله ﷺ ما يريد إلا الدنيا ، فما يمسي حتى يكون دينه أحب إليه وأعز من الدنيا وما فيها . وحسبنا في الاستدلال على كرم رسول الله ﷺ حديث البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد سئل عن جود الرسول وكرمته فقال : كان رسول الله أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل بالوحى فيدارسه القرآن ، فرسول الله أجود بالخير من الربيع المرسلة ، بمعنى أن عطاءه دائم لا ينقطع بيسير وسهولة وهاهى ذى أمثلة لجوده وكرمته ﷺ :

- حملت إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصیر ، ثم قام إليها يقسمها بما رد سائلًا حتى فرغ منها .
- أعطى العباس رضي الله عنه من الذهب مالم يطق حمله .
- أعطى معوذ بن عفراة ملة كفه حلياً وذهبًا لما جاءه بهدية من رطب وقثناء .
- جاءه رجل فسألته فقال : « ما عندك شيء ولكن اتبع<sup>(١)</sup> على فإذا جاءنا شيء قضيناه » . وكيف لا يكون الحبيب ﷺ أكرم الناس وأجودهم على الإطلاق ، وهو القائل : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان يقولون أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر اللهم أعط مسكاً تلها » . والسائل أيضًا : « يقول الله تعالى : ابن آدم أتفق أتفق عليك » . وقد نزل عليه قول ربّه : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُحْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

---

(١) اتبع بمعنى اشتري ما تحتاجه على حسابي وأنا أسدده عنك إن شاء الله تعالى .

## الحِلْمُ الْمُحَمَّدِيُّ

إن الحلم وهو ضبط النفس حتى لا يظهر منها ما يكره قوله قولًا كان أو فعل عند الغضب ، وما يثيره هيجانه من قول سيء أو فعل غير محمود . هذا الحلم كان فيه الحبيب ﷺ مضرب المثل . والأحداث التالية شواهد لحلمه فداء أى وأمي وصلى الله عليه وسلم ؛ وذلك لتربيته الله تعالى له ، وإفاضته الكمالات على روحه ﷺ :

- لما شجت وجنتاه وكسرت رباعيته ودخل المغفر في رأسه ﷺ يوم أحد قال : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ». فهذا منتهي الحلم والصفح والعفو والصبر منه ﷺ .
- لما قال له ذو الخوينصة اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ، حلم عليه وقال له : « ويحك فمن يعدل إن لم أعدل » ، ولم ينتقم منه ولم يأذن لأحد من أصحابه بذلك .
- لما جذبه الأعرابي بردايه جذبة شديدة حتى أثرت في صفحة عنقه ﷺ وقال أحمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك ، فإنك لا تحمل لي من مالك ومال أبيك ، حلم عليه ﷺ ولم يزد أن قال : « المال مال الله وأنا عبده ، ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي » فقال الأعرابي : لا ، فقال النبي ﷺ : « لم ؟ » قال : لأنك لا تكافئ السيئة بالسيئة ، فضحك ﷺ ، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير ، وعلى آخر تمر ، فأي حلم وأى كمال هذا يا عباد الله ؟ .

- لم يثبت أنه ﷺ انتصر لنفسه من مظلمة ظلمها قط ، ولا ضرب خادمًا ولا امرأة قط . بهذا أخبرت عائشة رضي الله عنها ، فقالت : ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمة ظلمها قط ، ما لم تكن حرمة من محارم الله ، وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما ضرب خادمًا قط ولا امرأة .

● وجاءه زيد بن سعنة أحد أخبار اليهود بالمدينة ، جاءه يتقدّم له على النبي ﷺ فجذب ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وقال معلظاً القول : إنكم يا بني عبد المطلب مطلّ فانتهـرـ عمر وشدد له في القول ، والنبي ﷺ يقسم ، وقال ﷺ : « أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج منك يا عمر ؛ تأمرني بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التفاصي » ، ثم قال : « لقد بقى من أجله ثلاثة » ، وأمر عمر أن يقضيه ماله ويزيدـهـ عـشـرـينـ صـاعـاـ لـماـ روـعـهـ ، فـكـانـ هـذـاـ سـبـبـ إـسـلـامـهـ فـأـسـلـمـ ، وـكـانـ قـبـلـ ذـلـكـ يـقـوـلـ : ماـ بـقـىـ مـنـ عـلـامـاتـ النـبـوـةـ شـيـءـ إـلـاـ عـرـفـتـهـ فـيـ مـحـمـدـ ﷺ إـلـاـ اثـنـيـنـ لـمـ أـخـرـهـماـ : يـسـيقـ حـلـمـهـ جـهـلـهـ ، وـلـاـ تـزـيـدـهـ شـدـةـ الـجـهـلـ إـلـاـ حـلـمـاـ فـاخـتـرـهـ بـهـذـهـ الـحـادـثـ فـوـجـدـهـ كـاـوـصـفـ .ـ هـذـهـ قـطـرـةـ مـنـ بـحـرـ الـحـلـمـ الـحـمـدـيـ ثـدـهـ ظـمـأـ مـنـ أـرـادـ أـنـ يـتـحـلـيـ بـالـحـلـمـ وـيـتـجـمـلـ بـهـ .ـ

### العفو الحمدي

إن العفو هو ترك المؤاخذة عند القدرة على الأخذ من المسيء المبطل ، وهو من خلال الكمال ، وصفات الجمال الخلقي ، أمر الله تعالى به رسوله في قوله من سورة الأعراف : ﴿خُذِ الْعُفُوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَغْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وسائل ﷺ جبريل عن معنى هذه الآية فقال له : « حتى أسأل العليم الحكيم » ، ثم أتاه فقال : « يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك<sup>(١)</sup> وتعطي من حرملك ، وتفعل عن ظلمك ». وامتثل رسول الله ﷺ أمر ربه فكان مضرب المثل في الخصال الثلاث في صلة من قطعه وإعطاء من حرمه ، والعفو عن ظلمه ، وفي الأمثلة الآتية شاهد ذلك ودليله .

● قالت عائشة رضي الله عنها : ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار

(١) هو تفسير الآية التي سأله جبريل عن معناها .

أيسر هما ما لم يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله عليه عليه لنفسه<sup>(١)</sup> إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم الله بها .

● تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به عليه ، ورسول الله مطرح تحت شجرة وحده قائلاً ، وأصحابه قائلون كذلك ، وذلك في غزوة ، فلم يتبه رسول الله عليه إلا وغورث قائم على رأسه ، والسيف مصلتاً في يده ، وقال : من يمنعك مني ؟ فقال عليه : « الله ». فسقط السيوف من يد غورث ، فأخذته النبي عليه وقال : « من يمنعك ؟ » قال غورث : كن خير آخذ فتركه وعفا عنه . فعاد إلى قومه فقال جتكم من عند خير الناس ، فهكذا كان العفو الحمدى .

● لما دخل المسجد الحرام صبيحة الفتح ووجد رجالات قريش جالسين مطاعين الرؤوس يتظرون حكم رسول الله عليه الفاتح فيهم ، فقال : « يا عشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم ؟ » قالوا أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : « اذهبوا فأئتم الطلقاء » ، فعفا عنهم بعد ما ارتكبوا من الجرائم ضده وضد أصحابه ما لا يقدر قدره ، ولا يخصى عده ، ومع هذا فقد عفا عنهم ولم يعنف ، ولم يضرب ولم يقتل ، فصلى الله عليه وآلـه وصحبه سلم .

● سحره لبيد بن الأعصم اليهودي وقد نزل بذلك ، فعفا عنه ، ولم يؤاخذه ، بل لم يثبت أنه لامه أو عاتبه مجرد لوم أو عتاب ، فضلاً عن المؤاخذة والعقاب . فكان موقفه هذا مظهراً من مظاهر العفو الحمدى في أجلى صوره ، وأبهى مظاهره فصلى الله عليه وسلم ما عفا عاٍف وآخذ مؤاخذ إلى يوم الدين .

● تأمر عليه المنافقون وهو في طريق عودته من تبوك إلى المدينة ؛

(١) هو معنى أنه يعفو عن ظلمه .

تَأْمِرُوا عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ ، وَعْلَمُ بَهُمْ ، وَقِيلَ لَهُ فِيهِمْ فَعَفَا عَنْهُمْ ، وَقَالَ : « لَا يُتَحَدَّثُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » .

● جاءَهُ رَجُلٌ يُرِيدُ قَتْلَهُ ، فَاَكْتَشَفَ أَمْرَهُ ، وَظَهَرَتْ حَالَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ إِنَّ هَذَا جَاءَ يُرِيدُ قَتْلَكَ ، فَاضْطَرَبَ الرَّجُلُ مِنْ شَدَّةِ الْخُوفِ وَفَزَعَ ، فَقَالَ لَهُ : « لَنْ تَرَاعَ ، لَنْ تُرَاعَ ، وَلَوْ أَرَدْتَ ذَلِكَ — أَىٰ قُتْلًا — لَمْ تَسْلُطْ عَلَيْهِ » ؛ لَأَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِعَصْمَتِهِ لَهُ مِنَ النَّاسِ ، فَعَفَا عَنْهُ عَلَيْهِ اللَّهُ أَعْلَمُ وَقَدْ أَرَادَ قَتْلَهُ ، فَلَمْ يُؤَاخِذْهُ بَلْ لَمْ يَعْاقِبْهُ فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

### الشجاعة الحمدية

إِنَّ الشَّجَاعَةَ خَلْقٌ فَاضِلٌ ، وَوُصُفَ كَرِيمٌ ، وَخَلْقٌ شَرِيفٌ ، لَا سِيمَا إِذَا كَانَتْ فِي الْعُقْلِ كَمَا هِيَ فِي الْقَلْبِ ، وَكَانَ صَاحِبَهَا مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ وَالْعِلْمِ ، وَالشَّجَاعَةُ فِي الْقَلْبِ دُمُّ الْخُوفِ مَا يَخَافُ عَادَةً ، وَالْإِقدَامُ عَلَى دُفْعِ ما يَخَافُ مِنْهُ بِقُوَّةٍ وَحَزْمٍ . وَفِي الْعُقْلِ الْمُضَاءُ فِيمَا هُوَ الرَّأْيُ وَدُمُّ النَّظرِ إِلَى عَاقِبَةِ الْأَمْرِ مَتَى ظَهَرَ أَنَّهُ الْحَقُّ وَالْمَعْرُوفُ : وَقَدْ كَانَ الْحَبِيبُ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشْجَعُ إِنْسَانٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ . فَلَمْ تَكْتُلْ عَيْنَ الْوِجْدَنِ بِمِثْلِهِ عَلَيْهِ اللَّهُ أَعْلَمُ ، وَمِنْ أَدْلَةِ ذَلِكَ تَكْلِيفُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِأَنَّ يَقْاتِلَ وَحْدَهُ فِي قَوْلِهِ مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ : ﴿فَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وَمِنْ أَدْلَلَةِ شَجَاعَتِهِ عَلَيْهِ اللَّهُ أَعْلَمُ وَمَظَاهِرُهَا مَا يَلِي :

● شَهَادَةُ الشَّجَاعَانِ الْأَبْطَالِ لِهِ بِذَلِكَ فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مِنْ أَبْطَالِ الرِّجَالِ وَشَجَاعَتِهِمْ بِلَا مَرَاءٍ قَالَ : كَنَا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ وَاحْمَرَتِ الْحَدْقَ (١) نَتَقَى بِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَىٰ نَتَقَى الضَّرَبُ وَالْطَّعَانُ .

(١) جَمْعُ حَدْقَةٍ : مَا تَحْتَ الْأَجْفَانِ وَذَلِكَ مِنْ شَدَّةِ الْغَضَبِ .

● موقفه البطولي الخارق للعادة في أحد حيث فر الكمة ، وووجه الأبطال ، وذهل عن أنفسهم الشجعان ، ووقف محمد رسول الله عليه السلام كالجبل الأشم حتى لاذ به أصحابه ، والتقووا حوله ، وقاتلوا حتى انجلت المعركة بعد قتال مرير وهزيمة نكراة حلت بالقوم مخالفة أمره عليه السلام .

● في حنين حيث انهزم أصحابه وفر رجاله لصعوبة مواجهة العدو ، من جراء الكمائن التي نصبها وأوقعهم فيها وهم لا يدرؤون ، بقى وحده عليه السلام في الميدان يطأول ويصاول وهو على بغلته يقول :

«أنا النبي لا كذب      أنا ابن عبد المطلب»

وما زال في المعركة وهو يقول : «إلى عباد الله !! إلى عباد الله » حتى فاء أصحابه إليه ، وعاودوا الكرة على العدو فهزموه في ساعة . وما كانت هزيمتهم أول مرة إلا من ذنب ارتكبه بعضهم وهو قوله : لن نغلب اليوم من قلة ؛ إذ هذا القول كان عجباً والعجب حرام وقد ذكرهم تعالى به في كتابه إذ قال تعالى من سورة التوبة : ﴿وَيَوْمَ حُسْنٍ إِذْ أَغْجَبْتُمْ كَثُرَ ثُكْمَ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾ الآية .

● في أحد والمعركة دائرة رأى النبي بن خلف — لعن الله — رأى النبي عليه السلام . فصاح أين محمد ؟ لا نجوت إن نجا ، وتقديم على فرسه نحو رسول الله عليه السلام فاعتربه رجال من المسلمين فقال عليه السلام «خلوا طريقه» ، وتناول الحرية من يد الحارث بن الصمة ، وانتقض انتفاضة تطاير عنه أصحابه تطاير الوبر من ظهر البعير إذا انتقض ، واستقبله بطعنة نجلاء في عنقه تداداً<sup>(١)</sup> منها عن فرسه مراراً وهو يقول : قتلني محمد ، فمات منها بسرف وهو عائد إلى مكة مع جيش المشركين .

---

(١) تزعرع بشدة .

● فرع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى الصوت ، واستبراً<sup>(١)</sup> الخبر على فرس لأبي طلحة عُرْيَى والسيف في عنقه وهو يقول : « لن ثراعوا ». في هذه يقول أنس بن مالك كان النبي ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ، وقص هذه القصة .

● شهادة عمران بن حصين رضي الله عنهما إذ قال وهو صادق : ما لقي رسول الله ﷺ كتبية إلا كان أول من يضرب .

كانت تلك شواهد شجاعته القلبية . أما شجاعته العقلية فنكتفي فيها بشاهد واحد ، فإنه يكفى عن ألف شاهد ويزيد . وهو موقفه من تعنت سهيل ابن عمرو وهو يملي وثيقة صلح الحديبية ، إذ تنازل ﷺ على كلمة بسم الله إلى باسمك اللهم . وعن كلمة محمد رسول الله إلى كلمة محمد بن عبد الله ، وقد استشاط أصحابه غيظاً . وبلغ الغضب حدّا لا مزيد عليه وهو صابر ثابت حتى انتهت ، وكانت بعد أيام فتحا مبيناً فضرب ﷺ بذلك المثل الأعلى في الشجاعتين القلبية ، والعقلية ، مع بعد النظر وأصالة الرأى وإصابته فصل الله عليه وسلم ما بقى شجاعة أو جبن في العالمين .

### الصبر الحمدي

إن الصبر وهو حبس النفس على طاعة الله تعالى حتى لا تفارقها ، وعن معصية الله تعالى حتى لا تقربها ، وعلى قضاء الله تعالى حتى لا تخزع له ولا تسخط عليه . هذا هو الصبر في مواطنه الثلاثة وهو خلق من أشرف الأخلاق وأسمها ، وهو خلق مكتسب يحمل العاقل عليه نفسه ويروتها شيئاً فشيئاً حتى يصبح ملكرة لها ثابتة عفواً بدون طلب .

---

(١) يقال استبراً الخبر إذا طلبه حتى وقف على حقيقته .

يدل على ذلك أمره تعالى رسوله به في غير موطن من كتابه العزيز وذلك قوله تعالى : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ وقوله : ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبَرْكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ وقوله في أمر كافة المؤمنين به : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

وقد صبر رسول الله ﷺ وصابر طيلة عهد إبلاغ رسالته الذي دام ثلاثة وعشرين سنة ، فلم يجزع يوماً ، ولم يتخلل عن دعوته وإبلاغ رسالته حتى بلغ بها الآفاق التي شاء الله تعالى أن تبلغها ، وباستعراضنا المواقف التالية تتجلى لناحقيقة الصبر الحمدى الذى هو فيه أسوة كل مؤمن ومؤمنة في معركته هذه الحياة .

- صبره ﷺ على أذى قريش طيلة ما هو بين ظهرانها بمكة ؛ فقد ضربوه ، وألقوا سلي الجزور على ظهره ، وحاصروه ثلاثة سنوات مع بنى هاشم في شعب أبي طالب ، وحكموا عليه بالاعدام ، وبعثوا رجاههم لتنفيذه فيه إلا أن الله سلمه وعصم دمه . كل هذا لم يرده عن دعوته ، ولم يشن عزمه عن بيانها وعرضها على القريب والبعيد .

- صبره ﷺ عام الحزن ، حيث ماتت خديجة الزوجة الحنون ، ومات العم الحافى الحامى المدافع أبو طالب . فلم تفت هذه الرزايا من عمره ، ولم توهن من قدرته ؛ إذ قابل ذلك صبر لم يعرف له في تاريخ الأبطال مثل ولا نظير .

- صبره في كافة حروبها في بدر وفي أحد وفي الخندق وفي الفتح وفي حنين وفي الطائف وفي تبوك ، فلم يجبن ولم ينهزم ، ولم يفشل ، ولم يكل ولم يمل حتى خاض حروباً عددة ، وقد سرايا عديدة ؛ فقد عاش من غزوة إلى أخرى طيلة عشر سنوات ، فأى صبر أعظم من هذا الصبر؟؟

- صبره على تامر اليهود عليه بالمدينة و تخزيتهم الأحزاب لحربه والقضاء .

عليه ، وعلى دعوته .

- صبره على الجوع الشديد فقد مات ولم يشبع من خبز شعير مرتين في يوم واحد فقط .

● لقد صبر ﷺ على كل ذلك فلم يهن ولم تضعف همته ، ولم تمس كرامته ولم يدنس عرضه ، ولو أُوذى غيره بمعشار ما أُوذى أو أصابه من البلايا والرزايا دون ما أصابه لتخلى عن دعوته ، وهرب من مسؤوليته ، ووجد في نفسه مبرراً لذلك ، ولكن الله عصمه فصبره وجبره ، وحماه وقواه ليبلغ عنه رسالته ، و يجعله آية للناس في صبره وحكمته وعفوه وكرمه وشجاعته وفي سائر أخلاقه فصلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

## العدل الحمدى

إن العدل خلاف الجور أمر الله تعالى به في القول والحكم فقال تعالى : «**إِنَّمَا الْعَدْلُ أَنْ يُنْهَا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ**» **وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ** **أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** » وعلى العدل قام أمر السماء والأرض . ومن هنا كيف لا يكون رسول الله ﷺ عادلاً وهو القائل : «**ثَلَاثَةٌ إِجْلَاهُمْ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ تَعَالَى** » ، وذكر من بينهم الإمام العادل ، وذكر أن سبعة يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، وعد منهم الإمام العادل ، وقال : «**إِنَّمَا الْكَرِيمَ مَنْ يَعْدِلُ** » على منابر من نور يوم القيمة » ، وبين أنهم الذين يعدلون في حكمهم وماولوا . ولذا كان ﷺ عادلاً في قوله وفعله وحكمه . لا يجوز ولا يحيف ، وكان العدل من أخلاقه وأوصافه الازمة له ، فقد عرف به في الجاهلية قبل الإسلام . وهذه مواقف له ﷺ يتجلى فيها هذا الخلق النبوى الكريم وهي :

- تحكيم قريش له في وضع الحجر الأسود بعد خلاف شديد بينهم كاد يفضي بهم إلى الاقتتال . فقالوا بتوافق من الله تعالى نحكم أول قادم علينا غداً ،

فكان عليه أول قادم ، فقالوا هذا الأمين هذا الحكم رضينا به فحكم بأن يوضع الحجر في ثوب وتأخذ كل قبيلة بطرف ، ثم أخذ الحجر بيديه ووضعه في مكان من جدار البيت . فحكم فعدل ، وكان مظهراً من مظاهر عدله عليه .

• لما سرقت المخزومية ، وشق على المسلمين إقامة الحد عليها فتقطع يدها فتوسطوا له بحبه وابن حبه أسامة بن زيد فرفع إليه القضية ، فقال : « أفي حد من حدود الله تشفع يا أسامة ، والله لو سرت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » ، فكان هذا مظهراً عظيماً للعدل الحمدى .

• وكانت تخته تسع نسوة ، وكان يعدل ويتحرى العدل ثم يعذر إلى ربه وهو مشفق خائف فيقول : « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمني فيما كلك ولا أملك » .

• وقوله للأعرابى الذى قال له اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله : « ويحك فمن يعدل إن لم أعدل ، خبث وخسرت إن لم أعدل » .

• في الطعام والشراب كان يقول : « ما ملا ابن آدم وعاء شرّاً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يُقمن صلبه ، فإن كان ولا بد فاعلا ، فثلث للطعام ، وثلث للشراب ، وثلث للنفس » . وكان عليه يقسم وقته ثلاثة أجزاء : جزءاً لربه تعالى ، وجزءاً لأهله ، وجزءاً لنفسه ، ويقسم الجزء الذى لنفسه بينه وبين الناس ، فكان يستعين بالخاصية على العامة ، ويقول : « أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي ، فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الأكبر » .

وكان الحسن يقول كان رسول الله عليه لا يأخذ أحداً بقرف<sup>(١)</sup> أحد ، ولا يصدق أحداً على أحد .

---

(١) القرف : التهمة والذنب .

وهكذا يتجلّى خلق العدل في الحبيب ﷺ بصورة واضحة ، يدعو كلّ مؤمن إلى التخلّق به اتساءً به ﷺ ، وهو إلة كلّ مؤمن ومؤمنة في هذه الحياة .

### الزهد المحمدي

إنَّ المراد بالزهد في الدنيا ، وذلك بالرغبة عنها ، وعدم الرغبة فيها ، وذلك بطلبها طلباً لا يشتهي ، ولا يحول دون أداء واجب ، وسد باب الطمع في الإكثار منها والتزيد من متعها ، وهو ما زاد على قدر الحاجة ، وقد كان ﷺ يقول : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » ، وقد كان ﷺ أزهد الناس في الدنيا ، وأقلّهم رغبة فيها ، حتى كان الزهد خلقاً من أخلاقه الفاضلة وسجية من سجاياه الطيبة الظاهرة .

والمواقف الآتية تدل على ذلك وتشهد له وتقرره :

- قوله ﷺ في الصحيح : « لو كان لي مثل أحد ذهبًا لما سرني أن بيت عندي ثلاثة إلا قلت فيه هكذا وهكذا إلا شيئاً أرصده لدين ». فهذا أكبر مظاهر للزهد الصادق الذي كان الحبيب ﷺ يعيش عليه ويتحلى به .
- قوله ﷺ لعمر وقد دخل عليه فوجده على فراش من أدم حشوه ليف فقال إن كسرى وقيصر ينامان على كذا وكذا ، وأنت رسول الله تنام على كذا وكذا ، فقال له ﷺ : « ما لي وللدنيا يا عمر ، وإنما أنا فيها كراكب استظل بظل شجرة ثم راح وتركها » .

فكان هذا أقوى مظاهر الزهد المحمدي الصادق .

- عرض عليه ربه تعالى أن يجعل له الأخشبين<sup>(١)</sup> ذهباً وفضة ، وذلك

---

(١) جبلان من جبال مكة معروفة .

بعد عودته من الطائف جريحاً كثيراً حزيناً ، فقال : « لا يارب ، أشبع<sup>(١)</sup> يوماً فأحمدك وأثنى عليك ، وأجوع آخر فأدعوك وأتضرّع إليك ». .

• وأكبر مظهر لزهده ﷺ في الدنيا سؤاله المتكرر : « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً ». وفي لفظ قوتاً أى بلا زيادة ولا نقصان . وكان يقول : « قليل يكفي خير من كثير يلهمي . وما قل وكفى خير مما كثر وألمى أو أطغى » .

• قول عائشة رضي الله عنها مات رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي . وقد قضى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى في ثلاثين صاعاً من شعير .

وبالتأمل في هذه المواقف تتجلّي الحقيقة واضحة وهي أن الرهد الحق كان خلق النبي الحبيب ﷺ . وهو القائل : « الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، وها يجمع من لا عقل له » .

فصل اللهم وبارك وسلّم على عبدك ورسولك أزهد الزهاد ، وأفضل العباد إلى يوم التلاق والميعاد .

### الحياة الحمدى

إن الحياة خلق فاضل فاقده لا خير فيه ؛ إذ هو من الإيمان ، وهو خير كلّه . وحقيقة أنه تغيير يسببه الخوف مما يكره قوله أو فعله ، أو يُذم عليه . ويظهر أثره في احمرار الوجه ، وترك ما يخشى معه الذم واللامة ، وهو في المرأة بمنزلة الشجاعة في الرجل ، أى كلاً أن الشجاعة محمودة في الرجل أكثر مما هي محمودة في المرأة ، فكذلك الحياة هو في المرأة محمود أكثر مما هو في

(١) الحديث مروى بالمعنى لا باللفظ .

الرجل . ومع هذا فهو خلق فاضل كريم قال فيه رسول الله ﷺ : « الحباء من الإيمان » ، وقال : « الحباء كلها خير ، والحياء لا يأني إلا بخدر ، والحياء شعبة من الإيمان » في أحاديث صحاح .

ومن مظاهر الحباء الحمدى التي يتجلى فيها بوضوح ما يلى :

- قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحِي مِنْكُمْ وَآللَّهُ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ فهذه شهادة الله تعالى لرسوله ﷺ بالحياة وكفى بها شهادة .

- رواية الشيوخين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيها ، قال : كان رسول الله ﷺ أشد حباءً من البكر في خدرها<sup>(١)</sup> ، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه .

- قول عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا؟ ولكن يقول : « ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا » ، ينهى ولا يسمى فاعله .

- قول أنس بن مالك رضي الله عنه في رواية أبي داود قال : دخل رجل على النبي ﷺ به أثر صفرة فلم يقل له شيئاً ، وكان لا يواجه أحداً بمكروه ، فلما خرج قال : « لو قلتم له يغسل هذا ». أى أثر الصفرة في التوب .

- رواية البخارى عن عائشة رضي الله عنها قالت : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً<sup>(٢)</sup> ولا متفحشاً ولا سخاباً<sup>(٣)</sup> في الأسواق ولا يجزى بالسيئة

(١) الخدر : الستر في البيت .

(٢) الفاحش من يصدر عنه الفحش وهو القول أو الفعل القبيح ، والمتفحش من يعمد الفحش ويبالغ فيه .

(٣) السخب والصخب رفع الصوت ، والسخاب فاعل ذلك .

السيئة ولكن يغفو ويصفح . وهذا وصفه في التوراة أيضاً كما رواه عبد الله ابن سلام رضي الله عنه .

● وكان عليه من شدة حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد ، ويُكتنِّي عما أضطربه الكلام إليه مما يكره ولا يصرح به .

● قول عائشة رضي الله عنها : ما رأيت من رسول الله عليه ولا رأى مني أى من العورة .

كانت هذه مظاهر حيائه عليه وشواهد ، وفيها كفاية لمن أراد أن يأتسي به عليه في حياته ، وفي سائر أخلاقه ؛ فقد جعله الله تعالى أسوة المؤمنين فقال تعالى في آياتين من كتابه : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ حسنة<sup>(۱)</sup> .

## أدب مخالطته عليه وحسن عشرته

إن من كمال خلق المرء حسن صحبته ومعاشرته لأهله ، وكمال أدبه في مخالطته لغيره ، وقد كان الحبيب عليه مضرب المثل في حسن الصحبة وجميل المعاشرة وأدب المخالطة وفيما نعرضه من مواقف له عليه في هذا الشأن كفاية لمن أراد الاتساع به عليه في مجالاته الروحية والخلقية والأدبية :

● وصف على رضي الله عنه له عليه في قوله : كان رسول الله عليه أوسع الناس صدرًا ، وأصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، وهو كما قال رضي الله عنه ، والقصة التالية تؤكد ذلك وتقرره : مر عليه على

(۱) القدوة .

(۲) الصالحة .

ابن أبيّ وهو جالس مع بعض المسلمين وغيرهم ، فقال ابن أبيّ لرسول الله ﷺ وهو راكب على دابته : لا تغروا علينا ، ارجع إلى رحلك<sup>(١)</sup> فمن جاءك منا فاقصص عليه فغضب المسلمين ، واستيوا مع المشركين حتى كادوا أن يقتتلوا ، فهذاهم رسول الله ﷺ ومنعهم من التوائب على بعضهم البعض ، ومضى رسول الله ﷺ على دابته فنزل على سعد بن معاذ وذكر له ما جرى ، فقال له سعد يا رسول الله اعف عنه واصفح ، فقد اتفق أهل هذه البحيرة « المدينة » على أن يعصبوه أى يتوجوه ملكاً عليهم ، فلما رأى الله ذلك بالحق الذي بعثت به شرق بذلك ، فعفا عنه ﷺ ، فلما أراد ﷺ الانصراف قرب إليه سعد حماراً ووطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله ﷺ ، ثم قال سعد لابنه قيس : اصحاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ لقيس : « اركب » فأئمَّ قيس أن يركب ، فقال له رسول الله ﷺ : « إما أن تركب – أى معى على الحمار – وإما أن تصرف ». قال : فانصرفت .

وفي رواية أخرى قال : « اركب أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها »<sup>(٢)</sup> .

فأى كمال أعظم من هذا الكمال الحمدى في أدبه ومخالطته لأصحابه ؟ ولنستمع إلى ابن أبي هالة<sup>(٣)</sup> في وصفه له ﷺ إذ يقول : كان داعم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب ولا فحاش ، ولا عياب ولا مداح يتغافل عمما لا يشتهي ولا يؤيسي منه . وكان ﷺ يحب من دعاه ، ويقبل المدية من أهداه ، ولو كانت كراع شاة ويكافئ عليها . ● قال أنس بن مالك : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنوات فما قال

(١) الرحل : المنزل من دار وغيرها .

(٢) القصة واردة في الصحاح .

(٣) ووصف أى هالة صحيح كذلك .

لى أَفْ قط ، وما قال لشئ صنعته لم صنعته ؟ ولا لشيء تركته لم تركته ؟

• قالت عائشة رضي الله عنها : ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال : « ليك » أى أجاب دعوه .

• وصفه عارف به ﷺ فقال : كان ﷺ يمازح أصحابه ويختال لهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ، ويُجلسُهم في حجره ، ويحبب دعوة الخَرْ والعبد ، والأمة والمسكين ، ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عنده المعذرة .

• قال أنس رضي الله عنه ما التقى (١) أحد أذن رسول الله ﷺ فتحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحى رأسه ، وما أخذ أحد بيده ﷺ فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ، ولم ير مُقدماً ركبته بين يدي جليس له .

• ووصفه عليم به فقال : كان ﷺ يبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة . ولم ير قط ماداً رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد . يكرم من يدخل عليه ، وربما بسط له ثوبه ، ويؤثره بالوسادة التي تحته ، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أنى ، ويُكتنِّي (٢) أصحابه ، ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز — أى يكثر فيتجاوز الحد — فيقطعه بنى أى له أو قيام . وكان إذا جلس إليه أحد وهو يصلح خفف صلاته ، وسأله عن حاجته ، فإذا فرغ عاد إلى صلاته .

وحسينا في بيان أدبه ﷺ وحسن عشرته وجميل مخالطته قول ربّه عز وجل فيه : ﴿ فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظًا الْقُلْبَ لَانْفَضَّوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَشَاوِرُهُمْ فِي أَلْأَمْرِ ﴾ وقد فعل ﷺ فجزاه الله عن أمته خير الجزاء .

(١) أى لأجل يساره في أذنه حتى لا يسمع أحد ما يقوله .

(٢) أى يدعوهم لأسمائهم بل بكل اسم كأن يقول : يا أبا الحسن ، وأبا حفص ، وأبا أميمة مثلا .

## خشية الحبيب عليه صلواته وطول عبادته

إن خشية الله تعالى في السر والعلن ثمرة العلم بالله تعالى ربياً وإليها ذا جلال وكمال لا حد لها تقتصر الفهوم دون إدراكهما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَىَ اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ . وقال رسوله عليه صلواته «إني أعلمكم بالله وأشدكم له خشية» ، فدل هذا على أن الخشية يثمرها العلم الصحيح ، العلم بالله ذي الجلال والإكرام ، وبسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، وبمحابيه من العقائد والأقوال والأعمال والصفات والذوات ، وبمكارهه من ذلك كله .

ومن أعلم بالله من رسول الله ؟ اللهم لا أحد ، ولذا فلا أتفى لله من رسول الله فيسائر عباد الله ، ولا أكثر طاعة من رسول الله ، ولا أرغب فيما عند الله من رسول الله ، ولا أرهب بما لدى الله من رسول الله ، ولا أشد انقطاعاً وتبلاً لله من رسول الله ، وهذه الأحاديث والآثار تقرر ذلك وتوكده .

### (١) مظاهر خشيته عليه صلواته :

● روى الترمذى عن أبي ذر الغفارى رضى الله عنه أن رسول الله عليه صلواته قال : «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ، أطت<sup>(١)</sup> السماء وحق لها أن تطت ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضح جبهته ساجداً لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيركم كثيراً ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش وخرجم إلى الصعدات<sup>(٢)</sup> تجأرون إلى الله تعالى» لوددت أن شجرة تعضد<sup>(٣)</sup> . فهذا الحديث شاهد حق على خشية رسول الله عليه صلواته

(١) الأطيط : صوت القتب إذا ضغطه ثقل ما عليه من الحمل .

(٢) الطرقات .

(٣) تقطع : كناية عن تمنيه أن لم يكن في هذه الحياة إنساناً حياً وهذا تمنى أبي ذر ، وليس قول الرسول عليه صلواته .

و خوفه من ربّه تعالى ، ويؤكّد قوله : « إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُكُمْ لَهُ خُشْبَيْةً » .

• ما حدث به عبد الله بن الشّحير حيث قال : أتى رسول الله ﷺ وهو يصلّي ولحوافه أزيز كأزيز المرجل .

• ما تقدم عن أبي هالة في وصفه ﷺ إذ قال : كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان ، دائم الفكر ، ليست له راحة .

• ما صحّ عنه ﷺ من قوله : « إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مائَةً مَرَّةً » وفي رواية « سبعين مرّة » ، فهو دائم الاستغفار ، يوماً يستغفر سبعين ويوماً يستغفر مائة ، وهذا من كمال خشيته وعظميّ تقواه لربّه عزّ وجلّ .

• ما حدث به عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذ قال : كما نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد قوله : « رَبَّ اغْفِرْ لِي وَثَبْ عَلَيْكَ إِنْكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ » مائة مرّة .

(ب) مظاهر طول عبادته ﷺ :

• حديث الصحيح عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه إذ قال فيه قام ﷺ حتى انتفخت قدماه فقيل له أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « أَفَلَا أَكُونْ عَبْدًا شَكُورًا؟ » .

• ما حديثت به عائشة رضي الله عنها في قولها كان عمل النبي ﷺ دِيَمَةً ، وأيّكم يطيق ما كان يطيق ؟ كان يصوم حتى نقول : لا يفطر ، ويفطر حتى نقول : لا يصوم ، وكنت لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً إلا رأيته مصلياً ، ولا نائماً إلا رأيته نائماً .

• روى أبو داود في سننه عن عوف بن مالك قال : كنت مع رسول الله ﷺ ليلة فاستاك ثم توضأ ، ثم قام يصلّي فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة

فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ ، ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول : « سبحان ذى الجبروت والملك والملائكة والعظمة » ، ثم سجد وقال مثل ذلك ، ثم قرأ آل عمران ، ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك .

• ما حديثت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إذ قالت قام رسول الله عليه السلام بآية من القرآن ليلة هي آخر سورة المائدة : ﴿ إِنْ تَعْذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَعْفُرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

• ما صح عنه عليه السلام من قوله : « وجعلت قرة عيني في الصلاة » .

فهذه مظاهر إطالة العبادة ، وطول التبتل ، وبه اتسى الصالحون من هذه الأمة ففازوا بالقرب والرضا . جعلنا الله تعالى منهم وحضرنا في زمرتهم ، وصلى الله وسلم وبارك على أسوة المؤمنين وقرة عين الحبيب محمد الحبيب وعلى آله وصحبه أجمعين .

## التواضع الحمدى

إذا كان التواضع معناه إظهار الضعف وذلك من رفع القدر على المقام ، شريف الأصل والختد وهو كذلك ، فإن خلق التواضع من أفضل الأخلاق وأسمها ، وقد بلغ فيه رسول الله عليه السلام شأوا لا يلحقه فيه أحد من الأولين ولا من الآخرين .

وباستعراضنا لأقواله عليه السلام وأفعاله وأحواله الظاهرة تتجلى هذه الحقيقة ويطمع كل مؤمن يستعرض ما نورده في هذا الباب في أن ينال قدرًا من التواضع اثناء بنبيه محمد عليه السلام . وهذا ما رجوناه من كتابة هذه السيرة العطرة وتقديمها لل المسلمين .

## مظاهر التواضع الحمدى :

- أخبر ﷺ أنه قد خير بين أن يكوننبياً ملكاً ، أونبياً عبداً فاختار أن يكوننبياً عبداً ، وأخبر أن الله تعالى كفأه على اختياره العبودية بأن يكون سيد ولد آدم وأول من تشق عن الأرض ، وأول شافع . فاختياره العبودية على الملوكية أكبر مظهر من مظاهر التواضع الحمدى .
- حدث أبو أمامة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله متوكلا على عصا فقمنا له ، فقال : « لا تقوموا كاما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً ، وقال إنما أنا عبد أكل كاما يأكل العبد وأجلس كاما يجلس العبد ».
- ما عرف به ﷺ وشهد به غير واحد من أصحابه ، وأنه كان يركب الحمار ويردف خلفه ، ويعود المساكين ، وبجالس الفقراء ، وبجيب دعوة العبد ، ويجلس بين أصحابه مختلطًا بهم ، حيثما انتهى به المجلس جلس ، وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنّحة فيجيب .
- قوله ﷺ : « لا تطروني كاما أطرت النصارى ابن مريم ، وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ».
- في حجه الذي أهدى فيه مائة بدنة حج على بعير فوقه رحل عليه قطيفة ما تساوى أربعة دراهم .
- ولما فتح الله تعالى على رسوله مكة ودخلها ظافراً متصراً والجيوش الإسلامية قد دخلتها من كل أبوابها دخل راكباً على ناقته ، وإن لحيته الشريفة تكاد تمسُّ قائم رحله تطامناً وتواضعـاً لله عز وجل ، وهو موقف لم يقفه غيره في دنيا البشر قط .
- قوله ﷺ : « لا تفضلوني على يونس بن متى ، ولا تفضلوا بين الأنبياء ، ولا تخيروني على موسى ، ونحن أحق بالشك من إبراهيم ، ولو لبست ما لبـث يوسف في السجن لأجبـت الداعـي ».

• قوله ﷺ للذى قال له : يا خير البرية : « ذاك إبراهيم » .

• ما أخبر به بعض نسائه ، وتحدىن وهو أنه ﷺ يكون في بيته في مهنة أهله يفلّي<sup>(١)</sup> ثوبه ، ويجلب شاته ، ويرفع ثوبه ويختصف<sup>(٢)</sup> نعله ، ويخدم نفسه ، ويقم البيت ، ويعقل البعير ، ويعلف ناضحه ، ويأكل مع الخادم ، ويعجن معها ، ويحمل بضاعته من السوق .

• دخل عليه رجل فأصابته من هيته رعدة فقال له : « هون على نفسك فإني لست ملكاً وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » .

• حدث أبو هريرة رضي الله عنه فقال : دخلت السوق مع النبي ﷺ فاشترى سراويل وقال للوازن زن وارجع فوتب الوزان إلى يد النبي ﷺ يقبلها فجذب يده وقال : « هذا تفعله الأعاجم بملوکها ، ولست بملك ، إنما أنا رجل منكم » ثم أخذ السراويل فذهبت لأحملها فقال : « صاحب الشيء أحق بشيءه أن يحمله » .

إن كل مظهر من هذه المظاهر التي بلغت أحد عشر مظهراً دالاً بمفرده على كماله ﷺ ثم توافرها ، وأنه مضرب المثل في ذلك . وما كان كماله لا يداري فيه فتوافرها يكون آية نبوته ومعجزة رسالته . وغير مانع محاولة الائتماء به ، لأن التوافر من الأخلاق المكتسبة ، وبقدر صدق النية والرغبة الصادقة يحصل للعبد ما يرغب فيه من الكلمات الحمدية التي هي موضع الائتماء به ﷺ .

---

(١) أي ينقيه من القمل إن كان به .

(٢) يلصق بعضه ببعض إذا تقطع وبخرزه ليلصق ولا ينحل .

## المزاح الحمدى

إن المزاح كالمداعبة والملاءعة والم Hazel الذى هو خلاف الجد يقال Hazel فى قوله أو فعله ، أو مزح ، أو داعب الكل معنى واحد . والسؤال : هل كان رسول الله ﷺ على جلال قدره وسمو مكانته ، وانشغال باله بمهام الرسالة وأعباء القيادة وهداية الناس يمزح ؟ والجواب ، نعم كان يمزح ويداعب ويزل بقلة لاستيعاب الجد وقته كله إلا أنه كان في مزاحه ومداعبته Hazel لا يخرج أبداً عن دائرة الحق وبحال من الأحوال وهو في مزاحه ومداعبته يقدم معروفاً لأصحابه بما يدخل عليهم من الغبطة والسرور وعلى أطفالهم إذا داعبهم من الفرح والمرح والسرور والحبور .

وباستعراضنا للمواقف النبوية الآتية تتجلّى لنا الحقيقة وهي أن النبي ﷺ كان يمزح ولا يقول إلا حقاً . وفي الإمكان الائتساء به في ذلك ، لأنه من المقدور المستطاع وليس من خصائصه ﷺ بل هو أدبٌ عام يأخذ به كل مؤمنٍ قدر عليه .

● حدث أنس بن مالك رضي الله عنه فقال : إن رجلاً أتى النبي ﷺ فاستحمله أى طلب منه أن يحمله على بعير ونحوه ، فقال له ﷺ « إنا حاملوك على ولد الناقة » فقال الرجل : يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هل تلد الإبل إلا التوْق ؟ » فكان قوله هذا مداعبة للرجل ومزحاً معه وهو حق لا باطل فيه .

● وحدث النعمان بن بشير رضي الله عنهمما قال : استأذن أبو بكر على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً على رسول الله ﷺ فلما دخل تناولها ليططمها وقال : ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله فجعل النبي ﷺ يحجزه . وخرج أبو بكر مغضباً ، فقال رسول الله ﷺ حين خرج أبو بكر : « كيف رأيتك أنقذتك من الرجل ؟ » .

فمكث أبو بكر أيامًا ثم استأذن على رسول الله ﷺ فوجدهما قد اصطلحا  
قال لهما : أدخلاني في سلمكمَا كاً أدخلتني في حربكمَا ، فقال رسول الله  
ﷺ : « قد فعلنا ، قد فعلنا » .

ففي هذا الحديث من حسن العشرة وطيب المداعبة ما لا يخفى على متأنّل .

• وحدث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له : « يادا  
الأذنين » وهي مداعبة ظاهرة وهي حق واضح ، إذ كل إنسان ذو أذنين  
اثنتين .

• وحدث أنس بن مالك فقال كان رجل من أهل الباية يقال له زاهر ،  
وكان يهدى للنبي ﷺ المدية من الباية فيجهزه النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج .  
فقال رسول الله ﷺ فيه يوماً : « إن زاهراً باديتنا ونحن حاضره » ، وكان  
رسول الله ﷺ يحبه ، وكان هو رجلاً دمياً فأتاها النبي ﷺ وهو يبيع متابعاً  
فاحتضنه من خلفه ولا يصره الرجل ، فقال : أرسلني من هذا ؟ فالتفت  
لعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو ما أصدق ظهره بصدر النبي ﷺ ، وجعل  
رسول الله ﷺ يقول : « من يشتري هذا العبد » فقال لرسول الله ﷺ  
إذن والله تجدى كاسداً ، فقال رسول الله ﷺ : « لكن عند الله لست بكاسد  
أنت عند الله غال » فالمزاح في هذا الحديث ظاهر بصورة واضحة ، ومعه  
من كمال الحُلُق وحسن الصحبة ، وطيب المخالطة ما لا مزيد عليه .

• وروى البخاري رحمة الله أن رجلاً كان يقال له عبد الله ويلقب  
بحمارة وكان مضحك النبي ﷺ ، وكان يؤتي به في الشراب أى السكر ليقام  
عليه الحد ، فجاءه به يوماً فقال رجل : لعنة الله ما أكثر ما يؤتي به !! فقال  
رسول الله ﷺ : « لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله » . فقوله وكان يضحك  
النبي ﷺ دليل على أنه كان يمازحه حتى يضحك ، والمزاح يكون بين اثنين  
فكل واحد يمازح الثاني .

• وحدث أنس بن مالك رضي الله عنه فقال : كان للنبي ﷺ حادٍ يحدو وبنسائه يقال له أنجشة فحدا فأعنت الإبل ، فقال رسول الله ﷺ : « ويحك يا أنجشة ارق بالقوارير » أى بالنساء ، إطلاق القوارير على النساء مداعبة ظاهرة ووصفهن بالقوارير لضعفهن ، فلو سقطت إحداهن من هودجها لتكسرت ، ولو كنّ غير أمهات المؤمنين لصح أن يقال إن الحداء وهو صوت الحادي الرقيق قد يوجد في نفس المرأة أثراً غير صالح .

• وحدث مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : حدث رسول الله ﷺ نساءه ذات ليلة حديثاً فقالت امرأة منه : يا رسول الله كان الحديث حديث خرافة ، فقال لها رسول الله ﷺ : « أتدريين ما خرافة ؟ إن خرافة كان رجلاً من بني غذره أسرته الجن في الجاهلية فمكث فيهم دهراً طويلاً ، ثم رده إلى الإنس ، فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال الناس حديث خرافة »<sup>(١)</sup> ، والمداعبة في هذا الحديث ظاهرة في الرد على القائلة حديث خرافة فبدل أن يؤتّها لاطفها وداعبها ، وقص عليها قصة خرافة العذرى .

• حدث الحسن البصري رحمه الله تعالى فقال أنت امرأة النبي ﷺ قالت يا رسول الله ادع الله لي أن يدخلنِي الله الجنة قال : « يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز » فولت العجوز تبكي ، فقال : « أخبروه أنها لا تدخلها وهي عجوز فإن الله تعالى يقول : ﴿إِنَّ الْأَشْنَاءَ هُنَّ إِلَشَاءٌ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا \* عَرْبًا أَثْرَابًا﴾ » .

• وحدث أن امرأة جاءت تسأل عن زوجها فقال لها النبي ﷺ : « زوجك الذي في عينيه بياض » فبكّت وظنت أن زوجها عمى ، فأعلمت

(١) الحديث رواه الترمذى إلا أن ابن كثير أعلم وضعفه ، وذكرناه لأنّه حل لنا إشكال قول الناس : هذا حديث خرافة .

أن العين لا تخلو من بياض ، فكانت مداعبة كمداعبته عليه للعجز ، ومصداقا لما قدمناه من أنه عليه لا يقول في مزاحه إلا حقا . فقد قال أبو هريرة رضي الله عنه قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا ، قال : « إني لا أقول إلا حقا » .

### الفصاحة الحمدية

ترك صاحب الشفا يصف لنا فصاحة الحبيب عليه فيقول : تحت « فصل » وأما فصاحة اللسان ، وبلاعنة القول ، فقد كان عليه من ذلك بال محل الأفضل ، والموضع الذي لا يجهد سلامه طبع ، وبراعة<sup>(١)</sup> متزع ، وإيجاز<sup>(٢)</sup> مقطع ، ونصاعة لفظ ، وجزالة قول ، وصححة معان ، وقلة تكلف . أتوى جوامع الكلم ، وخصوص بياديع الحكم ، وعلم ألسنة العرب ، يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ، ويُيار بها في متزع بلاغتها ، حتى كان من أصحابه سائلونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله .

وما اختص به وتفوق فيه فلا يدانيه فيه غيره ، ولا يساميه فيه سواه أنه عليه يتكلم مع كل قوم بلهجتهم وفصاحة لسانهم ، وبلاعنة كلامهم ، فكلامه مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد ليس هو ككلامه مع ذى المشعار الهمداني ، وطفهه<sup>(٣)</sup> النهى ، وقطن بن حارثة العلبي<sup>(٤)</sup> والأشعث<sup>(٤)</sup> بن قيس ، ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من أقيال<sup>(٥)</sup> حضرموت وملوك اليمن .

(١) براعة متزع : أى هو ذو تفوق في قوم هم أفضح الناس .

(٢) إيجاز مقطع : أى هو ذو إيجاز في قوله وفصل في كلامه مع قلة الألفاظ وتحديد المعنى وتوضيحه .

(٣) هو خطيب نجد وواحدها عام الوفود وهو سنة تسع .

(٤) وقدموا اليمن في ستين راكبا فأسلموا كلهم ورجعوا إلى اليمن .

(٥) جمع قيل بمعنى الملك .

وهذه نماذج من كلامه عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الأقوام المتباهين اللهجات ، وإن شملتهم الجزيرة العربية داراً ، واللسان العربي منطقاً ، فنراه يخاطب كل قوم بلهجتهم ، وفصاحتهم في كلامهم ويتفوق عليهم .

● لما وفد عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذو المشعار الحمداني كتب إلى همدان وبعثه مع ذي المشعار :

وهذه جمل منه :

« إن لكم فراعها<sup>(١)</sup> ووهاظها<sup>(٢)</sup> ، وعزازها<sup>(٣)</sup> تأكلون بخلافها<sup>(٤)</sup> ، وترعون عباءها<sup>(٥)</sup> ، لنا من دفهم<sup>(٦)</sup> وصرامهم<sup>(٧)</sup> ما سلموا بالمشاق والأمانة ، وهم من الصدقة الثلب<sup>(٨)</sup> ، والناب والفصيل ، والفارض والداعن<sup>(٩)</sup> والكبش الحورى ، وعليهم فيها الصالغ<sup>(١٠)</sup> والقارح<sup>(١١)</sup> » .

فهذا الكلام بلهجة همدان إذا سمعه الحجازى أو النجدى وحتى القرشى يحتاج فى أكثره إلى شرح وتفسير .

● وفد عليه طففة النهدى وشكى إليه ما أصاب قومه من القحط ، وطلب منه أن يدعوا لنهد القبيلة فقال : « اللهم بارك لهم في مخصوصها ومحضها

(١) ما ارتفع من الأرض .

(٢) ما سفل وانخفض .

(٣) ما صلب واشتد .

(٤) ما يعلف للدواب .

(٥) ما ليس لأحد فيه ملك .

(٦) الإبل والغنم .

(٧) جمع صرمة القطعة من النخل والتمر .

(٨) الجمل المسن .

(٩) ما يربض حول البيوت لهرمه وهزاله .

(١٠) ما انتهى سنه إلى السادسة من البقر والغنم .

(١١) الذى شق ثابه من ذوى الحافر مطلقاً .

ومذقها ، وابعث راعيها في الدَّسْر<sup>(١)</sup> ، وافجر لها الشَّمْد وبارك له في المال والولد . من أقام الصلاة كان مسلماً ومن آتى الزكاة كان محسناً ، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصاً ، لكم يا بني نهد وداع الشرك ووضائع الملك ، لا ثلطم<sup>(٢)</sup> في الزكاة ، ولا تلحد<sup>(٣)</sup> في الحياة ، ولا تناقل في الصلاة » .

• وكتب لبني نهد في الوظيفة والفرضة فقال : « ولكم الفارض والفريش ذو العنان والركوب والفلق الضبين ، لا يمنع سر حكم ولا يعصب طلحكم ، ولا يحبس دركم ما لم تصمروا الرماق<sup>(٤)</sup> وتأكلوا الرياق<sup>(٥)</sup> ، من أقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن أى فعله الرِّبُوَّة<sup>(٦)</sup> » .

• وكتب إلى وائل بن حجر فقال : « إلى الأقيال العبايلة والأرواع<sup>(٧)</sup> المشاييب » .

وجاء فيه : « في التَّبَعَة<sup>(٨)</sup> شاة لا مُقْوَدَّة الألَاطِ<sup>(٩)</sup> ولا ضناك ، وأنطوا<sup>(١٠)</sup> الشِّحة ، وفي السُّيُوب<sup>(١١)</sup> الحمس . ومن زنى مم<sup>(١٢)</sup> بكر ، فاصعقوه مائة ، واستوفضوه عاماً ، ومن زنى مم ثيب فضرجوه

(١) الإبل الكثيرة .

(٢) أى لا تمنعها .

(٣) لا تغدر عن الحق ولا تعدل عنه .

(٤) التفاق .

(٥) أى تظهروا نقض العهد .

(٦) أى الزيادة على الفرضية عقوبة له .

(٧) السادة الرُّزْفُ الألوان والمشاييب الرُّزْفُ الحسان الوجه .

(٨) الأربعون من الغنم .

(٩) المهازيل المستrixية الجلود .

(١٠) أعطوا الوسط .

(١١) الركاز والمال المدفون .

(١٢) مم أى من كذا .

بالأضاميم<sup>(١)</sup> ، ولا توصيم في الدين ، ولا غمة في فرائض الله ، وكل مسکر حرام ووائل بن حجر يترقب<sup>(٢)</sup> على الأقوال » .

• قوله ﷺ : « فِإِنَّ الْيَدَ الْعُلِيَا هِيَ الْمَنْطَهُ وَالْيَدَ السُّفْلِيَ هِيَ الْمَنْطَهُ » في حديثه مع عطيه السعدي فقال كلامنا رسول الله ﷺ بلغتنا .

• قوله في حديث العامری حين سأله فقال له ﷺ : « سل عنك » أى سل عما شئت وهي لغة بني عامر .

من كل ما تقدم من نماذج كلامه ﷺ يتبيّن أنه كان يخاطب كل قوم بلهمتهم ويتفوق إليهم في الفصاحة والبيان ، وهو ﷺ مأمور بذلك ؛ ليبيّن للناس ما نزل إليهم وإذا خاطب الأنصار والمهاجرين من قريش وأهل نجد والحجاز بكلامه المعتمد حلق في سماء البلاغة والبيان ، ونشر الدر من كلامه الجامع للحكم المشتمل على فنون الهدایة وضروب البيان ، وهذه نماذج منه :

• قوله ﷺ : « الْمُسْلِمُونَ تَكَافَأُ دَمَاؤُهُمْ وَيَسْعُى بِذِمَّتِهِمْ وَهُمْ يَدُ وَاحِدَةٍ عَلَىٰ مِنْ سَوَاهِمِهِ » .

• أقواله ﷺ : « النَّاسُ كَأَسنانِ الْمَشْطِ ، وَالْمَرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ، وَلَا خَيْرٌ فِي صَحْبَةِ مَنْ لَا يَرَى لِكَ مَا تَرَى لَهُ » ، « النَّاسُ مَعَادُنْ » ، « وَمَا هَلَكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ » ، « الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمِنٌ » ، « وَرَحْمَ اللَّهِ عَبْدًا قَالَ خَيْرًا فَغَمَمْ أَوْ سَكَتَ فَسَلِيمٌ » ، « أَسْلَمَ تَسْلِمَ يُؤْتَكَ اللَّهُ أَجْرُكَ مَرْتَبِينَ » ، « إِنَّ أَحْبَكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِي مَجَالِسُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمُوطَأُونَ<sup>(٣)</sup> أَكَنَافًا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ » . « ذُو الْوَجَهَيْنَ لَا يَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا » ، « اتَّقُوا الْمَوْطَأَ الْكَنْفَ أَيَ الْجَانِبَ مِنْ فِيهِ لَيْنَ وَرْفَقَ » .

(١) أى لا عيب في إقامة الحد .

(٢) كناية عن جعله رئيسا لأن الترقب إطالة التثوب والرداء وهما من مظاهر الغنى والسيادة عند الناس .

(٣) الموطاً الكنف أى الجانب من فيه لين ورفق .

الله حينما كنتم وأتبع السيئة الحسنة تمحوها وخلق الناس بخلق حسن » ، وهي عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال .

● ما قاله من الكلم الذي لم يُسبِّقْ إليه ، ولا قاله أحد قبله كقوله : « حَمَى الْوَطِيس » . « وَمَاتَ حَتَّفَ أَنْفَهُ » . « لَا يَلْدُغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جَرْمَتَيْنِ » ، « السَّعِيدُ مِنْ وَعْظٍ بَغِيرِهِ » .

● وقيل له ﷺ يوماً ما رأينا الذي هو أفعى منك ، فقال : « وما يعني؟ وإنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين ». وكيف لا يكون كذلك وهو من قريش ، ونشأ في بادية بنى سعد وأنزل عليه القرآن وأوتى جوامع الكلم فصلى الله عليه وسلم .

وخلاصة القول أن فصاحة الرسول ﷺ لا عجب فيها ولا غرابة ما دام مضرياً قرشياً هاشمياً ، خصه ربه بالعناية في التأديب والتربيـة ، وهياه للوحـى ، وحملـه البلاغ والبيان فصلـى الله عليه وسلم ما نطق ناطـق وأبانـ من كل مخلوقـ من إنس وجـان .

## الرحمة الحمدية

إن الرحمة الحمدية التي أودعها الله تعالى قلب نبيه وصفيه وخليله من عباده محمد ﷺ رحمة عامة لسائر الخلق قال تعالى فيها : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ورحمة خاصة قال تعالى فيها : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ وللرحمة في القلب مظاهر في الحياة تتجلّى فيها وهذه بعض مظاهر تلك الرحمة الحمدية .

### (١) الرحمة العامة :

● لما كذبه قومه أتاه جبريل وقال له : « إن الله تعالى قد سمع قول قومك إليك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم » ،

فناهاده ملك الجبال وسلم عليه ، وقال : « مرفى بما شئت ، وإن شئت أن أطبق عليهم الأغشبين <sup>(١)</sup> ». فقال عليه السلام : « لا ، بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً ». فكان هذا مظهراً من مظاهر الرحمة الحمديّة العامة .

- ركبت عائشة رضي الله عنها جملأ ، وكان فيه صعوبةً فجعلت ترددتْ أى تذهب به وتتجيء تروضه فأتعنتْ فقال لها رسول الله عليه السلام : « عليك بالرفق يا عائشة » ، فهذا مظهر من مظاهر الرحمة العامة إذ شملت الحيوان .

- قوله عليه السلام : « في كل ذات كبد رطبة أجر » مظهر من مظاهر الرحمة العامة أيضاً .

- قوله عليه السلام : « دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت فلا هي أطعمتها حين حبستها ولا تركتها تأكل من خشاش <sup>(٢)</sup> الأرض » .

#### (ب) مظاهر الرحمة الخاصة :

- قوله عليه السلام : « لو لا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة » . فهذا مظهر من مظاهر الرحمة والشفقة الحمديّة على أمته عليه السلام ، وهو من مظاهر الرحمة الخاصة .

- قوله عليه السلام : « لا يلغى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » .

فهذه من رحمته وشفقته على أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين وهي من مظاهر الرحمة الخاصة .

(١) جبلان بمكة ويضافان إلى مني لقربهما من مكة ومني .

(٢) ما يعيش فيها ويدخل من حشرات من غيرها كال孑孓 والنحوها .

● جاءه عليه السلام أعرابى يطلبه شيئاً فأعطاه ، ثم قال له : « هل أحسنت إليك ؟ » قال الأعرابى : لا ، ولا أجملت ، فغضب المسلمين لمقالته وقاموا إليه ليضربوه على سوء أدبه مع رسول الله عليه السلام ، فأشار إليهم أن كفوا ، ثم قام فدخل منزله وأرسل إلى الأعرابى وزاده شيئاً ، ثم قال له : « أحسنت إليك ؟ » قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً فقال له الرسول عليه السلام : « إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحبت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك » قال : نعم فلما كان الغد أو العشى جاء فقال النبي عليه السلام : « إن هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى أكذلك ؟ » قال : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً . فقال رسول الله عليه السلام : « مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردة عليها فاتعها الناس فلم يزدها إلا نفوراً فناداهم صاحبها . خلوا بيئى وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم ، فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستاخت وشد عليها رحله واستوى عليها . وإن لو ترككم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار » .

فهذا أكبر مظهر من مظاهر الرحمة الحمدية الخاصة وال العامة ، فصلى الله عليه من نبى رؤوف رحيم ، وحقاً إنه الرحمة المهدأة والنعمة المعطاة وسفينة الرأفة والشفقة والرحمة المرساة ، فويل من عاده وما والاه ، وويل من عصاه وآذاه وويل من كفر به أو كذبه في الممات والحياة .

### الوفاء الحمدى

إن الوفاء بالعهد ، وعدم نسيانه أو الإغضاء عن واجبه خلقٌ كريم ، ولذا كان رسول الله عليه السلام فيه بال محل الأفضل والمقام الأسمى ، والمكان الأشرف ، فوفاؤه ، وصلة لأرحامه كان مضرب المثل ، وحق له ذلك وهو سيد الأولياء والأولياء والأوصياء والأنبياء من بنى آدم .

والظاهر التالية تقرر هذه الحقيقة وتوكدها :

(ا) وفاؤه :

• حديث عبد الله بن أبي الحمساء إذ قال بايعت النبي ﷺ بيع قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسبت ثم تذكرت بعد ثلات ، فجئت فإذا هو في مكانه ، فقال : « يا فتى لقد شفقت على أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك » .

ومثل هذا كان لجده إسماعيل عليه السلام فأثنى الله تعالى به عليه في قوله : ﴿ وَآذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا لِّبِّيَا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ .

• روى البخاري في الأدب المفرد عن أنس بن مالك قال كان النبي ﷺ إذا أتى بهدية قال : « اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة خديجة ؛ إنها كانت تحب خديجة ». أى وفاء هذا يا عباد الله ؟ إنه يكرم أحباء خديجة وصديقاتها بعد موتها رضي الله عنها .

• وَحَدَّثَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَوْلَتْ : مَا غَرَّتْ مِنْ امْرَأَةَ مَا غَرَّتْ مِنْ خَدِيجَةَ لَمَا كُنْتَ أَسْمَعَهُ يَذْكُرُهَا ، وَإِنْ كَانَ لِيذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهَدِّيَهَا إِلَى خَلَائِلَهَا ، وَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ أَخْتَهَا فَارْتَاحَ إِلَيْهَا وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ فَهَشَّهَا وَأَحْسَنَ السُّؤَالَ عَنْهَا فَلَمَّا خَرَجَتْ ، قَالَ : « إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَامَ خَدِيجَةَ ، وَإِنَّ حَسْنَ الْعَهْدِ مِنِ الْإِعْيَانِ ! » .

وهكذا يتجلّي خلق الوفاء في الحبيب ﷺ ، فلم ينس بوفائه من مات فضلاً عنمن هو حيٌّ ويهاب لومه أو عتابه .

(ب) صلته لرحمه :

صلة الرحم واجبة ، ومن أقدر الناس على القيام بالواجب من رسول الله ؟

اللهم إله لا أحد ومع هذا نذكر نموذجين أو ثلاثة لما كان عليه ﷺ من صلة أرحامه ، ليقتدى به في ذلك .

● قوله ﷺ في أبي العاص بن أمية و كان مشركاً ظالماً في أول أمره ثم أسلم و حسن إسلامه قال فيه وهو مشرك : « إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي غير أن لهم رحمة سائلها <sup>(١)</sup> بيلها » .

● حدث أبو الطفيلي قال رأيت النبي ﷺ وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه ، فقلت : من هذه ؟ قالوا : أمه التي أرضعته .

● صلاته ﷺ بأمامة بنت زينب ابنته رضي الله عنها إذ كان يحملها على عاتقه وهو يصلى فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها على عاتقه ، فهذا مظهر من مظاهر صلة الرحم ، كالذى قبله في بسطه رداءه لمن أرضعته .

● كان ﷺ يبعث إلى ثُوْبَيْة مولاً أبا هب مرضعته بصلة وكسوة ، فلما ماتت سأل من بقى من قرابتها ؟ فقيل لا أحد ، ولو قيل : بقى فلان أو فلانة لوصلهما قياماً بواجب صلة الأرحام ، ولو بعدوا ، ولو كانوا مجرد رضاع بلا أرحام فصل الله عليه وسلم تسلينا كثيراً .

---

(١) أي أصلها بصلتها الواجبة لها .

## خاتمة

# في بيان حقوق الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الواجبة له على كل مسلم ومسلمة

إن الحقوق الواجبة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كل فرد من أفراد هذه الأمة المسلمة عشرة وهي كالتالي :

« الإيمان به . محبته . طاعته . متابعته . الاقتداء به . توقيره . تعظيم شأنه . وجوب النصح له . محبة آل بيته . محبة أصحابه . الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

وهذا بيان أدلة وجوبها ، وشرح معانها ، وعرض مظاهرها في الحياة .

### (١) الإيمان به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إن الإيمان به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستلزم للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ، قال تعالى في الأمر به الواجب القيام به ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ ، وقال عز من قائل : ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّتِي أَلَّمَّى الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَتَبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ .

وقال هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإنجبار بوجوب الإيمان به : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله » وقال في حديث آخر له في موقف آخر : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا متنى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » .

ومعنى الإيمان به عليه صلواته التصديق ببنوته ورسالته التي جاء بها من عند الله تعالى ، وأن كل ما جاء به من الدين ، وما أخبر به عن الله تعالى هو حق وصدق ، ولا يكفي بالنطق باللسان ، والقلب منكر لذلك غير مصدق به ، بل لا بد من مطابقة القلب للسان .

ومن مظاهر الإيمان به عليه طاعته ومحبته وموالاته وباق الحقوق العشرة .

(ب) محبته عليه :

إن محبته عليه واجبة بالكتاب والسنّة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَنْتُمْ كُمْ وَإِخْرَائِكُمْ وَأَرْزَاقِكُمْ وَعَشِيرَتِكُمْ وَأَمْوَالَ أَقْرَفْتُمُوهَا وَتَجَارَةً تَحْسُنُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ آنَّهُ رَسُولُهُ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾<sup>(1)</sup> .

فهذه الآية دليل واضح على وجوب محبته عليه لما فيها من التهديد الشديد على من آثر على حب الله ورسوله حب غيرهما من الأهل والمال والولد . وقال عليه في حديث الصحيح : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » .

ولما سمع عمر رضي الله عنه هذا الحديث قال للرسول عليه لأنت أحب إلى من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي ، فقال له النبي عليه : « لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه » ، فقال عمر والذى أنزل عليك الكتاب لأنك أنت أحب إلى من نفسي التي بين جنبي فأجابه الرسول قائلا : « الآن يا عمر » أى بلغت حقيقة الإيمان .

وقال عليه : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » .

ومعنى محبته عليه : إيثار ما يحب عليه على ما يحب العبد .

(1) الآية من سورة التوبة .

## مظاهر محبته ﷺ :

ومن مظاهر محبته ﷺ ما يلى :

(١) طاعته ، والاقتداء به ، ومحبة ما جاء به ودعا إليه ، ونصرته في دينه ونصرة المؤمنين به من آل بيته وصحابته والتبعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

(٢) توقيره وتعظيمه عند ذكره وذكر شمائله ، وعند الوقوف على قبره للسلام عليه وعلى صاحبيه ، وعند الجلوس في مسجده والصلاحة فيه ، وذلك بخفض الصوت ، وغض البصر ، وعدم ارتكاب أي حدث فيه من قول أو عمل ، وعدم إقراره أو الرضا به .

## علامات حبه ﷺ :

من علامات حبه ﷺ :

(١) كثرة ذكره فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره .

(٢) كثرة الشوق إليه إذ كل محب يحب لقاء حبيه ويتشوق إلى لقائه .

(٣) البكاء عند ذكره شوقاً وحنيناً إليه ﷺ .

## (ج) طاعته ﷺ :

إن طاعته ﷺ واجبة بأمر الله تعالى في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وبقوله عز وجل : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> ويدل على عظم شأن طاعته ﷺ قوله تعالى : ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله :

(١) سورة محمد ﷺ .

(٢) النساء .

(٣) النساء .

﴿ وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ حَالِدِينَ فِيهَا أَبْدًا ﴾<sup>(١)</sup> وقوله :  
﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ومعنى طاعته ﷺ : فعل ما أمر به ، وترك ما نهى عنه من اعتقاد أو قول أو عمل ، إذا كان الأمر للوجوب والنهى للتحريم ، فإن كان الأمر للندب ، والاستحباب والنهى للتزريه فلا معصية في الفعل ولا في الترك .

**مظاهر طاعته ﷺ :**

من مظاهر طاعته ﷺ :

(١) التمسك بستنه ، والاهتداء بهديه ، وذلك كالمحافظة على رغبة الفجر وسنة الوتر والرواتب مع الفرائض ، والممحافظة على صلاة الجماعة والرغبة في الصف الأول والذى يليه ، ونافلة الضحى ، والصلاحة بعد الوضوء ، وترك الصلاة في الأوقات المنهى عن الصلاة فيها .

(٢) الالتزام بحسن السمع وخفض الصوت ، ونظافة الثوب والجسم ، وتحري الصدق في القول والعمل .

(٣) طلب الحلال في الطعام والشراب واللباس والنكاح .

(٤) حب المساكين والإحسان إليهم ، وزيارة القبور للترحم عليهم والاستغفار لهم والتذكر بحالهم .

(٥) الالتزام بمبدأ : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) الجن .

(٢) النور .

(٣) الحشر .

وببدأ : «إذا أمرتكم بأمر فأنروا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»<sup>(١)</sup>.

(د) متابعته ﷺ :

إن متابعته ﷺ في المعتقد والقول والعمل واجبة وهي الدين كله ، ومخالفته في ذلك هي الخروج من الدين كله إذ قال تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فمتابعته ﷺ سبيل الهداية ، وتركها سبيل الغواية ، وقد اشترط تعالى لحبه العبد أن يتبع العبد رسوله في كل ما جاء به قال تعالى : ﴿فَلَمَّا كُثِرُتُمْ ثَجَّبُونَ اللَّهَ فَأَتَبَعْنَاكُمْ يُخْبِنُكُمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ لَكُمْ دُلُوبَكُمْ﴾.

ومعنى المتابعة للرسول ﷺ أن يكون اعتقاد العبد وقوله وعمله تابعاً لاعتقاد رسول الله ﷺ وعمله ، فلا يخالفه في شيء من ذلك ، بتقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقصان .

ومن مظاهر المتابعة له ﷺ ما يلى :

(١) أن لا يدع المسلم بدعة ، وأن لا يعمل ببدعة ابتدعها غيره مهما كان هذا المبتدع إلا أن يكون أحد الخلفاء الراشدين الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم أجمعين وذلك لقوله ﷺ : «عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عصوا عليها بالتواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله» .

(٢) رد كل قول لقوله ، وترك كل تشريع لشرعه ، والإعراض عن كل ما خالف هديه في الاعتقاد والقول والعمل . والأخذ بكل ما صح عنه وثبت نسبته إليه ﷺ وقد قالت عائشة رضي الله عنها : صنع رسول الله ﷺ شيئاً

(١) مسلم وغيره .

(٢) من سورة الأعراف .

ترخص في فتنه عنه قوم بلغ ذلك رسول الله ﷺ فحمد الله ثم قال : « فما بال أقوام يتزهون عن شيء أصنعه ؟ فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » .

(٣) التمسك بالسنة الواجبة والمستحبة على حد سواء .

**فضل المتابعة :**

وفي بيان فضل المتابعة نورد الحديث الآتي :

روى الترمذى وابن ماجه عنه ﷺ : « التمسك بسننى عند فساد أمتى له أجر مائة شهيد ». وقوله ﷺ : « إن بنى إسرائيل افترقوا على الشتتين وبسبعين ملة وإن أمتى ستفترق على ثلات وبسبعين كلها في النار إلا واحدة » قالوا : وما هي يا رسول الله ؟ قال : « الذى أنا عليه<sup>(١)</sup> اليوم وأصحابي » ، رواه الترمذى وابن ماجه بالفاظ مختلفة . والحديث دليل على فضل المتابعة للرسول ﷺ وأصحابه في العقيدة والعبادة والسلوك ، إذ خلاف ذلك يفضى بالعبد إلى النار .

**(هـ) الاقداء به ﷺ :**

لقد أمر تعالى رسوله بالاقداء بنى سبقه من الأنبياء والرسل فقال عز وجل : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمَا هُمْ أَفْتَدِه﴾ وأمرنا تعالى نحن أيها المسلمين بالاقداء به ﷺ فقد قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي قدوة صالحة فاقتدوا به . ورتب تعالى هدايتنا على طاعته والاقداء به فقال عز وجل : ﴿فَلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِمَا مَا حَمَلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ . ولازم هذا أن ترك

(١) في لفظ « هم الذين يكونون على ما أنا عليه اليوم وأصحابي ». وهو الصحيح ، وإن كان لفظ الحديث دالا عليه ولو لم يذكر ، وفي لفظ : « افترقت النصارى بعد أن افترقت اليهود » .

الاقداء به ﷺ مفض بصاحب إلى الضلال الموجب للهلاك في الحياتين ، وهو كذلك . فهم هذا سلف هذه الأمة فالتزموا بطاعته ﷺ ومتابعته والاقداء

به .

وهذه مظاهر تلك المتابعة وذلك الاقداء :

- صلی عمر بن الخطاب فكأنما قيل له في ذلك فقال : أنا أفعل كما رأيت رسول الله ﷺ يفعل .
- قرن على بين الحج والعمرة على عثمان رضي الله عنهما فقال له عثمان ترى أني أئمّ الناس عنه وتفعله ! فقال على : لم أكن أدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس .
- وقال مرة : ألا إني لست ببني ، ولا يوحى إلى ولكنني أعمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .
- وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول : القصد في السنة<sup>(١)</sup> خير من الاجتهد في البدعة ، يريد أن المتابعة للنبي ﷺ ، وإن اقصد العبد في العمل الصالح ولم يكثر منه خير من عمل كثير في غير متابعة للرسول ﷺ .
- وكان أبي بن كعب رضي الله عنه يقول : إن اقتصاداً في سبيل<sup>(٢)</sup> وسنة خير من اجتهد في خلاف سبيل وسنة ، وموافقة بدعة ، وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهاداً واقتصاداً أن يكون على منهج الأنبياء وستهم .
- روى أحمد أن ابن عمر رضي الله عنهما روى يدیر ناقته في مكان فسئل عنه فقال : لا أدرى إلا أني رأيت رسول الله ﷺ فعله ففعلته .

(١) يريد أن القليل من العمل المواقف للسنة خير من الكثير المخالف لها .

(٢) المراد من السبيل سهل الله تعالى الذي هو سهل المؤمنين .

● وقال أبو عثمان الحيرى : من أمر السنة على نفسه قولًا وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة .

والمقصود من هذا كله أن الاقتداء بالرسول ﷺ واجب فعله محقق للنجاة من الهاياك ، وتركه مقتضى له والعياذ بالله تعالى ، فالخير كل الخير في اتباعه ﷺ والاقتداء به في الصغير والكبير ، والقليل والكثير . وفي كل الأحوال وسائر الظروف .

(و) توقيره ﷺ :

إن توقير النبي ﷺ واجب أكيد ، إذ خلافه ، وهو الاستخفاف به ﷺ ما هو من الكفر بعيد ، بل هو كفر عتيد . أمر تعالى بتوقير نبيه ﷺ في قوله : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْزِزُوهُ وَتَوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ .

فالتعزيز النصرة والتوقير للتعظيم والإجلال وهذه له ﷺ ، والتسبيح لله عز وجل وهو تنزيهه تعالى عن النعائص والشريك والتشبيه والنظير والصاحبة والولد .

فما أرسل الله تعالى رسوله مبشرًا ونذيرًا إلا ليؤمن الناس به تعالى وبرسوله ويعزروها الرسول أى ينصروه ، ويوقروه أى يجلوه ويعظموه بما يليق بمنصبه الرفيع ومقامه السامي الشريف .

ومعنى توقيره ﷺ تعظيمه وإجلاله والإكبار من شأنه والرفع من قدره حتى لا يدانيه أحد من الناس . وكون أصحابه قد عرموا قدره فأجلوه وعزروه ووقوروه فليس ذلك عائداً لكونه فيهم وبينهم فحسب بل هو لما أوجبه الله تعالى عليهم ، وأفاضه في نفوسهم وأجراه على أسلتهم من حبه وتقديره وإجلاله وتعظيمه .

ومن مظاهر توقيره ﷺ ما أمر الله تعالى به وأرشد إليه في كتابه العزيز كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدِيَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أى لا تقولوا قبل أن يقول ، وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا ، فلا يحل لأحدهم أن يسبق بقوله قوله ، ولا برأيه رأيه ، ولا بقضائه قضاه بل عليهم أن يكونوا تابعين له في كل ذلك . وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُرْفَعُوا أَصْوَاتُكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرٍ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ فقد منعهم في هذا الخطاب من رفع أصواتهم فوق صوته لمنافاة ذلك للأدب معه والوقار له ، كما منعهم من الجهر بالقول له إذا خاطبوه وكلموه لما في ذلك من سوء الأدب والجفاء والغلظة المنافية للإجلال والتوقير والتعظيم وقوله تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ يَسْتَكْمِمُ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ فقد نهاهم عن ندائهم باسمه العَلَم : يا محمد ، وأرشدهم أن يدعوه بلقب النبي والرسالة نحو يا نبي الله ، ويَا رسول الله ، وبأحب كناته إليه نحو يا أبا القاسم ، واستجاب أصحابه البررة لأمر الله تعالى فقال أبو بكر الصديق ، والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها إلا كأنني السرار<sup>(١)</sup> ، وفعلا لما نزلت هذه الآية كان عمر إذا حدثه حدثه كأنني السرار فما كان يسمع الرسول حتى يستفهمه ، ليسين مراده من كلامه ، ونزل فيهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَعْصُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُتُخَنَّ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِتَتَقَوَّى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

### مظاهر توقيره :

ومن مظاهر توقير الأصحاب رضوان الله عليهم لنبيهم ﷺ ما يلى :

- حدث عمرو بن العاص يوما فقال : ما كان أحد أحب إلى من رسول

(١) أى كلاما خفيا كالمسارة التي لا يسمعها غير من ساره بها من الحاضرين .

الله ﷺ ، ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملاً عيني منه إجلالاً له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطبقت ؛ لأنني لم أكن أملاً عيني منه .

• روى الترمذى عن أنس قوله : ما كان رسول الله ﷺ يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتسما بهما ، ويسمى بهما .

• روى عن أسامة بن شريك قال أتيت رسول الله ﷺ وأصحابه حوله كأن على رؤوسهم الطير .

• قال عروة بن مسعود حين وجهته قريش إلى رسول الله ﷺ يوم صلح الحديبية ورأى من تعظيم أصحاب رسول الله ﷺ له ما رأى ، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، وكادوا يقتتلون عليه ، ولا يصق بصاقاً ولا يتنحّم نخاماً إلا تلقواها بأكفهم فدللوكوا بها وجوههم وأجسادهم ، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدرواها ، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحددون إليه النظر تعظيمًا له . فلما رجع إلى قريش قال : يا عشر قريش إنني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإنني والله ما رأيت ملكاً من قوم قط مثل محمد في أصحابه ، فهذا الذي حكاه عروة بن مسعود رضى الله عنه وهو حق ثابت أكبر مظهر من مظاهر توقير أصحاب رسول الله ﷺ لنبيهم ﷺ واله وصحبه وسلم تسليماً .

#### (ز) تعظيم شأنه ﷺ :

إن المراد من تعظيم شأن النبي ﷺ : احترام وإكبار كل ماله تعلق به ﷺ كاسميه وحديثه ، وستته ، وشريعته وآل بيته ، وصحابته وأفراد أمته ، ومسجده وقبره ، وكل ماله اتصال به من قريب أو بعيد ، إذ كل هذا داخل

تحت وجوه توقيره وجهه وتعظيمه كما هو مندرج تحت حرمات الله ، والله يقول : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ ، وبدل لذلك ويشهد له أن الله تعالى نهى عن رفع الصوت بحضرته ، وأمر بعضه بين يديه ولم يأذن بأن يدعى كما يدعى غيره ، وذلك لما له من الفضل والتفوق على سائر الناس .

ولنستعرض الآن مواقف الصحابة والتابعين في هذا الشأن لنزداد يقيناً بوجوب تعظيم شأنه ﷺ . وهذه مظاهر ذلك :

#### مظاهر تعظيم حديثه :

- روى عن عبد الرحمن بن مهدي أنه كان إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ أمر الحاضرين بالسكتوت ، وقال : لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﷺ ، يرى أنه يجب له الإنصات عند قراءة حديثه كما يجب ذلك عند سماع قوله ﷺ .

- ما روى عن جعفر بن محمد الصادق ، وكان كثير الدعاية والتبيّس أنه إذا ذكر عنده النبي ﷺ أصفر وجهه ، وما رُؤى يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة .

- ما روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه إذا حدث فقال : قال رسول الله ﷺ علاه كرب ، وتحدر العرق من جبينه رضي الله عنه وأرضاه .

- مَرْ مَالِكُ بْنُ أَنْسٍ إِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ رَحْمَهُ اللَّهُ مَرْ عَلَى أَبِي حَازِمٍ وَهُوَ يَحْدُثُ فِي جَازِهِ وَلَمْ يَقْفِ عَنْهُ وَعَلَلْ لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ : إِنِّي لَمْ أَرْ مَوْضِعًا أَجْلَسْ فِيهِ فَكَرِهْتُ أَنْ آخُذَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا قَائِمٌ ، وَكَانَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ أَنْ يَحْدُثَ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اغْتَسِلْ وَتَطْبِقْ وَلِبْسَ أَحْسَنَ ثِيَابَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ فَحَدَثَ .

## مظاهر تعظيم آل بيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَتْهُ

إن من مظاهر تعظيم آل بيت الحبيب ﷺ - الذين قال الله فيهم : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ أَلْرَجُسَ أَهْلَ الْيَتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وقد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا - ما يلي :

- قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ارْجُوْا مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ لَهُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ، وقوله : والذى نفسي بيده لقرابة رسول الله أحب إلى أن أصل من قرابتي .
  - ما روی أن زید بن ثابت الأنباری ، رضي الله عنه قد قبل يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

## مظاهر تعظيم أصحابه ﷺ :

إن تعظيم أصحابه عليهم السلام من تعظيمه فداه أبي وأمي إذ لو لا صحبتهم له ما عظموها هذا التعظيم الخاص دون غيرهم من سائر الناس .

ومن مظاهر تعظيمهم ما يلى :

- قول مالك بن أنس رحمة الله تعالى من غاظه أصحاب رسول الله عليه السلام فهو كافر لقول الله تعالى فيهم : ﴿لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّار﴾ .
  - قول عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا : الصدق وحب أصحاب محمد عليهما السلام .
  - قول أبي أيوب السختياني : من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله ، ومن أحب علياً فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد عليهما السلام بربئ من النفاق ، ومن انتقص أحدهما منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح ، وأخاف أن لا يرفع له عمل إلى السماء حتى يجدهم جميعاً ويكون قوله سليماً .

## مظاهر تعظيم آثاره ﷺ :

ومن مظاهر تعظيم آثار الحبيب ﷺ ما يلى :

- من أنه كانت لأبي محنورة قصة في مقدم رأسه إذا قعد وأرسلها وصلت إلى الأرض فقيل له : ألا تخلقها ؟ قال لم أكن بالذى يخلقها وقد مسها رسول الله ﷺ بيده .
- ما روى أن خالد بن الوليد رضي الله عنه كانت له قلنسوة فيها شعرات من شعر رسول الله ﷺ فسقطت منه في بعض حروبه فشد عليها شدة أنكرها عليه أصحابه لكثرتها من قتل فيها فقال : لم أفعلها من أجل القلنسوة بل لما فيها من شعر رسول الله ﷺ . إثلاً أسلَّب بركتها ، وتقع في أيدي المشركين !!
- قول مالك : من قال تربة المدينة رديئة يضرب ثلاثين درّة ويُحبس . وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله ﷺ يزعم أنها رديئة !!
- قول الرسول ﷺ : « من حلف على منبرى كاذباً فليتبواً مقعده من النار ». ففي هذا شاهد قوى على وجوب تعظيم منبر رسول الله ، إذ هو أثر من آثاره ﷺ .
- قوله ﷺ : « في المدينة كل المدينة . من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعله لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف<sup>(١)</sup> ولا عدل ». وقوله : « صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » .

---

(١) أي لا يقبل منه نفل ولا فرض حتى يتوب .

## (ح) وجوب النصح له ﷺ :

إن لوجوب النصح له ﷺ أدلة من الكتاب والسنة مثل قوله تعالى من سورة التوبة : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُفْقِدُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ فذكر النصح لرسوله وأنه نافع لصاحب رافع عنه الحرج ما دام ناصحاً لله ولرسوله غير غاش ولا خادع بهما .

ومثل قول الرسول ﷺ : « الدِّينُ الصِّيَحَةُ لِلَّهِ وَلِكُتُبِهِ وَلِرَسُولِهِ » فجعل النصح له ديناً .

معنى النصح : أنه إرادة الخير للمنصوح له ، ولا يتم هذا إلا بعد تخلص النفس من كل الشوائب حتى تصل إلى درجة تزيد فيها الخير كاملاً لمن تريده له .

والنصيحة لرسول الله ﷺ تكون بأمور هي مظاهر لها وهي :

(١) التصديق بنيوته المشر لطاعته في أمره ونبهه ، ومؤازرته ونصرته ، وحمايته حياً وميتاً وإحياء سنته بتعليمها بعد العمل بها ، والتحلّق بأخلاقه والتأدب بآدابه ﷺ .

(٢) شدة الحبّة له ولأهل بيته ، وكافة أصحابه ، وموالاة من يواليه ويوالى أهل بيته وأصحابه في صدق ، ومعاداة من يعاديه ويعادي أهل بيته وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين .

(٣) إبلاغ رسالته بعده ونشر دعوته وإقامة شريعته ، وإعزاز أهل ملته وإذلال أهل بغضته وعداوتة من الكافرين بدينه والكافرين لأمته وملته .

## (ط) محبة أهل بيته و أصحابه :

إن محبة أهل بيته رسول الله ﷺ ومحبة أصحابه من محبيه ﷺ ، وما دامت محبته واجبة فمحبته ما يجب واجب أكيد أيضاً ، وعليه مما أحب رسول

الله من لم يحب أهل بيته وأصحابه ، إذ كان عليهما بحثهم . وحسبنا في التدليل على وجوب محبة أهل بيت رسول الله عليهما ومحبة أصحابه إيراد الأحاديث والآثار الآتية :

- ما حديث به زيد بن أرقم رضي الله عنه إذ قال ، قال رسول الله عليهما : « أنشدكم الله أهل بيتي » أى أسألكم بالله وأقسم به عليكم قالها ثلاثا . وسئل زيد بن أرقم عن أهل بيته فقال : هم آل علىٰ وآل جعفر وآل عقيل ، وآل العباس .
- قوله عليهما للعباس : « والذى نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يجكم الله ورسوله ومن آذى عمى فقد آذاني ، وإنما عم الرجل صنُّ<sup>(1)</sup> أيمه » .
- قوله عليهما في أسمة بن زيد والحسن بن علي : « اللهم إني أحبهم فأشحهما » .
- قول أبى بكر الصديق رضي الله عنه أقربوا محمداً في أهل بيته .
- قوله عليهما لأم سلمة : « لا تؤذيني في عائشة » .
- قول عمر بن عبد العزيز لعبد الله بن الحسن بن حسين إذا كانت لك حاجة فأرسل إلى ، أو اكتب فإنى أستحى من الله أن يراك الله على يابى . فهذا تعظيم وأى تعظيم من عمر لأهل بيت رسول الله عليهما .
- قول عمر لابنه عبد الله لما أعطى أسمة ثلاثة آلاف وخمسمائة وأعطى ولده عبد الله ثلاث آلاف فقال لم فضلتة علىٰ ؟ فوالله ما سبقنى إلى مشهد ، قال : لأن زيداً كان أحب إلى رسول الله عليهما من أبيك وأسمة أحب إليه

---

(1) الصو : المثل .

منك فآثرت حب رسول الله ﷺ على حب !!

كانت تلك الأخبار الموجبة لحب أهل بيته صلى الله عليه وسلم . وأما أصحابه رضوان الله عليهم ففى كتاب الله ما يوجب حبهم وتقديرهم والترضى عنهم ، وما يحرم انتقادهم ، والطعن فيهم ، والنيل من كرامتهم ، فقد قال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ فهل يرضى الله عن عبده ويحوز السخط عليه من قبل عباده ؟ اللهم لا ، لا ، وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ يَنْهَمُ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ إلى قوله : ﴿ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ فهل يمدح الله تعالى أقواماً ويشنى عليهم في كتابه ويحوز ذمهم وعدم إجلالهم وتقديرهم ؟ اللهم لا ، لا .

• قوله ﷺ في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما : « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر » .

• قوله ﷺ : « لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه <sup>(١)</sup> » .

• قوله ﷺ في الأنصار : « اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم » .

• قول سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه . ولم يعز <sup>(٢)</sup> أو أمره .

• قول مالك بن أنس إمام دار الهجرة : من غاظه أصحاب محمد فهو كافر لقوله تعالى : ﴿ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ .

(١) المد : الحفنة ، والتضييف نصفها .

(٢) فينصرها ويقويها ويجعلها ويعظمها .

● قوله وقول غيره أيضا : من أبغض أصحاب رسول الله ﷺ وسبهم لا حق له في فيء المسلمين لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ﴾ فالذين في قلوبهم غل على أصحاب رسول الله ﷺ لا حق لهم في الفيء ، إذ يخرجون بهذه الآية الكريمة من سورة الحشر . وهذا فقه عظيم ، وفهم لكتاب الله كبير سديد .

### (ى) الصلاة عليه ﷺ :

هذا آخر الحقوق العشرة الواجبة لرسول الله ﷺ صاحب هذه السيرة العطرة ، الواجبة له على كل مؤمن ومؤمنة ، وهو الصلاة والسلام عليه ﷺ إن هذا الحق الواجب الأكيد ثابت بالكتاب والسنّة وإجماع الأمة قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا ﴾ من سورة الأحزاب وقال رسول الله ﷺ « رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل على » وقال : « صلوا على حيئاً كنتم فإن صلاتكم تبلغني » ، وقال له أصحابه رضي الله عنهم أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصل علىك ؟ قال : قولوا : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجید . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجید » . فالصلاحة عليه ﷺ واجبة في الجملة وتتأكد عند ذكره ﷺ ، وفي التشهد الأخير من كل صلاة . وجاء في فضلها قوله ﷺ : « من صل على مرة صلي الله عليه بها عشرة » . وقوله : « إذا سمع الداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن ثم صلوا على أي قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد وببارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجید ثم سلوا إلى الوسيلة والفضيلة أي قولوا : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاحة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، فإن من فعل ذلك حلت له شفاعتي يوم القيمة » .

## المواطن التي تستحب فيها الصلاة عليه ﷺ :

إن هناك مواطن كثيرة تستحب فيها الصلاة على النبي ﷺ نجملها إزاء النقاط الآتية :

- قبل الدعاء وبعده ، فالداعي يبدأ دعاءه بحمد الله والثناء عليه ، ثم يصلى على النبي ﷺ ، ثم يدعو بما شاء من الخير ثم يختتم دعاءه بالصلاحة على النبي ﷺ ، لما ورد : « الدعاء بين الصالاتين على لا يرد ». ولقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه إذا أراد أحدكم<sup>(١)</sup> أن يسأل الله شيئاً فليبدأ بحمد الله والثناء عليه بما هو أهل له ثم يصلى على النبي ﷺ ، ثم ليسأله فإنه أجدر أن ينفع أي يفوز باستجابة دعائه .
- يوم الجمعة وليتها ؛ إذ روى النسائي بسنده أن النبي ﷺ أمر بالإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة ، وورد ليتها أيضاً .
- عند سماع ذكره أو كتابته لحديث : « رغم أنف امرئ ذكرت عنده ولم يصل على » .
- عند دخول المسجد بأن يقول باسم الله والحمد لله والصلاحة والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنبي وافتح لي أبواب رحمتك ، وعند الخروج كذلك إلا أنه يقول وافتح لي أبواب فضلك بدل رحمتك .
- وبعد التكبير الثانية من صلاة الجنائز ؛ إذ الأولى يقرأ بعد الفاتحة ، والثانية يصلى بعدها على النبي ﷺ الصلاة الإبراهيمية وهي التي يصلى بها في التشهد الأخير من كل صلاة فريضة أو نافلة .

---

(١) ورد بهذا اللفظ أو بقريب منه مرفوعاً وصحب الإسناد وهو أن النبي ﷺ مع رجلاً يدعوه في صلاته فلم يصل على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : « عجل هذا » ثم دعا له وفديه « إذا أراد أحدكم .... الغ » .

## صيغ الصلاة على النبي ﷺ :

لقد ورد في الصلاة على النبي ﷺ صيغ كثيرة بعضها مرفوع إلى النبي ﷺ، وبعضها مأثور عن السلف الصالح، وبعضها محدث مبتدع<sup>(١)</sup>.  
ونظراً لذلك فإننا نكتفى بذكر أعلى الصلاة وذكر أدناها. فأعلى الصلاة وأفضلها على الإطلاق الصلاة الإبراهيمية التي علمها رسول الله ﷺ أصحابه كما تقدم قريباً إذ قال لهم : «قولوا . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد »  
وأدنا الصلاة عليه ﷺ : اللهم صل على محمد وسلم تسليماً لقوله تعالى :  
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا ﴾ .

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ  
تَسْلِيْمًا كَثِيرًا . ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ \* وَسَلَامٌ عَلَى  
الْمُرْسَلِينَ \* وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

المدينة المنورة في ١٤٠٧/١١/٢٠ هـ

(١) من تلك الصلوات المحدثة صلاة الفاتح عند الطائفة التيجانية .



## فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٧	خريطه مكه
٨	أرض النبوة
٨	الدوحة الكريمه
٩	وقفه قصيرة
١١	ثمرة القصّة
١٢	بداية أمر مكة
١٢	عبرة
١٢	عمارة مكة
١٣	عبرة
١٤	نتائج و عبر
١٥	بناء إبراهيم عليه السلام للبيت العتيق
١٦	نتائج المقطوعة
١٦	بداية أمر الحبيب ﷺ
١٧	إسماعيل عليه السلام وذریته
١٧	نتائج و عبر هذه المقطوعة من السيرة العطرة
١٨	سلسلة الطهر «النسب الشريف»
١٨	العرب البائدة

الصفحة	الموضوع
١٨	العرب العاربة
١٩	العرب المستعربة
٢٠	عودة سريعة إلى النسب الشريفة
٢٢	شجرة النسب الشريف
٢٣	قبل الفجر المحمدى
٢٤	الحالة السياسية في بلاد العرب
٢٧	حقائق وعبر
٢٨	الحالة الاقتصادية في بلاد العرب
٢٩	نتائج المقطوعة من السيرة العطرة
٢٩	الحالة الاجتماعية في بلاد العرب
٣٠	العادات السيئة للعرب
٣٢	العادات الحسنة للعرب
٣٤	نتائج وعبر هذه المقطوعة من السيرة العطرة
٣٥	الحالة الدينية في بلاد العرب
٣٦	الأصنام والتماثيل
٣٩	عمل العرب مع أصنامهم
٣٩	نتائج وعبر هذه المقطوعة من السيرة العطرة
٤١	البدع الدينية في عهد الجاهلية
٤٣	نتائج وعبر
٤٤	النصرانية واليهودية في بلاد العرب
٤٧	نتائج وعبر
٤٧	الخلفاء في بلاد العرب

الموضوع

الصفحة

٤٩	نتائج و عبر
٥٠	خريطة البلاد العربية و قبائلها مفرقة فيها
٥١	تبشير الصباح
٥١	دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام
٥١	أخذ الميثاق له ﷺ
٥٢	بشارات الكتب الإلهية به ﷺ
٥٥	شهادات أهل الكتاب له ﷺ
٥٦	هتاف الجن بالبشرى
٥٨	حادثة أصحاب الفيل
٦١	طلوع الفجر الحمدى أو الميلاد السعيد
٦٢	نتائج و عبر
٦٢	الحمل والميلاد
٦٥	نتائج و عبر
٦٦	رضاع الحبيب ﷺ و مراضعه
٦٩	نتائج و عبر
٦٩	كفلاء الحبيب ﷺ
٧٠	نتائج و عبر
٧١	مظاهر الكمال الحمدى
٧١	أول تلك المظاهر : الاستسقاء به
٧٢	نتائج و عبر
٧٢	ثاني تلك المظاهر أنه ﷺ لم تكشف له عورة قط
٧٣	نتائج و عبر

الموضوع

الصفحة

٧٣	ثالث تلك المظاهر أنه عليه السلام قد بغضت إليه الأوثان وكل أنواع الباطل
٧٤	نتائج وعبر
٧٤	ورابع تلك المظاهر هو تحكيم قريش له عليه السلام في أعظم خلاف لها
٧٥	نتائج و عبر
٧٥	وخامس تلك المظاهر اعتراف بحيرا الراهب بكماله عليه السلام
٧٧	نتائج و عبر
٧٧	وسادس تلك المظاهر حضوره عليه السلام حلف الفضول
٧٩	نتائج و عبر
٧٩	وسابع الكلمات هو رغبة خديجة فيه وزواجها به عليه السلام خطبة الزواج الميمون
٨٠	نتائج و عبر
٨١	دلو ساعة طلوع الشمس الحمدية
٨٢	طلوع الشمس الحمدية
٨٢	نتائج و عبر
٨٤	أشعة الشمس الحمدية تضيء دار خديجة وتطلع على ورقة بن نوفل
٨٤	نتائج و عبر
٨٧	فتور الوحي وعودته
٨٧	نتائج و عبر
٨٨	صور الوحي الحمدى
٨٨	نتائج و عبر
٩٠	بدء الحبيب عليه السلام دعوته
٩٠	نتائج و عبر
٩٢	نتائج و عبر

الصفحة	الموضوع
٩٣	إسلام الصديق وأثره في الدعوة الحمدية
٩٤	نتائج وعبر
٩٥	أفواج السابقين بعد الأولين
٩٧	نتائج و عبر
٩٨	الجهر بالدعوة بعد الإسرار بها
٩٩	نتائج و عبر
٩٩	قصة إسلام حمزة رضي الله عنه
١٠٠	قصة إسلام عمر رضي الله عنه
١٠١	ارتفاع ضوء الشمس الحمدية ، وعشنا أبصار المشركين
١٠٩	نتائج و عبر لعرض المشركين الخمسة
١١٠	خيبة أمل المشركين تحول إلى نكمة على المستضعفين من المؤمنين
١١٢	نتائج و عبر
١١٢	المستهزئون بالحبيب عليه السلام وما أنزل الله تعالى بهم
١١٩	من أليم العذاب
١١٩	نتائج و عبر
١٢٢	أول هجرة في الإسلام
١٢٣	نتائج و عبر
١٢٥	إرسال قريش وفدها إلى النجاشي
١٢٦	هجرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه الأولى
١٢٧	نتائج و عبر
١٢٧	في شعب أبي طالب

الصفحة	الموضوع
١٢٩	نتائج و عبر
١٣٠	اشتداد حلوكة الليالي والأيام عليه أفضل الصلاة وأذكى السلام
١٣١	نتائج و عبر
١٣٢	خروج الحبيب ﷺ إلى الطائف يطلب النصرة لدینه
١٣٤	نتائج و عبر
١٣٥	الإسراء بالحبيب ﷺ والعروج به إلى الملائكة الأعلى
١٣٩	نتائج و عبر
١٣٩	ثلاث آيات من آيات النبوة المحمدية
١٤١	نتائج و عبر
١٤٢	الخروج بالدعوة خارج مكة
١٤٣	نتائج و عبر
١٤٤	تدابير إلهية لظهور الإسلام
١٤٩	نتائج و عبر
١٥٠	لطائف أمور قبل هجرة الحبيب ﷺ
١٥٦	هجرة الحبيب ﷺ إلى طيبة الطيبة
١٥٩	نتائج و عبر
١٦٠	الطريق إلى المدينة
١٦٢	عودة إلى مسيرة الركب الميمون
١٦٤	نتائج و عبر
١٦٥	في طيبة دار الحبيب ﷺ
١٦٥	الحبيب ﷺ في قباء
١٦٦	أول عمل بقباء للحبيب ﷺ
١٦٧	نتائج و عبر
١٦٨	استقبال الأنصار للحبيب ﷺ وعظيم فرهم وحفاوتهم به
١٧٠	نتائج و عبر

الصفحة	الموضوع
١٧٠	بناء المسجد النبوي وشرف المدينة وأهلها
١٧٢	نتائج وعبر
١٧٤	جهود الحبيب ﷺ في الإصلاح والتأسيس والبناء بالمدينة النبوية
١٨٠	نتائج و عبر
١٨١	أحداث بعضها مفرح ، وبعضها محزن
١٨١	الصلوة والأذان
١٨٢	نتائج و عبر
١٨٣	وفاة كلثوم بن الهدم وأسعد بن زراره رضي الله عنهما
١٨٤	نتائج و عبر
١٨٤	أول مولود للمهاجرين
١٨٥	نتائج و عبر
١٨٥	بناء الحبيب ﷺ بأحب نسائه إليه
١٨٦	نتائج و عبر
١٨٦	آخر أحداث هذه السنة « الأولى من الهجرة » ثلاث سرايا
١٨٧	نتائج و عبر
١٨٧	سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه
١٨٨	نتائج و عبر
١٨٨	سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه
١٨٨	نتائج و عبر
١٨٩	ظهور العداء الشديد وبدء الصراع الداخلي
١٨٩	منافقو اليهود

الصفحة	الموضوع
١٩١	منافقو المشركين
١٩٤	الأعداء المعلنون عدائهم من اليهود
١٩٥	نتائج وعبر
١٩٦	جدليات اليهود ، ومظاهر عنادهم
١٩٨	نتائج و عبر
١٩٩	وكاليهود نصارى نجران يجادلون ويعاندون
٢٠١	نتائج و عبر
٢٠٢	الحالة الصحية بدار الهجرة
٢٠٤	غزوة الأباء
٢٠٥	غزوة بواط
٢٠٥	غزوة العشيرة
٢٠٦	غزوة بدر الأولى
٢٠٧	سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى نخلة بين مكة والطائف
٢١٠	نتائج و عبر
٢١٠	غزوة بدر الكبرى
٢١٤	تدبر حرفي
٢١٥	تدبر آخر
٢١٦	تدبر سابق
٢١٧	عودة إلى المعسكر الإسلامي
٢١٨	تدبر صالح
٢١٨	تقارب المسلمين
٢١٩	في معسكر الكفر

الصفحة

الموضوع

٢٢٠	في معسكر الإسلام
٢٢١	التقاء الفريقين
٢٢٢	المبارزة قبل الاتحام
٢٢٣	نهاية سعيدة
٢٢٤	آية محمديّة
٢٢٥	جيـف المـشـركـين
٢٢٥	تـوـيـعـخـ الحـبـيـبـ عـلـيـهـ الـلـهـ أـلـاـدـائـهـ
٢٢٦	خـلـافـ الأـلـحـبـ وـحـسـمـهـ
٢٢٧	بـشـائـرـ النـصـرـ
٢٢٧	طـلـوـعـ الـبـدرـ
٢٢٨	أـيـهـماـ خـيـرـ القـتـلـ أـوـ الـفـداءـ
٢٢٩	كـرـمـ مـحـمـدـىـ
٢٣٠	صـدـىـ هـزـيـةـ المـشـرـكـينـ فـيـ مـكـةـ
٢٣١	مـنـ أـصـدـاءـ الـمـعرـكـةـ وـأـثـارـهـاـ
٢٣٣	هـجـرـةـ زـينـبـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـاـ
٢٣٤	إـسـلـامـ أـلـىـ الـعـاصـ وـكـيـفـ كـانـ
٢٣٨	شـرـفـ أـهـلـ بـدـرـ
٢٣٩	نـتـائـجـ وـعـبـرـ
	أـهـمـ مـاـ وـقـعـ مـنـ أـحـدـاثـ فـيـ السـنـةـ الثـانـيـةـ مـنـ هـجـرـةـ
٢٤٢	الـحـبـيـبـ عـلـيـهـ الـلـهـ
٢٤٤	خـرـيـطـةـ تـحدـدـ مـوـقـعـ بـدـرـ بـيـنـ مـكـةـ وـالـمـدـيـنـةـ
٢٤٥	غـرـوـةـ بـنـيـ قـيـنـقـاعـ

الصفحة	الموضوع
٢٤٧	نتائج وعبر
٢٤٨	غزوة القدر
٢٤٨	نتائج وعبر
٢٤٩	غزوة السوق
٢٥٠	نتائج وعبر
٢٥١	أحداث السنة الثالثة من هجرة الحبيب <small>عليه السلام</small>
٢٥١	غزوة ذي أمر
٢٥٢	نتائج وعبر
٢٥٢	غزوة الفرع
٢٥٣	نتائج وعبر
٢٥٣	سرية زيد بن حارثة إلى القرد
٢٥٤	نتائج و عبر
٢٥٥	سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب اليهودي
٢٥٧	نتائج و عبر
٢٥٨	غزوة أحد
٢٦٥	سبب المزية
٢٦٨	مواقف في أحد و مواقف
٢٧٢	نتائج و عبر
٢٧٤	غزوة حمراء الأسد
٢٧٧	نتائج و عبر
٢٧٨	أهم ما وقع من أحداث في السنة الثالثة من هجرة
	<small>الحبيب عليه السلام</small>

الصفحة	الموضوع
٢٧٩	خريطه تبيّن موقع أحد من المدينة النبوية على صاحبها
٢٨٠	أفضل الصلاة وأذكى السلام
٢٨٠	أحداث السنة الرابعة من هجرة الحبيب ﷺ
٢٨٠	حدث الرجيع المؤلم
٢٨٢	نتائج وعبر
٢٨٣	حدث بشر معونة الجلل
٢٨٥	نتائج و عبر
٢٨٥	سرية عمرو بن أمية الضمرى
٢٨٨	نتائج و عبر
٢٨٩	غزو بني النضير
٢٩٢	نتائج و عبر
٢٩٢	عبرة خاصة
٢٩٣	غزوة ذات الرفافع
٢٩٥	نتائج و عبر
٢٩٥	غزوة السويف
٢٩٦	نتائج و عبر
٢٩٧	أهم ما وقع من أحداث في السنة الرابعة
٢٩٨	من هجرة الحبيب ﷺ
٢٩٨	أحداث السنة الخامسة
٢٩٩	غزو دومة الجندل
٢٩٩	نتائج و عبر
٢٩٩	غزوة الخندق أو الأحزاب
٢٩٩	سبب وقوعها

الصفحة

الموضوع

٣٠١	حفر الخندق
٣٠٢	آيات تظهر أثناء الحفر وبعده
٣٠٣	موقف مخز لمنافقين
٣٠٤	عمل شرير يقوم به ابن أخطب
٣٠٥	رحمة نبوية تجل في عرض صالح
٣٠٦	بداية المعركة
٣١١	نتائج وعبر
٣١٢	غزوة بنى قريظة
٣١٥	عرض مرفوض — وآخر مقبول
٣١٦	عثرة كريم ألقاها الله جل جلاله
٣١٧	من المستشفى إلى المحكمة
٣١٩	تنفيذ الحكم
٣١٩	القرطبة العجب
٣٢٠	وقرطبي أعجب
٣٢١	أموال بني قريظة
٣٢٢	ريحانة الحبيب <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small>
٣٢٢	وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه
٣٢٣	نتائج وعبر
٣٢٤	أهم ما وقع من أحداث في السنة الخامسة
٣٢٤	من هجرة الحبيب <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small>
٣٢٥	أحداث السنة السادسة من هجرة الحبيب <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small>
٣٢٥	غزوة بنى حميان

الصفحة	الموضوع
٣٢٦	نتائج و عبر
٣٢٦	غزوة ذى قرد
٣٢٨	نتائج و عبر
٣٢٩	غزوة بنى المصطلق من خزاعة — أو المُرسيع
٣٣٠	فتنة أرادها ابن أبي ولكن الله سلم
٣٣١	موقف متحفظ
٣٣٢	لا عجب في غدر الكافر
٣٣٢	حادثة الإلفك
٣٣٦	نتائج و عبر
٣٣٧	عمرة الحديبية ، وبيعة الرضوان
٣٣٩	وفد خزاعة
٣٣٩	سفارة قريش
٣٤٠	غضبية صادقة
٣٤٢	سفير النبي ﷺ
٣٤٢	إساءة وإحسان
٣٤٢	سفارة أعظم
٣٤٣	بيعة الرضوان
٣٤٤	سفارة وهدنة
٣٤٤	عمر رضى الله عنه ينكر
٣٤٤	توبية عمر
٣٤٥	كتابة وثيقة الصلح ونصها
٣٤٦	أبو جندل يستصرخ
٤٤٦	التحلل من الإحرام
٤٤٧	آثار المصالحة

## الموضوع

### الصفحة

٣٤٨	نتائج و عبر
٣٥٠	مجموعة السرايا الآتية ، سرية عكاشة ، سرية محمد بن مسلمة ، سرية أبي عبيدة ، سرية زيد بن حارثة
٣٥١	سرية كرز بن جابر الفهرى
٣٥١	مكتبة الرسول ﷺ الملوك والرؤساء
٣٥١	أسماء حاملى كتبه ﷺ
٣٥٢	نماذج من كتبه ﷺ
٣٥٥	نتائج و عبر
٣٥٧	خربيطة غزوات الشمال خيبر و دومة الجندل و تبوك
٣٥٨	أهم أحداث السنة السابعة من هجرة الحبيب ﷺ
٣٥٨	غزوة خيبر
٣٦٠	خطبة تشريع حكيم
٣٦١	دعوة نبوية مستجابة
٣٦١	آخر حصن يفتح
٣٦٢	مواقف يحسن أن تذكر
٣٦٤	نتائج و عبر
٣٦٥	غزوة وادى القرى
٣٦٦	نتائج و عبر
٣٦٦	ما تم من أمور هامة عند العودة من غزوة خيبر
٣٦٩	سبع سرايا تبعث إلى أنحاء مختلفة
٣٦٩	سرية أبي بكر الصديق — سرية عمر بن الخطاب
٣٦٩	سرية بشير بن سعد الأنصارى

الصفحة	الموضوع
٣٧٠	سرية غالب الكلبي — سرية بشير بن سعد الأنصارى
٣٧١	سرية عبد الله بن رواحة — سرية عبد الله بن حذافة
٣٧٢	نتائج وعبر
٣٧٢	عمرة القضاء
٣٧٣	زواج الحبيب <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small>
٣٧٤	الكرم المحمدى
٣٧٤	نتائج و عبر
٣٧٥	لطيفة
٣٧٥	سرية ابن أبي العوجاء
٣٧٦	نتائج و عبر
٣٧٦	أهم أحداث هذه السنة غير الغزوات والسرايا
٣٧٧	أهم أحداث السنة الثامنة من هجرة الحبيب <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small>
٣٧٧	سرية غالب
٣٧٨	نتائج و عبر
٣٧٨	سرية شجاع ، سرية عمرو بن كعب
٣٧٩	إسلام كل من خالد وعمرو وعثمان
٣٨٠	نتائج و عبر
٣٨٠	سرية ذات السلاسل
٣٨١	سرية عمرو بن العاص — وسرية الخبط
٣٨٢	نتائج و عبر
٣٨٢	سرية أبي قادة
٣٨٣	سرية أبي قادة إلى إضم
٣٨٤	غزوة مؤتة

الصفحة	الموضوع
٣٨٦	إخبار النبي ﷺ بالواقعة
٣٨٧	امرأة جعفر تحدث
٣٨٧	نتائج وعبر
٣٨٨	غزوة الفتح : فتح مكة — أسبابها
٣٩٠	التجهيز والإعداد
٣٩١	المسير إلى مكة
٣٩٢	بحر الظهران
٣٩٣	استعراض القوة للإرهاب
٣٩٤	دخول القوات إلى مكة
٣٩٥	من القبة إلى المسجد
٣٩٦	مظاهر الكرم الحمدي
٣٩٦	ال مجرمون الثانية
٣٩٧	البيعة على الإسلام
٣٩٨	الإنسان قبل الإيمان
٣٩٨	ذكريات فيها عبر وعظات
٤٠٠	نتائج وعبر
٤٠٢	غزوة خالد بن جذية
٤٠٣	نتائج وعبر
٤٠٣	حدثان هامان عقب الفتح
٤٠٤	غزوة هوازن
٤٠٥	رأى صائب لم يُقبل
٤٠٥	عيون ترى الملائكة
٤٠٦	خروج النبي ﷺ إلى هوازن

الصفحة	الموضوع
٤٠٦	طلب جاهليٌّ مرفوض
٤٠٧	شماتة ذوى الصغار
٤٠٨	ودارت المعركة
٤٠٩	أنباء ذات خطر متفرقة
٤١١	نتائج وعبر
٤١٢	حصار الطائف
٤١٣	أحداث يحسن ذكرها
٤١٤	نتائج و عبر
٤١٦	قصمة غنائم حنين
٤١٧	من لا يعطى خير من يعطي ، موجدة الأنصار
٤١٨	واعتبر الحبيب <small>عليه السلام</small>
٤١٩	نتائج و عبر
٤٢٠	أهم أحداث سنة ثمان من هجرة الحبيب <small>عليه السلام</small>
٤٢٢	إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى
٤٢٣	نتائج و عبر
٤٢٤	غزوة تبوك — أسباب هذه الغزوة
٤٢٤	التعبة العامة
٤٢٥	جمع المال لخوض المعركة
٤٢٥	اعتذار كاذب ، واعتذار مردود
٤٢٥	تختلف من غير شك
٤٢٦	البكاءون
٤٢٦	مسير الحبيب <small>عليه السلام</small>

الصفحة	الموضوع
٤٢٦	المبطنون
٤٢٧	أبو خيثمة يفوز
٤٢٨	من أعلام النبوة
٤٣١	المقام المبارك
٤٣١	خطبة نبوية جامعة
٤٣٣	إيجابيات نبوية
٤٣٤	حدث هام
٤٣٥	ياليتني كنت صاحب المفرة
٤٣٥	مسجد الضرار
٤٣٦	الرهط المتخلف
٤٣٧	نتائج وعبر
٤٣٩	غزوة طيء وإسلام عدى
٤٤٠	نتائج و عبر
٤٤١	قدوم عروة بن مسعود الثقفي
٤٤٢	نتائج و عبر
٤٤٢	قدوم وفد تقيف
٤٤٣	شروط مرفوضة
٤٤٣	قضاء ديون من مال الطاغية
٤٤٤	عهد لابن أبي العاص
٤٤٤	نتائج و عبر
٤٤٥	قدوم الوفود على الحبيب ﷺ
٤٤٦	وفد بنى أسد ، وفد بلى ، وفد تميم

الصفحة	الموضوع
٤٤٧	جفاء هذا القد وسوء أدبه
٤٤٨	قدوم وفد عبد القيس
٤٤٩	قدوم وفد بنى حنيفة
٤٤٩	قدوم وفد ملوك حمير
٤٥٠	قدوم وفد براء ، ووفد عذرة
٤٥١	قدوم وفد ذى مرّة ، ووفد سعد بن بكر
٤٥٢	قدوم وفد الأزد
٤٥٢	قدوم وفد طيء
٤٥٣	عبر ونتائج
٤٥٤	حج ألى بكر الصديق بالناس
٤٥٤	نتائج وعبر
٤٥٥	أهم أحداث السنة التاسعة من هجرة الحبيب ﷺ
٤٥٦	ودخلت السنة العاشرة من هجرة الحبيب ﷺ
٤٥٦	بعث خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب بنجران
٤٥٧	نتائج و عبر
٤٥٧	وصول وفد نصارى نجران
٤٥٨	نتائج و عبر
٤٥٨	قدوم وفود عديدة على الرسول ﷺ
٤٥٨	وفد سلامان ، وفد غسان ، وفد عامر ، وفد الأزد
٤٥٩	وفد مراد
٤٦٠	إرسال فروة بن عمرو الجذامي رسولا
٤٦١	قدوم وفد زبيد ، وفد عبد القيس ، وفد كندة
٤٦٢	وفد محارب ، وفد عبد عبس وغيرهم
٤٦٣	نتائج و عبر

الموضوع

الصفحة

٤٦٣	إرسال النبي عليه ألياً إلى اليمن وإسلام هذان
٤٦٤	بعث النبي عليه أمراء على الصدقات
٤٦٥	نتائج وعبر
٤٦٥	حجـة الوداع
٤٦٩	نتائج و عبر
٤٧٠	ودخلت السنة العاشرة من هجرة الحبيب عليه
٤٧٠	بعث جيش أسامة إلى الشام
٤٧١	نتائج و عبر
	خاتمة الجهاد الحمدى ببيان عدد غزواته
٤٧١	وسرايـاه عليه
٤٧٣	مرض الحبيب عليه ووفاته
٤٧٤	في بيت عائشة رضى الله عنها
٤٧٦	اشتداد الكرب وكـالصديق رضى الله عنه
٤٧٧	غسلـ الحبيب عليه وكتفـه ودفنه
٤٧٨	بكـاء ودموعـ علىـ الحبيب عليه
٤٨٠	الـذـاتـ الـحـمـدـيـةـ
٤٨١	الـرـسـمـ الـكـرـيمـ لـلـحـبـيـبـ مـحـمـدـ عليهـ
٤٨٢	أـسـماءـ الـذـاتـ الـحـمـدـيـةـ
٤٨٣	مالـهـ عـلـاقـةـ بـالـذـاتـ الـحـمـدـيـةـ ؟ـ كـالـزـوـجـاتـ وـالـأـوـلـادـ
٤٨٣	وـالـمـوـالـيـ ،ـ وـالـمـتـلـكـاتـ لـهـ ،ـ كـالـراـكـبـ وـأـنـوـاعـ السـلاـحـ
٤٨٦	أـزـوـاجـهـ عليهـ
	أـوـلـادـهـ عليهـ

الصفحة	الموضوع
٤٨٧	موالى الحبيب ﷺ
٤٨٩	إماء رسول الله ﷺ
٤٩٠	كتابه ﷺ
٤٩٢	أسماء خيله ﷺ
٤٩٣	أسماء بغال الحبيب ﷺ
٤٩٣	أسماء إبله ولقاحه ومتناجهه ﷺ
٤٩٣	أسماء سلاح الحبيب ﷺ
٤٩٤	الخصائص الحمدية
٤٩٤	البوبة ، الوحي
نوم العينين دون القلب ، إباحة الله تعالى له نكاح أكثر من أربع زوجات ، وصال الصيام ، حرمة أكل	الصدقة ، وقيام الليل
عدم إرثه ﷺ ، هبة النكاح ، حرمة نسائه بعده ﷺ	المعجزات الحمدية
٤٩٧	القرآن الكريم
٤٩٨	انشقاق القمر ، نزول المطر بدعائه
٥٠٠	نوع الماء من بين أصابعه ﷺ ، فيضان ماء بثر الحديبية
٥٠١	قدح لبن روى فقاماً من الناس بيركته ﷺ
٥٠٣	امتلاء عكة سمن بعد فراغها
٥٠٤	الطعام القليل يشبع العدد الكبير
٥٠٥	تكثير الطعام
٥٠٥	توفيه دين جابر الذي استغرق كل ماله
٥٠٦	انقياد الشجر له ﷺ

الموضوع

الصفحة

- |     |  |
|-----|--|
| ٥٠٧ | حنين الجذع شوقاً إليه ﷺ  |
| ٥٠٨ | تسبيح الحصى في يديه وسلام الشجر عليه ﷺ   |
| ٥٠٩ | سلام الحجر عليه ﷺ  |
| ٥١٠ | سجود البعير له ﷺ   |
| ٥١١ | شهادة الذئب برسالته ﷺ  |
| ٥١٢ | توقير الوحش له ﷺ واحترامه  |
| ٥١٣ | احترام الأسد لولاه ﷺ   |
| ٥١٤ | نطق الغزالة ووفاؤها له ﷺ   |
| ٥١٤ | خروج الجن من الصسيّ بدعايه ﷺ   |
| ٥١٥ | شفاء الضرير بدعايه ﷺ   |
| ٥١٥ | شفاء على رضى الله عنه بتفاله في عينيه ﷺ  |
| ٥١٦ | رده عن قادة بعد تدليها على خده ﷺ   |
| ٥١٦ | شفاء الصسيّ بفضل سورة ﷺ  |
| ٥١٦ | تحول جذل الخطب سيفاً   |
| ٥١٧ | صدق إخباره بالغيب ﷺ : قوله ﷺ للمرأة « قرى في بيتك فإن الله يرزقك الشهادة » فقتلت شهيدة في بيتها وقوله في الحسن : « إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فتتین عظيمتين » فكان كما أخبر ، وقوله لسرقة : « كيف بك إذا ألبست سواري كسرى » فكان كما أخبر قوله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقتل فتتان أمرهما واحد ». فكان ما أخبر به . وقوله : « إن هذا قبر أبي رغال وإن معه غصناً من ذهب » فحضر فوجد ما قال حقاً . قوله لخباب : « والله ليتمكن هذا الأمر حتى يسير الراكب ... ». فكان كما أخبر . وقوله : « منعت العراق » الحديث . فكان كما أخبر |
| ٥١٨ |  |

الموضوع

الصفحة

٥١٨

وقوله : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يؤتى الله ملكه من يشاء ». فكان الأمر كما أخبر

٥١٩

قوله في عثمان : « وبشره بالجنة على بلوى تصيبه ». فكان الأمر كما قال . وقوله لفاطمة رضي الله عنها : « أنها أول أهلة لحوقا به ». فكان كما أخبر . وقوله لنسائه : « كيف بإحداكن تبجع عليها كلاب الحواب ». فكان الأمر كما أخبر

٥٢٠

وقوله في علي رضي الله عنه : « والذى يضربك يا على على هذه ». فكان الأمر كما أخبر . وقوله : « سيكون في هذه الأمة بعث إلى السنن وبعث إلى الهند » .

٥٢١

قوله في سهيل بن عمرو : « عسى أى يقوم مقاما يسرك يا عمر ». فكان ما أخبر به . وقوله : « ستفرق هذه الأمة إلى ثلات وسبعين فرقة » فافترقت كما أخبر

٥٢٢

الأخلاق الحمدية التي فيها أسوة للمؤمنين

٥٢٣

الآداب الحمدية

٥٢٤

الأخلاق الحمدية

٥٢٥

الكرم الحمدى

٥٢٧

الحلم الحمدى

٥٢٨

العفو الحمدى

٥٣٠

الشجاعة الحمدية

٥٣٢

الصبر الحمدى

٥٣٤

العدل الحمدى

الموضوع

الصفحة

٥٣٦	الزهد الحمدى
٥٣٧	الحياء الحمدى
٥٣٩	أدب مخالطته <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small> وحسن عشرته
٥٤٢	خشية الحبيب <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small> وطول عبادته
٥٤٢	مظاهر خشيته <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small>
٥٤٣	مظاهر طول عبادته
٥٤٤	التواضع الحمدى
٥٤٥	مظاهر التواضع الحمدى
٥٤٧	المزاح الحمدى
٥٥٠	الفصاحة الحمدية
٥٥٤	الرحمة الحمدية
٥٥٤	الرحمة العامة
٥٥٥	مظاهر الرحمة الحمدية الخاصة
٥٥٦	الوفاء الحمدى
٥٥٧	وفاؤه <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small>
٥٥٧	صلته رحمه <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small>
٥٥٩	خاتمة في بيان حقوق الحبيب <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small>
٥٥٩	إليمان به <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small>
٥٦٠	محبته <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small>
٥٦١	مظاهر محبته <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small>
٥٦١	علامات محبته <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small>
٥٦١	طاعته <small>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small>

الموضوع

الصفحة

٥٦٢	مظاهر طاعته ﷺ
٥٦٣	متابعه ﷺ
٥٦٤	فضل متابعه ﷺ
٥٦٤	الاقتداء به ﷺ
٥٦٦	توقيره ﷺ
٥٦٧	مظاهر توقيره ﷺ
٥٦٨	تعظيم شأنه ﷺ
٥٦٩	مظاهر تعظيمه
٥٧٠	مظاهر تعظيم أهل بيته ﷺ
٥٧٠	مظاهر تعظيم أصحابه
٥٧١	مظاهر تعظيم آثاره ﷺ
٥٧٢	وجوب النصح له ﷺ
٥٧٢	محبة أهل بيته وصحابته
٥٧٥	الصلة عليه ﷺ
٥٧٦	المواطن التي تستحب فيها الصلاة عليه ﷺ
٥٧٧	صيغ الصلاة على النبي ﷺ

## مصادر الكتاب

- (١) سيرة ابن هشام والسهيلي عليها .
- (٢) الكامل لابن الأثير .
- (٣) البداية والنهاية لابن كثير .
- (٤) مختصر السيرة للشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،  
رحمهم الله أجمعين ، وجزانى الله وإياهم بما يجزى به المحسنين .



الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥	٦	كان به رفعه	كان به قبل رفعه
١٨	١٠	وجليس	جليس
١٩	٩	ارفشد	ارخشند
٥٢	١١	يقبضه الـ	يقبضه الله
٥٤	٤	اركان	اركون
٥٤	٥	الـ جبار	الـ جبار
٥٤	١٥	عـتـكـم	عـتـكـم
٥٧	١٤	كـكـذـاـبـها	كـكـاذـبـها
٥٤	.....		: خامسا
٦٨	٨	محـثـشـا	محـثـشـا
٦٨	١٠	يطـوفـ بـاـبـنـ	يطـوفـ فـقـالـ يـاـابـنـ
٨٧	١٨	والـعـرـى	والـعـرـى
٩١	١٩	فيـهـ	فيـهـ
١١٦	٦	فـاـذـاـغـيـرـهـ	فـاـذـاـرأـيـغـيـرـهـ
١٢٤	١٢	جاءـعـيـسـىـ	جاءـعـيـسـىـ
١٢٦	٣	ورـاءـ	ورـأـيـ
١٢٩	١١	محـىـ	محـاـ
١٣٣	٥	ويـصـيـحـونـ بـهـ باـلـحـجـارـةـ	ويـصـيـحـونـ بـهـ باـلـحـجـارـةـ
١٤٠	١٢	بلغـجـوـعـ	بلغـبـهـ الجـوـعـ
١٥١	٢٤	مـكـةـ هـوـ	مـكـةـ وـهـ
١٥٣	١٢	يزـأـرانـ	يزـارـانـ
١٥٨	٢٠	الـدـبـلـ	الـدـبـلـ
١٦٧	١٥	«ـ دـانـونـاـ »	«ـ رـأـنـونـاـ »
١٧٣	٦	سلـكـ وـادـيـاـ	سلـكـ الأـنـصـارـ وـادـيـاـ
١٨٥	٩	بـفـضـلـ اللـهـ وـالـتـكـبـيرـ	بـفـضـلـ اللـهـ وـالـتـكـبـيرـ
١٩٢	١٧	مزـعـ	مزـعـ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٩٥	٢٠	وليد	وليد
٢٠٩	٢	يمنع	يمنع
٢١٩	٢	يحرر	يحرر
٢٢٥	١٥	الكثيب	الكثيب
٢٣٩	٢٢	الأنصارى	الأنصارى
٢٤٠	٥	أماكن وتقدير	أماكن وجوده وتقدير
٢٤٠	٥	وحرز قوته	وحرزها
٢٤٠	٥	مدى تقدر عليه	مدى ما تقدر عليه
٢٤٠	٨	يتتفع بها في شأن	يتتفع في شأن
٣٣٥	٢٠	حسان ابن	حسان بن
٣٤٠	١٦	إلى جاءهم	أن جاءهم
٣٧٣	١١	دخل المسجد واضطجع وأضطجع أصحابه	فلما دخل عليهما أضطجع وأضطجع أصحابه
٣٧٥	١٣	ولما رضج	ولما رجع
٣٥٠	٢٥	واسروا	واسرى
٣٥٠	٢٤	الحوم	الجموم
٤٤٠	٣	حاتم	عدى بن حاتم
٤٤٠	١٣	حاتم	عدى بن حاتم
٤٤٦	١٣	عني	غنى
٤٥٧	١٨	إلا	ألا
٤٨٦	٦	إلا قاتل	ألا قاتل
٤٨٧	٣	هو ورضيع	وهو رضيع
٥٤٦	٣	واجب فعله	واجب وفعله
٥٧٣	١٣	اقبروا	ارقووا
٥٧٥	١٨	من صل	من صلى
٥٢٩	٥	مصلتنا	مصلحة
٥٢٩	١٦	بذلك	الوحى بذلك

طبع بترخيص وزارة الإعلام  
رقم ٦٤٢ م/ج  
وتاريخ ١٤٠٩/٣/٥ هـ